الأكثر مبيعاً 1 في أمريكا

دانيال ستيل

DANIELLE STEEL

دقة قلب

HEARTBEAT

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

الفصل 1

دوّى صوت آلة الطباعة القديمة وسط السكون الذي كان يخيّم على الغرفة، في الوقت الذي جالت فيه سحابة من الدخان الأزرق فوق الزاوية التي كان بيل ثيغين يعمل فيها. كان يضع نظّارته على رأسه، في الوقت الذي كانت فيه فناجين القهوة تتأرجح عند طرف مكتبه، والمنافض تطفح برماد سجائره. أمّا وجهه فقد كان حادّ المعالم وعيناه الزرقاوان تحدّقان نصف مغمضتَيْن في ما كان يكتبه. فجأة ألقى نظرة سريعة من فوق كتفه على الساعة التي كانت تتكتك دون توقّف خلفه. كان يطبع على الآلة وكأنّ الشياطين مترصّدة له في مكانٍ ما على مقربة منه. أمّا شعره البنيّ الذي بدأت تتوسّطه شعيْرات بيضاء فقد كان يبدو وكأنّه لم يمشّطه منذ أيام عدّة. لقد كان نظيف الوجه، حليق الذقن قاسي القسمات، غير أنه كان مع ذلك يبدو في غاية اللّطف والطيبة. لم يكن رجلاً يمكننا وصفه بالوسيم ولكنه كان يبدو رجلاً قوياً وجذّاباً، رجلاً ملفتاً للانتباه، رجلاً كنّا نودّ لو كان بإمكاننا أن نمضي بعض الوقت معه؛ إنّما ليس الآن وقد تأوّه ملقياً نظرة أخرى سريعة على الساعة تاركاً أنامله تضرب آلة الطباعة ضرباً قوياً. وأخيراً ها هو السكون يعمّ أرجاء الغرفة، وإذا به يقوم بتصحيح سريع بواسطة قلمه ثمّ يثب على قدميْه ويمسك بملء يديْه الأوراق التي كان يعمل عليها خلال الساعات السبع الماضية، منذ الساعة الخامسة فجراً. لقد ناهزت الساعة الآن الواحدة تقريباً... موعد الانطلاق... فاجتاز الغرفة وفتح الباب بعنف ثم انطلق مسرعاً من أمام مكتب سكرتيرته متجهاً نحو الردهة في الأسفل بأسرع ما يمكن ومندفعاً كالسهم بين الناس متفادياً الاصطدام بهم ومتجاهلاً تحيّاتهم الودودة، ونظراتهم التي تبدو عليها علامات التساؤل والاستغراب، ثم قرع باباً ففتح له قليلاً بحيث

تمكن من إقحام نفسه عبر الفتحة الضيقة متشبثاً بحزمة الأوراق التي كان قد دوّن عليها التعديلات الجديدة. كانت هذه العملية مألوفة بالنسبة له، إذ أنها كانت تحدث مرّة، أو مرتين، أو حتى أحياناً ثلاث أو أربع مرّات في الشهر عندما لم يكن بيل ليحب طريقة سير الأحداث في البرنامج. فكونه مؤلف وصاحب فكرة البرنامج الصباحي الأكثر نجاحاً على التلفزيون، كان كلّما شعر بقلق ما حيال العرض، يتوقّف، ثمّ يكتب مقطعاً أو اثنين، ويقلب كلّ شيء رأساً على عقب، ليشعر بعد ذلك بالرضى والسعادة. وقد كان وكيله يصفه بالأمّ الأكثر عصبيّة على التلفزيون، غير أنه كان يعلم أيضاً أنه الأفضل. فقد كان بيل ثيغبن يتميّز بموهبة صادقة، مما جعل برنامجه برنامجاً ناجحاً، كما وأنه لم يكن يوماً على خطأ حتى الآن.

فكان البرنامج "حياة جديرة بالعيش" لا يزال البرنامج الأكثر تشويقاً وإثارةً من بين البرامج الصباحية على التلفزيون الأمريكي، وقد كان هذا الأخير بمثابة طفل ويليام ثيغبن، إذ كان قد باشر بالعمل عليه كوسيلة لإيجاد لقمة عيشه عندما كان يتضوّر جوعاً في نيويورك في بداية مسيرته المهنيّة ككاتب مسرحيّ. فبدأ أوّلاً بدراسة الفكرة التي سوف يدور حولها المسلسل، ثم كتب السيناريو الأوّل في وقت لم تكن فيه مسرحيات في نيويورك. لقد بدأ بيل ثيغبن حياته المهنية ككاتب نصوص مسرحية في أوف – أوف برودواي وكان لا يزال في تلك الأيام يتميّز بالصفائية، المسرح قبل كلّ شيء، ولكنّه بعد ذلك تزوّج وأقام في سوهو في نيويورك وكان لا يزال يتضوّر جوعاً. كانت زوجته ليسلي تعمل كراقصة في استعراضات برودواي ولكنها كانت هي أيضاً عاطلة عن العمل في ذلك الوقت لأنها كانت حاملاً بطفلهما الأول. وهو كان دائماً يمزح في البداية حول "سخرية القدر" إلى أن نجح في النهاية بفضل أحد البرامج التلفزيونيّة وتبيّن له أن هذا البرنامج هو نقطة التحوّل الكبرى في حياته المهنيّة. ولكنه وبعد أن ناضل وكافح مع سيناريو أحد المسلسلات الطويلة، لم يعد عمله هذا بمثابة مزاح بالنسبة له، إذ أنه سرعان ما أصبح

هاجسه الوحيد. فقد كان لا بدّ له من أن ينجح... من أجل ليسلي... من أجل طفلهما. وإن أردتم الحقيقة، فقد أحبّ هذا العمل، لا بل عشقه وكذلك الأمر أيضاً بالنسبة إلى شبكة التلفزيون التي جُنّ جنونها به. وقد ولد الطفل آدم في الوقت نفسه تقريباً الذي ولد فيه البرنامج، غير أنّ الأوّل كان صبياً قويّ البنية وزنه تسع باوندات وقد ورث عن أبيه عينيه الكبيرتين الزرقاوين وشعره الذهبيّ المعقوص، في حين أن الآخر كان تجربة عُرضت ضمن دورة البرامج الصيفيّة وحازت على تقدير جماهيري وشعبي عالٍ كما وعلى احتجاج عنيف لدى احتجاب البرنامج عن الأنظار مجدداً في شهر أيلول (سبتمبر). لذا، وفي غضون شهرين فقط، عاد برنامج "حياة جديرة بالعيش" إلى الشاشة وبذلك شق بيل ثيغبن طريقه كمؤلف أحد أكثر البرامج التلفزيونية الصباحية نجاحاً حتى ذلك الحين، إذ أن الخيارات المهمّة الأخرى كانت تقبع خلفه بمسافة كبيرة.

كتب بيل ثيغبن بنفسه بعض سيناريوهات الحلقات الأولى، وكانت جيّدة، إلاّ أنه قاد الممثّلين والمخرج نحو الجنون. وفي ذلك الحين، لم يتمكن قطّ من نسيان، مهنته في أوف – أوف برودواي، غير أنّ التلفزيون أصبح قوام حياته بين ليلة وضحاها.

أخيراً، عرضوا عليه الكثير من المال لبيع الفكرة والبقاء في المنزل ليجمع قواه من جديد ويعود إلى كتابة المسرحيات لـ أوف – أوف برودواي. ولكن في ذلك الحين، كان برنامج "الحياة" بالنسبة إليه بمثابة ابنه الذي كان قد بلغ من العمر شهره السادس، وبالتالي فلم يكن باستطاعته أن يقنع نفسه بالتخلّي عن البرنامج، فكم بالأحرى بيعه. كان لا بدّ له من أن يستمرّ في العمل فيه، إذ كان واقعاً حيّاً بالنسبة له. لقد كان صادقاً في كلّ ما كان يقوله فيه. فهو تحدث في برنامجه هذا عن مصاعب الحياة، وخيبات الأمل ولحظات الغضب فيها، كما وعن أحزانها، وانتصاراتها، وتحدّياتها إضافة إلى لحظات الإثارة، والحب، والجمال فيها. لقد أظهر هذا البرنامج حبّه الكبير للحياة وتشبثه بها، إذ كان يحزن لدى حلول موعد إيقافه، في حين أنه كان يسرّ لدى

عودته إلى الشاشة. فهو كان يعطي الناس الأمل بعد اليأس، الشمس بعد العاصفة، لقد كان جوهر القصة جديراً بالاحترام وكذلك الأمر أيضاً في ما يختص بالشخصيّات الرئيسية. كما كانت القصّة تشتمل بالتأكيد على الأوغاد أيضاً، إلاّ أنّ البرنامج كان يتميّز باستقامة أساسيّة، الأمر الذي جعل معجبيه يحبّونه بإخلاص وتفانٍ. فقد كان هذا البرنامج صورةً حقيقيّة عن روحية مؤلفه المفعم بالحياة، والجدير بالاحترام، والثقة، والطيّب، والساذج، والذكي، والخلاّق هو الذي أحب عمله بقدر ما أحبّ آدم وليسلي تقريباً.

في الأيّام الأولى للبرنامج، كان بيل في حالة حيرة دائمة؛ فهو لا يريد أن يفارق عائلته من جهة، ولكنّه في الوقت عينه يريد أن يُبقي البرنامج تحت إشرافه الدائم، كي يتأكد من أنّه يسير على الطريق الصحيح ومن أنهم لم يعيّنوا له كاتباً أو مخرجاً غير ملائم. فقد كان ينظر إلى الجميع نظرة شكّ أو اشتباه، وبالتالي كان يبقي كل شيء تحت إشرافه ومراقبته. لم يكونوا ليفهموا شيئاً عن برنامجه... أو بالأحرى عن طفله. وقد كان ليسرّع عملية كتابة نصوصه كالدجاجة المتوتّرة والخائفة على بيضها. فقد استمرّ في كتابة حلقات برنامجه التلفزيوني، هكذا عشوائيّاً، كما كان يُكثر من التردّد إلى الاستديو أثناء التصوير فيقف موقف المتفرّج ويعطي ملاحظاته ويسدي نصائحه إلى الجميع. وفي نهاية العام الأول، ثبت أن بيل لن يعود يوماً ما إلى برودواي، إذ كان في الحقيقة قد وقع في شرك التلفزيون، كما وفي شرك برنامجه الذي كان مولعاً به حتى الجنون. حتى إنه توقّف في النهاية عن تقديم الأعذار والمبرّرات إلى أصدقائه في أوف – أوف برودواي واعترف لهم علناً بأنه أحبّ العمل الذي كان يقوم به. فهو لن يتخلّى أبداً عن عمله هذا مهما كلّف الأمر؛ وهذا في الواقع ما شرحه في إحدى الليالي لليسلي بعد أن كان قد أمضى ساعات طويلة في الكتابة، واضعاً حبكات روائية جديدة، وشخصيات جديدة، وفلسفات جديدة للفصل المقبل.

لم يكن باستطاعته التخلّي عن شخصياته، وممثليه، وتعقيدات الحبكة

الروائية مع كلّ ما تتضمنه هذه التعقيدات من مآسٍ، وصدمات، ومشاكل. فقد كان يعشق ذلك. كان برنامجه يُعرض مباشرة على الهواء خمس مرّات في الأسبوع؛ لقد كان يحضر التصوير بشكل دائم، حتى في الأوقات التي لم يكن من سبب وجيه لحضوره. وكان هناك كتّاب يوميّون يعملون على استمراريّة البرنامج يوماً بعد يوم، غير أن بيل كان دائماً يراقب سير الأمور. فهو كان يدرك ماذا يفعل والجميع كانوا موافقين على ذلك، إذ أنه كان فعلاً جيّداً، لا بل أكثر من جيّد؛ لقد كان في الواقع هائلاً. فهو كان يتميّز بحاسّة سادسة تجعله يقدر مسبقاً على التمييز في ما بين الناجح والفاشل وعلى معرفة الأمور التي يهتمّ لها الناس كما والشخصيات التي قد يحبّونها وتلك التي سوف يستمتعون بكرهها.

وعندما ولد ابنه الثاني طومي بعد عامين، كان برنامجه قد حاز جائزتَي النقّاد وجائزة آمي. وبعد أن حاز البرنامج جائزته آمي الأولى، اقترحت الشبكة نقل البرنامج إلى كاليفورنيا. فهذا كان منطقيّاً أكثر من الناحية الإبداعية، إذ أن الترتيبات الإنتاجية سوف تكون أكثر سهولة هناك. فقد كانوا يشعرون أن هذا البرنامج 'ينتمي' إلى كاليفورنيا. وقد كانت هذه الأخبار سارّة بالنسبة إلى بيل؛ بعكس زوجته ليسلي. لقد قرّرت هذه الأخيرة أن تعود إلى العمل. إنّما هذه المرّة ليس كراقصة في برودواي. فبعد أن أمضت سنتَين ونصف وهي تراقب بيل مهووساً ببرنامجه، أدركت ليسلي أخيراً ما الذي ينبغي عليها فعله. ففيما كان زوجها يكتب ليلاً نهاراً عن مواضيع شتى كسِفاح القُربى، والحمل في سنّ المراهقة، والخيانات الزوجيّة، كانت هي قد استأنفت دروسها في اختصاصها الأساسيّ، وها هي الآن تريد أن تعلّم رقص الباليه في جيلار.

'ماذا قلتِ سوف تفعلين؟' قال لها هذا وهو يرمقها بنظرة تعجّب واستغراب. فقد كانت أمورهم تسير على ما يُرام، وهو كان يجني الكثير من المال في عمله، وولداهما بصحّة جيّدة والحمد لله. فقد كان وضعهم العائلي ممتازاً، أقلّه حتى الآن، حتى هذا الصباح عندما فاتحته بموضوع رغبتها بالعمل.

"لا أستطيع يا بيل. فأنا لن أذهب..." ثمّ نظرت إليه نظرة هادئة بعينيها البنيّتين الكبيرتين الطيبتين والبريئتين تماماً كما كانتا عندما قابلها خارج أحد المسارح، وهي في العشرين من عمرها تحمل حقيبة الرقص في يدها. فهي كانت من شماليّ نيويورك، ولطالما كانت تتميّز بأخلاقها المهذّبة، وقلبها الطيّب، وتواضعها، وعينيْها المعبّرتيْن، وروحها المرحة والخجولة إنّما الصادقة. لقد كانا يضحكان كثيراً في الأيام الأولى من حياتهما الزوجيّة، كما وأنهما كانا يتبادلان أطراف الحديث حتى ساعات متأخرة من الليل في الشقق الكئيبة والباردة التي كانا يستأجرانها إلى أن اشترى هذه الشقّة الجميلة والباهظة الثمن في سوهو. حتى إنّه كان قد وضع لها فيها قضيباً معدنيّاً لتتمرّن عليه تمارين الباليه دون الحاجة للذهاب إلى أحد الاستديوهات. ولكن ها هي الآن فجأة تقول له إنّ كلّ شيء قد انتهى.

"ولكن لماذا؟ ما الذي تقولينه يا ليس؟ ألا تريدين مغادرة نيويورك؟" نظر إليها بحيرة فيما كانت عيناها قد اغرورقتا بالدموع. فاستدارت للحظة ثمّ عادت ونظرت في عينيْه نظرة جعلت قلبه ينفطر عليها شفقةً. فقد رأى في عينيها مزيجاً من الغضب، وخيبة الأمل، والفشل، كما رأى فجأة فيهما ما كان ينبغي عليه أن يراه منذ شهور عدّة، فسأل نفسه بخوف إن كانت لا تزال تحبّه. "ما الأمر؟ ما الذي جرى؟" سأل نفسه كيف ترك هذا الأمر يفوته؟ كيف كان بإمكانه أن يكون مغفّلاً إلى هذا الحدّ؟

"لا أدري... لقد تغيّرت..." ثمّ هزّت رأسها مجدداً تاركة شعرها الأسود الطويل يتطاير من حولها كجناحيْ ملاك هابط من الأعالي. "لا... هذا ليس عدلاً... كلانا قد..." عندها، أخذت نفساً عميقاً وحاولت أن تشرح له حقيقة الوضع. فقد كانت تدين له بهذا القدر بعد حياة زوجيّة دامت خمس سنوات وولديْن. "أظنّ أننا استبدلنا أحلامنا. فأنا الذي كنت أريد أن أصبح نجمة كبيرة في برودواي، في حين أنّ كل ما كنت أنت تريده هو أن تكتب مسرحيّات مستقيمة وشجاعة ومفعمة بالمعاني. وإذا بك فجأة تبدأ بالكتابة..." ترددت قليلاً

مبتسمةً ابتسامة صغيرة. "فبدأت بكتابة أشياء تجاريّة، وسرعان ما أصبحت هذه الكتابات هاجسك الوحيد، إذ جلّ ما فكرت فيه طيلة السنوات الثلاث الأخيرة الماضية هو البرنامج التلفزيوني... هل سيتزوّج جاك من شيلا؟... وهل حاول فعلاً لاري أن يقتل أمّه؟... وهل هنري لوطيّ... وهل مارتا؟... وهل ستتخلّى مارتا عن زوجها من أجل امرأة أخرى؟... وهيلاري هي ابنة مَن في الواقع؟... وهل ستهرب ماري من المنزل؟... وفي حال حدوث ذلك، هل سوف تعود إلى المخدّرات؟ وهيلن أهي غير شرعيّة؟ وهل سوف تتزوّج من جون؟" ثمّ وقفت ليسلي تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وهي تردّد له الأسماء المألوفة تلك. "الحقيقة هي أن تلك الأسماء تثير جنوني. فأنا لم أعد أريد السماع عنها بعد الآن. أريد العودة إلى الحياة الساذجة، الصحيحة، والطبيعيّة التي كنت أعيشها. أريد العودة إلى الرقص، إلى لذّة التعليم. أريد حياة طبيعية وهادئة خالية من كلّ هذه الترّهات". ثم نظرت إليه نظرة حزينة بحيث جعلته يشعر بالرغبة في البكاء. لقد كان غبيّاً. فقيما كان هو يلهو مع أصدقائه الوهميّين كان في الواقع يخسر الأشخاص الذين يحبّهم دون أن يدرك ذلك. وعلى الرغم من كل هذا، لم يكن باستطاعته أن يعدها بالتخلّي عن عمله هذا وبيع برنامجه ليعود إلى المسرحيّات التي كان ينبغي عليه أن يتوسّل الآخرين لكي يوظّفوه فيها. كيف يمكنه أن يفعل ذلك الآن؟ وعلاوةً على ذلك، فهو قد أحبّ فعلاً عمله في هذا البرنامج إذ كان يمدّه بمشاعر الفرح والسعادة والقوّة... وها هي ليسلي تتركه الآن. يا لسخرية القدر. لقد حقّق نجاحاً كبيراً بفضل هذا البرنامج، وإذا بها تتوق إلى أيام الجوع والعوز التي أمضتها معه في بداية حياتهما الزوجيّة.

"أنا آسف". حاول قدر الإمكان أن يضغط على نفسه ويحافظ على هدوئه ليناقش الأمر معها. "أعلم أنّ هذا البرنامج أخذ الكثير من وقتي في السنوات الثلاث الأخيرة، ولكنني كنت أشعر أنني بحاجة لأن أبقيه تحت مراقبتي التامة وإشرافي الخاص، فلو كنت قد تركته يُفلت من بين يديّ أو أوكلته لأحد سواي

لكانوا خفّفوا من قيمته الفنيّة أو حوّلوه إلى برنامج شبيه بتلك البرامج السخيفة والمبتذلة أو للبرامج الجيّاشة بالعاطفة التي تجعل بدنك يقشعرّ من شدّة التأثّر بها؛ لم يكن بإمكاني أن أدعهم يفعلون هذا به. كما أن هذا البرنامج يتحلّى بالاستقامة؛ وسواء اعترفت بالأمر أم لا يا ليس، فهذا في الواقع ما جذب الناس إليه وجعلهم يتعلّقون به. ولكنّ هذا لا يعني أنه ينبغي عليّ أن أبقيه تحت إشرافي الخاصّ إلى الأبد. فأنا أظنّ أنّ الأمور ستكون مختلفة جداً في كاليفورنيا... بمعنى أنها ستكون أكثر احترافاً... وأكثر تنظيماً هناك. سوف أتمكّن من التغيّب عن البرنامج أكثر دون شك'. فهو كان الآن يكتب بعض فقراته فقط، ولكنّه كان لا يزال يشرف عليه إشرافاً تاماً.

هزت ليسلي رأسها غير مصدقة كلامه، إذ كانت تعرف طباعه جيّداً. فلطالما سارت الأمور على هذا المنوال منذ أن بدأ بكتابة مسرحيّاته الأولى. لقد عمل في الماضي طيلة شهرين على التوالي من دون أن يأخذ أي يوم إجازة، حتى إنه بالكاد ما كان يأكل، أو ينام، أو يفكّر بأيّ شيء آخر. ولكنّ الحالة هذه لم تدم في ذلك الوقت أكثر من شهرين، وهي كانت حينذاك لا تزال تجد في ذلك سحراً وفتنة لم تعد لتجدهما بعد الآن. لقد سئمت هذا الوضع كلّه، سئمت ولعه المفرط بالعمل ونزعته الدائمة إلى التملّك والاستحواذ، سئمت هوسه بالكمال. كانت تعلم أنه يحبّها ويحبّ الولدين أيضاً، إنما ليس كما تريده أن يحبّهم. فهي كانت تريد زوجاً يذهب إلى عمله عند الساعة التاسعة صباحاً ثمّ يعود إلى منزله عند السادسة ليتحدث معها ويلعب قليلاً مع الأولاد وليساعدها في تحضير العشاء ثمّ ليصحبها إلى السينما؛ لا زوجاً يعمل طيلة الليل ليخرج من بيته مسرعاً ومرهقاً عند الساعة العاشرة صباحاً وبين ذراعيه كدسة من المذكرات والمراسيم والمخطوطات المعدّلة والتي ينبغي عليه أن يتسلمها كالعادة عند الساعة العاشرة والنصف صباحاً. لقد كان هذا كثيراً ومرهقاً وقد أدركت ذلك أخيراً بعد ثلاث سنوات من الشقاء والعذاب. لقد ملّت هذه الحياة، حتى أصبحت تجنّ لمجرّد سماعها اسم البرنامج "الحياة جديرة

بالعيش' أو لمجرّد سماعها أسماء الشخصيات التي كان يضيف بعضها ويلغي بعضها الآخر باستمرار.

'ليسلي، امنحيني من فضلك فرصة أخرى يا حبّي. سوف يكون الأمر رائعاً في لوس أنجلوس. فكّري بالأمر قليلاً. لا ثلج، ولا برد. وسوف يسعد الصبيان كثيراً هناك. فيمكننا أن نصحبهما إلى شاطئ البحر... كما وقد يكون لدينا حوض للسباحة في الفناء الخلفيّ لمنزلنا... ويمكننا أيضاً أن نذهب إلى ديزني لاند...' استمرت في هز رأسها. فهي كانت تعرفه جيّداً.

'لا، أنا يمكنني أن أصحبهما إلى ديزني لاند أو إلى البحر، أما أنت فلا إذ ستكون إمّا في العمل طوال الوقت أو مستيقظاً طوال الليل تكتب وتفكّر كيف ستحذف إحدى شخصيّاتك من البرنامج أو مسرعاً كالعادة لتسلّم مذكّراتك ومخطوطاتك أو في الاستديو تراقب التصوير الذي سيبثّ مباشرة على الهواء متحمّساً لإعادة كتابة شيء ما. متى كانت آخر مرّة اصطحبت فيها الولدين إلى حديقة حيوانات برونكس زوو أو إلى أيّ مكان آخر؟'.

'حسناً... حسناً... إذاً أنا أعمل كثيراً... وأنا أب بغيض... وزوج نذل وحقير أو أيضاً كل ما سبق وذكرته، ولكن بحقّ الله يا ليس هل نسيت السنوات التي كنا نموت فيها من الجوع؟ انظري الآن؛ لقد أصبح بإمكانك أن تحصلي على أيّ شيء تريدينه، وكذلك الأمر أيضاً بالنسبة إلى الولدين. فبإمكاننا أن نعلّمهما في مدارس محترمة وبإمكاننا أن نقدّم لهما كلّ ما أردنا أن نقدّمه لهما وبإمكاننا أيضاً أن نرسلهما إلى الجامعة. أهذا كلّه بغيض إلى هذا الحدّ؟ حسناً، لقد مررنا ببعض السنوات الشاقة والعسيرة، ولكنّ الوضع سيتحسّن الآن، وها أنت تريدين أن تذهبي. يا له من توقيت فظيع!' ثم نظر إليها وعيناه مغرورقتان بالدموع وأمسك بيدها. 'حبيبتي، أنا أحبّك... لا تتركيني أرجوك...' ولكنها لم تقترب منه وأخفضت عينيها كي لا ترى الألم الذي يسود عينيه. لقد كانت تعلم أنه يحبّها كما وأنها كانت تعلم أيضاً، وأكثر

من أيّ كان، كم كان يحبّ ولديه. ولكنّ هذا كلّه لا يهمّ؛ إذ أنها كانت تعلم من جهة أخرى أنه ينبغي عليها أن تفعل ما تنوي فعله من أجلها هي. "أتريدين أن نبقى هنا؟ سوف أقول لهم إننا لن ننقل البرنامج. فإن كانت هذه هي كلّ المشكلة، فلتذهب كاليفورنيا برمّتها إلى الجحيم... سوف نبقى هنا". ولكن وإذا بنبرة ذعر تغيّر صوته لدى رؤيته أن كاليفورنيا ليست هي المشكلة.

"لن يختلف الأمر". قالت ذلك بصوت خافت وناعمٍ وكانت شديدة الأسف. "لقد فات الأوان. لا يمكنني أن أشرح لك الأمر. ولكنّ كلّ ما أعرفه هو أنه ينبغي عليّ أن أقوم بشيء مختلف".

"شيء مثل ماذا؟ أن تهاجري إلى الهند؟ أن تصبحي راهبة؟ ما المختلف في التعليم في جيلار؟ ماذا تقولين لي بحقّ الله؟ إنك تريدين أن تغادري المنزل؟ فما علاقة كلّ هذا إذن بجيلار أو بكاليفورنيا؟" كان في البداية متألّماً ومضطرباً، وإذا به فجأة يصبح في النهاية غاضباً. لماذا كانت تفعل به كل هذا يا ترى؟ ما الذي فعله لكي يستحقّ هذا؟ لقد عمل بجهد وأبلى بلاءً حسناً، ولو كان والداه على قيد الحياة لكانا حتماً الآن فخورين به. إلاّ أنّ كلاهما قد أصيب بمرض السرطان عندما كان في أوائل العشرينات وبالتالي فقد توفّي أحدهما ثم تلاه الآخر بعد عامٍ واحد فقط، تاركين إيّاه حتى من دون أخوة وأخوات. إن كل ما له في هذه الدنيا اليوم هم زوجته وولداه وها هي الآن تقول له إنهم سيغادرون المنزل، وهكذا سوف يعود وحيداً من جديد. وحيداً من دون الأشخاص الثلاثة الذين أحبّهم، وذلك لأنه اقترف خطأً كبيراً هو أنه عمل بجهد وحصد نجاحاً كبيراً. فإذا بمعاملتها الظالمة معه تجعله فجأة يستشيط غيظاً.

ثمّ عادت والحت قائلة: "كل ما في الأمر هو أنك لا تفهمني".

"لا، لا أفهمك. قلت لي إنك لن تذهبي إلى كاليفورنيا. لذا أجبتك إنه يمكننا أن نبقى هنا إن كان هذا ما يزعجك. إذاً ماذا هناك بعد؟ إلى أين تريديننا أن نصل الآن؟ أن نعود إلى حياتنا السابقة، أم ماذا؟ ما الذي يجري يا ليس؟" كان يعتمره شعور بالغضب واليأس، ولم يكن واثقاً ممّا ينبغي عليه أن يقوله

كي تغيّر رأيها. ولكن الأمر الذي لم يفهمه بعد حتى الآن، هو أنها كانت قد عقدت العزم على الرحيل وأنه لم يعد هناك من طريقة لإقناعها بالعدول عن قرارها هذا.

"لا أعلم كيف يمكنني أن أقول لك هذا..." نظرت إليه وكانت عيناها مغرورقتين بالدموع، وإذا به يشعر لوهلة وكأنه يمثّل في أحد مسلسلاته دوراً لم يعد بإمكانه الخروج منه الآن... هل ستتخلّى ليسلي عن بيل؟... أيمكن لبيل أن يتغيّر فعلاً؟... أتدرك ليسلي فعلاً مدى حبّ بيل لها؟... أراد فجأة أن يضحك أو أن يبكي، ولكنه لم يفعل أيّاً منهما. "لقد انتهى كلّ شيء بيننا. أظنّ أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني أن أقول بها لك هذا. لا علاقة لكاليفورنيا بالأمر. كلّ ما في الأمر هو أنني لم أكن أريد أن أقرّ بذلك لنفسي حتى الآن. ولكن الوضع قد اختلف الآن. فأنا لم أعد أستطيع أن أستمرّ على هذه الحال. أريد أن أبني حياتي الخاصّة مع ولديّ يا بيل... من دون أن أضطرّ إلى العيش مع البرنامج ليلاً نهاراً..." ولا أيضاً معك ولكنها لم تتمكّن من أن تقول له ذلك، إذ أنّ نظرة الألم في عينيه كانت مربكة بحيث ظنّت بأنها قد تضعف لمجرّد النظر إليه. "أنا آسفة...".

بدا عندئذ وكأنّ صاعقة قد ضربته. فقد ابيضّ لونه كالموتى في حين كان الألم المبرّح يملأ عينيه الكبيرتين والزرقاوين. "سوف تأخذين الولدين معك؟" ما الذي فعله بحقّ الله لكي يستحقّ كل هذا؟ لقد كانا يعلمان مدى حبّه وعشقه لهما على الرغم من انشغالاته الكثيرة خلال السنوات الثلاث الماضية.

"لا يمكنك أن تعتني وحدك بهما في كاليفورنيا". تفوّهت بهذه الجملة البسيطة فيما كان يرمقها بنظرة ملؤها الرعب والكراهية.

"لا، إنما يمكنك أن تأتي معي لكي تساعديني في ذلك إن أردت". لقد كانت فعلاً نكتة تافهة، ولكن لم يكن في الواقع أيّ منهما ليشعر بالرغبة في المزاح حينها.

"أرجوك يا بيل، لا...".

"هل ستسمحين لهما بأن يأتيا لرؤيتي؟" فأومأت برأسها وسأل الله أن تقوم فعلاً بذلك. ثمّ راودته لوهلة فكرة أن يتخلّى عن البرنامج ويبقى في نيويورك متوسّلاً إيّاها ألاّ تتركه. لكنه فكر أنه مهما سيفعل الآن، فالأوان قد فات، إذ أنها كانت في صميم قلبها وروحها وعقلها قد تركته منذ زمن بعيد. والأمر الذي كان يلوم نفسه عليه الآن هو عدم إدراكه ذلك من قبل. فلو كان قد لاحظ ذلك لربما كان قد غيّر بعض الأمور. ولكنّه أصبح الآن يعرفها بحيث أنه بات متأكداً من عدم قدرته على تغيير شيء. فقد انتهى كلّ شيء بينهما من دون أيّ نشيج أو شكوى. لقد خسر الحرب منذ زمن بعيد ولم يدرك ذلك قطّ. حياته كلّها قضى عليها.

لقد أمضى الشهرين التاليين في عذاب وألم جعلاه يبكي كلّما كان يفكّر بما حدث. كيف أخبر أولاده بالأمر، وكيف ساعدهم على الانتقال إلى شقّة جديدة عند الجهة الغربية قبل أن يغادر المدينة إلى كاليفورنيا، وكيف أمضى الليلة الأولى وحيداً في المنزل من دونهم. وكانت دائماً تراوده فكرة التخلّي عن البرنامج والتوسّل إليها لكي تعود إليه، غير أنه بات من الواضح الآن أن الباب أوصد في وجهه وللأبد. وقد اكتشف قبل رحيله أنّ في جيلارد أستاذ آخر لطالما كانت زوجته "مولعة به". ولكنّها لم تقم معه أيّ علاقة غراميّة، وقد كان بيل يعرفها جيّداً ليصدّق أنها لم تخنه يوماً، غير أنها كانت تقع في غرام ذلك الشاب، وهذا جزء من سبب هجرها له. لقد أرادت أن تكون حرّة لكي تتمكّن بالتالي من مواصلة علاقتها معه من دون أن تشعر بالذنب، أو حتى من دون أن يكون هناك بيل ثيغبن يعيق طريقها. فقد كانت هناك أمور كثيرة مشتركة بينها وبين صديقها الأستاذ، في حين أنه لم يعد بينها وبين بيل أيّ شيء مشترك سوى الولدين. وقد انفطر قلب آدم على والده وهو يراه يرحل ولكنه سرعان ما اعتاد على الأمر، إذ أنه كان حينها لا يزال في الثانية والنصف من عمره. أما طومي فقد كان في شهره الثامن فقط، وهو بالتالي لم يدرك شيئاً ممّا كان يحدث. لم يشعر أحد بالألم إلاّ بيل إذ اغرورقت عيناه بالدموع عندما

حلّقت الطائرة فوق سماء نيويورك متجهة نحو كاليفورنيا.

وما أن أصبح بيل هناك حتى انكبّ على عمله في البرنامج بهمّة ونشاط كنوع من الأخذ بالثأر أو الانتقام. لقد عمل ليلاً نهاراً، حتى إنه كان أحياناً ينام على الأريكة في مكتبه فيما كان البرنامج يحصد الكثير من الإعجاب ويحوز العديد من جوائز آمي للبرامج الصباحيّة. وفي غضون السنوات السبع التي أمضاها في كاليفورنيا ازداد هوس بيل ثيغبن بعمله أكثر فأكثر، إذ كان برنامجه "الحياة جديرة بالعيش" قد أصبح فخره وفرحه، رفيقه اليوميّ، صديقه الحميم، لا بل طفله. لم يعد لديه سبب لكي يحارب مشاعره تلك. فقد جعل عمله يصبح حبّه اليوميّ.

وكان ولداه يأتيان لزيارته في العطل كما وأنهما كانا يمضيان شهراً كاملاً عنده في الصيف وقد كان يحبّهما أكثر من أيّ وقت مضى. ولكنّه كان يتألّم كثيراً إذ أنه كان فعلاً يرغب برؤيتهما كلّ يوم إلا أنه كان يعيش على بعد ثلاثة آلاف ميل عنهما. وقد عرف الكثير من النساء في حياته، غير أن رفيقه الدائم والوحيد كان برنامجه والممثّلون فيه. وكان يعيش مترقّباً بفارغ الصبر أيام العطلة التي يمضيها مع آدم وطومي. وقد تبدّلت حياة ليسلي كثيراً منذ أن تزوّجت بالأستاذ في جيلارد؛ فقد رُزقت منه بولدين آخرين كما وأنها تخلّت أخيراً عن التدريس، إذ أنها كانت شديدة الانهماك بأولادها الأربعة؛ فقد كانوا كلّهم دون العاشرة من العمر وبالتالي معها في المنزل، ولكنها كانت تحبّ ذلك على ما يبدو. وقد كانت وبيل يتهاتفان من حين لآخر، خصوصاً عندما كان ولداهما يحتلاّن المرتبة الأولى أو الثانية في الامتحان، أو في حال كان أحدهما مريضاً، أو أيضاً في حال كانت هناك مشكلة ما، إنّما لم يعد لديهما أمور كثيرة يتحدّثان عنها، إلاّ طبعاً في ما يتعلّق بولديهما آدم وطومي. حتى إنه أضحى من الصعب عليهما الآن أن يتذكرا كيف كانت الأمور تسير بينهما عندما كانا متزوّجين. فهو لم يعد يتألّم لخسارتها، كما أن ذكرياتهما الجميلة لم يعد لها مكان في ذهنه. لم يعد هناك شيء بينهما إلا الولدان اللذان كانا الحيّين

الحقيقيّين في حياته. فعندما كانا يأتيان لزيارته في الصيف كانا يقضيان شهر بكامله عنده، كان ولعه بهما أعظم من أيّ شيء شعر به حيال البرنامج، كما وقد كانت عنايته بهما أكبر أيضاً. فقد كان يأخذ شهر عطلة كلّ عام، وكانوا بالتالي يسافرون معاً إلى مكان ما لأسبوع أو اثنين ومن ثمّ يمضون بقيّة الشهر في لوس أنجلوس حيث كانوا يقصدون ديزني لاند ويقومون بزيارة الأصدقاء، ليعود ويتألّم من جديد عندما يحين وقت تركهما إيّاه وعودتهما إلى نيويورك. والبكر آدم كان قد ناهز العاشرة من العمر الآن، وكان يتحلّى بروح المسؤوليّة والفكاهة والجدّ كأمّه تماماً؛ في حين أن طومي كان صغير المنزل وكان فوضويّاً ويتصرف كالأطفال أحياناً حتى بعد بلوغه السابعة من عمره، حتى إنه كان غريب الأطوار وغامضاً وفي غاية المرح أحياناً. وكانت ليسلي غالباً ما تردد لبيل أنّ طومي نسخة طبق الأصل عنه، غير أنه لم يكن يوافقها الرأي. لقد كان يعشقهما من دون تمييز. وفي الليالي الطويلة التي كان يمضيها وحيداً في لوس أنجلوس كان يتوق إليهما توقاً موجعاً متمنّياً أن يأتي اليوم الذي سيعود ويجتمع شملهم فيه. لقد كان هذا الأمر الوحيد الذي ندم عليه في حياته، الأمر الوحيد الذي لم يكن قادراً على تغييره، الأمر الوحيد الذي كان يحبطه فعلاً ويشعره بالاكتئاب من حين لآخر على الرغم من محاولته تخطّيه. ولكنّ فكرة أن يكون لديه ولدين يحبّهما من أعماق قلبه ولا يمكنه أن يراهما إلا نادراً كانت برأيه ثمناً باهظاً يدفعه لقاء زواج فاشل. لماذا سعت هي إلى رعايتهما وليس هو؟ لمَ فازت هي بهما تعويضاً عن السنوات الضائعة في حين لم ينل هو سوى العقاب؟ أين العدل في هذا؟ كل هذا جعله واثقاً من أمر واحد فقط؛ أنّه لن يدع ذلك يتكرّر أبداً. لن يُغرم بإحداهن بعد الآن ويتزوّج وينجب منها أطفالاً ليعود من ثمّ ويخسرهم. وعلى مرّ السنين، اكتشف الحلّ المثاليّ لمشكلته هذه. ممثّلات. الكثير الكثير منهنّ في أوقات فراغه، التي كانت نادرة.

فلدى وصوله إلى كاليفورنيا، أي عندما كان لا يزال يعاني من الألم والحسرة إثر ابتعاده عن ليسلي والولدين، كان قد وقع بين ذراعيّ مخرجة

جادّة وأقام معها علاقة دامت ستّة أشهر وكادت في النهاية تودي به إلى كارثة. فكانت قد انتقلت للعيش معه وبالتالي فقد سيطرت على حياته بالكامل؛ فقد كانت تدعو الأصدقاء للمبيت عنده وفرشت له شقّته على هواها وأصبحت تدير حياته إلى أن بدأ يشعر بالاختناق. وكانت هذه الأخيرة قد تلقّت دراستها الثانويّة في معهد UCLA ثمّ تخرّجت من جامعة يال وكانت تتحدّث باستمرار عن رغبتها في الحصول على الدكتوراه. وهي كانت دائماً تكرّر له أنّ الحياة غير جديرة به، وقد كانت بالتالي تتحدّث عن هذا البرنامج وكأنه مرض ينبغي عليه أن يتخلّص منه بأسرع وقت ممكن، إلا إذا كان ليسمح لها بأن تساعده على ذلك. وبالإضافة إلى هذا، فقد كانت تكره الأولاد، كما كانت دائماً تخفي صور طومي وآدم. والملفت للنظر في هذا كلّه هو أنه تطلّب ستة أشهر كاملة لكي يعي حقيقة ما يجري ويتمكّن من التخلّص منها. وفي الواقع، لقد تطلّب منه الأمر ستة أشهر لأن علاقتهما الجنسيّة كانت رائعة إضافة إلى كونها كانت تعامله كطفل في السادسة من عمره، وقد كان هذا يروق له كثيراً في ذلك الحين، إذ كان فعلاً بحاجة إلى شخص يحتضنه ويعتني به، كما وأنها كانت تبدو وكأنها تعلم كلّ شيء عن النشاط التلفزيوني في لوس أنجلوس ولكنها عندما قالت له إنه ينبغي عليه ألاّ يأتي على ذكر طومي وآدم بعد الآن وأن ينسى أمرهما نهائياً، استأجر لها على الفور بنغلاً في فندق بفرلي هيلز لمدّة شهر وأعطاها مفتاحه ومن ثم طلب منها ألا تزعج نفسها وتتصل به حين تعثر على شقّة. وفي اليوم نفسه، قام بنقل كلّ أمتعتها إلى البنغل ولم يرها بعد ذلك طيلة السنوات الأربع التالية، إلى أن التقيا مرّة في حفلٍ لتقديم الجوائز حيث تظاهرت بعدم معرفته.

وقد تلت علاقته بهذه المرأة علاقات كثيرة أخرى إنّما عابرة وسهلة مع ممثّلات، ونجمات سينمائيات ناشئات، وعارضات أزياء، وفتيات كنّ لا يرغبْن سوى في تمضية وقت ممتع معه في أوقات فراغه والاستمتاع برفقته في الحفلات الراقصة من حينٍ لآخر عندما لا يكون لديه ضغط كبير من جرّاء

تغيير ما في البرنامج؛ وبالتالي فهنّ لم يكنّ ليطلبن أكثر من ذلك منه. فقد كان هو واحداً من بين الرجال الكثيرين الآخرين الذين كنّ يخرجن معهم، وبالتالي فقد كنّ لا يظهرن أيّ اهتمام أو قلق حياله في حال مرّت فترة طويلة من دون أن يتصل بهنّ. وكان بعضهنّ يهيئ له العشاء من وقت لآخر أو بالعكس إذ أنه كان يحبّ الطهو، أمّا اللواتي كنّ يجدن التعامل مع الأولاد فقد كان يتّصل بهنّ أحياناً بغية مرافقته إلى ديزني لاند عندما كان يأتي ولداه إلى المدينة لزيارته؛ ولكنه كان يفضّل إجمالاً أن يكون وحده مع ولديه أثناء زيارتهما لكاليفورنيا.

أقام بيل مؤخراً علاقة مع إحدى الممثّلات في البرنامج. لقد كانت سيلفيا فتاة جميلة من نيويورك وكانت تؤدي دوراً هاماً في البرنامج. وكانت هذه المرّة الأولى منذ زمن بعيد التي يسمح فيها لنفسه بأن يقيم علاقة مع شخص يعمل لديه. ولكنها كانت فتاة مثيرة، تتحلّى بجاذبية من الصعب مقاومتها. وكانت هذه الأخيرة قد وصلت إلى البرنامج بعد سنوات من التمثيل وعرض الأزياء، ومن ثمّ تصويرها على غلاف مجلّة فوغ وبعد ذلك عملت في باريس لمدّة عام لحساب لاكروا، وأخيراً بعد ستّة أشهر في لوس أنجلوس قضتها في تمثيل أدوار صغيرة في مجموعة من الأفلام غير الناجحة. لقد كانت ممثّلة لطيفة تتميّز بقدر من الاحترام مما جعل بيل نفسه يندهش من مدى إعجابه بها. إنّه إعجاب فقط، لا حبّ. إذ أنّ الحب كان بالنسبة إليه شيئاً ثميناً يحتفظ به فقط لآدم وطومي اللذيْن كانا في التاسعة والنصف والسابعة من العمر على التوالي. وكانت سيلفيا حينذاك في الثالثة والعشرين من عمرها، وهو كان يظنّ أحياناً أنها تتصرّف كالأولاد. فقد كانت رقّتها ممزوجة بنوع من البساطة والسذاجة، كانا يؤثّران فيه ويسلّيانه في آنٍ معاً. فعلى الرغم من خبراتها العالميّة، سواء في التمثيل أو عرض الأزياء، طيلة السنوات التسعة الماضية، كانت قد احتفظت ببساطتها، الأمر الذي كان منعشاً أحياناً ومملاً أحياناً أخرى. والغريب في الأمر أنها كانت تجهل السياسات التي تدور في البرنامج خلف الكواليس والتي لم يكن من الممكن تفاديها. وقد كان بعض أدائها رائعاً، ولكنها كانت

بمثابة فريسة سهلة بالنسبة إلى النساء المحنّكات اللواتي كنّ يشاركنها التمثيل. وبالتالي فغالباً ما كان بيل يجد نفسه مضطراً لأن ينبّهها ويحذّرها من ألاعيبهنّ كما ومن المشاكل التي كنّ يحاولن سرّاً أن يتسبّبن لها بها. غير أنها كانت كالطفلة الصغيرة تهيم فوق هذا كلّه، متظاهرةً بالمرح واللهو عندما يكون بيل مشغولاً عنها، إذ أنه كان قد أمضى أسابيع وهو يعمل على إضافته شخصيتيْن جديدتيْن والغائه المفاجئ لإحدى الشخصيات الأخرى. فقد كان دائماً يسعى جاهداً لكي يبقى البرنامج مسلّياً ومشوّقاً ولكي يبقى المشاهد مذهولاً بالتغييرات اللامتناهية التي تطرأ باستمرار على حبكة رواياته.

وعندما بلغ عامه التاسع والثلاثين، كان قد أضحى ملك المسلسلات التلفزيونيّة الصباحية، والشاهد على ذلك هي جوائز آمي العديدة والمصطفّة على أحد رفوف مكتبه. ولكنه كالعادة كان يتجاهلها تماماً، إذ أنه كان يعود إلى مكتبه ويبدأ فوراً بالعمل متسائلاً عما ستكون عليه ردّة فعل الممثلين اليوم حيال التغييرات الأخيرة وغير المتوقعة التي أجراها على البرنامج. فقد كانت اثنتان من الممثّلات تتعاطيان مع الأمر بشكلٍ جيد عادة، غير أن أحد ممثّليه غالباً ما كان ينسى الكلام الذي ينبغي عليه قوله عندما كان بيل يفاجئه به في الدقيقة الأخيرة أو أيضاً عندما كانت هذه التغييرات تثير غضبه. لقد كان يعمل في البرنامج منذ عامين، وكان بيل قد فكّر أكثر من مرّة باستبداله بممثّل آخر، غير أنه كان يحبّ قوّة أدائه عندما يكون مقتنعاً بالكلام الذي يقوله، والميزة البشريّة التي كان يضفيها على البرنامج.

في الواقع، كان هذا البرنامج يعني الكثير لملايين المشاهدين عبر الولايات المتحدة الأمريكيّة، وبالتالي فقد كان عدد الرسائل الذي يتلقّاه بيل والممثّلون والمنتجون مذهلاً. كما أصبح الممثّلون وفريق العمل كعائلة واحدة على مرّ السنين، وبالتالي فقد كان البرنامج يعني الكثير لهم جميعاً، إذ أنه أضحى منزل وحياة الكثير من الأشخاص الموهوبين.

كانت حبيبة قلبه سيلفيا ستلعب دور فوخن ويليامز وهي الأخت الجميلة

الصغرى لهيلين بطلة المسلسل. وكانت فوخن قد وقعت في شرك زوج أختها، وأقامت علاقة معه ودخلت إلى عالم المخدرات عن طريقه أيضاً، كل هذا دون أن يعلم أحدٌ من عائلتها، لا سيّما أختها. فقد علقت إذن في شبكة كانت على ما يبدو عاجزة عن الخروج منها، في حين أنّ زوج أختها جون كان يغرقها أكثر فأكـثر في شباكه مدمّراً بالتالي حياتها بالكامل. ولكن وبموجب تحول مفاجئ للأحـداث في عرض ذلك اليوم، كانت فوخن ستكون شاهدةً على جريمة قتل اقترفها جـون، وكانـت الشـرطة سوف تبدأ بالبحث عن فوخن سعياً وراء الشـخص الـذي قتل تاجر المخدرات الذي كان يمدّها بهذه البضاعة منذ أن عرّفها جون عليه. لقد كانت هناك إذن مجموعة من الأحداث التي قد يكون من الصعب التنسيق فيما بينها، وقد كان بيل يراقب الكتّاب عن كثب جاهزاً للتدخّل عـند الضـرورة. غـير أن هـذا النوع من الحبكات الروائيّة هو الذي جعل المسلسل يـدوم عشـر سنوات تقريباً، كما وأنّ بيل كان يستمتع فعلاً بعمله الصـباحيّ عـندما كـان يجلس في مكتبه يفكّر بالتطورات التالية وهو يدخّن سـيجارة ويرتشـف القهـوة التي تكون سكرتيرته قد أدخلتها له لتوّها. فكان يتسـاءل ماذا سيكون رأي سيلفيا بالتغييرات التي كان قد سلّمها إليها لتوّه عبر باب حجرة الملابس التي كانت تغيّر فيها ثيابها. فهو لم يرها منذ ليلتين عندما غـادر شقّتها عند الساعة الثالثة فجراً متجهاً نحو مكتبه لكي يبدأ بالعمل على الفكـرة الـتي كانت تنخر رأسه طيلة الليل. وهي كانت لا تزال نائمة عندما غادر. فذهب أولاً إلى المنزل ليستحمّ ويبدّل ثيابه قبل أن يذهب إلى مكتبه عند الساعة الرابعة والنصف. وعندما ناهزت الساعة الثانية عشرة والنصف ظهراً، كان لا يزال الجوّ في مكتبه مشحوناً إلى أن وقف وأطفأ سيجارته ثمّ هرع إلى الاستديو حيث كان المخرج يراجع بدقّة التغييرات الأخيرة.

كان بيل يعرف المخرج منذ سنوات عديدة، إنه من أقدم رجال هوليوود وأكـثرهم حنكةً وتمرّساً وكان قد أتى إلى المسلسل بعد أن أخرج العديد العديد مـن الأفـلام التلفزيونـيّة الناجحة. وقد كان اختياره أمراً خطيراً بالنسبة إلى

بـرنامج تلفزيونـي صباحي، ولكن لا شكّ في أن بيل كان يعلم جيّداً ما الذي يفعلـه. فكان ألن ماكلفلن يحثّ الجميع على العمل بجدّ ونشاط، كما وأنه كان يـتحدّث بجدّيّة إلى سيلفيا وإلى الممثّل الذي يؤدّي دور جون عندما دخل بيل إلى الاستديو من دون أن يراه أحد ووقف في إحدى الزوايا البعيدة في الغرفة حيث كان باستطاعته أن يراقب كلّ شيء من دون أن يزعج أحداً.

"أتـريد بعـض القهـوة، يا بيل؟" سألته فتاة شابة وجميلة تعمل ككاتبة سـيناريو. كانـت تبدو معجبةً به منذ عام تقريباً؛ فقد كان طويل القامة، قويّاً، رقيق القلب ذكيّاً وجذّاباً من دون أن يكون وسيماً، وبشوشاً ولطيفاً؛ الأمر الذي كـان يلطّف بعض الشيء الأجواء المشحونة التي كان يعمل فيها. إلاّ أن بيل ابتسـم وهـزّ رأسـه فقط. كانت فتاة لطيفة ولكنّه لم يفكّر بها يوماً إلاّ ككاتبة سـيناريو، لا أكثر ولا أقلّ. لقد كان شديد الانشغال بعمله، في ذلك الحين كان بـيل واقفاً هناك يركّز على كلّ شيء، إلاّ على ما كان يحدث أمام الكاميرات. فقد كان يفكّر في التحوّلات المستقبليّة للمسلسل.

"لا شكراً، أنا بخير". ابتسم للفتاة ثمّ ركّز انتباهه مجدداً على المخرج. لقد لاحظ أنّ سيلفيا كانت تدرس أسطرها، فيما كان الممثّلان اللذان يؤدّيان دوريْ هيلـن وجـون يتشاوران بهدوء حول موضوع ما في إحدى الزوايا. وقد كان هـناك أيضـاً رجـلان يـرتديان زيّ رجل الشرطة و"الضحيّة" وكان تاجر المخـدّرات الـذي من المفترض أن يقتله جون في حلقة اليوم يرتدي قميصاً ملطّخـاً بالدماء وكان يضحك ويتبادل الدعابات مع أحدهم. لقد كان هذا يومه الأخـير فـي المسلسل، وبالتالي فلم يكن لديه أيّ أسطر ليدرسها، إذ أنه كان سيكون ميتاً منذ أوّل ظهور له في هذه الحلقة.

"دقيقـتان!" قـال أحدهم هذا بصوت عالٍ لكي يسمعه الجميع، وإذا ببيل يشـعر كالعادة بتشنّج خفيف في معدته. فقد بدأ يشعر بمثل هذا الألم منذ الأيام الأولى لعمله كممثّل عندما كان لا يزال في الجامعة؛ أما في نيويورك فقد كان

يتنابه شعور بالمرض والإعياء كلّ ليلة قبل ساعة من بدء عرض مسرحيّاته. وها هو الآن أيضاً، وبعد مرور عشر سنوات على ولادة مسلسل الحياة، لا يزال ينتابه هذا التشنّج العصبي نفسه كلما كانوا على وشك بثّ المسلسل على الهواء. ماذا لو فشل المسلسل؟... وماذا إن لم يحظَ بالتقدير اللازم؟... وماذا لو لم يعد أحد ليشاهده؟... وماذا لو تركه الممثلون؟... وماذا في حال لم يبرعوا في تأدية الأدوار المعطاة إليهم؟... وماذا... لقد كانت تراوده كلّ الأفكار السوداء التي يمكن أن تخطر على بالك.

'دقيقة واحدة!' فازداد التشنّج عند باب معدته فيما كانت عيناه تتفحّص الغرفة بدقّة. فكانت سيلفيا مغمضة العينيْن تراجع أسطرها للمرّة الأخيرة محاولةً أن تحافظ على هدوئها قدر الإمكان، في حين أنّ هيلن وجون كانا واقفيْن على خشبة المسرح مستعديْن للبدء بالخلاف الهائل الذي كان من المفترض أن تُستهلّ تلك الحلقة به. أمّا تاجر المخدّرات فقد كان يلتهم فطيرةً ضخمة من البسطرما مرتدياً قميصه الملطّخ بالدماء. كان السكون يخيّم على الغرفة عندما رفع المخرج المساعد ذراعه وفتح أصابعه إشارةً منه على أنه لم يزل أمامهم سوى خمس ثوانٍ قبل أن يبدأ البثّ المباشر على الهواء... أربعة... ثلاثة... اثنان... إصبع واحد... تشنّج آخر في معدة بيل ثمّ يخفض المخرج المساعد يده وإذا بهيلن وجون يبدأان بشجارهما العنيف على المسرح مستخدميْن فيه كلاماً بذيئاً، إنما ضمن الحدود التي تسمح بها الرقابة الإعلاميّة. لقد كان الجوّ مشحوناً إلى حدّ الانفجار. وكان بيل معتاداً على هذه الكلمات، إلاّ أنهما كانا كالمعتاد يجنحان في كلامهما هذا من حين لآخر، خصوصاً هيلن؛ ولكنّها كانت تفعل ذلك بشكل ملائم وبالتالي فلم يكن بيل ليمانع جنوحها هذا طالما أنه يبقى ضمن إطار نصّه ولا يضلّل سائر الممثّلين. كلّ شيء كان على ما يرام حتى الآن... ها إنّ الباب يُغلق بعنف بعد أربع دقائق من الدراما العنيفة فيتوقّفون قليلاً من أجل الإعلان. نزلت هيلن عن خشبة التمثيل شاحبة اللون كالموتى. لقد كانوا يقومون بعمل وجيز وشاق، كما وأن الحوار

والحالات كانت حقيقيّة بحيث أنهم كانوا يعيشونها فعلاً في تمثيلهم. فنظر بيل إليها وتبسّم. لقد أبلت كالعادة بلاءً حسناً. إنها فعلاً ممثّلة ماهرة. ثمّ غابت عن الأنظار. ها إنّ اليد ترتفع مجدداً، فعلا وخيّم سكون تامّ على الغرفة. كان جون قد قصد المنزل الريفيّ النائي الذي كان تاجر المخدّرات يقيم فيه بعد أن كان هذا الأخير قد اتّصل بهيلن من دون أن يقول لها اسمه وأخبرها عن علاقة زوجها بأختها. فسُمع دويّ طلقات نارية وكلّ ما كنّا لنراه هو جثّة الرجل الممدّدة على الأرض بالقميص الملطّخ دماءً. لقطة قريبة جداً لوجه جون الذي كنّا نرى في عينيْه نظرةً قاتلة في حين أنّ فوخن كانت واقفة وراءه. خبوٌ تدريجيٌّ للانتقال من جون إلى فوخن، ثمّ لقطة قريبة لفوخن التي كانت تبدو رائعة الجمال داخل شقتها الصغيرة إنما الفخمة، وكنّا نراها تودّع أحد الرجال. فنفهم من ذلك أنها كانت مومساً يُتّفق على الاجتماع بها تلفونيّاً. فركّزت الكاميرا على عينيْ فوخن المضطربتيْن الجميلتيْن والمشعّتيْن. وكان بيل يراقب كلّ شيء بدقّة ثمّ بدأ يرتاح قليلاً عندما شاهد خبواً تدريجيّاً في التصوير مشيراً إلى وقفة إعلانيّة أخرى. لقد كان الأمر أشبه بمسرحيّة جديدة كلّ يوم أو بعالم كامل جديد لم يتوقّف سحره يوماً عن تشويقه وإثارته. وهو يتساءل أحياناً لماذا برنامجه ناجح إلى هذا الحدّ، ولكنّه يتساءل أيضاً إن كان الفضل في ذلك يعود إلى تشبّثه به ومراقبته لكلّ شيء عن كثب. وأيضاً فهو يتساءل إنّما نادراً ما الذي كان ليحدث لو أنه أقدم على بيع فكرته أو ترك البرنامج منذ سنوات عديدة... أو بقي في نيويورك... وغيّر مجال عمله... وظلّ مرتبطاً بليسلي وبقي مع ولديْه... أكانا قد رُزقا بالمزيد من الأولاد؟ أكان الآن يكتب مسرحيّات برودواي؟ أكان سيكون ناجحاً في مهنته هذه كما هو اليوم؟ أم أنهما كانا قد تطلّقا الآن على أيّ حال؟ إنه من السخف حقّاً أن نلتفت بأنظارنا إلى الماضي محاولين أن نخمّن كيف كان سيكون في ظروفٍ أخرى.

غادر بيل الاستديو بعدها واثقاً من أنّ كلّ شيءٍ على ما يُرام وأنه ليس مضطرّاً للبقاء حتى النهاية. لقد كان المخرج يتولّى زمام الأمور. فعاد بيل

على ميل إلى مكتبه مُنهك القوى، إنما كان يغمره شعور بالراحة والطمأنينة حيال إخراج المشاهد التالية. ومن الأمور التي كان يحبّها في عمله أنه بفضله لم يكن بإمكانه يوماً أن يتكاسل أو أن يشعر بالرضى حيال نفسه. فلم يكن بإمكانه مثلاً أن يحقّق أيّ نجاح أو تقدّم يُذكر ببساطة هكذا من دون أي جهد، كما ولم يكن بإمكانه أيضاً أن يستخدم صيغة محدّدة، أو أن يتّبع الحبكات الروائيّة التقليديّة القديمة نفسها. كان ينبغي على برنامجه أن يظلّ جديداً بأفكاره ومشوّقاً لحظةً بلحظة، وساعة بساعة، وإلاّ فقد يكون مصيره الموت حتماً. فهو كان يحبّ التشويق الناجم عن التحدّيات اليوميّة فيه. فما أن يواجه تحدّياً جديداً، حتى يعود إلى مكتبه ويتمدّد على الأريكة محدّقاً في المنظر الخارجيّ عبر النافذة.

"كيف سارت الأمور؟" سألته بتسي. لقد كانت هذه الأخيرة سكرتيرته منذ عامَيْن تقريباً، وكانت تعمل كممثّلة هزليّة نيلاً، وكانت تظنّ أنّ بيل قد وقع في ورطة من دون أن يدرك أحد بذلك.

"بشكل جيد، والحمد لله". أجابها وهو ينظر إليها نظرة رضى وارتياح.

"هل وصلنا شيء اليوم من الشبكة؟" كان في الواقع قد أرسل لهم أفكاراً جديدة حول بعض الإرشادات المثيرة للاهتمام في ما يتعلّق ببرنامجه، وكان لا يزال ينتظر منهم رداً، علماً أنه كان يعرف مسبقاً أنهم لن يرفضوا له طلباً وسوف يتركونه بالتالي يفعل ما يشاء.

"لا، ليس بعد. ولكنني أظنّ أنّ ليلاند هاريس وناثن ستينبورغ كلاهما خارج البلاد". فهما كانا الحاكمَيْن العليمَيْن اللذيْن يديران حياته. كان بيل يذهب وناثن لصيد السمك من حين لآخر. وعلى الرغم من كون الجميع يصف ذلك الرجل بالنّذل الحقير، فقد كان بيل يحبّه مشيراً إلى أنه كان دائماً لطيفاً معه.

"هل ستغادر باكراً الليلة؟" نظرت إليه بتسي راجية. فهو غالباً ما كان يعود إلى منزله مع بزوغ الفجر مغادراً مكتبه عند الساعة الخامسة فجراً. فهزّ برأسه

وهو يعبر الغرفة نحو مكتبه حيث كان يضع آلة الطباعة القديمة على طاولة صغيرة خلفه. كانت ماركة هذه الآلة Royal، وهي كانت واحدة من بين الذكريات القليلة التي كان والده قد تركها له.

"أظنّ أنني سأبقى هنا. فالتعديلات التي أجريتها اليوم على البرنامج قد نجحت، مما يعني أن على الفريق القيام بتغييرات كثيرة في الحلقات القليلة التالية. فعليهم مثلاً أن يخفوا بارنز نهائياً من المسلسل. فنحن لم نقم سوى بقتله حتى الآن. وفوخن سوف ينتهي بها الأمر في السجن، هذا فضلاً عن هيلن التي أصبحت تعرف حقيقة جون، فهي ستأخذ حذرها منه من الآن فصاعداً. وانتظري أيضاً حتى تكتشف أمر أختها الصغيرة التي كانت تقوم بأعمال حقيرة فقط لكي تخدم إدمانها على المخدرات، وهذا طبعاً بفضل زوجها الحبيب". فابتسم بابتهاج ممطّطاً ساقيه تحت المكتب، ثمّ انحنى نحو الخلف شابكاً يديه خلف رأسه في وضعيّة تشير إلى الراحة والسرور.

"أنت حقاً مجنون". قالت بتسي ذلك باشمئزاز ثمّ خرجت من مكتبه مغلقة الباب خلفها لتعود وتقحم رأسها فجأة داخله. "أتريدني أن أطلب لك شيئاً من المطعم للعشاء؟".

"يا إلهي... الآن أدركت أنك تحاولين قتلي. أحضري لي فقط فطيرتيْن وترمساً من القهوة واتركيه على مكتبك. فسوف أحضر الطعام بنفسي في حال شعرت بالجوع". ولكنّه نادراً ما كان يفكّر حتى بالنظر إلى الساعة قبل منتصف الليل، ويكون عندها قد نسي جوعه. وغالباً ما تستغرب بتسي من عدم موته جوعاً خصوصاً عندما ترى أنه عمل طوال الليل مخلّفاً وراءه منافضاً تطفح برماد سجائره وأربعة عشر فنجاناً من القهوة ونصف دزينة من مغلّفات شوكولا السنيكرس.

"يفترض بك أن تذهب إلى المنزل وتنام بعض الشيء".

"شكراً يا ماما". ابتسم ابتسامة استهزاء عريضة وهي تغلق الباب مجدداً. لقد كانت امرأة رائعة وكان يحبّها.

كان يفكر بيتسي مبتسماً عندما فتح أحدهم الباب عليه مجدداً. فنظر ليرى من قد يكون الآتي إليه هذه المرّة، فشعر بالاندهال يعتمره، وهو الشعور نفسه الذي كان يعتمره في كلّ مرّة يراها فيها. لقد كانت سيلفيا وكانت لا تزال متبرّجة ومرتدية الثوب الذي كانت ترتديه أثناء التمثيل. كانت تبدو رائعة الجمال.

فقد كانت طويلة ونحيلة القامة، مع ثديين كبيرين من السلكون يدعوان الرجال إليهما، وساقين طويلتين بحيث أنها تبدو وكأنها تتأبّطهما. كانت بطول بيل تقريباً، وكان شعرها الأسود الطويل ينسدل إلى وسطها، في حين كانت بشرتها الناصعة البياض تتوسطها عينان خضراوان مذهلتان كعينيْ الهرّ. لقد كانت فتاة أخّاذة بحيث أنه يمكن لجمالها أن يلفت إليه الأنظار حيثما كانت، حتى في لوس أنجلوس التي تعجّ بالممثّلات، وعارضات الأزياء، والفتيات الجميلات. غير أنّ جمال سيلفيا ستيوارت لم يكن جمالاً عاديّاً، وقد كان بيل أوّل من أقرّ بأنها أثّرت تأثيراً كبيراً وإيجابيّاً على نجاح برنامجه.

"تهانينا، يا حبّي. لقد كنتِ رائعة اليوم أيضاً كالعادة". وقف فتبسّمت فتقدم إليها وقبّلها فيما جلست على الكرسيّ وشبكت ساقيها الواحدة فوق الأخرى. وبينما كان ينظر إليها جالسة، تسارعت وتيرة نبضات قلبه أكثر فأكثر. "يا إلهي، أنتِ تسحقينني عندما تأتين إلى هنا بهذا الجمال كلّه". لقد كانت ترتدي الفستان الأسود القصير الذي كانت ترتديه في المشهد الأخير من المسلسل، ذلك الفستان اللافت للنظر والجذّاب إلى حدّ الإثارة. كان قسم الملابس قد استأجره من محلات فرد هايمن. "آخر ما كان بإمكانك أن تفعليه هو أن ترتدي جينزاً وكنزة فضفاضة". ولكنّ الجينز لم يكن أفضل حالاً بكثير. فهي كانت دائماً تختار سراويل الجينز الضيّقة جدّاً والتي تفصّل الجسم، وبالتالي فكل ما كان ليفكّر به عندما يراها بالجينز هو بأن ينزع عنها ملابسها.

"قالوا لي في قسم الملابس إنه يمكنني أن أحتفظ بالفستان". قالت ذلك بصوت بريء ومثير في آنٍ معاً.

"هذا لطف منهم". ابتسم لها ثمّ جلس خلف مكتبه مجدداً. "يبدو جيّداً عليك. ربّما يمكننا أن نخرج معاً الأسبوع المقبل على العشاء فيمكنك بالتالي أن ترتديه".

"الأسبوع المقبل؟" لقد بدت كطفلة قيل لها للتوّ أنّ دميتها المفضّلة سوف تبقى في المخزن إلى يوم الثلاثاء المقبل ريثما يتمّ إصلاحها. "لماذا لا يمكننا أن نخرج الليلة؟" ودفعت شفتيها إلى الأمام استياءً، وكان ذلك يثير إعجابه. هذه هي بالضبط المشاهد التي كانت سيلفيا تتفرد بتمثيلها تمثيلاً جيّداً، بفضل نظراتها الساحرة وجسمها المثير الذي لا يمكن لأحد مقاومته.

"لا بدّ أنّك لاحظتِ في حلقة اليوم أنّ هناك العديد من التطوّرات الجديدة التي طرأت على المسلسل، وأنّ الأمر قد انتهى بشخصيّتك في السجن. وبالتالي فهناك العديد من المشاهد الجديدة التي ينبغي على الكتّاب أن يكتبوها، وأريد أن أظلّ هنا لكي أكتب بعض تلك المشاهد بنفسي، أو على الأقلّ لكي أشرف على عملهم". أيّ واحد يعرفه معرفةً جيدة كان ليستنتج من كلامه هذا أنه في الأسابيع القليلة التالية سوف يعمل بمعدّل ثماني عشرة إلى عشرين ساعة يومياً، وهو يبدي تصلاحه هنا وهناك ويعيد كتابة بعض المشاهد بنفسه، غير أنّ النتيجة التي سيحصل عليها في النهاية تستحقّ فعلاً كلّ هذا العناء.

"ألا يمكننا أن نذهب إلى مكان بعيد في عطلة نهاية الأسبوع؟" كانت تتكلّم معه وهي تشبك ساقيها المشوقتين تارةً وتنزلهما طوراً، الأمر الذي كان يثير بيل إلى حدّ الجنون، ولكنها كانت لا تزال تبدو وكأنها لم تفهمه.

"لا، لا يمكننا. ولكن إن حالفني الحظ وسارت كل الأمور على ما يُرام، ربّما يمكننا أن نلعب القليل من كرة المضرب يوم الأحد".

عندها دفعت شفتيها استياءً أكثر فأكثر. لم تكن سيلفيا لتبدو راضيةً عن ذلك. "كنت أريد أن أذهب إلى فيغاس. فكل فريق ماي هاوس ذاهب إلى هناك لقضاء عطلة نهاية الأسبوع". وكان ماي هاوس أحد أكبر منافسيهم.

"لا يمكنني يا سيلفيا. ينبغي عليّ أن أعمل". ومن ثمّ، أدرك أنه قد يكون من الأسهل بالنسبة له أن تذهب من دونه على أن تبقى بجانبه وتتذمّر من عمله طوال الوقت، اقترح عليها أن تذهب إلى فيغاس مع الآخرين. "لماذا لا تذهبين معهم؟ ليس لديك ما تمثّلينه في حلقة الغد، وقد ترفّهين بذلك عن نفسك بعض الشيء. فأنا سأبقى في جميع الأحوال هنا طيلة عطلة نهاية الأسبوع".

أشار بيده إلى جدران مكتبه الأربعة، ورغم أن اليوم هو الخميس فقط، فقد كان يعلم أنه لا تزال أمامه ثلاثة أو أربعة أيام على الأقلّ من العمل الشاق في الإشراف على الكتّاب، غير أنّ سيلفيا بدت مبتهجة لفكرة الذهاب من دونه.

"هل ستأتي إلى فيغاس عندما تنتهي؟" بدت هنا كالطفلة مجدداً، وكانت براءتها تحرّك مشاعره أحياناً. في الواقع، لقد كان جسدها يجذبه أكثر من أيّ شيء آخر، وقد كانت علاقته بها سهلة طيلة الأشهر العديدة الماضية. فهي كانت فتاة محترمة وهو كان يحبّها، غير أنها لم تكن تشكّل أيّ تحدٍّ بالنسبة إليه، وكان يعلم أنه لم يكن ليلبّي كافّة حاجاتها أيضاً. فهي كانت تريد شخصاً حرّاً يمكنه الخروج واللهو معها في أيّ وقت من دون أن تكون لديه أيّ ارتباطات أو التزامات تقيّده، كانت تريد شخصاً يرافقها إلى الحفلات الافتتاحية، والحفلات الراقصة، وحفلات العشاء في سباكو عند الساعة العاشرة؛ فيما غالباً ما كان هو مقيّداً ببرنامجه أو مشغولاً بكتابة مشاهد جديدة أو منهك القوى بحيث يعجز عن الخروج إلى أيّ مكان، أضف إلى ذلك أنه لم يحبّ يوماً حفلات هوليوود تلك.

"لا أظن أنني سأنتهي من عملي في الوقت المناسب لكي أرافقك. سوف أراكِ مساء الأحد عندما تعودين إلى المنزل". سوف يناسبه هذا التوقيت تماماً إضافة إلى كونه بهذه الطريقة سيرتاح منها بعض الشيء، على الرّغم من أنه كان يشعر بأنّ طريقة تفكيره هذه خسيسة وتنمّ عن الكثير من الأنانية. ولكنّ هذا الحلّ كان الأفضل والأسهل بالنسبة له علماً أنها ستكون سعيدة في مكان ما عوض أن تظلّ وحدها في المنزل وتتّصل به في المكتب كلّ ساعتين لتسأله

متى سوف ينتهي من عمله.

"حسناً". وقفت، وكانت تبدو سعيدة. "لا تمانع إذاً؟" كانت تشعر بالذنب بعض الشيء لتركه وحده هنا، ولكنّه ابتسم وقادها إلى باب مكتبه.

"إنما لا تدعي جماعة ماي هاوس يبيعونك عقداً جديداً". ضحكت، وقد قبّلها هذه المرّة قبلة عميقة على فمها. "سوف أشتاق إليك".

"وأنا أيضاً". ولكنّه رأى حزناً في عينيها، وقد تساءل لبرهة إن كان هناك ثمّة خطب. فهذا الحزن كان قد رآه في عيون أخرى من قبل... بدءاً بعينيّ ليسلي. لقد كان حزناً تعبر عنه النساء في بعض الأحيان بعيونهنّ فقط وليس بألسنتهن، وهو مرتبط بشعورهنّ بالوحدة. وهو كان يدرك ذلك جيداً، ولكنّه لن يغيّر شيئاً في حياته الآن. فهو لم يفعل ذلك من قبل، والآن وقد أصبح في التاسعة والثلاثين من عمره، فقد أدرك أنّ الأوان قد فات لكي يغيّر الكثير في حياته.

غادرت سيلفيا المكتب، وعاود بيل عمله. لقد كان لديه جبل من الملاحظات ينبغي عليه أن يقدّمها حول السيناريوهات الجديدة، وكافّة التغييرات التالية، وعندما رفع مجدداً بصره عن الآلة الكاتبة، كان الليل قد حلّ، وبالتالي فقد ذُهل عندما نظر إلى ساعته ورأى أنها الساعة العاشرة. وأدرك فجأة أنه يموت من العطش. فنهض عن مكتبه، وأنار بعض الأضواء، وتناول زجاجة من ماء الصودا عن المكتب. وكان يعلم أنّ بتسي قد تركت له من دون شكّ بعض الشطائر على مكتبها، ولكنّه لم يكن جائعاً. يبدو أن العمل كان غذاءه الروحي والفكريّ عندما كانت كلّ الأمور فيه تسير على ما يرام، وبالتالي فقد اعتمره شعور بالسعادة والابتهاج عندما ألقى نظرة على كلّ ما فعله. فاتكأ خلفاً في كرسيّه وهو يرتشف الصودا. كان قد بقي لديه مشهد واحد فقط يريد أن يغيّره قبل أن يتوقّف عن العمل الليلة. فعاد واستأنف عمله على آلة الـ Royal القديمة طوال الساعتين التاليتين متغاضياً عن كلّ شيء من حوله، إلّا ما كان

يكتبه. وعندما توقّف هذه المرّة كانت الساعة قد ناهزت منتصف الليل. لقد كان يعمل منذ حوالي عشرين ساعة من دون أن يشعر حتى بالتعب. فقد كان يشعر بالبهجة والانتعاش بسبب التعديلات التي أجراها من جهة كما وبسبب الطريقة التي كان العمل يسير بها من جهة أخرى. فأخذ رزمة الأوراق التي كان يعمل عليها منذ بعد الظهر، ووضعها في أحد أدراج مكتبه وأقفل عليها، ثمّ تناول زجاجة أخرى من الصودا لدى خروجه تاركاً سجائره على مكتبه. فهو لم يكن ليدخّن كثيراً إلاّ في أوقات العمل.

مرّ بمكتب سكرتيرته حيث كانت الشطائر لا تزال تنتظره في علبة كرتونيّة، ثمّ عبر الردهة التي كانت تنيرها أضواء فلوريّة، مجتازاً حوالى ستّة استديوهات كانت مغلقة حينها. لقد كان يتمّ في أحدها تصوير برنامج حواريّ ليليّ، وكانت قد وصلت لتوّها إلى المكان جماعة من الفتيان الغريبي المظهر يرتدون ثياباً رثيثة لكي يظهروا في البرنامج. فابتسم لهم لكنّهم لم يردّوا له التحيّة. لقد كانوا جميعاً في غاية العصبيّة والتوتّر. مرّ بعد ذلك بالاستديو حيث كانت تصوّر أخبار الحادية عشر ليلاً، ولكنّه كان مظلماً أيضاً ريثما يستخدم مجدداً للبثّ الصباحي.

أعطى الحارس عند المدخل ورقة الخروج لبيل ليوقّع عليها، فكتب هذا الأخير اسمه وكتب تعليقاً حول آخر مباريات البايسبول. فقد كان والحارس العجوز يعشقان فريق دودجرز. بعدها، خرج من المبنى ومشى في الهواء الطلق يتنشّق النسيم العليل، نسيم تلك الليلة الربيعيّة الدافئة. لم يكن الضباب كثيفاً في تلك الساعة، وبالتالي فقد كانت طراوة الجوّ تُشعرك بجودة العيش وحلاوته. كان بيل يحبّ عمله، إذ كان يرى أنّه من الجدير بالاهتمام والعناء أن يعمل طيلة هذه الساعات على اختلاق قصص حول شخصيات خياليّة. فهو عندما كان يقوم باختلاق قصصه الخياليّة تلك، كانت تبدو بطريقة أو بأخرى منطقيّة وواقعيّة بالنسبة إليه، وهو بالتالي لطالما كان سعيداً بالعمل الذي ينجزه. ولكنّ عمله، شأنه شأن أيّ عمل آخر، كان يتضمّن بعض المتاعب

أحياناً خصوصاً عندما لا تسير الأمور على ما يرام في أحد المشاهد أو عندما كانت إحدى الشخصيّات تفقد السيطرة على أعصابها لتتحوّل إلى شخص مختلف تماماً عن ذاك الذي أراده هو أن يكون. ولكنّه كان يحبّ عمله إجمالاً، حتى إنه كان يتمنّى أحياناً لو كان بإمكانه أن يعمل دواماً كاملاً، أو أن يكون كاتباً أيضاً.

تنهّد بسعادة وهو يدير محرك سيارته الشيفروليه موديل الـ 49 ستايشن ذات البدن الخشبي المقفل وصفوف من المقاعد القابلة للطيّ خلف السائق، اشتراها بيل منذ سبع سنوات من شخص يزاول رياضة ركوب الأمواج مقابل 500 دولار أمريكي، وقد كان يحبّها كثيراً. وكانت سيارته هذه حمراء اللون داكنة، وهي لم تكن في حالة جيّدة جداً غير أنها كانت واسعة وقد كان ولداه يحبّان التجوّل فيها عندما يأتيان لزيارته.

وفيما كان يتّجه نحو منزله على طريق سنتا مونيكا السريع باتّجاه جادّة فيرفاكس، أدرك فجأة أنّه جائع، لا بل أنه يتضوّر جوعاً، وكان يعلم أنه لا يوجد شيء في شقته يؤكل، إذ أنه لم يأكل في البيت منذ ثلاثة أيام. فقد كان لديه عمل كثير ينجزه، كما وأنه كان قبل ذلك يأكل في الخارج وقد أمضى عطلة نهاية الأسبوع الماضي عند سيلفيا في ماليبو. فكانت قد استأجرت ذلك المنزل هناك من نجمة سينمائية مسنّة تقيم في دار للعجزة منذ سنوات عدّة، ولكنها كانت لا تزال تحتفظ بمنزلها هذا في ماليبو.

فتوقّف بيل في طريقه عند سيفواي وكانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل. دخل الموقف، وركن سيارته أمام المدخل الرئيس تماماً بالقرب من سيارة Morris Garages قديمة، ثمّ دخل المتجر الذي كان يشعّ بالأضواء والذي كان يفتح طيلة الليل وأخذ عربةً فيما كان يحاول أن يقرّر ما الذي كان يريد أن يأكله. فقد كانوا يشوون الدجاج في إحدى الممرّات القريبة وقد كانت رائحته شهيّة. فتناول فرّوجاً وصندوقاً من العصير وبعضاً من سلطة البطاطا من

القسم المختصّ ببيع الأطعمة الجاهزة للأكل والأطباق الأجنبية، ثمّ اشترى بعض السلامي والقليل من الكبيس المخلّل، ليتّجه بعد ذلك نحو قسم الفاكهة والخضار حيث اشترى خسّة وبعض البندورة والخضار لكي يحضّر لنفسه سلطة. وكلّما كان يفكّر بالأكل كلّما كان جوعه يزداد وبالتالي فلم يكن يصدّق متى يصل إلى المنزل لكي يتناول العشاء. فهو لم يعد ليتذكر حتى إن كان قد تناول وجبة الغداء أم لا. وتذكّر عندئذ أنه بحاجة إلى ورق ومناديل للحمّام، كما وأنه كان يعلم أنه بحاجة إلى معجون للحلاقة ومعجون للأسنان أيضاً. كان الأمر يبدو وكأنه لم يكن أبداً يجد الوقت لكي يتبضّع ويشتري حاجياته. وفيما كان يتجوّل في المتجر يقظاناً، نسي تماماً أن الساعة قد تجاوزت منتصف الليل وابتاع كلّ ما ينقصه من مساحيق للتنظيف، وزيت زيتون، وقهوة، إلى علب من مزيج الفطائر المحلاّة، والنقانق، والعصير - للمرّة الثانية التي قد يتناول فيها الفطور في المنزل في عطلة نهاية الأسبوع - فبعض فطائر النخالة، ورقائق الذرة، والأناناس، والببايا الطازجة. شعر وكأنه طفل همجيّ لشدّة ما اشترى من حاجيّات. إنها المرّة الأولى التي لم يكن فيها على عجلة من أمره؛ فلم يكن ينبغي عليه الذهاب إلى العمل ولم يكن هناك ثمّة من ينتظره في مكان ما، فقد كان بإمكانه أن يتجوّل في المتجر على هواه. كان يحاول أن يقرّر إن كان يريد بعض الخبز الإفرنجيّ والجبن مع عشائه. فانعطف حول إحدى الزوايا باحثاً عن الخبز وإذا به يصطدم بفتاة يبدو أنها كانت منحنية تبحث عن شيء ما، وإذا بها تنهض فجأة وهي تحمل بين ذراعيها كدسة من مناديل الحمام. ففاجأ بها وهي تظهر أمامه من حيث لا يدري، وقبل أن يتمكّن من فعل أيّ شيء صدمها بعربته فقفزت خلفاً مذعورة وأوقعت كلّ شيء من حولها فيما كان هو لا يزال واقفاً يشاهد مذهولاً ما كان يحدث أمامه. لقد كانت جميلة وجذّابة بحيث أنه لم يتمكّن من التوقف عن التحديق بها فيما استدارت وبدأت تجمع المناديل التي وقعت منها.

"آسف... أنا... هنا... دعيني أساعدك..." ترك عربته وتوقّف ليساعدها

ولكنها سرعان ما نهضت مبتسمةً وقد تورّدت وجنتاها خجلاً.

"لا تشغل بالك". لقد كانت ابتسامتها أخّاذة وعيناها كبيرتين زرقاوين، وكانت تبدو وكأنّ لديها الكثير لتقوله، وقد شعر وكأنه طفل فيما كان يحدّق بها وهي تبتعد بعربتها راميةً إيّاه بإحدى ابتساماتها الأخّاذة من فوق كتفها.

بدا الأمر كمشهد سينمائيّ أو كشيء كتبه لبرنامجٍ ما كبرنامج بوبي ميتز غرل مثلاً. كان يريد أن يلحق بها... يا آنسة، انتظري قليلاً... توقّفي! ولكنها كانت قد ذهبت وشعرها الأسود الساطع الذي كان ينسدل على كتفيْها وابتسامتها العريضة اللؤلؤية وعينيْها الزرقاوين الكبيرتيْن. فقد كان هناك شيء واضح وصريح في نظرتها إليه، وشيء غريب في ابتسامتها وكأنها كانت تريد أن تطرح عليه سؤالاً كان هذا الشيء ودوداً وكأنها ستضحك على نفسها. شغلت كلّ باله وتركيزه بحيث أنه وجد صعوبةً في متابعة تبضّعه. مايونيز... سمك الأنشوفة... كريم للحلاقة... بيض؟ أكان فعلاً بحاجة إلى البيض؟ أكان بحاجة إلى الكريما الحامضة؟ لم يعد لديه القدرة على التركيز. كان الأمر مضحكاً فعلاً. لقد كانت جميلة حقاً ولكنها لم تكن فاتنة. فقد كانت أنيقة كتلك الفتيات الثريّات اللواتي يتخرّجن من المعاهد الشرقيّة الراقية، وكانت ترتدي جينزاً وكنزة حمراء مع قبّة واقفة وكانت تنتعل حذاءً خفيفاً. خفق قلبه بسرعة عندما رآها تفرّغ عربتها عند الصندوق بعد بضع دقائق، فتوقّف عن دفع عربته لبرهة ونظر إليها. لم تكن في الواقع رائعةً إلى هذا الحدّ. جذّابة أجل... كثيراً في الواقع، ولكن وفقاً لذوقه، الذوق الكاليفورنيّ العصريّ، فقد كانت جدّ عاديّة. فقد بدت له كشخص يمكنه مسامرتك حتى آخر ساعات الليل، شخص يمكنه أن يخبرك الدعابات ويرفّه عنك من لا شيء ويروي عليك القصص الجميلة. فما الذي كان يحتاجه يا تُرى من فتاة كهذه في الوقت الذي تحيط به فتيات كسيلفيا يدفئن قلبه ويلبّين حاجاته ورغباته كافّةً؟ ولكنه شعر، وفيما كان يشاهدها تبعد عربتها الفارغة عن الممرّ، بنوع من التوق إليها وإلى التقرّب منها. لقد كان يودّ لو يتعرّف عليها، وبالتالي فقد كان يتساءل ما قد يكون

اسمها بينما يتقدم ببطء نحوها. مرحباً... أنا بيل ثيفين... كان يكرّر ما سيقوله لهــا في رأسه دافعاً بعربته نحو الصندوق حيث كانت تدفع حسابها. لقد بدت وكأنها لم تره حينها إذ أنها كانت تكتب شيكاً. فحاول أن يسترق النظر ولكنّه لم يتمكّــن مــن قراءة اسمها. كلّ ما كان بإمكانه أن يراه هو يدها اليسرى التي كانــت تمسـك بها دفتر الشيكات. اليد اليسرى والخاتم. خاتم الزواج. لم تعد هويّــتها تهمه بعد الآن. لقد كانت متزوّجة. فقد شعر بخيبة أمل كبيرة في قلبه وكاد يسخر من نفسه عندما نظرت إليه مبتسمةً كونها عرفت أنه الشخص الذي اصــطدم بهــا مــنذ بضع دقائق وهي تحمل مناديل الحمام. مرحباً... أنا بيل ثيفبــن... وأنــت مــتزوّجة... يا للأسف. على أيّ حال، اتصلي بي في حال تطلّقــت يوماً. فهو لم يكن أبداً ليعبث مع النساء المتزوّجات. لقد كان يريد أن يســألها لماذا كانت تتبضّع في هكذا ساعة متأخّرة من الليل، إلاّ أنه أدرك بعد ذلك أنه لم يكن هناك أي جدوى من سؤاله هذا.

"طــاب مســاءك" قالــت ذلك بصوت ناعم أجشّ وهي تهمّ لحمل كيسي حاجياتها فيما كان هو يفرّغ عربته.

"ومساءك أيضاً" أجاب وهو يراقبها تخرج من المخزن. وبعد بضع دقائق ســمع هدير محرّك إحدى السيارات، وعندما خرج وعاد إلى سيّارته التي كان قد أوقفها في المرآب لاحظ أنّ سيارة الــ Morris Garages التي كانت متوقّفة بالقــرب من سيّارته لم تعد هناك. فتساءل إن كانت هذه سيّارتها. ثمّ استدرك الأمر وابتسم ابتسامة استهزاء عريضة. لا بدّ من أنه يعمل كثيراً بحيث أنه بدأ يُغــرم بكــلّ من يراه في طريقه. "حسناً، ثيفين" غمغم ذلك وهو يدير محرّك سيّارته. "تمهل يا فتى". فضحك بينه وبين نفسه وهو يخرج من الموقف، وفيما كــان يــتّجه نحو منزلــه سأل نفسه ما الذي كانت سيلفيا تفعله الآن في لاس فيغاس يا ترى.

الفصل 2

وفــيما كانــت أدريانــا تاونســيند تغادر السوبرماركت بسيارتها، كانت مشغولة بالتفكير بستيفن الذي كان ينتظرها في المنزل. فهي لم تره منذ أربعة أيــام، إذ أنه كان مضطراً لحضور كافّة اجتماعات عرض أحد الزبائن لسلعة جديــدة فــي سانت لويس. وكان ستيفن تاونسيند من أبرز وألمع الأعضاء في وكالة الإعلانات حيث كان يعمل، وكانت تعلم أن بإمكانه أن يدير مكتب لوس أنجلــوس إن أراد. فهو الآن في الرابعة والثلاثين من عمره، وقد اجتاز طريقاً طويــلاً مــنذ بداية حياته المهنيّة المتواضعة في شركة ميدوست، وبالتالي فقد كانت تدرك جيداً مدى أهميّة النجاح بالنسبة إليه. فقد كان نجاحه المهني يعني الكثير له. فهو كان يكره الفقر وكلّ شيء في طفولته وميدوست أيضاً، وبحسب رأيــه فإن ما أنقذه من بؤسه هذا هي المنحة الدراسية التي حازها إلى بيركلي مــنذ ســتّة عشر عاماً. وبالتالي فقد تخصّص في مجال الاتصالات، تماماً كما فعلــت أدريانــا لاحقــاً بعــد ثــلاث سنوات في ستانفورد. لقد كانت مولعة بالتلفزيون، في حين أنّ ستيفن كان مغرماً منذ البداية بمجال الإعلانات. وكان في البداية، وفور تخرّجه من المدرسة، قد سافر للعمل في وكالة للإعلانات في ســان فرانسيسكو، ثمّ قصد بعد ذلك كلّية التجارة والأعمال ليلاً، وما أن انتقل إلــى جنوبــي كاليفورنيا حتى حاز شهادة الماجستير في هذا المجال. فلم يكن هــناك أيّ شكّ في قدرة ستيفن تاونسيند على النجاح مهما كلّفه الأمر من مشقّة وعناء. فقد كان هذا الأخير من الأشخاص الذين يتحلّون بالعزم والثبات والذين يــبلغون أهدافهم كافّة بعد أن يكونوا قد خطّطوا لذلك بدقّة وعناية بالغتين. فهو لــم يعــرف فــي حياته لا الفشل، ولا العثرات، ولا الأخطاء، وقد كان أحياناً

بمضـــي ساعات وهو يخبر أدريانا عن زبائنه المستقبليين أو عن الترقية التي يـرنو إليها. فقد كان أحياناً يدهشها بما يتحلّى به من عزم، وشجاعة، وثبات.
ولـم يكـن الأمــر سـهلاً بالنسبة إليه. فقد كان والده عامل تجميع في شركة سـيّارات فـي ديترويت وكان أباً لخمسة أولاد، ثلاث فتيات وصبيّين، ستيفن أصغرهم. مات أخوه الأكبر في فيتنام، في حين ظلّت أخواته الثلاثة في المنزل مقتنعات بفكرة عدم ذهابهنّ إلى المدرسة وراضيات بذلك كلّ الرضى. وبالتالي فقـد تزوّجت اثنتان منهنّ وهنّ لا يزلن في سنّ المراهقة بسبب حملهنّ طبعاً، فـي حيـن أن أخته البكر تزوّجت في الحادية والعشرين من عمرها ورزقت بأولادهـا الأربعـة كلّهـم قبل أن تبلغ عامها الخامس والعشرين. وكانت هذه الأخيرة قد تزوّجت من عامل في خطّ لتجمع السيّارات كأبيها، وبالتالي فعندما كـان هـناك إضــراب مــا، كــانوا جميعاً يعتمدون في معيشتهم على الهيئة الاجتماعية للإنعاش. كانت طفولته كابوساً بالنسبة إليه، ونادراً ما كان يتحدّث عنها. وحدها أدريانا كانت تعلم مقدار مقته لطفولته وبغضه لعائلته؛ فهو لم يعد أبـداً إلى ديترويت بعد أن غادرها، وكانت تعلم أيضاً أنّ سنوات خمسة على الأقـلّ قد مرّت منذ المرّة الأخيرة التي اتّصل فيها بعائلته. فهو لم يعد بإمكانه أن يـتحدّث معهـم بعـد الآن، وكان قد شرح لها الأمر مرّةً بعد عودتهما من إحـدى الحفلات حيث كان قد أفرط بعض الشيء في الشرب. لقد كان يكرههم مــن كـلّ قلـبه، تماماً كما كان يكره بؤسهم وفقرهم؛ كان يكره نظرة الأسف الدائمــة في عينيْ أمّه على كلّ ما لم يكن بوسعها أن تفعله لأولادها أو تقدّمه لهـم. ولكــن لا بدّ من أنها أحبّتكم كلّكم، هذا ما حاولت أدريانا أن تشرحه له شاعرةً بحبّ تلك المرأة لهم ومدركةً عجزها عن مساعدتهم وتأمين كلّ ما كان يلزم أولادها، لا سيّما ابنها الأصغر الطموح ستيفن.

"لا أظـنها أحبّت أحداً منّا" قال ستيفن بمرارة. "فهي لم تترك شيئاً في... إلا له هو... حتى إنها حملت منه في العام نفسه الذي غادرت فيه المنزل، ولا بـدّ مـن أنها كانت حينها قد ناهزت الخمسين من عمرها... والحمد لله أنها

فقدتــه". شعرت أدريانا بالأسى والألم حيالها، إلاّ أنها توقّفت عن الدفاع عنها أمـام سـتيفن منذ زمن بعيد. فلم يعد هناك أيّ شيء مشترك بينه وبينهم على الإطـلاق، حتى إن ذكرهم أو الحديث عنهم لم يعد ليؤلمه البتّة. وكانت تسأل نفسـها مــن وقت لآخر ما إذ كانوا ليغفروا له لو رأوه الآن. لقد كان وسيماً، ورياضياً، وصريحاً، ومثقفاً، وذكياً، وشجاعاً وكان وقحاً بعض الشيء أحياناً. فهــي لطالمــا كانـت معجبة بحماسته، وطموحه، واندفاعه، وحيويته ونضاله لبلوغ أهدافه، ولكن وعلى الرغم من كل هذا، فهي كانت من حينٍ لآخر تتمنّى لو كان فقط معتدلاً بعض الشيء في طريقة معالجته للأمور. ولكنّ هذا قد يأتي ربّما مع الوقت ومع تقدّمه في السنّ ومع حبّ الأشخاص له وطيبتهم معه. وقد كانت أحياناً تغيظه بقولها له إنّه كنبتة الصبّير، لا يدع أحداً يقترب منه أو من قلبه، إلا عندما يسمح بذلك.

لقد كانا متزوّجيْن منذ ثلاثة أعوام تقريباً، وكان الزواج مفيداً لكليهما. فقد أحـرز سـتيفن تقدّمـاً سـريعاً في عمله في وكالة الإعلانات خلال العامين والنصــف المنصــرمين، بعد أن انتقل إلى لوس أنجلوس منذ اثني عشر عاماً عندما أتمّ دراسته الجامعيّة. فقد عمل على مرّ السنين في ثلاث وكالات إعلانيّة مختلفة، وكان معروفاً بالرجل الذكيّ والماهر في مجال عمله والمتحجّر القلب فــي معظم الأحيان. فكان مثلاً يسرق زبائن أصدقائه ويحاول إقناعهم بالتعامل معــه؛ غـير أنّ الوكالة التي كان يعمل معها لم تكن يوماً لتخسر من زبائنها، خصوصــاً أولئك الذين كان يأتي بهم ستيفن. لقد كان اسمها يزداد انتشاراً في الأوسـاط الإعلانـيّة يوماً بعد يوم، وكذلك الأمر أيضاً بالنسبة إلى اسم ستيفن وشهرته المهنيّة.

كانــت أدريانا وستيفن مختلفيْن تماماً عن بعضهما البعض. وكانت تعلم ذلـك تمامــاً، إلاّ أنها كانت تحترمه كثيراً. وأكثر ما كانت تجلّه فيه هو نشأته وبدايته المهنيّة. فقد أدركت، فقط من القليل الذي سمعته عنه، أنّ مجرّد تخطّيه بداياتــه المهنــيّة لا بدّ من أنه كان أمراً قاسياً ومؤلماً بالنسبة إليه، على عكس

بداياتها، فهي نشأت وسط عائلة محترمة وثريّة في كونتكيت. فهي لطالما قصدت المدارس الخاصة هناك، ولم يكن لديها سوى أخت واحدة فقط أكبر منها. غير أنها لم تكن على اتّفاق تامّ معها، إذ لطالما كانتا مختلفتيْن من حيث وجهات نظرهما، وأيضاً فقد ابتعدت أدريانا عن والديْها في السنوات الأخيرة، على الرغم من أنهما كانا يأتيان من حين لآخر إلى كاليفورنيا لرؤيتها. ولكن الأمر كان مختلفاً تماماً عن حياة الرفاهية التي كانا يعيشانها في كونتكيت، وفي المرّة الأخيرة التي أتيا فيها إلى كاليفورنيا، لم ينسجما قطّ مع ستيفن. واضطرّت هنا أدريانا أن تقرّ بأنه لم يكن متساهلاً معهما كما لم يكن لطيفاً، إذ أنّه انتقد والدها صراحةً. فلم يكن والدها ليهتمّ يوماً باحتراف مهنة ما ومزاولتها، وقد كان هذا الأخير محامياً عاطلاً عن العمل منذ فترة طويلة، وقد درّس بالتالي سنوات عدّة في كليّة للحقوق قريبة منه. لقد كان ستيفن يربك أدريانا بانتقاداته اللاذعة، وقد حاولت بالتالي أن تشرح لهما أن هذا هو أسلوب ستيفن في الكلام، وأنّه لا يقصد بذلك أذيّتهما. ولكن وبعد عودتهما إلى كونتكيت اتصلت كوني بأختها أدريانا موبّخةً إياها على الطريقة التي عامل بها ستيفن والديْها توبيخاً قاسياً. فسألتها كيف أمكنها "أن تدعه يفعل كلّ ذلك بهما". فسألتها عندئذٍ "ما الذي فعله؟" "لقد جعل والدي يشعر بأنه في غاية التفاهة. أخبرتني أمي أنّ ستيفن أهانه بكلامه وانتقاداته وأخبرتني أنه لن يذهب أبداً بعد الآن إلى كاليفورنيا".

"بالله عليك كوني..." لقد استاءت أدريانا كثيراً لدى معرفتها كم أنّ سلوك ستيفن قد جرح والدها في الصميم، وبالتالي فقد كان ينبغي عليها أن تقرّ بأن ستيفن قد غالى بعض الشيء في انتقاداته تلك، ولكن هذا هو أسلوبه في التعامل مع الآخرين. وهذا في الواقع ما حاولت عبثاً أن تشرحه لأختها، غير أنهما لم تكونا يوماً أختيْن حميمتيْن. فقد كانت هناك سنوات خمسة تفرّقهما عن بعضهما البعض، وأيضاً فقد كانت كوني ترفض دائماً التقرّب منها بطريقة أو بأخرى وكأنها لم تبلغ يوماً مستواها من النضج والتفكير. في الواقع هذا هو

السبب الحقيقي الذي دفع بأدريانا في النهاية للبقاء في كاليفورنيا بعد إتمام دراستها الجامعية، هذا إضافةً إلى رغبتها في الحصول على وظيفة في مجال الإنتاج التلفزيوني.

كانت أدريانا قد أتت إلى لوس أنجلوس لكي تتلقى دراسات عليا في مجال الأفلام في جامعة UCLA، وقد نجحت في دراساتها تلك. وحصلت بعدها على العديد من الوظائف المثيرة للاهتمام، ثمّ أتى ستيفن ووجد لها العديد من الفرص المهنيّة المختلفة، ممّا غيّر مسار الأمور بعض الشيء. لقد كان يظنّ أنّ الوسط التلفزيوني أو بالأحرى وسط الأفلام التلفزيونيّة متطفّل على الفنّ، وقد ظلّ يلحّ عليها ويحثّها على القيام بعمل أكثر صعوبةً وواقعيّة. وقد كانا يقيمان مع بعضهما البعض منذ عاميْن عندما حصلت على عرضٍ للعمل في قسم الأخبار التلفزيونيّة، وكانت هذه الوظيفة ستدرّ عليها من المال أكثر من أيّ وظيفة أخرى كانت قد زاولتها في الماضي، غير أنّ الوظيفة الجديدة المعروضة عليها تلك كانت مختلفة جداً عن كلّ ما كانت تحلم به. فقد تعذّبت كثيراً قبل أن تتمكّن من أن تقرّر إن كان ينبغي عليها أن تقبل بالوظيفة أم لا، إذ أنها لم تكن لتجد نفسها في هذا المجال، إلاّ أنّ ستيفن أقنعها في النهاية بالقبول بالوظيفة وقد كان محقّاً في ذلك. فقد أصبحت في السنوات الثلاث الماضية تحبّ وظيفتها تلك. وبعد مرور ستّة أشهر على قبولها بالوظيفة، ذهبت وستيفن يوميْن إلى رينو حيث تزوّجا. فهو كان يكره الأعراس الكبيرة و"الالتزامات العائليّة"، وبالتالي فقد وافقت على الزواج منه هكذا بسرعة ومن دون أيّ حفلة وضوضاء لكي لا تزعجه. ولكنّ ذلك قد أثار استياء أهلها أيضاً. فقد كانوا يريدون أن يقيموا لابنتهم الصغرى عرساً كبيراً في المنزل. إلاّ أنّها ذهبت بصمت مع ستيفن، وبالتالي فقد شعر أهلها بكلّ شيء إلاّ السعادة عندما أبلغتهم خبر زواجها. فقد بكت أمها في حين وبّخهما والدها توبيخاً عنيفاً، أمّا هما فقد كانا يشعران وكأنهما ولدان ضالاّن متشرّدان. فقد غضب ستيفن منهم كلّهم، أمّا أدريانا فقد تشاجرت كالعادة مع أختها كوني. وكانت كوني حينذاك

حاملاً بطفلها الثالث والأخير، وقد جعلت كالعادة أدريانا تشعر بأنها ليست بفتاة صالحة وأنها اقترفت ذنباً لا يُغتفر.

'اسمعي، نحن لم نكن نريد أن نقيم عرساً كبيراً. أتعتبرين هذا جريمة؟ الحفلات الكبيرة تثير غضب ستيفن. فما الخطب في ذلك؟ لقد أصبحت في التاسعة والعشرين من عمري، وأظنّ أنه بإمكاني أن أتزوّج بالطريقة التي تحلو لي'.

'لم يكن ينبغي عليك أن تجرحي مشاعر أمك وأبيك؟ ألا يمكنك أن تبذلي بعض الجهد ولو لمرّة في حياتك؟ أنت تقيمين على بعد ثلاثة آلاف ميل عنّا وتفعلين كلّ ما يحلو لك. فأنت لست أبداً إلى جانبهما لكي تساعديهما أو تفعلي أيّ شيء لهما...' خفت صوتها عندئذ فيما كانت أدريانا تحدّق إليها وهي تفكّر بجدار الحقد والمرارة الذي كان يرتفع أكثر فأكثر مفرّقاً في ما بينهما. ففي السنوات الأخيرة كانت علاقتها بأختها قد بدأت فعلاً تولّد في داخلها الحزن والكآبة.

'إنهما في الثانية والستين والخامسة والستين من عمرهما، فكم قد يكونا بحاجة إلى المساعدة؟' سألت أدريانا فيما كانت كوني تبدو شاحبة اللون.

'كثيراً. فكلّما أتى تشارلي مثلاً وكان الطقس مثلجاً قام برفع الثلج عن سيارة أبي. هل فكّرت بذلك مرّة؟' لقد كانت عينا كوني تترقرقان بالدموع، في حين شعرت أدريانا برغبة كبيرة في صفعها.

'فقد يكون إذن من الأفضل لهما ربّما أن ينتقلا للعيش في فلوريدا فيسهّلا الأمر بالتالي على كلتينا' قالت أدريانا ذلك بهدوء فيما انفجرت كوني بالبكاء.

'هذا كلّ ما تعرفينه، أليس كذلك؟ الهروب. الاختباء عند الجهة الأخرى من البلاد'.

'أنا لا أختبئ، يا كوني، إنما لديّ حياتي هناك'.

'ومـا الذي تفعلينه هناك؟ تعملين كمراسلة إخبارية في قسم الإنتاج. هذا

كلّه هراء وأنت تعلمين ذلك. انضجي، يا أدريانا. كوني مثلنا كلّنا، كوني زوجة وانجبي الأولاد. أمّا إن كنت تريدين أن تعملي فقومي على الأقلّ بعمل جدير بك وبمهاراتك. ولكن استفيقي وعيشي عيشةً طبيعيّة'.

'مثل من؟ مثلك؟ هل تعتبرين نفسك (طبيعيّة) لأنّك كنت ممرّضة قبل أن ترزقي بأولادك، في حين تعتبرينني (غير طبيعيّة) لأنني أقوم بعمل أنتِ لا تفهمينه؟ حسناً، ربّما الآن ستحبّين عملي أكثر. فأنا مساعدة إنتاج. ربّما يمكنك أن تفهمي ذلك أكثر'. ولكنّها كانت تكره الحقد والحسد اللذين تغلغلا في علاقتهما على مرّ السنين. فهما لم تكونا يوماً قريبتين من بعضهما البعض، ولكنهما كانتا من قبل على الأقلّ صديقتين، أو أنهما كانتا تدّعيان ذلك. أمّا الآن فقد زالت القشور، ولم يبقَ هناك إلاّ حقد كوني على أدريانا لأنها حرّة طليقة وتعيش في كاليفورنيا على هواها. ولم تخبرهم أدريانا أنها اتّفقت مع ستيفن على عدم الإنجاب. فقد كان هذا الأمر يعني الكثير له خصوصاً بعد الويلات التي عاشها وعانى منها في طفولته. ولم تكن أدريانا لتوافقه الرأي في البداية، إلا أنها كانت تعلم أنه يلوم والديه ويعتبرهما مسؤولين عن البؤس الذي عاشوا به كونهما أنجبا أولاداً، لا بل الكثير منهم. غير أنه كان قد قال لها منذ البداية إنّ الأولاد ليسوا على برنامجه، وقد كان يريد بالتالي أن يتأكّد من أنّ أدريانا موافقة على هذا الأمر موافقة تامّة. فلقد أتى أكثر من مرّة على ذكر إمكانيّة خضوعه إلى عمليّة لاستئصال الأسهر لديه، ولكنّ كلاهما كان متخوّفاً من إمكانيّة أن يؤدّي ذلك إلى مضاعفات جسديّة. لذا فقد ألحّ عليها لكي تعقد أنابيبها، ولكنها لم تعطه جواباً قاطعاً على هذا الموضوع إذ أنه كان يبدو بالنسبة إليها حلاً جذريّاً في حين أنها كانت تريد أن تحتفظ لنفسها بخطّ الرّجعة. وبالتالي فقد اتّفقوا في النهاية على طرق بديلة تحول دون إنجابهم الأطفال. وكانت أدريانا تشعر بالحزن أحياناً لدى تفكيرها بأنها لن تصبح أمّاً أبداً في حياتها، إلا أنّ موافقتها على ذلك كان بمثابة تضحية تقوم بها من أجله. فهي كانت تعلم مدى أهميّة هذا الأمر بالنسبة إليه. فقد كان يريد أن يتابع

مسيرته المهنيّة من دون أن يكون لديه أطفال يعيقون طريقه، كما وأنه كان يريدها أن تظلّ حرّة لكي تتمكّن من متابعة مسيرتها المهنيّة أيضاً. فهو كان دائماً يدعمها ويساعدها في عملها إلى حدّ أنها أصبحت، خلال السنوات الثلاث الأخيرة تلك، تحبّ عملها في قسم الأخبار في التلفزيون على الرغم من أنها كانت لا تزال أحياناً تتوق إلى برامجها القديمة، وأفلامها التلفزيونيّة، ومسلسلاتها القصيرة، وبرامجها الخاصّة. وكانت قد تحدّثت أكثر من مرّة عن رغبتها في ترك قسم الأخبار والحصول على وظيفة إنتاج في إحدى المسلسلات.

'وماذا سيحدث لك عندما يلغونه؟' هذا ما كان ستيفن دائماً يجيبها به. 'ماذا سيحصل لك عندها؟ تصبحين عاطلة عن العمل وتعودين أدراجك إلى المربّع رقم واحد. ابقي في قسم الأخبار يا عزيزتي، فهم لن يقدموا أبداً على إلغائه'. كان يكره فكرة أن يخسر أحد وظيفته أو أن يكون عاطلاً عن العمل أو أن يفوّت الفرص عليه أو ألاّ يتّبع طريقاً رئيسيّاً يقوده مباشرة إلى القمّة. فطالما كان ستيفن يركّز على أهدافه، ولطالما كانت أهدافه هذه تحتلّ المركز الأوّل في حياته. وفي الواقع، لقد كانا واثقين من قدرته على النجاح.

لقد كانت آخر سنتان ونصف من زواجهما خصبتيْن بالنسبة لكليهما. فقد عملا بكدّ ونجحا في عملهما، وتعرّفا على بعض الأصدقاء، كما سافر ستيفن كثيراً في السنة الماضية، أمّا في السنة التي سبقتها فقد اشتريا منزلاً رائعاً. وقد كان هذا الأخير مناسباً لكليهما، منزلاً مؤلّفاً من غرفة نوم رئيسيّة وكبيرة في الطابق العلويّ وغرفة نوم ثانية كانا يستخدمانها كغرفة للمطالعة أو العمل وغرفة جلوس وغرفة أخرى للطعام ومطبخ كبير. وكانت أدريانا تحبّ أن تلهي نفسها في حديقة المنزل الصغيرة في عطلة نهاية الأسبوع، كما وقد كان هناك في المجمّع أيضاً حوض للسباحة، وملعب لكرة المضرب، هذا علاوةً على المرآب المخصّص لهما والذي كان يتّسع لسيّارتها Morris Garages وسيّارته البورش الجديدة السوداء. وكان لا يزال دائماً يحاول إقناعها ببيع

سيّارتها، ولكن من دون جدوى. فقد كانت اشترتها مستعملةً عندما ذهبت إلى ستانفورد قبل ثلاثة عشر عاماً، وكانت لا تزال تحبها. في الواقع، كانت أدريانا من الأشخاص الذين يتشبّثون بالأشياء القديمة، في حين أنّ ستيفن كان يسعى دائماً وراء كلّ جديد. وعلى الرغم من ذلك كلّه، لقد كانا يشكّلان معاً فريقاً جيّداً. فهو قد مدّها بحسّ إضافيّ من النضال والديناميكية لم تكن ربّما لتتحلّى به إلى هذا الحدّ لو أنها كانت وحدها، في حين أنها أضفت بعض النعومة على طبعه الحادّ. ولكنّ هذا لم يكن كافياً بالنسبة للآخرين. فأختها كوني وصهرها تشارلي كانا يكرهانه، في حين أنّ والديها لم يحبّانه قطّ. وقد أثّر هذا على علاقة أدريانا بهم، كما وأنها كانت تتألّم أحياناً لدى رؤيتها كيف أنها كبرت بعيدة عنهم. ولكن وعلى الرغم من حبّها لهم، كانت تشعر بأنها تدين بإخلاصها وولائها لستيفن إذ أنّه الرجل الذي كانت تشاركه سريره، وحياته، ومستقبله. وبالتالي ومهما كان حبّها لهم كبيراً، فقد أصبحوا الآن من الماضي في حين أضحى هو حاضرها ومستقبلها وأيضاً. وقد أدرك أهلها ذلك تماماً حتى إنهم لم يعودوا ليسألوها متى ستأتي وستيفن إلى الشرق، كما وأنهم في العام المنصرم توقّفوا عن إزعاجهما بمسألة الإنجاب تلك، إذ أنها قد أخبرت كوني أخيراً أنهما لا يريدان أولاداً. وبالتالي فقد كانت واثقة من أن أختها قد أبلغت والديها بالأمر. كانت تبدو علاقة أدريانا وستيفن كلّها غير طبيعيّة بالنسبة إليهم، إذ أنهما كانا في نظرهم شابيْن أنانيّيْن لا يهمّهما من الحياة سوى متعتها ولذّتها فهما يعيشان حياة صاخبة، وبالتالي فقد كان من الصعب أن يشرحوا لهما وجهة نظر مخالفة عن وجهة نظرهما للحياة. لذا فقد وجدوا أنّه من الأسهل عليهم أن يخفّفوا من اتّصالهم بهما، هذا إضافة إلى عدم رغبة والديْ أدريانا في الذهاب إليهما لزيارتهما بعد الآن.

ولكنّ أدريانا لم تكن تفكّر بوالديها في تلك الليلة عندما استقلّت جادّة فرفاكس المؤدّية إلى طريق سانتا مونيكا السريع. فكلّ ما كانت تفكّر به هو ستيفن. لقد كانت تعلم كمْ أنه سيكون متعباً، إلاّ أنها كانت قد اشترت زجاجة

من العصير اللذيذ الفخم وبعض الجبن وكلّ ما تحتاجه لكي تهيئ له عجّة لذيذة بالبيض. وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة وهي توقف سيارتها في المرآب بالقرب من سيّارته البورش. كان قد عاد إلى المنزل وهي لم تكن حزينة سوى لكونها لم تتمكّن من استقباله على المطار. كان ينبغي عليها أن تعمل في فريق المناوبة الليلي كالعادة، لتحلّ بالتالي محلّ منتج للنشرة الإخبارية الليلية، إذ أنها كانت مساعدته الأولى. لقد كان عملها جميلاً وكانت تحبّه، إلاّ أنه كان شاقاً ومرهقاً في بعض الأحيان.

فتحت الباب ورأت جميع الأضواء مضاءة، غير أنها لم تره في البداية.

'مرحباً!... هل من أحد في المنزل؟...' لقد كانت أنغام الموسيقى تتصاعد من الستيريو وكانت حقيبة سفره بجانب الحائط، ولكنها لم ترَ حقيبة يده. ثمّ رأته بعد ذلك في المطبخ على الهاتف وقد كان وسيماً بشعره الأسود غير المرتّب بعض الشيء، كما وأنه كان منحني الرأس فيما كان يدوّن بعض الملاحظات. فأدركت أنّه يتحدّث إلى مديره، ولم يبدُ حتى في البداية وكأنّه رآها إذ أنه كان يتحدّث على الهاتف ويكتب في آنٍ معاً. فأتت من خلفه وغمرته بذراعيها وقبّلته. فنظر عندئذٍ إليها مبتسماً ثمّ قبّلها قبلة عميقة على شفتيها وتابع يصغي إلى مديره من دون أن يفوّت كلمة واحدة ممّا كان يقوله له. ثمّ أبعدها بلطف وهو يتابع حديثه.

'هذا صحيح... هذا ما قلته له. لقد قالوا إنهم سيردّون علينا خبراً الأسبوع المقبل، ولكنّني أظنّ أننا إن ضغطنا عليهم بعض الشيء فسوف نجبرهم على الردّ علينا قبل ذلك بكثير. صحيح... صحيح... هذا رأيي بالضبط... حسناً... أراك غداً صباحاً. ثمّ فجأةً أصبحت بين ذراعيه وكان يضمّها إليه بقوّة وعادت المياه إلى مجاريها. فهي كانت دائماً سعيدة عندما تكون معه، دائماً واثقة من أنها في المكان الذي خُلقت لكي تكون فيه. وفيما كانت تقبّله، لم تكن لتفكّر إلاّ بمدى شوقها وتوقها إليه.

لقد قبّلها طويلاً وبقوّة بحيث أنها كانت تلهث عندما ابتعد عنها مجدّداً.

'نوّرت المنزل، سيّد تاونسيند'.

"لا بل أنتِ التي نوّرته يا حياتي'. ابتسم إليها بعبث ماسكاً ردفيْها بيديْه الاثنتين وضامّاً إيّاها إليه بقوّة.

'أين كنتِ؟'.

'في العمل. حاولت أن أتهرّب من نشرة الحادية عشرة الليلة، إلاّ أنهم كانوا كلّهم مشغولين. بعدها توقّفت وأنا في طريقي إلى المنزل لشراء بعض الطعام والحاجيات. 'ألستَ جائعاً؟'.

'بلى' تبسّم سعيداً، إذ أنّ الأغراض التي اشترتها والتي كانت في الأكياس البنّية كانت آخر همّ لديه. 'في الواقع، أنا أتضوّر جوعاً'. ثمّ أطفأ نور المطبخ خلفه فيما ضحكت أدريانا عليه ساخرة.

"هذا ليس ما عنيْته. لقد اشتريت بعض العصير الفاخر و...' فقبّلها مجدّداً بقوّة على شفتيْها.

"لاحقاً أدريانا... لاحقاً...' ثمّ قادها بهدوء نحو الطابق العلويّ ناسياً حقائبه في الردهة السفليّة وتاركةً أكياس البقالة على أرض المطبخ، ونظر إليها بنهمٍ فيما نزع عنها ملابسها رافعاً صوت الستيريو وملقياً بها على السرير.

الفصل 3

في اليوم التالي، غادرا المنزل، كلٌّ إلى عمله، في الوقت نفسه: لقد كان الأمر روتينياً عندهما كلّ صباح. فكان ستيفن يركض قليلاً قبل أن يذهب إلى عمله، ثمّ يعود ويركب درّاجته الرياضيّة الثابتة وهو يحلق ذقنه ويشاهد الأخبار، كلّه في آنٍ معاً، في غضون ذلك كانت أدريانا تهيّئ فطوراً خفيفاً لكليهما ومن ثمّ تستحمّ وترتدي ثيابها. بعدها كان ستيفن يستحمّ ويرتدي ثيابه فيما كانت هي تنظّف المطبخ بعض الشيء وترتّب السرير. في عطلة نهاية الأسبوع، كان ستيفن يساعدها في الأعمال المنزليّة نوعاً ما، ولكنه خلال الأسبوع غالباً ما يكون مشغولاً وعلى عجلة من أمره بحيث أنّه كان يتعذّر عليه مساعدتها.

كانت أدريانا تشاهد دائماً الأخبار الصباحيّة وقدر ما أمكنها أن تشاهد من برنامج اليوم قبل أن يغادرا المنزل إلى العمل. أمّا في حال كان لديهما شيء مهمّ يتناقشان فيه فكانا يتحدّثان عنه، وإلاّ فقلّما كانا عادةً يتبادلان أطراف الحديث عند الصباح. غير أنّ هذا الصباح كان مختلفاً عن سواه. فكان قد جامعها مرتين الليلة الماضية، وبالتالي فقد كانت أدريانا عذبة الحديث رقيقةً وهي تقبّله وتقدّم له فنجاناً من القهوة. وعلى الرغم من كونه لا يزال يتصبّب عرقاً من جرّاء الركض، فقد كان ستيفن تاونسيند بشعره المبلّل وقميصه الملتصق بجسمه وسيماً تماماً كنجوم السينما. وكان هذا في الواقع أمر آخر قد ميّزه عن سواه فيما كان يناضل ويكافح من أجل الخروج من ديترويت والابتعاد عن أهله. فقد كان يتميّز بذكاء خارق وطموح جامح، كما وأنه كان يتحلّى بجمال غير اعتياديّ لكي يعيش في البيئة التي ولد فيها. أدريانا هي

الأخرى ناضلت بطريقتها الخاصة، ولكنّ جمالها هو آخر ما كانت تفكّر به. فهي كانت شديدة الانهماك في حياتها وعملها لكي تفكّر بمظهرها الخارجي، إلاّ طبعاً عندما كانت تتهيّأ للخروج مع زوجها. غير أنها كانت حسنة المظهر، كما وأنّ جمالها الطبيعيّ كان يميّزها عن سواها من النساء في هذا العالم المتصنّع المتكلّف الذي كانوا يعيشون فيه. ولكنها كانت تجهل تماماً ذاك الجمال الذي تتحلّى به، سيّما وأنّ زوجها نادراً ما كان يمتدح جمالها. فهو غالباً ما كان ينهمك بأمور أخرى كحياته الخاصة وعمله، حتى إنه تمر أوقات نادراً ما يرى زوجته فيها.

"هل من خبر مميّز اليوم؟" كان، وفيما يتناول فطوره، يرمقها نظرات سريعة وهي تتصفّح الجريدة. فهي كانت قد سخّنت له فطائر العنبيّة التي اشترتها ليلة البارحة، كما وأنها هيّأت له سلطة بالفاكهة ممزوجة باللّبن المحلّى.

"ليس على حدّ علمي. سوف أرى ماذا هناك من أخبار. لم يبدُ وكأنّ هناك شيء مثير للاهتمام في أخبار النشرة الصباحيّة، ولكن مَن يدري؟ يمكن لأحدهم أن يغتال رئيس الجمهوريّة الآن في هذه اللّحظة، فيما نحن نتناول فطورنا".

"أف..." لقد كان، وفيما يتحدّث إليها، يلقي نظرة على أسعار البورصة ويقلّب الصفحات الاقتصاديّة.

"هل ستتأخّرين في العمل اليوم؟".

"ربّما. لا يمكنني أن أعلم حتى بعد الظهر. فهناك موظّفان في عطلة، وليس لدينا بالتالي الكثير من الموظّفين. حتى إنني قد أضطرّ ربّما للذهاب إلى العمل في عطلة نهاية الأسبوع".

"أتمنّى ألاّ تضطرّي إلى ذلك. أنسيت الحفلة الراقصة مساء غد عند آل جيمسز؟".

وقع نظرها في نظره فابتسمت له. فهو لم يكن أبداً واثقاً من قدرتها على تذكر كلّ شيء، حتى ولو كانت مساعدة منتج النشرات الإخباريّة في إحدى أكبر شبكات التلفزة وأهمّها. "بالطبع لم أنسها. أهي مهمّة إلى هذا الحدّ؟".

هز رأسه بجدية كالعادة عندما كان الأمر يتعلّق بعمله، وكانت قد اعتادت على ذلك. "سيكون الجميع هناك. أردت فقط أن أتأكّد من أنّك لم تنسها". فهزت رأسها فيما نظر إلى ساعته ووقف. "لديّ الليلة مباراة في الإسكواش عند الساعة السادسة مساءً. وإن كنت ستتأخرين في عملك فأنا لن أتناول العشاء في المنزل. لذا اتركي لي في المكتب رسالة تحدّدين فيها الوقت الذي ستغادرين فيه عملك".

"حاضر سيّدي. أثمّة أمر آخر تودّ أن تعلمني به قبل أن نبدأ نهارنا ويغادر كلّ منّا إلى عالمه الخاص؟".

فبدا مشدوهاً لوهلة محاولاً أن يتذكّر إن كان هناك شيء آخر يريد أن يقوله لها، ثم هزّ برأسه ونظر إليها وكانت لا تزال جالسةً على طاولة المطبخ. فكانت أفكاره قد أخذته في ذلك الحين بعيداً بعيداً عنها. كان يفكّر في الواقع بزبونيْن جديديْن كان يريد أن يباشر بالعمل معهما، كما وأنه كان يفكّر أيضاً بزبون آخر كان يخطّط لسلبه من رجل يعلوه مقاماً بعض الشيء في الشركة حيث كان يعمل. فلطالما نجح بالقيام بذلك من قبل على حساب الآخرين، وبالتالي فإنّ طريقة عمله هذه لم تحرجه أو تخفه يوماً. فهو كان دائماً يتّبع في حياته المبدأ القائل بأنّ الغاية تبرّر الوسيلة، حتى منذ ستّة عشر عاماً عندما تفوّق على أفضل صديق لديه وحاز بالتالي على المنحة إلى كليّة بيركلي. ففي الواقع كان الفتى الآخر مؤهّلاً لهذه المنحة أكثر منه، إلاّ أنّ ستيفن استغلّ فرصة علمه بأن صديقه كان قد غشّ في أوّل امتحان SAT خضع له، وقد أبلغ بالتالي الأشخاص الملائمين بهذا الأمر في الوقت الملائم، ولم يأخذ بعين الاعتبار علامات صديقه التي طالما كانت ممتازة، ولا أنه كان يساعده دائماً في التحضير لكل امتحان. وصحيح أنهما كانا صديقيْن حميميْن... إلاّ أنّه كان

قد غشّ... فجرّدوه بالتالي من حقّه في الحيّز على المنحة. وهكذا غادر ستيفن أخيراً ديترويت من دون أن يعود ويفكّر يوماً بالعودة إليها. ولم تصله بعد ذلك أيّ أخبار عن أصدقائه، إلاّ أنّ أخته كانت قد أخبرته منذ سنوات عدّة أنّ توم قد ترك المدرسة وأصبح يضخّ البنزين في مكان ما في الغيْث. هكذا إذاً كانت تسير الأمور أحياناً وفقاً لشريعة الغابة، وستيفن تاونسيند كان يحاول دائماً وبشتى الطرق أن يكون هو الأسد المنتصر، الذي لا يقوى أحد على قهره. فوقف ينظر إلى أدريانا للحظة ثمّ استدار وصعد السلم مسرعاً لكي يستحمّ ويبدّل ملابسه قبل أن يغادر المنزل إلى مكتبه.

أمّا هي فكانت لا تزال في المطبخ عندما عاد ونزل مرتدياً بذلته الكاكيّة، وقميصه الأزرق الفاتح من تحتها، وربطة عنقه الصفراء. فقد كان يبدو مجدّداً بشعره الداكن البرّاق كنجم من نجوم السينما أو على الأقلّ رجلاً كأولئك الذين يمثّلون في الإعلانات. ولطالما كان مظهره يزعج أدريانا بعض الشيء ويزيد من غيرتها عليه إذ أنه كان في غاية الوسامة والأناقة.

"باسم الله عليك وعلى جمالك، يا فتى".

فبدا سعيداً بالإطراء، ونظر إليها فيما وقفت لتتناول حقيبة التبضّع التي كانت دائماً تحملها إلى عملها. لقد كانت حقيبة مصنوعة من الجلد الناعم الأسود هرمز وكانت لديها منذ سنوات عديدة، إلاّ أنها كانت تحبّها ومتشبثة بها تماماً كسيارتها القديمة. كانت أدريانا ترتدي تنورة صوفيّة زرقاء داكنة، وقميصاً أبيض من الحرير، تعلوه كنزة ناعمة بيضاء من الكشمير كانت قد ربطتها على كتفيها. وكانت قد انتعلت حذاءً إيطاليّاً ثميناً أسود اللون شبيهاً بالموكاسان فكانت ثيابها غير رسمية إجمالاً، إنّما ذات أناقة ثمينة غير ظاهرة. فقد كان مظهرها يبدو لك غير رسميّ للوهلة الأولى، ولكنّك عندما تعود وتنظر إليها مجدّداً يتبيّن لك أنّ ملابسها تتميّز بذوق رفيع وأناقة لا مثيل لها. لقد كانت في الواقع تتمتّع بذوق رائع وبسيط، وبساطتها هذه هي التي كانت تزيد من جمالها وجاذبيّتها. وبالتالي فقد كانا يشكّلان زوجاً رائعاً وهما يغادران

المنزل معاً. ركب ستيفن سيّارته البورش في حين تسلّقت أدريانا سيّارتها الأم – جي وهي تضحك على تعابير وجهه وهو ينظر إليها. فقد كان من المحرج بالنسبة إليه أن يراه أحد بالقرب من سيارتها، وبالتالي فقد كان يوبّخها بجعلها تستخدم المرآب المكشوف عند مدخل المجمّع.

"يا لك من رجل متكبّر متعالٍ!" قالت ذلك ساخرة منه، فهزّ برأسه ثمّ انطلق بسيّارته البورش السريعة، في حين ربطت أدريانا وشاحاً حول رأسها وشغّلت محرّك سيّارتها العزيزة ثمّ انطلقت باتّجاه مكتبها. لقد كان الطريق السريع مكتظاً بالسيّارات حينها، إلى أن أصبحت بعد دقائق معدودة عالقةً في سيّارتها وسط الزحمة تنتظر في خطّ طويل طويل من السيّارات الواقفة. سألت نفسها إن كان ستيفن قد سبقها بكثير أم أنه قد علق وسط الزحمة مثلها، وفيما كانت تفكّر به خطر فجأةً على بالها شيء آخر، الأمر الذي نادراً ما كان ليحدث لها. لقد تأخّرت الدورة الشهريّة عليها. فقد كان موعدها منذ يومين، إلاّ أنها كانت تعلم أنّ هذا التأخير لا يعني شيئاً على الإطلاق. فقد كان من الطبيعيّ أن تتأخّر دورتها الشهريّة مع كل الجهد والإرهاق والضغط الدائم الذي كانت تعاني منه في عملها، مع العلم أنّ هذا التأخير لم يكن ليحدث لها دائماً. فقرّرت أن تعود وتفكّر بالأمر بعد أيّام قليلة في حال كانت دورتها الشهريّة لم تأتها بعد، وفي تلك الأثناء بدأ السير يتحرّك مجدداً، فداست على دوّاسة البنزين واتجهت نحو مكتبها.

كانت الفوضى تعمّ المكان عندما وصلت. فقد كان المنتج غائباً بداعي المرض، كما وكان اثنان من مصوّريهم البارزين قد تعرّضا لحادث صغير، ومراسلان صحفيان ممن لا تحب يتشاجران على بعد مترين من مكتبها. فانفجر غضبها صياحاً على الجميع، ممّا فاجأهم وأثار دهشتهم، إذ نادراً ما كانت أدريانا لتفقد أعصابها هكذا.

"بالله عليكما، كيف يمكن لأحد أن يعمل في جوّ كهذا؟ فإن كنتما تريدان أن تتعاركا فاذهبا من فضلكما وافعلا هذا في مكان آخر". لقد تحطّمت للتوّ

طائرة صغيرة كان على متنها أحد السناتورات، والصحافيّون المتواجدون عند موقع الحادثة أبلغونا للتوّ عن وفاة كل من كان على متنها. كما أن نجماً سينمائياً مهماً قد انتحر الليلة الماضية، كما وأنّ نجميْن من نجوم هوليوود قد أعلنا خبر زواجهما. أمّا في مكسيكو فقد لقي ألف شخص تقريباً حتفهم من جرّاء زلزال هائل قد ضرب هناك. وكان على ما يبدو أن هذا النهار سيكون من الأيام التي تسبب الفرحة. ولكنّ الحياة كانت بهذه الطريقة مثيرةً بالنسبة إليها، أو هذا على الأقلّ ما كان ستيفن يقوله لها عندما كانت تتذمّر من عملها. أكانت حقّاً ترغب بالعيش في عالم الأحلام من خلال عملها في المسلسلات القصيرة والبرامج الخاصة بنجمات هوليوود؟ لا، ولكنها كانت تتمنى لو أنها كانت تعمل مثلاً في مسلسل ناجح، كما وأنها كانت تعلم أيضاً أنها أصبحت تتمتّع بقدر كافٍ من الخبرة في الإنتاج السينمائي لكي تقوم بعمل كهذا. غير أنها كانت تعلم من جهة أخرى أنها لن تتمكّن من إقناع ستيفن بأنّ عملاً كهذا جدير بها وبمهاراتها.

"أدريانا؟".

"نعم؟" لقد تركت أفكارها تأخذها بعيداً لوهلة، ولكن لم يكن لديها في الواقع الوقت لذلك، ليس اليوم على الأقلّ. كما وأنه كان من الواضح أنها لن تتمكّن من تناول العشاء مع زوجها الليلة. فطلبت من أحدهم أن يتصل به ويعلمه بالأمر، ثمّ استدارت نحو مساعدتها التي كانت تتوسّل إليها لكي تركّز معها بعض الشيء. فقد كانت معدّاتهم كلّها قد غمرتها المياه من جرّاء الطوفان، وكانوا بالتالي مضطرّين لاستخدام استديو آخر، ولكنّ كلّ شيء كان جاهزاً لذلك، ولم يكن هناك بالتالي من داعٍ للهلع والارتباك.

ها قد أصبحت الساعة الرابعة وهي لم تتناول بعد طعام الغداء، ثمّ تخطّت الساعة السادسة مساء قبل أن تفكّر بالاتصال بستيفن. ولكنها كانت تعلم أنه قد يكون حتماً غادر العمل الآن وذهب ليلعب الإسكواش مع أصدقائه. وهو من جهته كان يعلم أنها ستتأخّر في عملها في جميع الأحوال. وفيما كانت تتهيّأ

لليلة طويلة من العمل، غمرها فجأة شعور غريب بالوحدة. إنه مساء الجمعة، والجميع يتنزهون أو يجلسون في منازلهم أو مع أصدقائهم أو يتهيئون للخروج مع حبيب أو منطوون على نفسهم مع كتاب جيّد فحسب، في حين كانت هي في عملها تصغي إلى تقارير الشرطة حول الجرائم المحليّة والحوادث المميتة وتقرأ برقيّات كانت قد بلغتها حول المآسي في العالم كلّه. فبدا لها الأمر طريقة حزينة تمضي فيها ليلة الجمعة، غير أنها استدركت بعد ذلك سخافة شعورها هذا.

ابتسمت لها زيلدا، وهي واحدة من مساعدي الإنتاج، وقالت 'تبدين الليلة في غاية الكآبة والحزن'. وكانت قد أحضرت لأدريانا فنجاناً من القهوة. لقد كانت هذه الأخيرة من المفضّلين لدى أدريانا إذ أنها كانت دائماً مرحة، كما وأنها كانت ذات شخصيّة مميّزة. وهي كانت أكبر من أدريانا سنّاً ومطلّقة منذ فترة غير بعيدة، هذا إضافة إلى تمتعها بروح من الاستقلاليّة والفكاهة. أمّا شعرها الأحمر الساطع فكان يتصاعد من رأسها كألسنة متّقدة من النار.

'أظنّ أنني متعبة فحسب. إنّ هذا المكان يؤثّر أحياناً على نفسيتي'.

ابتسمت زيلدا وقالت 'لكننا نعلم على الأقلّ أنك لا تزالين تتمتّعين بكافة قواك العقليّة'. لقد كانت امرأةً جميلة وكانت أدريانا تعتقد أنها في العقد الرابع من عمرها.

'ألم يساورك قطّ شعور كهذا من قبل؟ يا إلهي كم أنّ الأخبار محبطة'.

'أنا لا أصغي إليها أبداً'. وهزّت كتفيها استهجاناً.

'وفي معظم الأوقات، عندما أخرج من هنا ليلاً أقصد مباشرة أحد النوادي الليليّة للرقص'.

'أظنّك تفعلين عين الصواب'. ففي معظم الأحيان، عندما كانت أدريانا تعود إلى المنزل ليلاً كانت تجد ستيفن غارقاً في سبات عميق. ولكنهما كانا يتناولان فطورهما معاً عند الصباح، كما وأنهما كانا يستفيدان من بعضهما

البعض في عُطل نهاية الأسبوع.

استمرت أدريانا تعمل على أوراقها وتقاريرها طيلة الساعات الأربع التالية، ثمّ تفحّصت الاستديو قبل النشرة الإخباريّة الليلية الأخيرة، وزارت مواقع المصادر الإخبارية الموثوقة، وقرأت كل القصص المثيرة للاهتمام. في الحقيقة كانت تلك الأمسية هادئة وجميلة، وكانت أدريانا تنتظر بفارغ الصبر عودتها إلى المنزل للقاء ستيفن. كانت تعلم أنه يتناول العشاء خارجاً مع بعض أصدقائه، غير أنها كانت واثقة من أنها ستجده في المنزل عند عودتها من العمل. فهو نادراً ما كان ليتأخّر خارج المنزل، إلاّ إذا كانت هناك مصلحة أو فائدة ما في تأخيره هذا، كأن يكون لديه مثلاً عمل هامّ مع أحد زبائنه.

مضت النشرة الإخبارية الليلية الأخيرة بخير وسلامة، وعند الساعة الحادية عشرة والنصف كانت في طريقها نحو المنزل على طريق سانتا مونيكا السريع. فدخلت المنزل عند منتصف الليل إلاّ خمس دقائق تحديداً، وكان النور في غرفة النوم لا يزال مضاءً. فخفق قلبها فرحاً وهي تصعد السلم درجتيْن درجتيْن، ثمّ ضحكت عندما رأته. كان ستيفن غارقاً كالعادة في سبات عميقٍ عند جهته من السرير فاتحاً ذراعيه كالفتى الصغير ومسترخياً بعد يوم شاقّ أمضاه في العمل ومن ثمّ في الإسكواش فحفلة العشاء. لقد كان نومه عميقاً بحيث أنه ما كان ليستيقظ مهما علت الخشخشة والضجّة في الغرفة.

'حسناً، يا أميري'، همست أدريانا مبتسمةً وهي تجلس إلى جانبه وقد ارتدت قميص نومها. قبّلته بلطف على وجنته، غير أنه لم يتحرك ولا حتى حركة ضئيلة وهي تطفئ الضوء وتتقوقع وتنام عند جانبها من السرير. وفيما كانت ممدّدةً هناك، فكّرت بأنها قد تأخرت مرّة أخرى، ولكنها كانت تعلم أنّ هذا ليس بآخر الدنيا.

الفصل 4

عندما استيقظت أدريانا عند الساعة التاسعة والربع صباحاً، كانت رائحة اللحم تتصاعد من الأسفل، كما وقد كانت تتناهى إلى مسمعها الضجة التي كان يحدثها زوجها في المطبخ. فابتسمت سعيدة وهي تتقلّب في السرير. لقد كانت تحبّ أيّام السبت، تحبّ أن يكون معها، تحبّ عندما يُحضر لها الفطور إلى السرير ويجامعها بعد ذلك.

كانت تسمع خطواته وهو يصعد السلم إليها مدندناً مع الستيريو في الأسفل موسيقى بروس سبرينغستين، طرق الصينيّة بالباب وهو يدخل الغرفة.

'استيقظي يا كسولة'. قال ذلك مبتسماً ووضع الصينيّة بجانبها فيما تمططت مبتسمة. لقد كان فعلاً مثالاً للرجولة، والوسامة، والشباب. فقد كان شعره لا يزال مبلّلاً، كان قد استحمّ قبل أن تستيقظ، وارتدى ثياب كرة المضرب البيضاء النضرة التي كانت تبرز ساقيه الطويلتين الممشوقتين والمسمرتين من الشمس. أمّا كتفاه فقد كانا يبدوان من حيث كانت ممدّدة ضخمين هائلين.

'أتعلم، أنت فعلاً جذّاب بالنسبة إلى رجل يمكنه أن يطهو'. قالت له ذلك مبتسمةً ومتّكئةً على أحد مرفقيها.

'وأنت أيضاً، يا كسولة'. وجلس بالقرب منها على السرير فابتسمت له.

'كان ينبغي عليك أن ترى نفسك وأنت غارق في سباتك العميق ليلة أمس'.

'لقد كان نهاري شاقاً، وقد شعرت بالإرهاق بعد أن لعبت الإسكواش'.

قد بدا مرتبكاً بعض الشيء، ولكنه عوّض لها عن البارحة بقبلة وضعها على شفتيها فيما كانت تتناول قطعةً من اللحم.

ثمّ سألته 'هل ستلعب كرة المضرب اليوم؟' كانت تعرفه جيّداً. فقد كان مولعاً بالرياضات التنافسيّة، لا سيّما الإسكواش وكرة المضرب.

'أجل. إنما ليس حتى الساعة الحادية عشرة والنصف'. وألقى نظرة سريعة على ساعته فابتسمت له مجدداً، ولكنها وقبل أن تتمكّن من قول أيّ شيء كان قد خلع عنه ملابس الرياضة وتسلّل إلى السرير بقربها.

'وما الذي يجري الآن، سيّد تاونسيند؟ ألن يؤثر هذا سلباً على أدائك في مباراة كرة المضرب؟' فهي كانت تحبّ أن تسخر من جدّيّته في كلّ ما يتعلّق بكرة المضرب.

'ربّما'. لقد بدا شارداً فضحكت مجدداً، ثمّ استدار بعد ذلك نحوها بابتسامته المثيرة.

'ولكنك تستحقّين ذلك'.

'ربّما؟ ربّما؟... كم أنت واثق من نفسك حقاً!'. ولكنّه أسكتها بقبلة، وما هي إلاّ دقائق معدودة حتى كانا قد نسيا أمر كرة المضرب. وبعد نصف ساعة من الوقت، كانت تنام سعيدة بين ذراعيه فيما كان هو يداعب بلطف شعرها الأسود المنسدل على وجنتها. 'أنا شخصيّاً... أفضّل أن أفعل هذا على أن ألعب كرة المضرب...' ثمّ فتحت إحدى عينيها وقبّلته.

'وأنا أيضاً'. تمطط ببلادة، وبعد مرور ساعة من الوقت لم يعد يشعر برغبة في النهوض من السرير والاستحمام من جديد قبل أن يذهب ويلعب كرة المضرب مع رجل كان يقيم معهما في المجمّع نفسه ولم يكن ستيفن يعرف عنه شيئاً سوى اسمه، وهو هارفي.

'هل ستعود إلى المنزل عند الغداء؟' سألته فأجابها صائحاً بأنه سيُعِد لنفسه سلطة يتناولها عند عودته، كما وقد عاد وذكّرها بضرورة الذهاب إلى حفلة آل جيمس عند الساعة السابعة مساءً. ولكن هذا سيجعل وقتها محشوراً

للغاية، إذ كانوا قد أبلغوها بالأمس أنها ستعمل على النشرة الإخبارية المسائية، كما وسوف ينبغي عليها أن تعود إلى العمل مجدداً بغية التحضير لبرنامج السهرة؛ ممّا يعني أنها ستضطرّ إلى ارتداء ثياب السهرة قبل أن تذهب إلى عملها، ثمّ ستسرع وتعود إلى المنزل حيث سيكون ستيفن بانتظارها لكي يذهبا معاً إلى الحفلة، أو أنها حتى قد توافيه هناك، كما وأنهما سيضطرّان أيضاً إلى مغادرة الحفلة في ساعة مبكرة بعض الشيء، لكي يتسنّى لها بالتالي العودة إلى عملها. ولكنها كانت تعلم أنّ الحفلة ضرورية بالنسبة إليه، وقد قرّرت بالتالي أن ترافقه إليها مهما كلّفها الأمر من توتّر وعناء. فهي كانت دائماً تحاول ألاّ تخذله وألاّ تدع عملها يقتحم حياتهما المنزليّة، على عكسه فهو كان يمضي معظم أوقاته في السفر؛ ولكنّ هذا كان يخوّلها أن تتأخّر هي أيضاً في عملها عندما تضطر لذلك طبعاً.

عاد ستيفن إلى المنزل عند الساعة الثانية بعد الظهر وكان يتصبّب عرقاً فخوراً بفوزه بالمباراة. فقد هزم هارفي بسهولة. "إنه سمين ولا يتمتّع بجنس الرشاقة البدنيّة، لقد اعترف لي بعد الشوط الثاني من المباراة أنه لم يقلع قطّ عن التدخين. لحسن الحظّ أنّ هذا الأبله المسكين لم يصب بنوبة قلبيّة على الملعب".

"أرجو أن تكون قد تساهلت معه في اللعب"، قالت أدريانا من المطبخ حيث كانت قد حضرت له للتوّ الليموناضة. ولكنهما كانا يعلمان أنه لم يفعل.

"لم يكن ليستحقّ ذلك. إنه حقّاً غبيّ". كانت أدريانا قد هيّأت له سلطته فوضعتها أمامه، ثمّ قالت إنه ينبغي عليها أن تذهب إلى العمل قبل أن يخرجا إلى حفلتهما الليلة. غير أنه لم يبدِ أيّ اعتراض أو انزعاج حيال ذلك، كما وأنه لم يبدِ أيّ معارضة أيضاً حتى عندما قالت له إنها ستضطرّ بعد الحفلة إلى العودة إلى العمل مجدداً بغية التحضير لبرنامج السهرة. "لا بأس. يمكنني أن أعود إلى المنزل مع أحدهم. وأنت يمكنك أن تأخذي سيّارتي".

"يمكنني أيضاً إن أردت أن أعود وآخذك من الحفلة بعد انتهائي من

العمل". قالت له ذلك وهي تنظر إليه نظرة اعتذار وتبرير. "آسفة حقاً، فلو لم يكن هناك موظفون غائبون ولو لم يكن المنتج مريضاً لكنت...".

"لا بأس. طالما أنك لن تتأخري".

نظرت إليه وعلامات الاستفهام تملأ عينيها، ثمّ وبعد أن انتهى من تناول سلطته، سألته. "لماذا هذه الحفلة مهمّة بالنسبة لك إلى هذا الحدّ، يا حبّي؟ أثمّة أمر هامّ يحدث وأنا لا أعلم به؟" وكانت ربّما تقصد في كلامها هذا ترقية أخرى مهمّة.

فبدا غامضاً لوهلة ثمّ أجابها مبتسماً. "في حال سارت الأمور كلّها على ما يرام الليلة فقد أفوز بشركة إيمفاك، أو على الأقلّ بجزء منها. لقد بلغتني الأسبوع الماضي معلومات من الداخل تفيد بأنهم غير ممنونين من وكالة الإعلانات التي يتعاملون معها حاليّاً، وأنهم يبحثون سرّاً عن وكالة أخرى. لذا فقد اتصلت بهم، وقد بدا مايك جدّ متحمّس للفكرة، حتى إنه طلب مني أن أسافر الإثنين إلى شيكاغو لرؤيتهم".

"يا إلهي! إنها شركة كبيرة". لقد كان الأمر مثيراً للاهتمام حتى بالنسبة إليها. في الواقع، لقد كانت إيمفاك إحدى أكبر الشركات المعلنة في البلاد.

"صحيح. فقد أغيب عن المنزل طيلة الأسبوع، ولكنني واثق من أنك ترين مثلي أن الأمر يستحق العناء".

"أجل، بالتأكيد". ثمّ جلست على كرسيّها ونظرت إليه. لقد كان فعلاً رجلاً استثنائيّاً وفريداً من نوعه؛ فهو الآن في الرابعة والثلاثين من عمره، وهو لم يكن ينوي البتّه التوقّف عن السعي والنضال في عمله إلى أن يبلغ أهدافه. ولكنّ الجميع كان يجد نفسه مجبراً على تقديره وإبداء الإعجاب به، خصوصاً عندما نعود وننظر إلى الوراء، إلى البيئة التي أتى منها. وهي لطالما حاولت أن تشرح هذه النقطة لوالديها، غير أنهما كانا يبدوان وكأنهما قد عقدا العزم على تجاهل كلّ حسناته. وكل ما كانا بالتالي ليفعلانه هو التركيز على الناحية السيئة والسلبيّة لطموحاته، وكأنها كانت جريمة بالنسبة لهما أن يطمح الإنسان

إلى النجاح أو إلى التقدّم في الحياة. غير أنها لم توافقهما الرأي في ذلك. فله الحق أن يحقّق أهدافه، أليس كذلك؟ وعلاوةً على ذلك، فهو كان بحاجة ماسّة إلى الفوز والنجاح. حتى إنها كانت في بعض الأحيان تشعر بالأسف حياله، إذ أنّ هذه الحاجة لطالما كانت ملحّة عنده وماسّة بحيث، كان يتألّم فعلاً لدى أيّ خسارة يواجهها، حتى في كرة المضرب.

لعب ستيفن كرة المضرب مرّةً أخرى هذا اليوم، بعد الظهر، وهو كان يلعب عندما غادرت أدريانا المنزل إلى العمل، ولكنها وعدته بأن تعود وتقلّه إلى الحفلة عند الساعة السابعة تماماً. ولدى عودتها، كان بانتظارها، وقد كان وسيماً بسترته الجديدة الفضفاضة وبنطلونه الأبيض الفضفاض وربطة العنق الحمراء التي كانت قد اشترتها له. كان يبدو رائعاً وقد قالت له ذلك، كما وقد قال لها هو أيضاً إنها تبدو جميلة. فقد كانت ترتدي بذلة حريريّةً خضراء بلون الزمرّد وحذاءً من اللون نفسه، كما وكانت قد غسلت شعرها للتوّ فكان هذا الأخير يسطع كالعقيق اليماني المصقول. ولكنها لاحظت أثناء صعودها في البورش أنه كان متوتّراً وشارداً. وكان من السهل عليها تفهّمه، خصوصاً وأنّ شركة بحجم إيمفاك على الخط.

وفيما كانا في طريقهما نحو بفرلي هيلز، كانت تتحدث معه بهدوء حول أمور سخيفة، ولكنها قد اندهشت حقّاً عندما رأت المنزل. فقد كان مايك جيمس، مدير ستيفن، في حين كانت زوجته من أهمّ مهندسي الديكور في بفرلي هيلز. وكانت هذه الحفلة قد أقيمت في الواقع لمناسبة انتقال هذين الأخيرين إلى منزلهما الجديد هذا، وهي كانت تسمع منذ أشهر عديدة عن الترميمات التي كانت قد كلّفتهما ملايين الدولارات. غير أنّ النتائج كانت مذهلة على أيّ حال، وقد كان في المنزل لدى وصولهما حوالى مئتيْ شخص على الأقلّ. وما أن دخلا الحفلة حتى غاب ستيفن عن نظر أدريانا التي سرعان ما وجدت نفسها تتجوّل تائهةً عند إحدى البوفيهات العديدة، حيث كانت تسترق السمع إلى أطراف الحديث التي كان يتبادلها المدعوّون في ما بينهم.

لقد كانوا يتحدثون على أولادهم، وزيجاتهم، وأشغالهم، وأسفارهم، ومنازلهم.

غير أنّ العديد منهم توقّف وتحدّث إلى أدريانا، ولكنها لم تكن تعرف أحداً هناك، لذا بقيت هادئة في عزلتها ولم تختلط بالتالي مع أيّ من المجموعات التي كانت في الحفلة. وعلاوةً على ذلك، فقد لاحظت أكثر من مرّة أنّ الناس، عندما يعرفون أنها متزوّجة كانوا يسألونها إن كان لديها أولاد، وبالتالي فقد كانت تشعر أحياناً بتحفّظ غريب عندما كانت تجيبهم بأن لا أولاد لديها، وكأنّ عدم إنجاب الأولاد نوع من الفشل، حتى ولو كانت لا تزال في الحادية والثلاثين من عمرها وكانت تشغل وظيفة مهمّة. فالنساء اللواتي لديهنّ أولاد كنّ يبدين فخورات بأنفسهنّ، لذا سألت أدريانا نفسها إن كانت وستيفن قد أغفلا شيئاً عندما قرّرا عدم الإنجاب في حياتهما. فلم يكن قرارهما هذا منزلاً بالطبع، وقد كان بالتالي من الممكن تغييره، ولكنّها كانت تعلم كم أنّ ستيفن كان حازماً في قراره هذا، الأمر الذي كان يجعلها تشعر بشيء من الخوف كلّما تذكّرت أنّ دورتها الشهريّة قد تأخّرت عن ميعادها، وقد بدأ خوفها هذا يزداد يوماً بعد يوم.

فكانت قد فكّرت بعد ظهر اليوم بشراء الفاحص الذي يخوّلها إجراء فحص الحمل المنزلي، لكن الأمر بدا لها سابقاً لأوانه، وبالتالي فلم يكن هناك من داعٍ لتعظيم الأمور فقط لأن دورتها الشهريّة قد تأخّرت عليها بضعة أيّام... ولكن ماذا لو كانت حاملاً؟ كانت تقف وحدها تحدّق إلى المنظر الخلاّب الذي يمتدّ أمام ناظريها، عندما توقّف رجل ليتحدّث إليها مقدّماً لها كوباً من الشراب، غير أنها لم تشعر فعلاً برغبة في التحدّث إليه. وبعد أن غادر، وجدت نفسها فجأة أسيرة الأفكار التي جالت مجدّداً في خاطرها. فما الذي سيحدث إن كانت فعلاً حاملاً؟ وماذا ستقول لستيفن؟ وما الذي قد يفعله هذا الأخير؟ هل سيكون الأمر فظيعاً إلى هذا الحدّ؟ أم أنه على العكس سيكون رائعاً؟ أيمكن أن يكون ستيفن مخطئاً في موقفه العنيف والمتطرّف هذا حيال

الأولاد؟ وهل ستبعده الفكرة في النهاية؟... وماذا عنها هي؟ هل سيؤثّر ذلك على عملها؟ هل ستتوقّف عن العمل نهائيّاً، أم أنها قد تعود وتستأنف حياتها المهنيّة بعد إجازة الولادة؟ هذا ما تفعله العديد من النساء في الواقع. لم يكن الأمر بمثابة نهاية العالم بالنسبة إلى الآخرين. فهم ينجبون الأطفال ويعملون. فليس الأمر بكارثة إذاً، أم أنّني مخطئة؟ لم تكن واثقة من آرائها هذه. وفيما كانت لا تزال تفكّر بالأمر، ظهر ستيفن فجأة إلى جانبها.

"تمّت". قال لها ذلك وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على فمه.

"الصفقة؟" نظرت إليه مذهولة. كانت أفكارها قد أخذتها بعيداً بحيث أنها أُجفلت عندما ظهر فجأةً إلى جانبها، خوفاً منها أن يكون قد قرأ أفكارها أو حزر بما كانت تفكّر.

"كلاّ، لم تتمّ الصفقة بعد، ولكنّ مايك يريدني أن أسافر معه إلى شيكاغو الإثنين. فسوف نجتمع معهم هناك بهدوء، ونناقش فلسفاتنا كما وفلسفاتهم أيضاً. وفي حال سارت الأمور كلّها على ما يرام، وهذا ما سوف يحدث إن شاء الله، سوف أعود وأسافر بمفردي الأسبوع الذي يليه لأقدّم لهم عرضي بالكامل".

"واو، كم هذا رائع يا ستيفن!" وقد بدا وكأنّه هو أيضاً يفكّر بالأمر نفسه عندما قبّلته. وكانت ضحكته لا تزال تصل إلى أذنيه عندما رافقها إلى السيارة لكي تغادر إلى عملها، وهناك قال لها إنّ أحداً سيقلّه في ما بعد إلى المنزل طالباً منها ألاّ تزعج نفسها وتعود بعد عملها إلى الحفلة لتأخذه، لأنه لا يظنّ أنه سيظلّ هنا طويلاً. وفيما انطلقت إلى عملها، استدار عائداً إلى الداخل ليرى مضيفه مجدّداً. فلقد كانت هذه السهرة رائعة بالنسبة له.

غير أن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة إلى أدريانا، وفجأة كلّ ما كانت لتفكّر فيه، على الرغم من فرصة عمر ستيفن المعجزة، هو إن كانت حاملاً أم لا. لقد ظلّت هذه الفكرة تقلقها طيلة النشرة الإخباريّة المسائيّة وهي في طريق عودتها إلى المنزل أيضاً، الأمر الذي جعلها فجأة تعود أدراجها وتقرّر أن

تتوقّف عند إحدى الصيدليات الكبرى التي تفتح طوال الليل. ليس من الضروري أن يعرف ستيفن شيئاً عن الموضوع. ولم تكن مضطرّة لأن تخبره شيئاً. ولكنها أصبحت تريد فجأة أن تعرف... وإن ليس الليلة... فقريباً جدّاً. فهي إن اشترت الفاحص الآن، يمكنها بالتالي أن تجري الفحص في أيّ وقت لاحق عندما تشعر بالقوّة والشجاعة الكافيتين لذلك. حتى إنه بإمكانها أن تجريه أيضاً بينما يكون ستيفن في شيكاغو.

اشترت الفاحص وطلبت من الصيدليّ أن يضعه لها في كيس ورقيّ بنيّ أقحمته جيّداً داخل حقيبتها، ثمّ عادت إلى البورش واتجهت نحو شقتهما.

وعند عودتها، كان ستيفن في المنزل مستلقياً على السرير نصف نائم، غير أنّ السعادة كانت تبدو جليّةً على وجهه وكأنّه في النعيم. فقد كان واثقاً من أنه ذاهب إلى شيكاغو ليحقّق صفقة عمره.

الفصل 5

كان ويليام ثيغبن يجلس في منزله ليلة السبت تلك يحدق في الظلام عبر نافذته، وقد كنا لنرى على وجهه كلّ شيء إلاّ السعادة. فكان قد أمضى بعض الوقت في الكتابة، واشترى طعاماً صينياً تناوله في المنزل ثمّ اتصل بوالديه في نيويورك، وشاهد التلفزيون، لقد كان في الحقيقة يشعر بالوحدة. وكانت الساعة حينذاك الواحدة بعد منتصف الليل، فقرّر أن يجرّب حظّه ويتصل بسيلفيا على غرفتها في لاس فيغاس. فربّما تكون قد عادت في تلك الساعة، وإلاّ وفي أسوأ الحالات، فقد يترك لها رسالة. رنّ الهاتف ورنّ مجدداً، وعندما لم يجب أحد عليه، انتظر بيل الإشارة الصوتيّة لكي يترك لها رسالة، ولكن وإذا برجل يرفع السمّاعة ويرد عليه بصوته الأجشّ وقد كان يبدو نصف نائم. وفيما كان بيل لا يزال ينتظر، سمع الرجل يقول 'نعم؟'.

قال بيل بصوت متردّد، 'أريد أن أترك رسالة للغرفة 402'.

أجابه الرجل وقد بدا منزعجاً، 'ماذا تريد؟ هذه الغرفة 402'.

'يبدو أنني قد اتصلت بالغرفة غير الصحيحة، أنا آسف...' ثمّ سأل نفسه فجأة.

'... تنتظريـــن اتصالاً من أحد؟' سأل الصوت الأجشّ أحدهم. فسمعهما يســكتان بعضــهما البعض ثمّ التقط أحدهم السماعة، وإذا بسيلفيا على الهاتف وكانــت تــبدو شديدة التوتّر. كان يفترض بها أن تكون أكثر ذكاءً وألاّ تجيب علــى الهاتف، غير أنها لم تفكّر في ذلك وكانت تعلم أن المتصل قد يكون بيل من لوس أنجلوس.

'مرحباً... لقد حدث خطأ فظيع'، شرعت تشرح لبيل فيما كاد هذا الأخير

يضـــحك على سخافة الموقف. 'لقد نسوا أن يحجزوا نصف الغرف، واضطرّ بالتالـــي أربعة منّا أن يتشاركوا الغرف'. أمر جميل حقّاً. لقد كانت هذه القصّة مناســبة لمسلسله التلفزيوني، وقد كان يشعر وسط هذا كلّه وكأنه يشاهد حياة شخص آخر عوضاً عن حياته.

'هذا مضحك فعلاً يا سيلفيا...، قولي لي بربّك ما الذي يجري؟' كان يبدو كالعاشق الغاضب، ولكنّ الغريب في الأمر أنه لم يكن كذلك في الواقع. فقد كان يشعر أنه أحمق وأنها قد سخرت منه، ولكنه في الواقع لم يكن حتى غاضباً. فكل ما كان يشعر به هو غباءه وخيبة أمله. فكانا قد أمضيا معاً وقتاً ممتعاً، ولكنه أصبح من الواضح الآن أنّ كلّ شيء قد انتهى بينهما.

'أنا... أنا آسفة حقّاً بيل، ... لا يمكنني أن أشرح لك الأمر الآن. ولكنّ كل شيء قد تلخبط هنا... أنا...' لقد كانت تبكي وقد شعر بالتالي أنه من الجنون أن يستمرّ في الإصغاء إليها. لقد أمسك بها بالجرم المشهود، وهو بالتالي مَن كان يريد أن يعتذر منها على غبائه.

'لمَ لا نتحدّث بالأمر عند عودتك؟'.

'هل ستطردني من المسلسل؟' لقد شعر بالأسف عليها وهو يصغي. فهو لم يكن من هذا النوع من الرجال، وقد كان يؤلمه أنها لا تعرف ذلك بعد.

'لا علاقة لهذا بالمسلسل يا سيلفيا. هذان أمران مختلفان تماماً، وبالتالي فلا علاقة لأحدهما بالآخر على الإطلاق'.

'حسناً... أنا آسفة... سأعود الأحد مساءً'.

'استمتعي بوقتك'. قال بصوت خافت وأغلق السمّاعة. لقد انتهى كلّ شيء بينهما. لم يكن يجب أن يبدأ أيّ شيء بينهما أصلاً، ولكن هذا قد حصل لأنه كسول ولأنها كانت مناسبة وجذّابة إلى حدّ الإثارة. فهي في الواقع قد جذبته إليها بإثارتها تلك، وها هي الآن تجذب شخصاً آخر. ثمّ وجد بيل نفسه لوهلة يتمنّى أن يسعدها ذلك الرجل ذي الصوت الأجشّ أكثر ممّا أسعدها هو.

فهو لم يكن لديه الكثير ليقدمه للمرأة في حياته. فوقته كان ضيقاً لكي يتمكّن من تمضية أوقات طويلة معها، وبالتالي فلم يعد يريد لا أن يتأذّى ولا أن يعرّض نفسه لنوع الألم الذي تألّمه عندما خسر ليسلي وولديه. ولطالما كانت هذه التسويات سهلة، ولكنها غالباً ما كانت تنتهي بهذه الطريقة أو بطريقة أخرى مشابهة. وكان قد أدرك منذ فترة أنها كانت تريد شيئاً لم يكن باستطاعته أن يقدّمه لها، كالوقت، والتفاني التامّ، أو حتى ربّما الحبّ. إنما كلّ ما كان لديه ليقدمه لها هو طيبته وبعض التسلية.

فكّـر بهـا لفترة وهو ينظر إلى الخارج، إلى السماء المظلمة، ثمّ شرب نخـبها وخلـد للنوم مفكراً بحياته. شعر فجأة بالوحدة والحزن كون الأمور قد انتهت بينهما بهذه الطريقة، بمجرّد اتصال هاتفيّ منه إلى لاس فيغاس.

ظـلّ مـستمدداً ويقظاً لوقت طويل تلك الليلة، إذ فكر بكل النساء اللواتي عرفهـنّ فـي حياته مؤخراً، كم أنهنّ لم يعنينّ له إلاّ القليل، وكم كنّ جميعهنّ غير ملتزمات في علاقتهنّ معه، وكم عرضيّة كانت حياتهم الجنسيّة، وفيما بدأ يشـعر بالنعاس، وجد نفسه فجأة، ولأول مرّة منذ سنوات عديدة، يفكّر بشوق وحنين بليسلي وبنوع العلاقة التي جمعت بينهما في أحد الأيام. فقد بدا له الأمر كـأن زمناً طويلاً مضى عليه، وهذا ما كان فعلاً. فكّر إن كان من الممكن أن يعـيش مرّة أخرى علاقة مماثلة لتلك التي عاشها مع ليسلي، غير أنه ظنّ أن المرء لا يعيش هكذا علاقة إلاّ مرّة واحدة في حياته عندما يكون شاباً، وقد لا يعود ويحصل على فرصة ثانية أبداً في حياته. ثمّ شعر أخيراً بالنعاس، ولكنه فكّـر حيـنها، لا بسيلفيا ولا بزوجته السابقة... إنما بولديْه آدم وطومي. ففي النهاية، كانا هما الوحيدان اللذان يهمّانه في الحياة.

الفصل 6

مضـــى يوم الأحد بسرعة البرق في زحمة التحضير لرحلة ستيفن، فقد حفـلَ بمباريات كرة المضرب، ولم يتسنَ لأدريانا أبداً أن تلمس حتى الفاحص الـذي خبئـته فـي حقيبة يدها. قامت بغسل وكي ثيابه، وحضّرت الغداء له ولأصدقائه الثلاثة الذين لعب معهم مباراة الزوجي، وبالكاد تحدثت معه، ولكن لـم يبْدُ عليه أنه لاحظ ذلك. وفي تلك الليلة ذهبا لحضور فيلم سينمائي. بالكاد سـمعت شـيئاً من الفيلم، وكل ما كانت تفكر به وقد جلسا في الظلام يقرأان تـرجمة الفيلم السويدي، هو فيما إذا كانت حاملاً أم لا. كاد هذا التفكير يُفقدها صوابها، وقد صار لديها هوس به، ومع ذلك فقد كانت تشعر أنه لم يفت الأوان بعـد. ولكن، ولسبب ما، تملّكها هاجس غريب. لم تشعر بتوعك ولم تشعر أن جسـدها قد تغير فيه شيء ما عدا بعض العوارض العادية التي كانت تصيبها عـند اقتراب دور الطمث عندها. كان ثدياها قد تضخما قليلاً، وجسدها صار أكثر انتفاخاً، وصارت تذهب إلى الحمّام أكثر من المعتاد، ولكن لم يكن أي من ذلـك ليدل على تغير كبير. ومع ذلك فقد كان كل ما ترغب به هو أن يسافر ستيفن. لقد أرادت أن يكون خارج الولاية حتى تستطيع أن تعرف حقيقة الأمر دون جلـبة أو اضـطراب. كان عليها أن تعرف، ولكنها كانت متأكدة أنها إذا أجـرت الاختبار وهو في الجوار، فإنه سيعرف ما حدث بطريقة أو بأخرى. وحـتى إنهـا لم تجرؤ على القيام بذلك بعد أن غادر إلى المطار يوم الإثنين. فـماذا لـو عاد؟... أو نسي شيئاً ما... عندها ستكون في الحمّام ومعها أنبوب اختبار مليء بسائل أزرق فاتح في حال كانت حامل.

كانـت تعجـز عن تصديق أن هذا قد يحدث معها، فقد كانا حذرين جداً

على الدوام، ولكن حدث مرة... مرة واحدة فقط... قبل ثلاثة أسابيع تقريباً... ثلاثة أسابيع... فكّرت بذلك طوال ذلك النهار وهي في عملها بعد أن رحل ستيفن، وهرعت إلى المنزل بعد أخبار الساعة السادسة، ودخلت إلى البيت، وصعدت السلم، وأخذت الفاحص إلى الحمام. وقامت بكل الخطوات الواجب اتباعها، ثم جلست وهي متوترة الأعصاب، ترقب ساعة المنبه في غرفة نومها، لم تكن حتى لتثق بساعة يدها. إذا ما تحول لون السائل إلى أزرق، فإن هذا يعني... يجب أن تنتظر عشر دقائق... ولكن ما هي إلا ثلاث دقائق حتى انتهت لعبة التخمين.

لقد كان الأمر واضحاً لا تشوبه شائبة، لم تكن بحاجة لتتساءل إذا كان السائل قد تغير لونه، أو ربما يتغير لونه... أو احتمال ذلك... فإذ نظرت إليه وجدته داكناً جداً وساطعاً، وكان جواباً قاطعاً لا ريب فيه. وقفت دون حراك ثم جلست على غطاء المرحاض تنظر إلى السائل الأزرق الساطع. لم يكن ثمة مجال للشك فيما رأته، وأدركت أنه ما عاد يهمّ إن كان ستيفن يريد ذلك أم لا، ومهما كانت درجة الحيطة والحذر التي كانا يتخذانها، أو ما تبادلاه من أحاديث عبر السنين. جلست تحدق في الفاحص وتفكر، وقد تفجرت الدموع من عينيها وأبت أن تسقط على خدها، إن الأمر مؤكد لا مجال للشك فيه. فقد كانت حامل.

السؤال الهام الذي كان يدور في ذهنها هو ما سيقوله ستيفن. لقد كانت متيقنة أنه سيحدث جلبة، ويا لها من جلبة كبيرة، وكم سيكون جنياً، وكم سيعني حقاً ما يقول؟ هل سيعدل عن رأيه في النهاية؟ هل سيتأقلم مع فكرة أن يرزق بولد في نهاية الأمر؟ بالتأكيد هو لم يكن يقصد كل الأشياء المروعة التي قالها خلال السنوات الثلاث الأخيرة. ومن المؤكد أن طفلاً واحداً صغيراً لا يمكن أن يشكل خطراً كبيراً إلى هذا الحدّ. لقد عرفت بالحمل منذ خمس دقائق، وربما أقل، وبدا لها الجنين وكأنه طفل تكوّن، فكّرت فيه ككائن حي، وصلّت كي يسمح لها ستيفن بالاحتفاظ به. لم يكن ليستطيع أن يجبرها على

التخلص منه في نهاية الأمر. ولماذا يريدها أن تفعل ذلك أصلاً؟ إنه رجل عقلاني، وهذا الطفل ابنه. جلست في الحمام وأغلقت عينيها في حين انهمرت دموع الخوف من مقلتيها وسالت على خديها. ماذا ستفعل الآن؟ لقد كانت سعيدة وحزينة في آن معاً، وشعرت بالخوف لا تدري ما تقول لزوجها. لقد كان دائماً يقول لها ممازحاً إنها إذا ما حملت وقررت الاحتفاظ بالجنين سيهجرها. ولكنه لم يكن ليعني ذلك من دون ريب... وماذا لو كان يعني ذلك حقاً؟... ماذا ستفعل؟ فهي لم تكن تريد أن تخسره، بالطبع، ولكن أنى لها أن تتخلى عن الجنين؟

لقد كان أسبوعاً محموماً بالنسبة لها، أمضته في عذابٍ مضنٍ وهي حائرة لا تعلم ما ستقول لستيفن عندما يعود إلى المنزل، وكلما كان يتصل وهو يحمل لها أنباء سارة مثيرة عن لقاءاته مع (إيمفاك)، كانت أدريانا تبدو أكثر فأكثر تشوشاً واضطراباً وبُعداً وانذهالاً، إلى أن سألها عما بها، وذلك ليلة الخميس. فبالكاد كانت تستطيع أن تركّز أو تعقل الأمور وكان متأكداً أنها لم تسمع أي كلمة مما قال. أنهى اجتماعاته بنجاح وكان سيعود إلى لوس أنجلوس في اليوم التالي، ولكنه كان سيغادر إلى شيكاغو الثلاثاء القادم.

'أدريانا! ألنت على ما يرام؟'.

'لماذا؟' وتوقف كل شيء بعد أن قالت كلمتها. ماذا كان يقصد؟ هل عرف بالأمر؟ ولكن أنى له ذلك؟

'لا أدري. لقد كنتِ تبدين مضحكة طوال الأسبوع. هل أنت على ما يرام؟'.

'أنا بخير... لا... في الواقع، كنت أعاني من صداع رهيب. أعتقد أن ذلك بسبب الإجهاد والإنهاك... من العمل...'. وفي الواقع لقد شعرت بالغثيان مرة أو مرتين، أو اعتقدت أنها تتخيل ذلك. ولكن الحمل لم يكن من نسج الخيال. وكانت على ثقة من ذلك. بل لقد أجرت الاختبار مرة أخرى، لكي تكون متأكدة بشكل كامل.

غشيت الدموع عينيها وهي تصغي إليه. لقد كانت تريد لو يأتي إلى المنزل الآن، لكي تستطيع أن تخبره. لقد كانت تود أن تصارحه بكل الموضوع، لكي تكون صادقة معه عساه أن يقول لها إن كل شيء سيسير على ما يرام، وأن بمقدورها أن تستريح وأن تنجب الطفل... الطفل... يا له من أمر مذهل... فخلال أيام معدودة، انقلبت كل حياتها، وصار جلّ ما تفكر فيه هو هذا الطفل. لقد كانت دائماً على قناعة كاملة ورضى بأن تتخلى عن احتمال إنجابها للأولاد، وذلك من أجله، ولكنها غدت الآن فجأة على استعداد لأن تقلب حياتها كلها رأساً على عقب من أجل طفل لا يزال بداية جنين. لقد كانت على استعداد لأن تغير شقتهما، وأسلوب حياتهما، ووظيفتها إن اقتضى الأمر، وأن تتخلى عن عرينها، ولياليهما الهادئة، ووجودهما الحرّ المستقل. وبينما هي تفكر هكذا كانت لا تزال خائفة إلى حد القنوط من فكرة الأمومة حتى كانت تقصد الأمر بطريقة خرقاء، ورغم كل ذلك كانت تدرك أن عليها أن تحاول ذلك.

لقد كانت تريد أن تذهب إلى المطار لتلقاه عند وصوله ليلة الجمعة، ولكن توجب عليها أن تعمل حتى وقت متأخر، فآثرت أن تراه عندما تعود إلى الشقة. كان يفض الحقائب ويشاهد التلفزيون وقد شغّل الستيريو، وعاد المكان برمته إلى الحياة من جديد مع عودة ستيفن إلى المنزل من شيكاغو. لقد كان يدندن لنفسه عندما خطت داخلة وابتسم لدى رؤيتها.

"مرحباً... أين كنتِ؟".

"في العمل، كالمعتاد". وابتسمت ابتسامة عريضة بعصبية، ودنت منه في تؤدة، ولكن عندما أحاطها بذراعيه عانقته بقوة وكأنها ستغرق إذا ما أفلتت منه لثانية.

"ما الخطب... يا حبيبتي؟ لقد أدرك أن شيئاً ما كان على غير ما يرام طوال الأسبوع، ولكنه لم يستطع أن يعرف بالضبط ما هو. والآن بدت له على ما يرام، ثم فجأة، وقد انتابه شعور بالفزع، تساءل إذا ما كانت قد فُصلت من

العمل وتشعر بالحرج أن تقول له. ولربما كانت تخشى أن تقول له ذلك لأن عمله يسير على أكمل وجه. وكان يعرف أن وظيفتها جيدة وسيكون من المؤسف أن تخسر هذه الوظيفة. "هل هو العمل؟... هل...؟ وتوقف عن الكلام عندما رأى النظرة في عينيها. لم يدرِ ما الأمر، ولكنه شعر في الحال أن ثمة أمر خطير قد حدث. فشدها إلى السرير إلى جواره وأحاطها بذراعيه ليقدم لها كل الدعم الذي أمكنه. وإنه لفي حالة تسمح له بذلك الآن، فأمور حياته تسير بشكل حسن وأخبره مايك لتوه أنه سينال ترقية كبيرة إذا ما رست الوكالة عند إيمفاك. ما الأمر؟".

رفعت نظرها إليه وقد امتلأت عيناها بالدموع، وعجزت لوهلة عن التعبير عما في نفسها. لقد كان من المفترض أن تكون هذه أجمل لحظة في حياتهما الزوجية، ولكن نظراً لما كان قد قاله لها خلال السنين الماضية، كانت هذه اللحظة، اللحظة الأكثر رعباً.

"هل طردوك من العمل؟".

ضحكت وبسط دموعها وهي تهز رأسها وتقول: "لا، لسوء الحظ. أحياناً أشعر أن في هذا راحة لي". ولكنه لم يأخذ كلامها على محمل الجد. فقد كان يعلم كم كانت تحب عملها. لقد كانت وظيفةً جيدة وهو يعلم ذلك.

"هل أنت مريضة؟".

هزت رأسها أيضاً ولكن ببطء أكثر هذه المرّة، وأغمضت عيناها بيأس هادئ. "لا، لستُ كذلك...". ثم أخذت نفساً عميقاً سريعاً وهي ترجو أن يتقبل ما ستخبره به. وقالت له: "أنا حامل".

وساد صمت مطبق بدا لا نهاية له أمكنها معه أن تسمع خفقان قلبها بشدة وصوت أنفاسه وقد ضمها إليه. ثم انتزع نفسه بقوة بشكل مفاجئ ووقف ينظر إليها بيأس. "أنت جادة في كلامك، أليس كذلك يا أدريانا؟".

"نعم". لقد كانت تعلم أن هذا الخبر سيكون له وقع الصاعقة عليه. لقد

صدمها هي أيضاً، ولكنه كان خطأ غير مقصود.

"هل كنت تخدعينني؟".

هزت رأسها باكتئاب وقور. "لا لم أفعل. ولكن هذا ما حدث".

"إنــه حظ عاثر". وإذ قال ذلك تفست ملامح وجهه. وعندما نظرت إليه أدريانا شعرت بموجة ذعر تنتابها.

سألها: "هل أنت متأكدة؟".

"من دون ريب".

"هذا خبر سيئ جداً". قال لها في هدوء وقد بدا مغموماً جداً ومتكدراً. "أنا آسف يا أدريانا. إنه حظ سيئ جداً".

"لا أستطيع أن أسميه حظاً تماماً". واستأنفت: "ولكن ليس في يدنا حيلة إزاء ذلك، وأنت تعرف".

أومأ برأسه، وهو يشعر بالأسف عليها وعلى نفسه: "أعتقد أنه عليك أن تدبري أمره الأسبوع المقبل". تجمد الدم في عروقها وهي تنظر إليه. لقد كان الأمر بهذه البساطة بالنسبة له. "تدبري أمره". ولكن لم يكن بعد بنفس هذه البساطة بالنسبة لها. هذا ما كانت تفكر به وهي تحدق في زوجها.

"ما معنى ذلك؟".

"أنتِ تعرفين معنى ذلك. لا يمكننا أن ننجب طفلاً، كرمى لله، وأنت تعلمين ذلك".

"لماذا لا؟ هل هناك شيء لا أعرفه؟ مرض وراثي خطير مثلاً؟ هل نحن نخطط للصعود إلى القمر؟ هل من سبب يمنعنا من إنجاب الأولاد؟".

"نعم، وسبب وجيه أيضاً". لقد بدا قاسي الفؤاد فجأة بينما وقفا قبالة بعضهما في غرفة نومهما. "لقد اتفقنا منذ زمن بعيد على أننا لا نريد أطفالاً. وقد كنت أعتقد أننا نعني ذلك تماماً".

"ولكــن لماذا لا؟ ليس من سبب حقيقي يمنعنا من أن يكون لدينا أطفال".

نظــرت إلــيه متوســلةً. "فلــدى كــل منا وظيفة جيدة. ولدينا حياة مزدهرة. وبمقدورنا اعتماداً على دخلنا أن نعيل طفلاً وبسهولة".

"هل لديك أدنى فكرة عما تكلفه تربية الأطفال؟ التعليم، والثياب، والرعاية الطبية. وليس من الإنصاف أن نأتي بطفل غير مرغوب فيه إلى حياتنا. لا يا أدريانا. ليس هذا صحيحاً". بدا في حالة هلع وذعر، وخاصةً وقد لاحظ أنه لم يستطع أن يقنعها. لقد كانت تعلم كم كان متطرفاً ومغالياً في وجهات نظره بسبب الفقر والفاقة التي عاناها في شبابه، ولكن حياتهما كانت مختلفة كلياً.

"ليس المال كل شيء. فلدينا الوقت والحب ومنزل جميل وكل منا للآخر. ماذا تريد فوق ذلك؟".

"الرغبة في الحصول على الأطفال". قال بهدوء. "وهذه الرغبة لا توجد لــديّ علــى الإطلاق. أنا لا أريد أطفالاً يا أدريانا. ليس لدي رغبة بذلك ولن تكــون. لقــد قلتُ لك ذلك قبل أن نتزوج، وإن انقلبت ضدي الآن، فسوف لن أقف ساكناً حيال ذلك. عليك أن تتخلصي من ذلك...". تردد، ولكن لوهلة فقط ثم استأنف: "... الحمل". لقد رفض أن يقول عنه جنين أو طفل.

"وماذا لو رفضتُ ذلك؟".

"ستكون حماقة منك أن تفعلي ذلك يا أدريانا. فلديك فرصة للنجاح في مهنتك الجيدة، إذا ما ركّزت إمكانياتك العقلية عليها، ولن يكون في مقدورك أن تبرعي في عملك إذا ما كان لديك طفل".

"يمكنني أن آخذ إذن غياب كإجازة أمومة لستة أشهر أعود بعدها إلى العمل. الكثير من النساء تفعلن ذلك".

"نعــم، وفــي نهاية الأمر يتخلين عن وظائفهن، وينجبن طفلين آخرين، ويصبحن ربات منزل، وأخيراً يكرهن أنفسهن وأطفالهن لهذا السبب". لقد كان يعــبّر عن أكبر المخاوف التي كانت تشعر بها، ولكنها كانت لا تزال تعتقد أن

الأمر يستحق العناء والمجازفة بإنجاب الطفل. لم تكن تريد أن تتخلى عن الطفل فقط لأن عدم إنجاب الأطفال هو الأمر السهل. إذا كانا وهما على هذه الحال يخشيان تربية الأطفال فماذا لو أنهما لم يكونا مليونيرين؟ لماذا يجب أن يكون كل شيء على أتم الكمال؟ ولماذا لم يستطع أن يتفهم ما تشعر به؟

'أعتقد أن علينا أن تفكر بالأمر قليلاً قبل أن نقدم على أمر سيئ لا تحمد عقباه فنأسف عليه فيما بعد'. لقد كان لديها صديقات أجرين عملية إجهاض وكرهن أنفسهن على ذلك، وبالمقابل صديقات أخريات لم تشعرن بالندم على ذلك. ولكن ستيفن لم يكن يوافقها الرأي.

'صدقيني يا أدريانا'. لطّف من لهجة صوته قليلاً ودنا خطوة منها. 'سوف لن تندمي على ذلك. عندما تفكرين بالأمر فيما بعد سوف تشعرين بالارتياح. فهذا الشيء قد يشكل تهديداً لزواجنا'. بكلمة (الشيء) كان يعني طفلهما. كان ذلك هو الطفل الذي أحبته خلال الأيام الأربعة التي عرفت فيها بوجوده.

'لسنا مضطرين لأن نجعل منه تهديداً لزواجنا'. وبدأت الدموع تنهمر من عينيها وقد استندت إليه. 'أرجوك يا ستيفن... لا تجعلني أفعل ذلك... أرجوك...'.

'أنا لا أجبرك على فعل شيء'. بدا منزعجاً وقد جال في غرفة نومهما كحيوان محبوس في قفص. لقد شعر بأنه مهدد حتى نقي عظامه، وشعر بخوف مميت. 'كل ما هنالك هو أنني أقول لك إن هذا حظ سيئ أصابنا، وإنه لمن الجنون الاستمرار في ذلك. فحياتنا على المحك. كرمى لله، افعلي ما يجب عليك'.

لماذا تريد أن ترى الأمر على هذا النحو؟ لماذا يهدد طفلٌ حياتنا بهذا الشكل؟ لم تفهم السبب الذي يجعله يأخذ موقفاً متطرفاً بينما لم يكن لديها هي هكذا موقف. لقد كان دائماً يعتبر الأولاد وكأنهم تهديد بغزو يقوم به العدو.

'ليس لديكِ أدنى فكرة عما يمكن أن يفعل الأولاد بحياتك يا أدريانا. أما

أنا فأعرف. لقد رأيتُ ذلك في حياتي شخصياً. لم يكن لدى والدي شيء. لم تقدم لي أمي سوى حذاء وحيد قذر طوال طفولتي. لقد كانت تصنع كل ما أمكنها ثم نستخدمه حتى يصبح مزقاً، أو نتهادى الثياب عن ظهورنا. لم يكن لدينا كتب أو دمى أو ألعاب. لم يكن لدينا ما نملكه، إلا الفقر وبعضنا بعضاً'. شعرت بالأسف لأجله، فلا بد أن حياته كانت مريعة، ولكن لم يكن لذلك أية علاقة بواقع حياتهما الراهنة، وكان يرفض أن يتفهم ذلك نوعاً ما.

'يؤسفني حصول ذلك لك. ولكن ليس بالضرورة أن يعيش أولادنا هكذا. فكل منا يتقاضى راتباً مرتفعاً ولدينا ما يكفينا وطفلنا لأن نعيش حياة أكثر من مريحة'.

'هذا ما تعتقدينه أنتِ. ولكن ماذا عن المدرسة؟ ماذا عن الجامعة؟ هل تعرفين كم تكلف الدراسة في جامعة ستانفورد هذه الأيام؟' ثم قال لها، كمثل طفل محروم بائس: 'ماذا عن رحلتنا إلى أوروبا؟ لن نستطيع أن نقوم بمثل هذه الرحلة بعد. سنضطر للتخلي عن كل شيء. هل أنتِ على استعداد لتفعلي ذلك حقاً؟'.

'لا أدري لماذا تنظر إلى الموضوع بهذه المبالغة والتطرف. وحتى لو اضطررنا للتضحية، يا ستيفن، أفلا يستحق الأمر هذا العناء؟' لم يجبها ولكن عيناه قالتا الكثير. فقد أظهرتا بوضوح أن الأمر غير جدير بالتضحية في نظره. وأردفت تقول: 'وعلى كل حال، إننا لا نتحدث عن التخطيط لإنجاب الأولاد في المستقبل، بل إننا نتحدث عن جنين قد تكوّن لتوّه. فالأمر مختلف جداً'. كان الأمر كذلك بالنسبة لها، ولكنه لم يكن ينظر إلى الأمر على هذا النحو. وقد بدا هذا واضحاً للغاية.

'إننا لا نتحدث عن طفل بل نتحدث عن لا شيء. إنه نطفة صغيرة لامست بيضة بحجم نقطة بالغة في الصغر، وهذه النقطة هي احتمال صغير يؤدي إلى لا شيء. إنه علامة استفهام، احتمال، إمكانية وليس أكثر من ذلك، إنه أمر محتمل لا نريده. هذا كل ما يجب أن تفكري فيه. هذا كل ما عليك أن

تفكري به. كل ما يجب عليك فعله هو أن تذهبي إلى طبيبك وتخبريه أنك لا تريدين الجنين".

"ثم ماذا؟" شعرت بالدم الغاضب يغلي في عروقها وهي تصغي إليه. وأردفت تقول: "ثم ماذا يا ستيفن؟ سيكتفي الطبيب بأن يقول لي 'حسناً يا أدريانا. أنت لا تريدين الطفل. حسناً ليس هناك من مشكلة". وبعدها يضع الجنين في سلة الأشياء الصغيرة غير المرغوب بها، أليس كذلك؟ سوف يسحبه مني بجهاز امتصاص ويكشط رحمي بمبضع ونقتل طفلنا. هذا ما سيفعله يا ستيفن. هذا ما يعنيه كلامك "أخبريه أنك لا تريدين الجنين'. 'ولكنني في الواقع أريده فعلاً، وعليك أن تفكر بذلك أيضاً. فهذا ليس فقط طفلك، إنه طفلي أيضاً، إنه طفلنا، شئت ذلك أم أبيت. وسوف لن أتخلص منه لمجرد أنك تطلب ذلك مني'. وبدأت تنشج بالبكاء وهي تتحدث إليه ولكن ستيفن تصرف وكأنه لم يسمعها. لقد كان مذعوراً للغاية حتى إنه لم يبدر منه سوى رد فعل بارد متجلد. لقد شلَّه الرعب. وشعرت أدريانا بألم مضنٍ يجتاح كيانها.

'فهمت'. قال ببرود، ونظر إليها بجفاء. 'هل تريدين القول إنك لن تتخلصي منه؟".

'لم أقل لك رأيي بعد. أنا فقط أطلب منك أن تفكر في الأمر، وإنني أود أن أحتفظ بالجنين". لقد اندهشت هي نفسها من اعترافها بأنها تريده. وبطلبها منه أن تحتفظ به بدا الأمر وكأنهما يتحدثان عن جرو وليس عن طفلهما، وهذا ما هالها في الأمر.

طأطأ ستيفن رأسه بيؤس وأسى، وأخذ يدها وسحبها معه إلى السرير إلى جانبه، وفجأة لم تعد تستطيع أن تتمالك نفسها وقد أحاطها بذراعيه فبدأت تنشج بالبكاء.

لقــد تفاعلــت في نفسها كل آثار الصدمة، والخوف، والتوتر، والإثارة، وانفجـرت فـــي دموع لم تستطع ضبطها فنشجت في البكاء بين ذراعيه وقد

ضمها إليه.

'آسف يا حبيبتي... يؤسفني أن يحصل هذا لنا... ستكون الأمور على ما يرام... سوف ترين... أنا آسف...'. ولم تكن تدرك تماماً ما يقوله لها ولكنها كانت مسرورة من أنه يضمها إليه، ولربما يغير رأيه بعد أن يفكر بالأمر ملياً. لقد ظنت أنه سيفعل ذلك، ولكن الجدال معه بوجود هكذا مقاومة كان يستنزف العواطف.

'أنا أيضاً آسفة". قالت في نهاية الأمر وقد مسح دموع عينيها وقبّلها، مسّد شعرها بعدئذ. وقبّل الدموع على أهداب جفنها ووجنتيها، ثم شرع يفك بلوزتها في تؤدة، وينزل بنطالها القصير وثيابها الداخلية إلى أسفل كاحلها. لقد كانت تتمتع بجسد جميل، وفي رأيه ستكون جريمة أن يشوه جنينٌ هذا الجسد البديع. فسوف لن تبقى على حالها المعهود بعد الولادة.

"أحبك يا أدريانا'. قال بلطف. لقد كان يحبها جداً لدرجة لم يكن ليسمح لها بأن تقوم بهكذا عمل أخرق وأحمق. وكان يحب نفسه أيضاً، وحياتهما، وكل ما ناضلا لتحقيقه، وأنجزاه واكتسباه. وليس لمخلوق على الإطلاق أن يعرّض ذلك للخطر خاصة طفل كهذا.

لقد قبّلها بتوق وشغف، وبادلته القبلات وهي تظن أنه قد أدرك في النهاية ما تشعر به، وتطارحا الغرام بروية وهدوء. لقد كان ذلك أواناً شعرا فيه بحميمية تجاه بعضهما وألقيا جدالهما جانباً، وأمل كل منهما أن يفهم الآخر وجهة نظره، ثم استلقى كل منهما بين ذراعي الآخر وتبادلا القبلات وقد شعرا بدفء المشاعر التي تجمعهما.

كان النهار قد انتصف عندما استيقظا في اليوم التالي، واقترح ستيفن أن يسـبحا، وقامـا بذلك بعد أن استحما وتناولا الفطور. كانت أدريانا في مزاج طيب، ولم تقل شيئاً وقد خرجا إلى حوض السباحة وكل منهما يمسك بيد الآخر وهـو مسـتغرق في تفكير متأمل حالم. كان حوض السباحة ذاك مشتركاً لكل

المقيميـــن في المجمّع السكني، ولكنه كان يخلو من الناس ذلك اليوم. كان ذلك بعد ظهر يوم مشمس جميل من شهر أيار (مايو) حيث كان الناس قد ذهبوا إلى الشاطئ، أو لزيارة أصدقائهم، أو اكتفوا بالاسترخاء في كراسيهم في منأى عن عيون العامة يسمّرون بشرتهم وقد استلقوا عُراةً معظم الوقت.

ســـبح ستيفن بهدوء، بينما اكتفت أدريانا ببعض السباحة ثم بدأت تضيّع الوقت بالنوم بتكاسل تحت أشعة الشمس. لم تعد تريد الحديث عن الجنين، أقله ليس الآن. لقد كانت ترجو أن يهدأ في نهاية المطاف ويتأقلم مع الفكرة بعد أن عـــرف الآن بحملهـــا. لقد كانت عملية تأقلم جسيمة بالنسبة لها أيضاً، وكانت تعرف أنها ستكون بالنسبة لستيفن أكبر وأصعب منها بالنسبة لها.

'هـــل أنتِ مستعدة لندخل إلى البيت؟' سألها أخيراً وقد تجاوزت الساعة الخامســـة. وبالكاد تحدثا معاً بعد ظهر ذلك اليوم إثر ذلك الجدال المحتدم الذي جرى بينهما في الليلة السابقة، وكانت أدريانا لا تزال تشعر بالإنهاك.

دخـــلا المنزل بهدوء وبعد أن أخذت أدريانا دوشاً، أدار ستيفن الستيريو وبدأا يصغيان إلى إذاعة يوبي 40 بينما كانت هي تعد طعام العشاء.

أرادت أدريانا أن تمضي أمسية هادئة معه. فكان لديهما الكثير ليفكرا به ويأخذاه بالحسبان.

'هـــل أنـــتِ علـــى ما يرام؟' سألها بينما كانت تعد طبق الباستا وسلطة خضار.

'أنا بخير. متعبة نوعاً ما'. قالت بهدوء، فأومأ برأسه.

'ســـوف تشـــعرين بتحســـن الأسبوع القادم عندما تتدبرين أمره'. عندما سمعته يقول ذلك عجزت عن تصديق ما قاله فنظرت إليه في ذهول شديد.

'أنـــى لك أن تقول شيئاً كهذا؟' بدت مذعورة، وأدركت فجأة أنه لم يكن يعيد النظر في الموضوع على الإطلاق. لقد كان عنيداً متشبثاً بموقفه كالسابق.

'يا أدريانا، إن كل ما هنالك الآن هو مشكلة بدنية. وهذه تجعلك تشعرين

بالـــتخمة، فأصلحي هذه المشكلة. هذا كل ما في الأمر. وليس عليك أن تحملي الأمـــر أكثر من ذلك'. لم تستطع أن تصدق إلى أي درجة كان عديم العواطف وكم كان فاقد الإحساس كلياً بطفلها.

'هذا يثير الاشمئزاز. ليس الأمر بهذه البساطة وأنت تعرف ذلك'. لم تكن تـــنوي أن تعـــود إلـــى فتح الموضوع ثانيةً تلك الليلة، ولكن بما أنه بادر إلى الحديـــث عنه، فقد كان لزاماً عليها أن تناقشه في ذلك. 'إنه ابننا، كرمى لله'. وامتلأت عيناها بالدموع من جديد وشعرت بأنها تكره نفسها لأجل ذلك. لم تكن تبكـــي فـــي العادة، ولكنه كان يدفعها إلى الذروة بموقفه اللامبالي بخصوص إسقاطها للجنين. 'لن أفعل ذلك'. قالت له فجأة وقد تركت العشاء على المنضدة في المطبخ، وهرعت صاعدة إلى غرفة نومهما، وبعد انقضاء ساعة كان الأمر قـــد انتهى عندما صعد ليتابع حديثه معها. كانت مستلقية على سريرها، فجلس إلى جوارها يلاطفها برفق: 'يا أدريانا، يجب عليك أن تسقطي الجنين'. قال في هدوء، ثم استطرد: 'هذا إذا كنت تقيمين اعتباراً لزواجنا. وإلا فإن هذا سيدمّر كل شيء'. ولكن بالنسبة لها شعرت أن كل شيء سينهار في كلتا الحالتين. فإن لـــم تنجـــب الطفـــل، ستشعر دائماً بالخسارة، وإن فعلت فإن ستيفن سوف لن يسامحها أبداً.

'لا أعتقد أن بمقدوري الإقدام على ذلك'. قالت له ذلك وقد أغرقت وجهها في وسادتها وكانت في ذلك صريحة معه. فآخر ما كانت تتوقعه هو الإجهاض.

'لا أعتقد أنك عاجزة عن ذلك. فهذا سيدمر زواجنا وسوف يؤدي بك إلى خسارة وظيفتك'.

'لا يهمنـــي أمر عملي'. وكانت كذلك حقاً بخلاف موقفها نحو الطفل. لقد كان مما يثير الدهشة السرعة التي غدا فيها الطفل مهماً بالنسبة لها.

'بل إنك تهتمين بأمر وظيفتك'. لقد بدا لستيفن وكأنها قد أصبحت شخصاً مختلفاً بين ليلة وضحاها.

"لا. أبــداً... ولكن لا أريد لحياتنا أن تنهار". قالت في حزن وقد أدارت وجهها نحوه.

"ليس في وسعي إلا أن أقول لك شيئاً واحداً أكيداً يا أدريانا، وهو أنني لا أريد أن نرزق بأطفال".

"قــد تغيّر رأيك فيما بعد. هكذا الناس دوماً". قالت له ذلك وهي متفائلة، ولكنه هزّ رأسه نافياً.

"لا أريد. لا أريد أطفالاً. لم أردْ ذلك أبداً، وسوف لن أرغب بهم أبداً في المستقبل، وقد كنت تتقبلين هذه الفكرة بكل بساطة. أليس كذلك؟".

ترددت قليلاً ثم اعترفت له بشيء لم يسبق لها أن قالته له من قبل: "لقد كنتُ أفكر أنك في نهاية المطاف... قد تغير رأيك يوماً ما. أقصد... في حالة أننا لم نُرزق أبداً بأطفال، فإنني سأتقبل هكذا أمر. ولكن أما الآن والحال هكذا... فقد فكرت أنك ربما... لا أدري يا ستيفن. أنا لم أسعَ وراء ذلك. ولكن الجنين قد تكوّنَ في أحشائي الآن، فكيف يمكنك أن تزيله من حياتنا دون أدنى تفكير؟" لقد كان هذا مريعاً.

"لأن طبيعة حياتنا التي سنعيشها ستكون أفضل إذا أسقطت هذا الجنين، وإنك لأكثر أهمية في نظري من جنين".

"ثمة مكان لكلينا في حياتك". قالت له في لهجة استجداء، ولكنه هزّ رأسه رافضاً.

"لا. ليس الحال هكذا في حياتي. فثمة مكان لك فقط دون سواك. ولا أريد أن ينافسني طفل في مساحة اهتمامك. لا أعتقد أن والديّ قد تحدثا معاً إلا فيما ندر خلال عشرين سنة. إذ لم تكن لديهما القدرة أو المشاعر على تبادل الأحاديث. فقد كانا مستنزفين. ولم يتسن لهما المزيد من الوقت عندما كبرنا. لقد كانا كمثل إنسانين عجوزين، مستهلكين، منهكين، مستنفذين حتى الرمق الأخير. هل هذا ما تريدينه لنا؟".

"طفل واحد لن يؤدي إلى كل ذلك". قالت برفق ملتمسةً إياه من جديد، ويبدو من الواضح أن حديثها كان بلا جدوى.

"ســوف لــن أجازف بذلك يا أدريانا". قال لها وقد نظر إليها من عالٍ. "تخلصــي منه". وكان صوته يرتجف وهو يتحدث إليها، ثم رجع على أعقابه ونــزل السلم إلى الطابق الأسفل ومكث هناك طويلاً كي يتحاشى الحوار معها ويتجنب الشعور بالتهديد الذي كان يمثله الجنين الذي في بطنها.

أمــا هــي فقــد فكّرت في الأمر ملياً وهي تنتظر أن يصعد للأعلى من جديــد، وكانت تدرك أنها إذا ما تخلت عن الطفل فإنها ستفقد جزءاً من روحها وللأبد.

الفصل 7

مرّ يوما الأحد والإثنين كالكابوس بسبب الجدال، وتبادل الاتهامات الذي حصـل بيـنهما، وفي الساعة السادسة من صباح يوم الثلاثاء وقبل أن يغادر سـتيفن المنزل أصيبت أدريانا بنوبة بكاء هستيرية واستسلمت لمشيئته موافقة علـى تنفـيذ كل ما كان يريده. لم تذهب إلى العمل ليومين، ولم تكن لتريد أن تخسـر زوجها الذي تحبه حتى ولو كان هذا يتطلب أن تتخلى عن الجنين. لقد وعـدت بأن تتدبر أمر الإجهاض أثناء غيابه، وجل ما قامت به بقية النهار هو الاستلقاء فـي السرير والبكاء إلى أن حان موعد زيارة الطبيب في الساعة الرابعة والنصف.

كانت قد قررت البقاء في سريرها طوال بعد الظهر وقد تملكها الفزع الذي تحول إلى رعب في الوقت الذي ارتدت فيه ثيابها، وكانت تود الهروب من كل هذا وهي خارجة من شقتها. لقد كانت ترغب لو تفرّ من كل ما يجري لها، ومن كل ما كانت مضطرة للقيام به، ومما كان ستيفن يتوقعه منها، ومن كل ما كانت تشعر بأنها تدين به تجاهه إذا ما قدّرت زواجهما وثمّنته.

"أدريانـــا!". نادتهـــا الممرضة فهبت واقفة، وقد بدت متوترة جداً. كانت ترتدي بنطالاً فضفاضاً أسود وقميصاً أسود ذي قبة واقفة ضيقة وحذاء أسود، بالرغم من بياض بشرتها وشعرها الداكن بدت كئيبة بشكل غير اعتيادي.

قادت الممرضة أدريانا إلى غرفة صغيرة وطلبت منها أن تخلع ملابسها من الخصر إلى الأسفل وأن تتدثر بملاءة. كانت أدريانا قد ذهبت إلى هناك من قبل ولكن كان الأمر أقل إنذاراً بالسوء في تلك المرات عندما كانت تحضر إلى هناك من أجل أخذ الإرشادات في سبيل تحديد النسل أو فحوصاتها السنوية.

جلست على سرير المعاينة وقد ارتدت قميصها الحريري الأسود وتحته المـلاءة الورقـية الـزرقاء تغطي نصفها الأسفل، وقد زمّت قدميها الحافيتين تحتها، وبدت كفتاة صغيرة، وهي تحاول ألا تفكر في سبب وجودها هناك وما سـيحدث لها. ذكّرت نفسها بشكل متواصل بأنها إنما تفعل ذلك من أجل ستيفن لأنها تحبه.

دخـل الطبيب أخيراً، وابتسم وهو ينظر إلى إضبارتها الصحية ويدرك من تكون. لقد كانت فتاة ظريفة، وكان يحبها دائماً.

"بمـاذا أخدمـك اليوم سيدة تاونسيند؟" لقد كان رجلاً ظريفاً من الطراز القديم، وبعمر والدها تقريباً.

"أنا...". قالت وقد عجزت عن أن تتمالك أفكارها لتنطق بالكلمات، وبدت عيناها واسعتين عبر وجهها الشاحب، في هذه الأثناء كان الطبيب ينظر إليها. "لقد أتيت إلى هنا... من أجل الإجهاض". خرجت الكلمات من فمها ببطء، وهدوء، وصوت خفيض بالكاد استطاع سماعه.

"فهمـت". قـال ذلـك وجلـس على كرسيه الصغير الدوار، ينظر إلى إضبارتها. لقد كانت متزوجة، في الحادية والثلاثين من العمر، في صحة جيدة، وليس من شيء جديد. ربما لا يكون الجنين من زوجها. وسألها: "هل من سبب خاص معين؟".

أطرقت برأسها في ألم. كان كل ما يراه منها يوحي له بأنها لم تكن تود أن تكون هنا: الهيئة التي التفّت بها على سرير الفحص، وكأنها تحمي نفسها منه، وانكفائها إلى الخلف كلما دنا منها، وطريقتها في الحديث حيث كانت بالكاد تنطق بالكلمات. لقد رأى الكثير من النساء في حالة اكتئاب، نساء كن ليفعلن أي شيء ليتخلصن من الجنين الذي لا يرغبن فيه، ولكن هذه الفتاة لم تكن لتشبههن في شيء. وكان على استعداد لأن يراهن بأنها حتى لم تكن تريد الإجهاض.

"لا يشعر زوجي أن الوقت ملائم لنا الآن لننجب الأطفال".

أومأ الطبيب برأسه مجدداً، وكأنه يتفهمها تماماً. "هل من سبب يجعله يشعر بذلك الآن أدريانا؟ هل هو عاطل عن العمل؟ هل هناك مشكلة صحية؟" كان يتساءل عن سبب وجود هذه الفتاة هنا، فبدون سبب وجيه لن يجري لها عملية الإجهاض، سواء كان ذلك شرعياً أم مخالفاً للقانون، فالطبيب لا يزال لديه مسؤولية أخلاقية تجاه مرضاه. ولكنها كانت تهز رأسها بالنفي على كل أسئلته.

"لا. كـل مـا هـنالك... هو أنه لا يشعر أن هذا الوقت مناسب لإنجاب الأطفال".

"وهـل لا يـريد أطفـالاً على الإطلاق؟" فترددت، ثم هزت رأسها وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

"إنه لا يريد أطفالاً على الإطلاق". قالت ذلك بصوت أشبه بالهمس. "لقد كان أحد أطفالٍ خمسة، وعانى من طفولة بائسة. ويصعب عليه جداً أن يفهم أن الأمور قد تكون مختلفة".

"أعـتقد أنها مختلفة ولا بد. فأنت لديك وظيفة جيدة، وأفترض أنه مستقر ومـتوازن نوعـاً ما. هل تعتقدين أنه قد يغير رأيه مع مرور الوقت؟" فهزت رأسـها بحزن وقد سالت الدموع على وجنتيها، وسارع الطبيب ليقول لها شيئاً جعلها أقل توتراً. "لن أجري عملية إجهاض اليوم أدريانا". تحول إلى استخدام اسـمها الأول حالمـا فهـم خطـورة ووخامة المشكلة. لم يكن الوقت مناسباً للرسـميات، فقـد كانت تحتاج إلى صديق، وأراد أن يساعدها. "أولاً يجب أن أتـأكد من أنك حامل فعلاً من دون أدنى شك. هل أجريت اختبار الحمل؟" لقد افترض أنها فعلت ذلك وإلا لما كانت هناك الآن.

"نعـم فعلـت ذلك في المنزل. مرتان. وأنا متأخرة أسبوعين عن موعد الطمث".

"في هذه الحالة نعتبر أنك حامل في الأسبوع الرابع. وأنا متيقن من ذلك، ولكن علينا أن نتحقق من ذلك بدقة. بعد ذلك أريدك أن تذهبي إلى المنزل

وتفكري بذلك، لكي تكوني مقتنعة تماماً بالقرار الذي ستأخذينه. فإن شعرت بعد ذلك برغبة في إسقاط الجنين يمكنك عندها العودة إلى هنا غداً. هل تجدين الأمر معقولاً بالنسبة لك؟" فأومأت برأسها، وهي تشعر بالهستيريا وبحالة من الخدر في نفس الوقت. لقد شعرت وكأن الأذى العاطفي النفسي الذي يعتمل في نفسها يكاد يقتلها. ولكن الطبيب كان لطيفاً ورقيقاً، فتأكد مما عرفته تواً، وأخبرها أن تعود إلى البيت وتفكر في الأمر وتحاول أن تناقشه مع زوجها من جديد. لقد شعر أن رغبتها في ألا تجهض قد تجعل زوجها يعيد النظر في الموضوع إذا ما أوضحت له ذلك. ما لم يأخذه بالحسبان هو حقيقة أن ستيفن كان متطرفاً ومسعوراً إزاء هذا الموضوع. وعندما اتصل بها تلك الليلة بدا منزعجاً جداً لأنها لم تجهض بعد.

"يا للجحيم. لماذا لم تفعلي ذلك اليوم؟ وما جدوى الانتظار؟".

"إنه يريدنا أن نفكر ملياً قبل أن نقدم على أية خطوة عنيفة غير محمودة العواقـب. ولربما ليست هذه بفكرة سيئة". إن إدراكها لما هي مُقدِمةٌ عليه كان له وقع كئيب للغاية. "متى ستعود؟" سألته قلقة، ولكن بدا وكأنه لم يدرك الذعر في صوتها وهي تسأله.

"لـيس قـبل يوم الجمعة. وسوف نلعب أنا ومايك كرة المضرب صباح السبت. ولربما يمكنك أنت ونانسي الانضمام إلينا فيما بعد لمباريات الزوجي". كـادت لا تصدق ما تسمعه أذناها، فهو إما أن يكون عديم الإحساس كلياً، أو أحمق بشكل فظيع.

"لا أعلـم بالتأكيد إذا كنت سأستطيع أن ألعب كرة المضرب عندئذ". لقد كان التهكم في صوتها واضحاً ولاذعاً.

"آه. حسـناً... لقـد نسيت". هل يُعقل أن ينسى خلال عشر ثوان؟ كيف أمكـنه أن ينسـى بهذه السرعة؟ وكيف يسمح لنفسه أساساً بأن يطلب منها أن تسقط الجنين؟

"أعتقد أن عليك أن تعاود التفكير في الموضوع مرة أخرى أنت أيضاً يا

ستيفن، فهذا الجنين ليس طفلي وحدي، إنه طفلك أيضاً". ولكنها استطاعت أن تشعر بالجدران التي شيّدها بينه وبينها لمجرد أن تلفظت بهذه الكلمات.

"لقد أخبرتك عن شعوري إزاء ذلك أدريانا. لا أريد مناقشة الموضوع معك ثانية. تدبري أمره وحسب. اللعنة. لا أفهم السبب الذي جعلك تنتظرين حتى الغد". لم ترد عليه، فقد انكسرت نفسها من القسوة التي تجدها في كلامه. لقد بدا وكأن الطفل يشكل تهديداً لكيانه ووجوده، وأيضاً كأنها قد خانته لسماحها لهذا الأمر بالحدوث، وأن عليها الآن أن تسوي الموضوع بأي ثمن، أياً كان تأثير ذلك عليها. "سوف أتصل بك ليلة غدٍ". التقطت أدريانا أنفاسها في حين غشيت عيناها بالدموع.

"لمـــاذا؟ هـــل فقط لتتأكد من أنني قد فعلت ذلك؟" لقد شعرت وكأن قلبها ينكسر وهي تلقي عليه تحية الوداع حين راودتها الفكرة أن ما هي إلا ساعات قليلة حـــتى يفــوت الأوان عليها لإنقاذ طفلهما. استلقت في سريرها وبقيت مستيقظة طوال الليل، وهي تبكي وتفكر في هذا الطفل الذي لن تعرفه أبداً. هذا الطفـــل الـــذي ستضـــحي به من أجل زوجها. كانت لا تزال مستيقظة عندما أشـــرقت شـــمس الـــيوم التالـــي، وشعرت كما لو أنها كانت تنتظر تنفيذ حكم بـــالإعدام. كانت قد أخذت ذلك الأسبوع عطلة، وما كان عليها الآن سوى أن تعود إلى عيادة الطبيب وأن تجبر نفسها على الإجهاض.

وبيـــنما كانت ترتدي ملابسها، فكّرت في قرارة نفسها أن ستيفن سيتصل في اللحظة الأخيرة ويطلب منها ألا تفعل ذلك، ولكنه لم يفعل. كان الصمت لا يـــزال يطبق على المنزل عندما غادرته وقد انتعلت صندلاً وارتدت تنورة من الدنـــيم وقمـــيص عمل قديم، ووصلت إلى عيادة الطبيب في الساعة التاسعة، بحســـب الموعد المعطى لها، إذا ما قررت أن تستمر في عملية الإجهاض. لم تـــأكل أو تشرب شيئاً منذ ليلة أمس تحسباً لاحتمال أن يعطونها مخدراً. كانت شـــاحبة وتـــرتجف وهي تقود سيارتها عبر جادة ويلشير، ووصلت إلى عيادة الطبيب قبل خمس دقائق من الموعد. أخبرت الممرضة بوصولها، وجلست في

غرفة الانتظار مغمضة العينين، وتشعر في قلبها أنها لن تنسى ذلك ما حييت، ولأول مرة في حياتها أدركت أنها تكره ستيفن. لقد كان لديها حافز قوي يدفعها لأن تتصـــل بـــه، لأن تجده أينما كان، وأن تخبره أنها اضطرت لتغيير رأيها، ولكنها كانت تدرك أن ذلك كان بلا جدوى.

وقفـــت الممرضـــة في المدخل ونادتها، وابتسمت لها وهي تقودها عبر الـــردهة. فأدخلـــتها إلى غرفة أكبر قليلاً وطلبت منها هذه المرة أن تخلع كل ملابســـها، وأن تضع الملاءة الزرقاء، وتستلقي على السرير. كانت هناك آلة تـــنذر بالشـــؤم موضوعة جانباً، وكانت أدريانا تعرف أن تلك الآلة هي جهاز الـــتفريغ. وشـــعرت بجفاف في حلقها، وبدت شفتاها وكأنهما قد التصقتا معاً. كمـــثل منديل ورقي رطب. جل ما كانت تتمناه في تلك اللحظة هو أن تتخلص مـــن كـــل ذلك وأن تذهب إلى البيت وأن تحاول نسيان الموضوع، وكانت قد اعترفت في قرارة نفسها أنها سوف لن تحمل أبداً ما حييت. ومع ذلك لا يزال جزء منها يرغب بالاحتفاظ بالجنين. لقد كان هذا عملاً جنونياً، حاولت استخدام كل قوتها الداخلية لتتخلص من هذا الجنين، بينما لا يزال جزء منها يرغب في الإبقـــاء عليه مهما كلف الأمر ومهما حصل، ومهما قال ستيفن أو كان متألماً وعصابياً تجاه طفولته.

"أدريانا!". ناداها الطبيب وقد دسّ رأسه عبر الباب ونظر إليها بابتسامة لطيفة. "هل أنت على ما يرام؟" فأومأت برأسها، ولكن لم تستطع أن تقول شيئاً وحدقـــت فـــيه وقـــد تملكها شعور بالرعب المرضي المخفي. خطا يدخل إلى الغـــرفة، وأغلـــق الباب وتحدث إليها بحزم. "هل أنت على يقين بأنك تريدين القـــيام بذلك؟" فأومأت برأسها من جديد وانهمرت الدموع من عينيها، ثم هزت رأســـها بصدق. لقد كانت مضطربة للغاية وخائفة وتعيسة، وما كانت تريد أن تكـــون هـــناك على الإطلاق. لقد كانت تود لو تكون في المنزل مع ستيفن في انـــتظار مولودهمـــا. "لست مُلزمة بالقيام بذلك. لست مضطرة لأن تفعلي ذلك طالمـــا أنـــك لا ترغبين بذلك. سوف يتقبل زوجك الأمر. الكثير من الأزواج

يحدثون جلبة كهذه في بداية الأمر ثم يصبحون هم الأكثر حماساً للطفل عندما يولد. أريدك أن تمعني التفكير في الموضوع قبل أن تقدمي على ذلك'.

"لا أستطيع". قالت بصوت خفيض أجش. 'لا أستطيع'. بكت بصوت مرتفع وقد جلست على سرير المعاينة، "لا أستطيع القيام بذلك".

'ولا أنا'. قال وابتسم. 'امضي إلى منزلك، وقولي لزوجك أن يبتاع سيجاراً لنفسه وأن يحتفظ به حتى...' ونظر إلى إضبارتها من جديد، واستأنف يقول: '... حتى بداية شهر كانون الثاني، وعندها سنقدم له طفلاً ظريفاً ممتلئ الصحة. ما رأيك في ذلك يا أدريانا؟'.

'تبدو فكرة معقولة وجميلة'. وابتسمت عبر الدموع ووضع الطبيب العجوز اللطيف ذراعه حول كتفيها، وقال لها: 'هيا إلى البيت أدريانا. استريحي جيداً، وابكي جيداً، ستكون الأمور على ما يرام. وكذلك الأمر حال زوجك'. وربّت على كتفها عندئذ، وغادر الغرفة ليتيح لها أن ترتدي ثيابها وتذهب إلى منزلها مع جنينها. ابتسمت لنفسها وقد ارتدت ملابسها، وبكت، وشعرت وكان أمراً عجيباً رائعاً حصل لها، لقد وفّرت عناءً كبيراً على نفسها، ولم تعرف كيف حدث ذلك، مجرد حدس عند الطبيب الحاذق جعله يدرك أنها لم تكن قادرة على القيام بذلك.

بدأت تقود السيارة نحو منزلها، ثم قررت فجأة أن تذهب إلى المكتب بدلاً من ذلك. لقد شعرت أنها في حال أفضل مما كانت عليه خلال الأيام الماضية. ورغبت في أن تذهب إلى العمل وتنهمك في أكوام الأوراق على طاولة مكتبها. قادت سيارتها نحو الاستديو والريح تتلاعب بشعرها، وأخذت نفساً عميقاً وابتسمت في قرارة نفسها. لقد بدت الحياة لها فجأة جميلة للغاية، ولسوف ترزق بطفل.

دخلت مكتبها بخطوات حثيثة وهي تشعر كما لو أنها كانت تركض في سباق العشرة أميال. فلم يكن ذلك الصباح سهلاً عليها، وكذلك الأمر بالنسبة

للأيام القليلة الماضية، وكان عليها أن تناقش الأمر مع ستيفن عندما يعود من شيكاغو. ولكنها الآن كانت تدرك على الأقل ما تفعله. وشعرت بارتياح لم تشعر به خلال أيام وبدأ الإحساس المدمر بالاكتئاب يفارقها.

'مرحباً أدريانا'. قالت لها زيلدا وقد حشرت رأسها في الباب نصف المفتوح عند الصباح. 'هل كل شيء على ما يرام؟'.

'نعم، ماذا؟' بدت أدريانا شاردة الذهن وقد دست قلم رصاص خلف كل من أذنيها، ولم يكن من المعتاد أن تأتي إلى عملها بثياب عتيقة أو بدون ماكياج.

'حسناً، سأصدقكِ القول، أنتِ لا تبدين بكامل حيويتك ونشاطك. إنك تبدين وكأنك قد خرجت من عصارة'. وبالواقع كانت هكذا فعلياً. ثم أردفت تقول: 'هل أنت بخير؟'. لقد كانت زيلدا أشد ملاحظة مما كانت أدريانا تظن، وكانت على صواب. فالأمور كانت مريعة للغاية.

'أصبت بأنفلونزا'. وابتسمت وهي تشعر بالامتنان نحو زيلدا التي لاحظت حالتها غير العادية. واستأنفت أدريانا تقول: 'ولكنني على ما يرام الآن'.

'ظننت أنك ستأخذين الأسبوع كله إجازة من العمل'. قالت ذلك وهي تنظر إليها بإمعان وكأنها تحتار في أن تصدق ما قالته من أنها على ما يرام. ولكنها بدت سعيدة وقد انكبت على العمل في جهد وسط الركام في مكتبها.

'فكرتُ بأنني افتقدت كل هذا للغاية'.

"إنك نشيطة للغاية". قالت زيلدا مبتسمة.

'محتمل. هل ترغبين أن نخرج لتناول سندويش لاحقاً؟'.

'بالطبع. أود ذلك'.

"إذاً مُرّي عليّ عندما تكونين على أهبة الاستعداد لذلك".

'سأفعل'. قالت ذلك ثم اختفت من جديد، وعادت أدريانا إلى عملها وهي

تشعر بتحسن أكبر مما شعرت به ولأيام. فكرة الطفل لا تزال تخيفها قليلاً، ولكنه أمر فكرت أن في مقدورها أن تعتاد عليه وتتأقلم معه. لقد كان هذا الحل أفضل من الحل البديل. فكانت تعرف أنها لن تسامح نفسها لو فعلت ذلك، وكانت لا تزال مستاءة من ستيفن لمحاولته إجبارها على القيام بهكذا عمل. وتساءلت كم سيكون صعباً أن يتماثلا للشفاء من الأذى العاطفي الذي كان أحدثه كلٌ منهما للآخر في الأيام القليلة الماضية، بل حتى إذا كانا سيتناسيان هذا الأمر. عادت إلى عملها من جديد وحاولت ألا تفكر في الموضوع. فلسوف تفكر ملياً فيما ستقوله له فيما بعد.

الفصل 8

كان بيل ثيغبن يجلس على كرسي دوار في الاستديو أسفل الردهة ويتحدث إلى المخرج متذمراً.

"بحق الجحيم لا أعرف أين هي؟ لقد سجّلتْ خروجها من غرفة الفندق منذ أسبوع. لا أدري مع من تكون، ولا أدري أين ذهبت. إنها امرأة ناضجة وليس لي علاقة بتحركاتها أو تصرفاتها... ما لم تبدأ بإفساد برنامجي. عندها يحق لي أن أتدخل، ولكنني لا أزال أجهل أين ذهبت". لم تعد سيلفيا ستيوارت من لاس فيغاس ليلة الأحد الماضي. لقد أخلت غرفتها هناك صباح الاثنين، بالضبط قبل تسعة أيام، على حسب قول العاملين في الفندق، ولكنها لم تعد بعد إلى العمل، وهذا أمر محرج اضطر بيل بسببه أن يذهب إلى شقتها ليتحقق منها وعرف أنها لم تعد إلى هناك أيضاً.

كتبوا نصوصاً بديلة لحلقات الأسبوع الماضي، ولكن الحال يُرثى له بدونها.

وبعد بضعة أيام أخرى سيضطرون لاستبدالها. وكان بيل قد أوضح كل شيء للمخرج. وبعدم اتصالها بهم على الأقل لكي تفسر أو تبرر ما يحدث فإن هذا دلالة انتهاك واضح لعقدهم معها.

"إذا لم تظهر قبل عرض حلقة الغد فإن عليك أن تأتيني بشخص آخر". قال بيل للمخرج وأحد المنتجين المساعدين. كان المخرج والمنتج قد تحسبا لذلك واتصلا بإحدى الشركات صباحاً، ولكن لم يكن بالإمكان استبدالها بسهولة دون إثارة استياء المشاهدين.

"هل حصل كل واحد على نصه الجديد لليوم؟" سأل المخرج، وقد عبس

في وجه بيل وهو يعطيه النص الجديد. لقد كان نصاً جديداً كلياً، وكان واضحاً أن بيل قد جعل الكتّاب يعملون ليل نهار في غياب سيلفيا. لقد كان عملاً رائعاً، وكان يحافظ على استمرار القصة في غيابها. لقد كانت أحداث كثيرة تطرأ في الحلقات في نفس الوقت لذلك لم يستغرب المشاهدون غياب شخصية فوخن ويليامز مدة تسعة أيام. فقد كانت لا تزال في السجن بعد اعتقالها بتهمة قتل الرجل الذي قتله صهرها قبل تسعة أيام، يوم الجمعة.

بقي بيل في الاستديو إلى أن بدأ البث، فشاهد كل الحلقة، وكان راضياً عن أداء الجميع مع تغير الحبكة، وبعد انتهاء الحلقة وتهنئة الجميع عاد إلى مكتبه. وما هي إلا نصف ساعة حتى رنت له سكرتيرته على الأنترفون وأخبرته أن هناك من يرغب في رؤيته.

"هل هو شخص أعرفه؟ أم أنك ستخفين اسمه عني؟" لقد كان متعباً من ليالي العمل الطويلة، ولكنه كان راضياً عن سير العمل. وكان ذلك مرده، في نظره، إلى طاقم ممثلين جيدين، وكاتبين مُبدعين، ومخرج لامع متألق. "من هو يا بتسي؟"

مرت لحظة صمت مطبقة ثم قالت: "إنها الآنسة ستيوارت".

"أهي الآنسة ستيوارت التي نعرفها؟ أهي الآنسة ستيوارت التي ما برحنا نبحث عنها في كل أرجاء نيفادا؟" قال وقد رفع حاجبيه باندهاش واهتمام.

"هي نفسها ولا أحد غيرها".

"أدخليها لو سمحت. بالكاد أطيق صبراً على رؤيتها".

ما إن فتحت بتسي الباب، حتى دخلت سيلفيا الغرفة كطفل خائف، وبدت أجمل من أي وقت مضى. كان شعرها الأسود الطويل يتدلى على ظهرها مثل بياض الثلج، وعيناها تحدق فيه بما يوحي بالندم الكبير. هب بيل واقفاً عندما خطت داخلة الغرفة، ونظر إليها كما لو أنه يرى شبحاً.

"في أي جحيم كنت؟" قال بشكل مشؤوم. ولم تعرف لوهلة ما تقول، فبدأت بالبكاء وهي تنظر إليه. "لقد كدنا نفقد صوابنا، واتصلنا بكل مكان في

لاس فيغاس. قال الشباب في ماي فاوس إنك رحلت مع شاب ما. لقد كنا على وشك أن نتصل بشرطة نيفادا ونبلّغ عن فقدانك". كان قلقاً حقاً عليها خلال الأسبوع المنصرم، ويخشى أن يكون قد أصابها مكروه ما.

جلست على الأريكة ونشجت بالبكاء وقد ناولها بضعة مناديل ورقية. وقالت "أنا آسفة".

"لا بد أن تكوني كذلك. فكثيرون خافوا عليك". لقد كان كمن يتحدث إلى طفلة، وشعر بالارتياح لأنها لم تعد مسؤوليته هو. "أين كنتِ؟" ما عاد هذا يهمه الآن وقد عادت سالمة ولم تتعرض لأذى. كان ذلك هو ما أقلقه. فثمة أشياء خطيرة كانت تحدث في لاس فيغاس، خاصة للنساء اللواتي مثل سيلفيا ستيوارت، بخاصة عندما تتمَن مع الغرباء.

نظرت إليه ثانية وبكت من جديد وقالت: "لقد تزوجتُ".

"لقد ماذا؟" سألها وقد أصابه الذهول. لقد توقع أن يحدث لها كل شيء، ولكن هذا الاحتمال لم يخطر له. "ممن؟ هل هو ذلك الشاب الذي كان في غرفتك تلك الليلة؟".

أومأت برأسها وتمخطت من جديد. "إنه يعمل في مجال صناعة الملبوسات، وهو من نيوجرسي".

"يا إلهي". جلس بيل في تثاقل على الأريكة وهو يشعر وكأنه لم يعرفها أبداً. "ما الذي حدا بك لتفعلي ذلك؟".

"لا أدري. كل ما هنالك... أنك تعمل بجد على الدوام... وأنا أشعر بالعزلة الشديدة". لقد كانت في الثالثة والعشرين من عمرها. وفي غاية الجمال، وكانت تشكو الوحدة. نصف نساء أمريكا كن ليفعلن أي شيء كي يبدين مثلها، وها قد تزوجت من مُصنّع ملبوسات لم تعرفه حتى، وأمضت معه أسبوعاً في لاس فيغاس. وتساءل بيل فجأة فيما إذا كان ذلك ذنبه. فلربما لو لم يهملها، ولو لم يكن منهمكاً جداً في المسلسل... إنها نفس الأسطوانة تتكرر على مسامعه، البيسلي كانت تردد ذلك أيضاً. ولكن هل كان هو المسؤول عن كل ما حدث

لهمـا؟ هل كانت تلك غلطته فعلاً؟ لماذا لم يمكنهن أن يتأقلمن مع الحياة التي يعيشـها؟ لمـاذا تضـطررن للفرار وارتكاب الحماقات؟ والآن تزوجت فتاته الحمقاء من شخص غريب كلياً عنها. نظر بيل إليها مندهشاً:

"ماذا ستفعلين الآن يا سيلفيا؟" سألها وهو يتحرق لمعرفة جوابها.

"لا أدري. سأنتقل إلى نيوجرسي الأسبوع المقبل على ما أظن. يجب أن يكون زوجي ستانلي في نيويورك الثلاثاء المقبل".

"لا أصدق ما أسمع". قال بيل وأسند رأسه إلى الخلف على الأريكة وشرع يضحك، وخلال دقيقة لم يعد باستطاعته التوقف عن الضحك. وحتى بتسي أمكنها أن تسمع صوت قهقهته قد وصل إلى خارج مكتبه، وكانت مسرورة لأنه لم يكن يصرخ. لقد كان قلما يفعل ذلك، ولكنها توقعت أن يغضبه اختفاء سيلفيا. "تقولين أنك يجب أن تكوني مع ستانلي في نيوراك يوم الثلاثاء...؟".

"حسـناً..." بـدت فجأة غير مرتاحة. "نوعاً ما. باستثناء أنني أعلم أنني مرتـبطة بعقد عليّ الالتزام به لفصل آخر". في الحقيقة اعتقدت أنه سيطردها مـن العـرض التلفزيونـي بعد اتصاله في تلك الليلة، وعندما شعرت بالذعر تزوجت من ستانلي. لم تكن لديها فكرة عما هي مقدمة عليه، ومع ذلك فقد كان لطيفاً معها، واشترى لها فوق ذلك خاتماً من الألماس في لاس فيغاس، ووعدها بأنـه سيعنى بها عندما يذهبان إلى نيوراك. لقد تعهد بأن يؤمن لها عملاً هاماً فـي عرض الأزياء، وإذا شاءت فيمكنها أن تعمل في التمثيل في نيويورك أو حـتى فـي مجال الإعلانات أو المسلسلات التلفزيونية هناك. لقد كان هذا أفقاً جديـداً تماماً يُفتح لها، لم يكن زواجها من رجل يعمل في صناعة الألبسة في نـيوراك أمـراً غير ملائم تماماً لسيلفيا ستيوارت. "ماذا سأفعل بشأن دوري؟" نظرت إلى بيل خَجِلة في التماس، وكاد يشرع في الضحك من جديد. لقد كان الأمر برمته مضحكاً جداً لدرجة لم يكن يستطيع أن يتمالك نفسه عن الضحك. لـم يكن بإمكانه أخذ الموضوع على محمل الجدّ. لقد رأى في ذلك فن محاكاة

الحياة إلى أقصى الحدود، ولم يكن ليرى إلا الهزل في هذه الحالة.

"أنت تعرفين ما يجب أن تفعليه بخصوص دورك سيلفيا، أليس كذلك؟ سوف تمنحيني هذين اليومين من وقتك: اليوم وغداً، على المسرح، كرمى للأيام الغابرة، وسوف نجعل الشخصية التي تمثلينها تموت يوم الجمعة في المشهد الدرامي الأكثر تأثيراً الذي رأيته في حياتك. وبعد ذلك لك الحرية أن تتصرفي. يمكنك أن تذهبي إلى منزلك في نيوراك وأن تعيشي مع ستانلي وتنجبي أطفالاً طالما أنك ستسمين أولهم باسمي. إنني أعفيك من العقد المبرم".

"أحقاً؟" قالت ذلك وقد بدت مندهلة، فكشّر عن أسنانه يمازحها.

"نعم، لأنني رجل جيد، وقد قسوتُ عليك بإهمالي لك. أنا مدينٌ لك يا حلوتي. وبهذا أرد لك المعروف". لقد كان ممتناً للسماء لأنها رجعت على الأقل. فهكذا تتيح المجال لحل المسائل بطريقة مناسبة. فشخصية جون في المسلسل سوف يقتل فوخن لأنها رأته يقتل الانتهازي. ومن هنا يمكن استئناف القصة الطويلة، ثم يأتي الإعلان. "أنا آسف يا حبيبتي". قال لها بلطف وكان حقاً يشعر هكذا، واستطرد يقول: "أنا لستُ على اطلاع بما يجري هذه الأيام. ولم أكن كذلك أبداً، في الواقع. فكأنني متزوج من هذا المسلسل".

"حسناً. لا بأس". قالت سيلفيا وقد بدت خَجِلة. "أنت إذاً لست حانقاً عليّ؟... بسبب ما فعلته... أقصد بسبب زواجي".

"لستُ كذلك إذا كان ذلك سيسعدك". وكان يعني حقاً ما يقول.

أمورها مع بيل كانت مسألة منقضية، وكان كلاهما يعرف ذلك. ما كان هذا بذي أهمية كبيرة لهما، وهذا ما تبين من خلال قضائها عطلة نهاية الأسبوع مع غريب في لاس فيغاس، وكان حدس بيل في محله بأن هذا كان السبب الحقيقي لذهابها إلى هناك.

"هـل لـي أن أقبّل العروس؟" قال وقد نهض واقفاً، ونهضت هي أيضاً مندهشـة من أنه أطلق سراحها بسهولة. لقد كانت تتوقع أن يكون حانقاً عليها

وأن يطـــردها من المسلسل دون أن يعفيها من تبعات العقد المترتبة عليها. إن تـــركها العمل بهذا الشكل سيسهل حصولها على عمل في نيويورك. فاستدارت نحـــوه وتعانقا، كتقدير للأيام الغابرة، فقبّل وجنتها برقة ولطف وقد شعر بأنه ســـيفتقدها. لقد كانت تتمتع بعذوبة ولطف يجذبانه نحوها، مع لطف، وكانا قد أمضـــيا معــــاً وقتاً ممتعاً لفترة من الزمن. لقد كان يرتاح إليها، وكانا صديقين حميمين، وها هو يعود إلى وحدته من جديد. ولكن سيكون الأمر أيسر بالنسبة إليه إذا كان غير مرتبط مع أحد في المسلسل. فهذا الخطأ لن يرتكبه ثانيةً على ذلــك النحو من الانهماك الذاتي الشديد. لم تعد ثمة امرأة في حياته، ولم يشعر الآن بأنـــه يبالـــي بذلـــك. وســـألها: 'ماذا تنوين أن تفعلي بأغراضك التي في شقتي؟'.

'أعـــتقد أنّنـــي سآخذها'. لقد غاب ذلك عن بالها. لم يكن هناك أغراض كثـــيرة، وكل ما تبقى من ثياب يمكن وضعه في حقيبة واحدة؛ كانت قد تركتها في خزانة ثيابه.

'هل تريدين أن نذهب لتأخذيها الآن؟'.

'حســـناً. عليّ لقاء ستانلي في بيفرلي ويلشير الساعة الرابعة. ولكن لديّ متســـعاً من الوقت'. كان صوتها يحمل معنى ضمنياً آخر، ولكنه تظاهر أنه لم ينتبه. لقد كان يعتبر أن الأمر قد انتهى الآن. لقد فعلت ما فعلت وهو لا يضمر لها أي حقد أو ضغينة، وبالمقابل ما عاد يرغب بها.

غادر مكتبه برفقتها، وكان متأكداً أن الجميع سيظنون أنهما مغادران إلى شقته لتمضية وقتٍ ممتع. أما هو فاكتفى بالضحك وقاد السيارة بها إلى شقته وساعدها على وضع أغراضها في صناديق، ثم قاد السيارة بها عائداً إلى شقتها.

'ما رأيك لو تصعد؟' سألته وهي تنظر إليه بحزن وقد أخرج لها آخر صندوق، ولكنه اكتفى بهز رأسه، وبعد دقيقة كان يقود السيارة مبتعداً، وانتهى ذلك المشهد في حياته.

الفصل 9

كـــان جـــرس الهاتف يرن، عندما وصلت أدريانا إلى منزلها بعد أخبار الســـاعة السادسة، التقطت السماعة في اللحظة التي صدر فيها صوت الرسالة التي تتركها على المجيب الصوتي في الهاتف. فسارعت للحديث على الهاتف، وأطفأت المجيب الصوتي، وهي لا تزال تلعب بحقيبة يدها، والجريدة، وبعض الأشـــياء التي اشترتها من الصيدلية في طريقها إلى المنزل، وتوقف كل شيء عندما سمعت صوته. لقد كان ستيفن هو المتصل.

'أنتِ على ما يرام؟' بدا قلقاً ومتوتراً، وسرعان ما أدركت السبب. 'لقد كنت أتصل بك طوال فترة بعد الظهر. لماذا لم تردي على الهاتف؟' لقد كان في غاية القلق عليها طوال النهار وما برح يتصل بها منذ الظهيرة ولا يجد إلا جواباً من المجيب الصوتي. وإذ قاربت الساعة السابعة غدا شديد الاهتياج، وعندما وصلت إلى المنزل، ولم يخطر له أبداً أن يتصل بها في المكتب. ولم تكن هي لترغب أن تتصل به. لقد كانت بحاجة للوقت لتخبره بأنها لم تقم بعملية الإجهاض.

'لـــم أكن هنا' قالت وهي تشعر ببعض الذنب، وتدرك أنه كان عليها أن تبدل موقفها. وتفهمت كل ما جرى في حياتهما صباح ذلك اليوم. ولكن لم تكن لديه أدنى فكرة عما فعلت، وكان لا يزال يفترض أنها أسقطت الجنين.

'أيـــن كنت؟ هل أبقوك في عيادة الطبيب طوال النهار؟ هل حدث خطب ما؟' بدا مذعوراً، شعرت أدريانا بالأسف لأجله والغضب منه. فقد كان مستعداً لتركها تمر بكل محنة الإجهاض لوحدها، وحاول أن يوهمها أن الأمر في غاية السهولة، ولكنه لم يكن كذلك حقاً، وما كان ليكون بسيطاً.

لم يحدث أي مكروه". قالت له ذلك ثم توقفا عن الحديث طويلاً، وبدا كأنه صمت لا نهاية له، وقررت أن تخبره بالأمر في الحال بدون أن تمهد للموضوع. "لم أفعل ذلك".

ساد صمت لوهلة يوحي بعدم التصديق ثم انفجر يصيح على الهاتف: "ماذا؟ لمَ لا؟ هل كان لديك مانع إزاء ذلك؟".

"نعم" قالت ذلك بهدوء وجلست. شعرت فجأة بأنها هرمة عجوز، ومتعبة جداً، لقد كبتت هذه المشاعر طوال النهار لكنها عادت إليها الآن فجأة، وشعرت بأنها مستنزفة وهي تصغي إلى زوجها. كان هناك أمر. وأنا لم أرد ذلك".

"إذاً هل خانتك الشجاعة؟" بدا مذعوراً، والآن غدا ساخطاً للغاية أيضاً وهذا ما جعلها تستاء منه أكثر وزاد من حدة غضبها عليه.

"إذا كنت ستبقى على هذا الموقف، فإنني أقول لك إنني قررتُ أن أحتفظ بالجنين. أناسٌ كثيرون سيسعدهم أن تكون نساءهن حاملات، أو يشعرون بمشاعر أكثر إنسانية". ولكن كلاهما كان يعلم أنه لا يمكن أن تكون لديه عواطف إنسانية تجاه أمر كهذا.

"لستُ من هذا النوع أدريانا. أنا لا أتأثر به... أو أسعد به... أعتقد أنك حمقاء. وأظن أنك تفعلين ذلك لكي تفرضي رأيك بشكل من الأشكال، ولكن لدي ما أخبرك به، وهو أنني لن أسمح لك بأن تفعلي ذلك".

"عمّ تتحدث؟ إنك تبدو كالمخبول. ليس في هذا انتقام أو أخذ بالثأر... إن الموضوع يتعلق بطفل... أنت تعلم، شخص صغير، صنعناه نحن، أنت وأنا، طفل أزرق ووردي يبكي بين الفينة والأخرى. معظم الناس بمقدورهم أن يتأقلموا مع ذلك، ولا يتصرفون وكأن حياتهم تهددها المافيا".

"أدريانا، لا يعجبني حس المرح لديك الآن".

"ولا يروقني أنا أيضاً حس القيَم عندك. ما بالك؟ كيف يمكنك أن تتركني هكذا وأن تتوقع مني ببساطة أن أخرج وأسقط الجنين وحسب؟ إن الأمر ليس

إجراء بسيطاً كما تتخيل، إنه ليس "لا شيء". أو أمراً تافهاً واهياً. بل إنه "شيء". إنه أمر مهم، بل هو أمر مهم جداً... وأحد الأسباب التي منعتني من القيام بذلك هو أنني أحبك".

"هذا هراء وأنت تعرفين ذلك". بدا مُهدّداً وقلقاً ومذعوراً للغاية لسماعه ما كانت تقوله، وأدركت أدريانا أنه ما كان ليمكنهما تسوية المسألة على الهاتف، ولربما ليس في المستقبل القريب. كان ينبغي عليه أن يهدأ، وأن يدرك أن الطفل سوف لن يدمّر حياته. ولكن عليهما أولاً أن يكبحا لجام غضبهما.

"لماذا لا نتحدث عن هذا بهدوء عندما تأتي إلى المنزل؟" قالت له برقة، ولكنه كان يستشيط غضباً الآن.

"ليس هناك ما نتحدث عنه ما لم ترجعي إلى رشدك وتسقطي الجنين. سوف لن أناقش أي أمر معك إلى أن تقومي بذلك. هل هذا واضح" كان يصرخ على الهاتف وقد بدا كالمخبول.

"تريث ستيفن. هدّئ من روعك". خاطبته كطفل خرج عن نطاق السيطرة، ولكنه لم يكن في حالة تمكنه من أن يهدأ. لقد كان يتحدث إليها من غرفة الفندق في شيكاغو وهو يرتجف من الغيظ.

"لا تُملي عليّ ما أفعله أدريانا. لقد خدعتني وخذلتني".

"كلا لم أخدعك". وكادت تضحك من طرافة الموقف، فقد بدا سخيفاً يثير الضحك، ولكن الحقيقة لم تكن مدعاة للضحك. "لقد حدث الحمل بالصدفة دون إرادتنا. لا أدري كيف حدث أو ذنب من كان ذلك. ولكن ما عاد هذا مهماً. فأنا لا ألومك، ولا ألوم نفسي، جل ما في الأمر هو أنني أريد أن أنجب الطفل".

"أنتِ لستِ في وعيك. وبكامل قواك العقلية، ولا تعرفين ما تقولين". لقد بدا وكأنه شخص لا تعرفه، في حين أغمضت عينيها وحاولت أن تبقى هادئة رابطة الجأش.

"على الأقل لستُ في حالة هستيرية. انسَ الأمر الآن، وسوف نتحدث في

الموضوع عندما تصل إلى البيت'.

'ليس لدي ما أقوله بعد، إلى أن تتدبري أمره'.

'وماذا يعني ذلك؟' وفتحت عينيها من جديد. لقد كان في صوته شيء غريب غامض لم تسمعه من قبل، نوعاً من البرودة أخافتها، وكان عليها أن تذكّر نفسها بأن المتحدث إنما هو ستيفن وليس أحداً آخر.

'إنه يعني ما تفهمينه بالضبط. إما أنا أو الطفل. تخلصي منه الآن. أريدك يا أدريانا أن تعودي غداً إلى الطبيب وأن تسقطي الجنين'. شعرت بغصة في قلبها لوهلة، وتساءلت إذا ما كان جاداً فيما يقول، وشعرت أنه لا يمكن أن يكون كذلك. لا يمكن أن يخيّرها بينه وبين الطفل، فهذا جنون. وكانت تعرف أنه لم يكن يقصد ما يقول.

'يا حبيبي... أرجوك... لا تكن هكذا... لا أستطيع العودة... لا أستطيع... لا يمكنني أن أفعل ذلك'.

'عليك أن تفعلي ذلك'. بدا صوته وكأنه على وشك البكاء وكانت تتود لو تعانقه بذراعيها وتعزيه وتريحه وتقول له إن الأمور ستسير على ما يرام. ويوماً ما، بعد أن يُولد الطفل، سوف يضحك على نفسه لأنه كان مستاءً من الأمر في البداية. ولكن الآن كل ما كان يستطيع أن يفكر فيه هو: 'يا أدريانا. أنا لا أريد طفلاً'.

'ليس لديك واحد بعد. لماذا لا تسترخ وتهدأ وتنسى الموضوع ليومين'. لقد كانت تشعر بالإنهاك، ولكنها تشعر بالهدوء أكثر من أي وقت مضى منذ أن اتخذت قرارها.

'لن أرتاح ولن يهدأ لي بال حتى تتخلصي منه. أريدك أن تجري عملية الإجهاض'. فجلست تصغي إليه بصمت، وتشعر ولأول مرة منذ ثلاث سنوات، أنها لن تستطيع أن تقدم له ما يريد. فهي غير قادرة على ذلك، وغير راضية عن ذلك، وهذا ما أثار سخطه أكثر. وشعرت بأنها لا تستطيع أن تعده بأن

تفعل ما يطلبه منها.

'ستيفن... أرجوك...'. وانهمرت الدموع من عينيها من جديد، لأول مرة منذ ذلك الصباح. 'لا أستطيع. ألا يمكنك أن تفهم ذلك؟'.

'كل ما أفهمه هو ما تفعلينه بي. إنك ترفضين وبكل قسوة وكراهية أن تراعي مشاعري'. لقد كان جل ما يتذكره الآن هو كم كان والده مكتئباً كلما حملت أمه بولد جديد. لقد كان يشغل وظيفتين في آن معاً ولسنوات، وفي نهاية المطاف شغل ثلاث وظائف إلى أن وافته المنية، أخيراً، ورحمةً به، من التليف الكبدي. وفي ذلك الأثناء كان كل أولاده قد تفرقوا، وكانت زوجته قد استُنفذت حتى الرمق الأخير.

'إنك لا تبالين بما أشعر به يا أدريانا. إنك لا تأبهين بي. كل ما تريدينه هو ابنك اللعين'. قال ذلك وبكى، وتساءلت أدريانا ماذا فعلت حتى يكون له كل هذا الموقف. لم تفهم السبب. كان قد قال إنه قد يرغب بالأولاد في نهاية الأمر، عندما يكونان 'متوازنين'، ولكنه لم يقل لها أبداً بأنه كان يكره الأطفال، ولم يقل لها إنه لا يريد أن ينجب أطفالاً البتة. 'حسناً يا أدريانا. لك أن تحتفظي بطفلك. يمكنك ذلك... ولكن لا يمكنك الاحتفاظ بي...'. وبكى على الهاتف، وكانت هي أيضاً تبكي وهي تصغي إليه.

'أرجوك، يا ستيفن...'. ولكنه أغلق السماعة إذ قالت ذلك، وخيم الصمت على الهاتف وهي لا تزال تمسك به. لم تكن لتستطيع أن تصدق إلى أي درجة من الاستياء كان عليها، وكم كان مذعوراً، أنّبت نفسها خلال ساعتين من ذلك الحديث وهي تتساءل إذا كان ينبغي عليها أن تجهض. إذا كان الأمر يعني له الكثير، وإذا كان يهدده بقوة، فأنى لها الحق في أن تجبره على قبول إنجاب الأطفال؟ وفي نفس الوقت أنى لها الحق بأن تقتل الطفل نزولاً عند رغبة رجل ناضج راشد لم يستطع أن يتحمل صورة أن يكون أباً؟ كان يمكن لستيفن أن يتأقلم مع الوضع، وأن يتعامل معه بتقبل، ويمكنه أن يكتشف في النهاية أن

حبها له لم يكن ليتناقص، بل سيزداد أكثر فأكثر، وأن حياته سوف لن تنقضي إذا ما رزقا بطفل. ما كان ليمكنها أن تتخلى عن الطفل. قالت ذلك لنفسها. وتذكرت من جديد ما سينتابها من مشاعر إذا ما ذهبت للطبيب واستعدت للإجهاض، وأدركت أنه لا يمكنها أن تفعل ذلك البتة. سوف تنجب الطفل، وسوف يتقبل ستيفن الأمر. سوف تتحمل كامل مسؤولية الطفل، وكل ما كان عليه هو أن ينأى بنفسه ويستريح وألا يجعل الأمر يفقده رشده.

كانت لا تزال تفكر بذلك في قرارة نفسها وهي تقود السيارة عائدة إلى عملها الساعة الحادية عشرة. وعندما وصلت إلى المنزل بعد منتصف الليل أدارت آلة الرد على الهاتف لترى إذا ما كان قد اتصل، ولكنه لم يفعل. وظلت منزعجة من الأمر في اليوم التالي عندما ذهبت إلى عملها واتصلت بمكتبه وسألت عن الطائرة التي كان ينوي أن يعود على متنها. وكان الأمر مناسباً. فقد كان من المتوقع حضوره الساعة الثانية، وسوف يتسنى لها الوقت لتذهب إلى المطار وتقلّه في سيارتها آملةً أن يكون كلاهما قد هدأ بعد تلك الليلة، وأن تعود المياه إلى مجاريها، كالعادة. فعاجلاً أم آجلاً سوف يتأقلمان مع حقيقة حملها، كمثل أي زوجين آخرين، ويشتريان مهداً ويعدان حجرة نوم الطفل، ويستعدان لقدوم المولود. ولمجرد التفكير بذلك ابتسمت وهي عائدة إلى عملها وحملت نفسها على ألا تفكر بستيفن.

وقف الجميع في موقع التصوير يُشاهدون سيلفيا تُقتَل بعد ظهر ذلك اليوم. فقد زارها جون في زنزانتها، مدعياً أنه محاميها، وبدت لوخن مذهلة تماماً عندما رأته، وما هي إلا دقائق، وبعيداً عن أنظار الحارس الذي تركهما لوحدهما في زنزانتها، حتى أطبق بذراعيه على عنقها وخنقها حتى الموت. وأصدرت أصواتاً مذهلة بينما كان جون يخنقها. لقد كان مشهداً عظيماً، وكان بيل مسروراً للغاية من كل الممثلين وهو يشاهدهم. ثم جاءت لحظة الوداع لسيلفيا بعد أن صاروا خارج الهواء. بكى الجميع. لقد كانت معهم في المسلسل مدة سنة، وسوف يفتقدها الجميع. لقد كان يسهل العمل معها، وحتى النساء

الأخريات أحببنها. وطلب المخرج العصير وأعطوا بيل كوباً ورقياً أيضاً، ووقف على حدود مساحة التمثيل يتفرج على المسلسل التلفزيوني وقد بدا وكأنه يتحول إلى حقيقة، ووقف ستانلي هناك أيضاً يشاهدهم جميعاً وهو يشعر بالحرج والارتباك. وفي نهاية الأمر، حاول بيل أن ينسل هارباً، ولكن سيلفيا لمحته قبل أن يغادر واتجهت صوبه بهدوء وقالت له شيئاً لم يسمعه سواهما، فابتسم ورفع كأسه نحوها، ثم استدار ورفعه نحو ستانلي كأنه يشرب نخبه.

"حظاً سعيداً لكما. استمتعا بحياتكما في نيوجرسي. ولا تنسيا أن تكتبا لنا". قال مطرياً على سيلفيا، وقبّل وجنتها وقد بدأت تبكي من جديد وهي تعلم أنها ستجرب حظها مع ستانلي. كان قد استأجر سيارة ليموزين بيضاء طويلة لتقلهما من الاستديو إلى المطار. لقد كانا يعتزمان ركوب الطائرة إلى نيويورك تلك الليلة، وكانت حقائبها قد حُزمت ووُضعت في السيارة. لقد أخلت شقتها. نظرت إلى بيل بمودة وهو يغادر كادر التمثيل، ودون أن ينظر إلى الوراء، انعطف إلى مكتبه. لقد كان أسبوعاً طويلاً بالنسبة له، ولكن كل شيء انتهى على ما يرام في نهاية الأمر، وكان في الواقع يعتزم أن يأخذ عطلة في نهاية الأسبوع، وأن يمضيها بسلام. وفي الوقت الذي كان بيل يقود سيارته إلى منزله بعد العرض التلفزيوني كانت أدريانا في طريقها نحو المطار. وكل ما كانت تفكر به هو ما ستقوله لستيفن.

وجل ما رأته أدريانا وهي تنظر إلى ستيفن ينزل من الطائرة هو النظرة في عينيه عندما رآها. لقد سار نحوها بشكل مباشر دون أن ينطق بكلمة، وكانت عيناه مليئتين بالعدوانية والأسئلة.

"لماذا جئتِ إلى هنا؟" انتهرها قائلاً، وهو لا يزال غاضباً منها بعد حديثهما ليلة أمس.

"لقد أردت أن أقلك". أجابته بلطف، وحاولت أن تأخذ منه الحقيبة كي تساعده، ولكنه لم يسمح لها بذلك.

لم يكن ثمة داعٍ لذلك. وكنت أفضل ألا تكوني قد فعلت ذلك".

"هيا يا ستيفن... كن عادلاً...".

"عـــادلاً؟" توقـــف دون حراك في منتصف الطريق في المطار. "عادل؟ تريدين مني أن أكون عادلاً؟ بعد كل ما تفعلينه بي؟".

"أنا لا أفعل بك شيء. أحاول ما بوسعي لأتقبل شيئاً قد حدث. لقد جرى هذا لنا كلينا. ولا أرى من الإنصاف في شيء أن تطلب مني القيام بأمرٍ مزعج للغاية".

"إن ما تفعلينه هو أشد سوءاً". وبدأ يسير باتجاه بوابة الخروج وهي تلحق بـــه وتتساءل أين يذهب. فقد كانت قد تركت سيارتها في المرآب، وكان يتجه في سيره نحو سيارات الأجرة.

"إلى أين أنت ذاهب ستيفن؟" كان قد أصبح خارج المطار لتوه، وفتح باب سيارة أجرة. "ماذا تفعل؟" شعرت بالذعر فجأة. لقد كان يتصرف وكأنه شخص لا تعـــرفه على الإطلاق. وشعرت بالخوف مما يعنيه ذلك. ولم تستطع أن تفقه ماهية الأمر. "ستيفن...". كان السائق يرقبهما باستغراب واضح.

"سأعود إلى الشقة...".

"وأنا أيضاً. ولذلك جئت إلى المطار".

واســـتأنف كلامــــه: "... لكي أجمع أغراضي. لقد استأجرت استديو في فندق إلى أن تعودي إلى رشدك". لقد كان يبتزها بالتهديد.

"يا الله... ستيفن... أرجوك". ولكنه صفق الباب في وجهها. وأقفله، وأعطى العنوان للسائق، وما هي إلا دقيقة حتى كانت سيارة الأجرة تعبر الحاجز تاركةً إياها هناك، وهي تحدق إليهما ولا تصدق ما تراه، وتتساءل إلى أين كانت حياتها تذهب بها.

لـــم تســـتطع أن تصدق ما رأته يفعله بها أو أنه قد يهجرها فعلاً. ولكن عـــندما وصـــلت إلـــى الشقة، كان قد حزم للتو ثلاث حقائب ومضربي تنس،

ومضرب كرة الغولف، وحقيبة كاملة مليئة بالأوراق.

"لا أصـــدق أنك تفعل هذا". قالت وهي تنظر حولها ولا تصدق ما تراه. "لا يمكن أن تكون جاداً".

"بل أنا كذلك". قال لها ببرود. "وجاد جداً. خذي ما شئت من الوقت حتى تـــتخذي قـــرارك، ويمكـــنك أن تتصلي بي عندئذ إلى المكتب. سأعود عندما تتخلصين من الجنين".

"وماذا إن لم أفعل؟".

"عندها سأعود لآخذ بقية أغراضي عندما تخبريني بذلك".

"أبهـــذه البســـاطة؟". ســـألته وقـــد شعرت بشيء في أعماق ذاتها قد بدأ يحـــترق، وبالمقـــابل كان هناك جزء آخر من ذاتها يريد أن يزحف إلى حفرة ويمـــوت، ولكـــنها لـــم تظهـــر ذلـــك لزوجها وهي تنظر إليه: "إنك تتصرف كالمجانين تماماً. آمل أنك تعرف ذلك".

"لا أعـــرف ذلك. وبالنسبة لي فإنني أرى أنك قد قوّضْتِ كل أساس للثقة واللياقة والأصول في زواجنا هذا".

"بإنجابي لطفلنا؟".

"بـــل بقـــيامك بأمـــر يتـــناقض مع مشاعري جداً". لقد كان مصراً جداً ومتزمتاً، وكانت تود لو تصفعه.

"انظـــر أنـــا إنســـانة. لقـــد بذلْتُ رأيي في الموضوع. ولكنني أعتقد أن بمقدورنا القيام بذلك. لدينا الكثير لنقدمه لأي طفل. وأعتقد أن أي شخص آخر في مكاننا كان ليفكر هكذا أيضاً، بالنظر إلى المقاييس العادية السوية".

"أنا لا أريد أطفالاً".

"وأنـــا لا أريـــد الإجهاض فقط لأنك تعتقد أنك لا تحب الأطفال وأنك لا تريد أن يعرقل وجودهم رحلتك إلى أوروبا".

"هذا غير صحيح". قال ذلك وبدا وكأنه تعرض للإهانة. "ليس للرحلة إلى

أوروبا علاقة بذلك. إن المشكلة هي الإطار العام لحياتنا. فسوف يحرمنا الطفل من أسلوب الحياة الذي نسعى جهدنا لنحياه، ولستُ مستعداً لأن أتخلى عن ذلك في لحظة نزوة، أو لأنك خائفة جداً لدرجة لا تستطيعين معها أن تسقطي الجنين".

"أنا لستُ خائفة". صرخت في وجهه. "أنا أريد الطفل. ألم تفهم ذلك بعد؟".

"ما أفهمه هو أنك تفعلين ذلك لأنك تريدين أن تنتقمي مني". قال لها ذلك ونظر إليها وكأنه يرى فيها الخيانة العظمى.

"ولماذا أفعل شيئاً كهذا؟" سألته وهو يتفقد خزانته من جديد ليتأكد من أنه لم ينسَ شيئاً من الأغراض التي يريدها.

"لا أدري". أجاب قائلاً: "لم أعرف بعد".

"أو تقول لي إنني إذا ما احتفظت بالجنين فإن من الخير لي أن تتركني؟" فأومأ برأسه ونظر في عينيها، ولم تبدر من أدريانا إلا هزة من رأسها، وجلست على درجات السلّم بينما حمل حقائبه خارجاً. "أنت ستتركني حقاً، أليس كذلك؟" وبدأت بالبكاء من جديد، وقد جلست على السلّم ترقبه يحمل حقائبه بغباء، ولا تصدق أنه كان راحلاً حقاً، ولكنه كان كذلك فعلاً. فبعد زواج دام سنتين ونصف، ها هو يدير ظهره لها ويرحل لأنها كانت ستنجب طفلاً. لم يكن ليسهل على المرء أن يصدق ذلك بسهولة، فقد كان أمراً يصعب فهمه. ولكن عندما حدقت فيه باندهاش، حمل آخر حقائبه إلى السيارة ثم عاد ليلقي نظرة إليها من المدخل.

"أخبريني بقرارك النهائي الذي ستتخذينه". قال ذلك وقد بدت عيناه باردتان كالجليد ووجهه هادئ القسمات بينما راحت تنشج بالبكاء ومشت نحوه.

"أرجوك لا تفعل هذا بي... سأهتم أنا بالأمر كلياً... أعدك بذلك... سوف لن أدعه يبكي... أرجوك يا ستيفن... لا تدعني أتخلى عنه... ولا تتركني... فأنا بحاجة إليك...". وتمسكت به كمثل الطفل، فتراجع إلى الخلف ليتملص

منها، وهذا ما جعلها تشعر بذعر أشد.

"هدئي من روعك أدريانا. أنتِ حرة في قرارك، والخيار يعود لك".

"لا ليس كذلك". كانت تبكي دون انقطاع ولا تستطيع أن تتمالك نفسها. "إنك تطلب مني أن أقوم بأمر لا أستطيع القيام به".

"يمكنك أن تفعلي كل ما تشائين". قال لها ببرود، فنظرت إليه غاضبةً.

"وأنت أيضاً يمكنك ذلك. يمكنك أن تتأقلم مع الأمر إذا كنت ترغب بذلك".

"هذا بيت القصيد". قال لها وهو ينظر إليها: "لقد قلتُ لك للتو يا أدريانا. أنا لا أرغب بذلك". وهنا التقط مضرب التنس، وبنظرة أخيرة إليها، ودون أن ينطق بكلمة، أغلق الباب وراءه، في حين وقفت تحدق إلى البقعة التي خرج منها. لم تستطع أن تصدق أنه قد فعل ذلك بها. لقد هجرها.

الفصل 10

لم تكن هناك رائحة لحم عندما استيقظت صباح هذا السبت. وليس من صينية إفطار في انتظارها. وليس من أومليت أعدته أيدٍ مُحبة. لم تكن هناك روائح طيبة، وأصوات ظريفة، وضجة لطيفة. لم يكن ثمة شيء. الصمت وحسب. كانت لوحدها. وعندما استيقظت أدركت ما جرى، وشعرت وكأن ثقلاً ألقي على قلبها. تململت في سريرها باحثة عنه، وكأنها تذكرت عندئذ فجأة ما حدث. لقد تركها ستيفن.

كانت قد اتصلت بالعمل وأخبرتهم أنها مريضة وتعتذر. لقد كانت مستاءة جداً لدرجة لم تستطع معها أن تذهب إلى أي مكان، وظلت مستلقية في سريرها وبكت حتى نامت والأنوار مضاءة، ثم استيقظت من جديد الساعة الثالثة بعد منتصف الليل فخلعت ملابسها، وأطفأت الأنوار، وارتدت ثوب نوم، وها قد استيقظت الآن وهي تشعر وكأنها مدمنة على الكحول استيقظت بعد تخدير دام أسبوعين. كانت عيناها غائرتين، وكان فمها جافاً، وكانت تشعر بغصة في حلقها، وتشعر بجسدها كله معطوباً مضعضعاً. لقد كانت ليلة من ليالي الجحيم في أسبوع محموم. في الواقع لقد مرت عليها عشرة أيام تعيسة بائسة منذ أن اكتشفت أنها حامل. ولا يزال لديها الخيار الذي قدمه لها. لا زال بإمكانها إسقاط الجنين وسوف يعود ستيفن إليها، ولكن إذا فعلت ذلك ماذا سيكون لديهما الآن؟ استياء متبادل، وغضب، وكراهية في نهاية الأمر. لقد كانت تعلم أنها إذا ما ضحت بالطفل من أجله فإنها ستصل في نهاية المطاف إلى أن تكرهه، وإذا لم تفعل ذلك فإنه سيبقى منزعجاً منها دائماً. في أسبوع واحد دمّرا ما كانا يعتبرانه دائماً زواجاً معقولاً نوعاً ما.

استلقت في سريرها طويلاً وهي تفكر به وتتساءل ما الذي جعله يفعل ذلك. من الواضح أن ذكرياته عن طفولته كانت أسوأ مما كانت تعتقد، ويبدو أنه قد تأذى بشكل كبير منها، ولا يعتبر رفضه إنجاب الأطفال إلا تعبيراً عن هذا الأذى. ولم يكن هذا الأمر ليتغير بين ليلة وضحاها، بل لن يتغير أبداً. وكان عليه أن يريد التغيير ولكنه لم يكن هكذا.

رن جرس الهاتف عندئذ، وفي لحظة يائسة تمنت لو يكون ستيفن. تمنت لو عاد إلى رشده وغير رأيه... وقال لها إنه يريدها... هي والطفل... رفعت السماعة بصوت أجش ولكن متفائل، ولكن خاب ظنها. فقد كانت والدتها هي المتصلة. لقد اعتادت أن تتصل كل بضعة أشهر وما عادت أدريانا تستمتع بالحديث معها. لقد كانت أحاديثهما تتمحور دائماً حول أفعال شقيقتها المخجلة، والتي كانت قليلة نسبة إلى أفعال أدريانا. كانت والدتها في معظم الوقت تبدي تعليقات مبطنة حول إخفاقات أدريانا العديدة، وخذلانها لهم فهي لم تتصل، ولم تحضر بمناسبة العيد منذ سنين، ونسيت مولد أبيها، وذكرى زواج والديها، وانتقلت إلى كاليفورنيا، وتزوجت من شخص لم يكن ليروق لهما، وفوق كل ذلك أخفقا في إنجاب الأطفال. على الأقل ما عادت والدتها تسألها إذا ما كانت قد ذهبت وستيفن لرؤية طبيب بخصوص ذلك.

أكدت لها أدريانا الآن أن كل شيء كان على ما يرام، وتمنت لها، وقد تأخر الوقت على ذلك أسبوعاً، أن يكون يوم الأم سعيداً، وهي تدرك أنها أخفقت في ذلك من جديد، وأخبرت والدتها أنها كانت تعمل بجد كبير وأنها لم تنتبه إلى اليوم، دون أن تذكر أن لديها مشاكلها الخاصة.

"كيف هو بابا؟" سألت والدتها التي اكتفت بالقول إنه يكبر في السن، وقالت لها بأن صهرها قد اشترى سيارة كاديلاك جديدة وسألتها عن السيارة التي كان يقودها ستيفن؟ أهي سيارة بورش؟ وما هذه السيارة؟ إنها سيارة أجنبية. وهل لا تزال تقود تلك السيارة الصغيرة التي تثير الضحك والتي كانت لديها منذ أيام الجامعة؟ وقالت لها أمها أنها تستغرب أن ستيفن لم يشترِ لها

سيارة لائقة. بينما شقيقتها لديها سيارتان الآن: موستانج، وفولفو. لقد كانت هذه المحادثة مع والدتها تثير سخطها بكل الأشكال. اكتفت أدريانا بالقول إن الأمور على ما يرام وأن ستيفن كان قد خرج ليلعب كرة المضرب. لقد كان جميلاً أن يكون للمرء أمٌّ يتحدث إليها، شخص يمكن أن يستند إلى كتفه ويبكي، أو شخص يمكن أن يرفع معنوياته. ولكن كل ما كانت والدتها تفعله هو الاستمرار في تجريحها وانتقادها، وإذ سمعت منها الكفاية قالت لأدريانا أن تمنح ستيفن أفضل ما عندها، ثم أنهت المكالمة دون أن تقدم لها أي عزاء أو راحة.

رن جرس الهاتف ثانية بعد ذلك، ولكن أدريانا لم تجب هذه المرة. بل أصغت إلى المجيب الصوتي يرد، واكتشفت أن المتصل هو زيلدا، ولكنها لم تكن على يقين بأنها قادرة على التحدث إليها. لقد كانت تريد أن تبقى لوحدها تلعق جروحها، والشخص الوحيد الذي كانت تود أن تتحدث إليه كان ستيفن. ولكنه لم يتصل طوال النهار، وجلست أدريانا تلك الليلة لوحدها وقد ارتدت ثوب نومه وتسمّرت أمام التلفاز وهي تشعر بالأسف على نفسها وتبكي.

رن جرس الهاتف من جديد، عندئذ رفعت السماعة على عجل دون أن تفكر في الموضوع. كانت زيلدا تتصل بها لتسألها عن أمر ما في العمل، وسرعان ما أحست زيلدا أن ثمة خطب ما. فقد بدت أدريانا في حالة مريعة.

"هل أنت مريضة؟".

"نوعاً ما...". تمتمت قائلة لها وهي تود لو أنها لم ترد على الهاتف. أجابت على أسئلة زيلدا، كانت زيلدا تود أن تسألها من جديد إن كانت على ما يرام لكنها ترددت. فقد أدركت أخيراً أن أدريانا مضطربة ومنزعجة.

"هل من شيء أفعله لأجلك يا أدريانا؟".

"لا... أنا...". تأثرت أدريانا بسؤالها. وقالت:

"أنا بخير".

كـان صـوت زيلدا لطيفاً على الطرف الآخر من الخط. "إنك لا تبدين

هكذا". بكت أدريانا وهي تصغي إليها.

"بلى". قالت وقد نشقت بصوت مرتفع على الهاتف، وهي تشعر بأنها حمقاء لانهيارها على هذا النحو المفاجئ، ولكنها ما عادت تستطيع التظاهر أو الادعاء أكثر. لقد كان هجر ستيفن لها قاسياً ومريعاً، وكانت تتمنى لو كان شخص ما إلى جوارها يضمها إليه ويعانقها. "أعتقد أنني لستُ على ما يرام". وضحكت وسط الدموع، وهي تكبت نشيجاً من البكاء، ولم تستطع زيلدا أن تتوقف عن التساؤل عما جرى. وعندها قررت أدريانا أن تخبرها. فلم يكن هناك أي شخص آخر تستطيع أن تقول له أي شيء عن هذا الموضوع، ثم أنها وزيلدا تشعران بالمودة والألفة تجاه بعضهما منذ سنين. قالت: "ستيفن وأنا... إنه... إننا... لقد هجرني...". لقد كانت آخر كلمة أقرب ما تكون إلى صوت الصرير في حين بدأت تبكي من جديد، وشعرت زيلدا بالأسف لأجلها. لقد كانت تدرك قساوة تلك الأمور. فقد مرّت بها من قبل، وهذا هو السبب الذي جعلها تخرج مع شباب صغار السن الآن. لقد كانت تريد بعض اللهو والتسلية، وأن تمضي أوقاتاً طيبة، ولكن لا مزيد من تصدع القلب ووجع الرأس.

"أنا آسفة أدريانا. حقاً. هل أستطيع أن أفعل أي شيء لأجلك؟".

هزت أدريانا رأسها وقد سالت الدموع على وجنتيها. "لا. سأكون بخير". ولكن متى؟... وهل سيعود؟ لقد كانت ترجو من الله أن يعود إلى رشده.

"بالتأكيد ستكونين كذلك". قالت لها زيلدا مشجعة "كما تعلمين، مهما فكرنا أننا لا نستطيع أن نعيش بدونهم، إلا أننا نستطيع ذلك دائماً. وما هي إلا ستة أشهر من الآن حتى تشعري بأنك مسرورة مما حدث". ولكن كلمات زيلدا جعلتها تبكي على نحو أشد.

"أشك في ذلك".

"انـتظري وسترين". قالت ذلك محاولة إقناعها، ولكن أدريانا كانت تعلم أمـراً تجهلـه زيلدا. "بعد ستة أشهر من الآن، قد تجدين نفسك مرتبطة بعلاقة

رومانسية دافئة مع شخص آخر ربما لم تلتقي به بعد".

أضحكت كلمات زيلدا أدريانا فجأة فقد كانت الصورة هزلية للغاية. فبعد ستة أشهر ستكون في شهرها السابع من الحمل. "أشك بذلك". وتمخطت من جديد ثم تنهدت.

"ما الذي يجعلك متأكدة هكذا؟".

وهنا بدت أدريانا جدية من جديد: "لأنني سأنجب طفلاً". سادت لحظة صمت على الطرف الآخر في حين كانت زيلدا تحاول أن تستوعب ما قالته للتو، ثم أطلقت صفيراً طويلاً منخفضاً.

"هذا يلقي ضوءاً مختلفاً على الأمور. هل يعرف هو بذلك؟".

ترددت أدريانا، ولكن لجزء من الثانية فقط. لقد كانت في حاجة لأن تتكلم عن الموضوع مع شخص ما، وكانت ترى أن زيلدا ذكية وحكيمة كفاية لتسمع، وكانت أدريانا تعرف أنها موضع ثقة. "هذا هو سبب رحيله. إنه لا يريد أطفالاً".

"سيعود". قالت زيلدا وهي واثقة من ذلك. وأردفت تقول: "إنه فقط يبدي ردة فعل فعلى الأرجح أنه مروّع ومذعور". وكانت على حق في ذلك. فقد كان خائفاً، ولكن أدريانا لم تكن مقتنعة تماماً أنه سيعود إلى رشده. لقد كانت تريد ذلك، لقد كانت تريد ذلك أكثر من أي شيء آخر، ولكن كان من الصعب عليها أن تتوقع بما سيفعله. فهو نفس الشخص الذي ترك عائلته ورحل، ولم ينظر إلى الخلف أبداً. في الواقع كانت متأكدة أنه حتى لم يفتقدهم. فعندما كان يقرر أمراً، كان قادراً حتى على أن يقسو على أي شيء مهما كان متعلقاً به يوماً ما، إذا ما كان ذلك يناسب غرضه.

"آمل أن تكوني على صواب". تنهدت أدريانا ثانية، وقد نشجت كطفل يبكي. ثم خطرت لها فكرة فقالت: "لا تقولي لأحد في العمل عن ذلك" لقد كانت أبعد ما تكون عن إعلان ذلك. لقد كانت تريد أن تستقر أحوالها مع ستيفن أولاً. ففي حال لم تخبر أحداً وتمت تسوية الأمور فسيكون الأمر أسهل عليها، أضف

إلى ذلك أنها لم تكن تريد إثارة البلبلة بشأن تركها العمل.

"لن أقول شيئاً". سارعت زيلدا لطمأنتها. "ماذا ستفعلين؟ هل ستتركين العمل أم تأخذين إجازة؟".

"لا أدري. لم أفكر بالأمر بعد. على الأرجح سآخذ إجازة". ولكن ماذا لو رحل ستيفن؟ ماذا لو بقيت لوحدها؟ كيف ستستطيع العمل وتدبر أمور الطفل؟ لم تكن قد بدأت حتى بالتفكير بهذا الأمر أيضاً. ولكن مهما كلف الأمر، كانت تعلم أنها ستفعل ذلك.

"لديك متسع من الوقت. والحق معك. لا تخبري أحداً بشيء. سوف تجعلينهم يتوترون فحسب". لقد كانت أدريانا تملك وظيفة جيدة، بل رائعة. وكانت تحمل فيها مسؤولية كبيرة تسبب لها الكثير من الصداع، ولكنها كانت ماهرة في عملها، وكانت تحبه. في الواقع كان العمل فكرة ستيفن أصلاً، ولكن أدريانا استمتعت به أيضاً، رغم أنها كانت تتشوق أحياناً للعمل في مجال يناسبها شخصياً أكثر. فالعمل على نشرات الأخبار يوماً تلو الآخر كان مؤلماً، وكانوا جميعاً يعلمون أن هذا قد يسبب الاكتئاب. لقد كانوا على تماس بالآلام التي يسببها الإنسان للإنسان، والمآسي التي تحدثها الطبيعة، وكانوا قلما ينشرون أخباراً تبهجهم. ولكن أدريانا كانت تستمتع بإنجازها لعملها على أكمل وجه. وكانوا جميعاً يعرفون ذلك. "هوني عليك يا أدريانا. لا تدعي هذه الأمور التافهة تتغلب عليك. سينتظم العمل بنفسه في نهاية الأمر، وسيأتي الطفل في الوقت المناسب، وعلى الأرجح أن ستيفن سيعود إليك خلال يومين وقد امتلأت ذراعاه بالورود الحمراء هدية لك، وسيود أن يدعي أنه لم يتركك".

"آمل أن تكوني على صواب". أغلقت أدريانا الهاتف بعد دقائق من الحديث. لم تكن زيلدا على يقين مما سيفعله ستيفن. كانت قد التقت به عدة مرات، وأخذت انطباعاً جيداً عنه، ولكن في أعماق قلبها لم تشعر بمحبة تجاهه. كان هناك شيء من البرودة والريبة تحيط به. فكان ينظر إليك بسرعة

وكأنه متلهف للانتقال نحو شخص آخر، ولم تشعر يوماً أنه دافئ المشاعر ولبق مثل أدريانا. أما طبع أدريانا فقد أحبته منذ أن التقت بها لأول مرة. والآن تشعر بالأسف لأجلها. فمن الصعب جداً أن تكون المرأة حامل ويتركها زوجها. لم يكن هذا بالأمر المنصف. وعندما فكرت بذلك استشاطت زيلدا غضباً لأن أدريانا لم تكن تستحق هذا الموقف.

لم تكن تستحق هذه اللامبالاة والتجاهل من قبله، ولكن ليس بيدها حيلة إزاء ذلك. لم تكن تستطيع أن تفعل أي شيء يجعله يعود إليها أو يغير رأيه. وفي وقت لاحق من تلك الليلة جلست أدريانا أمام التلفاز وقد غشيت عيناها بالدموع والبكاء. وغفت على الأريكة في نهاية الأمر، كانت الساعة قد شارفت الرابعة عندما استيقظت على أنغام النشيد الوطني الجليلة الحزينة. فأغلقت التلفاز وتقلبت على الأريكة. لم تكن تريد أن تصعد إلى الأعلى حيث سريرها الفارغ. لقد كان الأمر يشعرها بالاكتئاب الشديد. وفي الصباح استيقظت مع بزوغ أول أشعة الشمس التي تسللت إلى الغرفة عبر النوافذ. وأمكنها أن تسمع صوت زقزقة العصافير في الخارج، لقد كان يوماً جميلاً، ولكنها شعرت وكأن فيلاً يجثم على قلبها إذا استلقت على الأريكة وفكّرت في ستيفن. لماذا كان يفعل بها هكذا؟ وبنفسه؟ لماذا يحرمها ويحرم نفسه من شيء له معنى كبير جداً؟ والغريب من الأمر أنها وبعد أن أنبت نفسها على فكرة عدم إنجاب أطفال، غدت فجأة على استعداد للتضحية بكل شيء من أجل طفل. لقد كان أمراً غريباً، هذا ما فكرت به في نفسها وهي تنهض بتمهل، وتجلس على الأريكة وهي تشعر وكأن جسدها مليء بالرضوض والكدمات. فقد كانت كل أعضائها تؤلمها، وشعرت بعينيها غائرتين من البكاء طوال الليلة الفائتة. وعندما ذهبت إلى الحمام بعد دقيقة أنّت وهي تنظر إلى نفسها في المرآة.

"لا عجب أنه تخلى عنكِ". تمتمت لصورتها في المرآة، وقد اغرورقت عيناها بالدموع من جديد وقد ضحكت. لقد كان أمراً ميئوساً منه. ولم يكن في وسعها إلا البكاء. غسلت وجهها، ونظفت أسنانها بالفرشاة، ثم سرّحت شعرها،

وارتدت بنطال جينز وكنزة قديمة من كنزات ستيفن. لقد كانت بذلك تحاول البقاء قريبة منه. فإن لم يكن معها الآن فبمقدورها أن ترتدي ثيابه.

أعدت لنفسها قطعة من التوست على مضض، ثم سخنت ما بقي من قهوة الأمس. لقد كان طعمها مريعاً، ولكنها لم تكن لتهتم. لقد أخذت رشفةً وحسب ثم جلست تحدق إلى الفضاء وتفكر به من جديد، وفي السبب الذي جعله يتركها. كانت فكرة وحيدة تدور في رأسها، وعندما رن جرس الهاتف، هبت واقفة على قدميها، وهرعت تلتقط سماعة الهاتف وهي مقطوعة الأنفاس ومتلهفة... هل سيعود إلى المنزل... لا بد أنه المتصل. فمن غيره يمكن أن يتصل الساعة الثامنة صباح يوم الأحد؟ ولكن عندما أجابت على الهاتف كان المتحدث يتكلم بالصينية، وأغلق السماعة عندما سمعها. لقد كان مخطئاً في الرقم.

تسكعت لساعة في أرجاء الشقة، تلتقط الأشياء من هنا وتضعها هناك، وتفرز الغسيل، بكت عندما رأت أن معظم الغسيل كان لستيفن. لم يعد من السهل عليها أن تتعامل مع الأشياء. كان كل شيء يؤلمها، وكل شيء يذكّرها بما حدث، وشعرت فجأة أن مجرد وجودها في الشقة بدونه مؤلم للغاية. عند الساعة التاسعة لم تعد تطيق صبراً، قررت أن تخرج لتتمشى. لم تدر أين تذهب، ولكن كان يكفيها أن تخرج إلى أي مكان وتتنشق بعض الهواء، وأن تبتعد عن ثيابه، وأغراضه، والغرف الفارغة التي جعلتها تشعر بالعزلة أكثر. فالتقطت مفاتيحها، وأغلقت الباب وراءها، وسارت خارجة نحو واجهة المجمع السكني. لم تأخذ بريدها ليومين وما كانت لتهتم لذلك. وبما أنها خرجت لتتمشى فبإمكانها أن تفعل ذلك الآن. فتوقفت قرب صندوق البريد واستندت إلى الجدار وفضت الفواتير التي وصلت، لقد كان هناك أيضاً رسالتين لستيفن. لم يكن من رسائل أو بريد لها، فأعادت كل شيء إلى الصندوق، وسارت ببطء نحو سيارتها، وهي تفكر بأن تذهب في السيارة. كانت قد تركت سيارتها أمام المجمع السكني في الأمس، ورأت هناك عربة نوم خشبية قطرت إلى سيارة

تركن إلى جوار سيارتها، وإذ دنت منها رأت رجلاً يخرج دراجة هوائية منها. لقد كان يشعر بالقيظ والرطوبة، وبدا وكأنه خارج ليقود دراجته عندما استدار ونظر إليها. حدق بها طويلاً وكأنه ينعش ذاكرته، ثم ابتسم إذ تذكّر أين رآها تماماً. لقد كانت لديه ذاكرة قوية لتذكر أشياء كهذه، ما خلا التفاصيل، إضافة إلى الوجوه التي يكون قد رآها، وأسماء الناس الذين لا يلتقي بهم من جديد. لم يتذكر اسمها لأنه لم يعرفه، ولكنه سرعان ما تذكر أنها هي الفتاة الجميلة التي رآها في متجر سيفواي قبل أسابيع. وتذكر أيضاً أنها متزوجة.

"مرحباً". ووضع دراجته إلى جوارها، وجدت أدريانا نفسها تنظر إلى عينين زرقاوين كانتا مباشرتين، دافئتين، ولطيفتين، وودودتين. وخمّنت أن يكون في الأربعين أو الواحدة والأربعين من العمر، وقد كان ثمة خطوط صغيرة إلى جانب عينيه توحي بالمودة والبشاشة. لقد بدا كشخص يستمتع بحياته وعلى علاقة طيبة مع نفسه ومع الناس حوله.

"مرحباً". بدا صوتها خجلاً ضعيفاً، ولاحظ أنها تبدو مختلفة قليلاً عما كانت عليه قبل أسابيع. لقد بدت متعبة وشاحبة، وتساءل إذا ما كانت تجهد نفسها في العمل، وربما كانت مريضة. لقد بدت متوعكة وكأنها تعاني من محنة منذ مدة. كانت أكثر مرحاً وحماساً نوعاً ما عندما رآها في السيفواي قرابة منتصف الليل، ولكن مهما يكن من أمر، فقد كانت جميلة، وكان مسروراً لرؤيتها.

"هل تعيشين هنا؟" وجد نفسه يرغب في الحديث إليها، ليتعرف عليها أكثر. لقد كان من الغريب أن تتقاطع طريقهما من جديد. ولربما تشابكت أقدارهما أيضاً، قال في نفسه، وقد شعر بالإعجاب بها. وكان ليتمنى ذلك لولا أن ذلك يعني، كما تذكر، أنه تقاطع أيضاً مع أقدار زوجها.

"نعم". وابتسمت في هدوء. "نحن نعيش في أحد المنازل الريفية في الطرف الآخر. أنا لا أركن سيارتي هنا في العادة، ولكن أظن أنني رأيت سيارتك من قبل. إنها رائعة". كانت تعجب بالسيارة دائماً دون أن تعلم لمن

تكون.

"شكراً. أنا أعشقها. لقد رأيتُ سيارتك هنا أيضاً". قال لها ذلك إذ أدرك الآن أن السيارة لها. لقد أحب دائماً سيارة الـ أم جي الصغيرة كلما رآها، وعرف الآن أنه رأى أدريانا من قبل في المجمع السكني، من بعيد. لقد كانت برفقة رجل طويل، وسيم، داكن الشعر، كانا في سيارة من نوع مرسيدس أو بورش. وعندما تذكر ذلك أدرك أن ذلك الرجل هو زوجها على الأرجح. لقد كانا يشكلان ثنائياً جميلاً ظريفاً، ولكن الانطباع الذي ترك في نفسه عندما رآها في متجر سيفواي كان أعمق بكثير من رؤيتها معه. فالنساء فقط لهن تأثير كبير عليه أكثر من الثنائي الجميل. "تسرني رؤيتكِ من جديد". قال لها وقد شعر بنوع من الارتباك، ثم ضحك من نفسه. "ألا تشعرين بأنك كمثل الأطفال عندما تلتقين صدفة بالناس على هذا النحو؟... مرحباً... أنا بيل... ما اسمك؟... بيه، هل تذهبين إلى المدرسة هنا؟" قال ذلك وهو يقلّد صوت تلميذ في مدرسة، وضحك كلاهما لأنه كان على صواب. سواء كانت متزوجة أم لا، فقد كانت جميلة، وكان رجلاً، وكان واضحاً لكليهما أنها كانت تروق له. "وهذا يذكّرني". ومدّ يده نحوها، وقد أمسك بيده الأخرى دراجته الجبلية. "أنا بيل ثيغين، التقينا قبل أسبوعين في السيفواي، قرابة منتصف الليل. لقد كدتُ أصدمك بعربة التسوق، وأسقطتِ عندها أربع عشرة لفافة من المحارم الورقية".

ابتسمت إذ تذكرت الموقف ومدت يدها نحوه. "وأنا أدريانا تاونسيند". سلمت عليه مع ابتسامة صغيرة وهي تفكر كم هي غريبة هذه الصدف أن تلتقي به أيضاً من جديد. لقد تذكرته الآن، ولو بشكل مبهم. وتغيرت كل حياتها منذ تلك اللحظة. كل شيء... مرحباً، أنا أدريانا تاونسيند، وحياتي كلها تنهار... زوجي هجرني... وسأنجب طفلاً... "يسعدني أن ألتقي بك من جديد". كانت تحاول أن تكون لبقة مهذبة، ولكن بدت عيناها حزينة جداً. وبمجرد رؤيتها رغب لو يضمها بين ذراعيه. "إلى أين تقود دراجتك؟" حاولت جاهدة

أن تبحث عما تقوله، وقد بدا أنه يرغب في متابعة الحديث معها.

'آه... هنا وهناك... أقود الدراجة نحو ماليبو هذا الصباح. إنها جميلة فعلاً. أحياناً أكتفي بالذهاب إلى هناك كي أتمشى على الشاطئ وأستعيد صفاء ذهني بعد أن أكون قد أمضيت الليل كله في العمل'.

'هل تفعل ذلك كثيراً؟' حاولت أن تبدو مهتمة، رغم أنها لم تكن تدري السبب. ما كانت تعلمه هو أنه يبدو شاباً ظريفاً وودوداً ولم تُرِدْ أن تجرح مشاعره. وكان فيه شيء جعلها ترغب أن تقف هناك، على كثب منه، وأن تتحدث معه عن أي شيء. لقد شعرت وكأن وقوفها إلى جواره لن يصيبها بمكروه، بل سيعطيها الإحساس بالأمان لبرهة قصيرة. لقد كان يحيط به ذلك الشعور بأنه شخص قادر على أن يُعنى بالأشياء، وعندما كانت تتحدث إليه، ركّز نظره على عينيها. لقد طرأ أمرٌ عليها في الأسابيع القليلة الماضية. كان على ثقة من ذلك. لم تكن لديه أدنى فكرة عما يمكن أن يكون هذا الأمر، ولكنها بدت مختلفة. لقد بدت مجروحة. ومن الداخل. وهذا ما أشعره بالحزن لأجلها.

'نعم... أعمل لوقت متأخر أحياناً. متأخر جداً. وأنتِ؟ هل تشترين دائماً حاجياتك عند منتصف الليل؟'.

ضحكت من سؤاله، ولكن كان هذا هو الواقع، كلما نسيت أن تشتري الأغراض في وقت مبكر أكثر. لقد كانت تحب أن تتسوق بعد أخبار المساء. عندها تكون مسترخية ولا تزال يقظة بسبب العمل، ويكون المتجر فارغاً دائماً. 'نعم أفعل ذلك أحياناً. فأنا أنهي عملي عند الساعة الحادية عشرة والنصف. أنا أعمل في نشرة الأخبار المتأخرة... وفي نشرة أخبار الساعة السادسة. وهذا الوقت يناسبني للتسوق'.

بدا مسروراً بصحبتها. 'في أي شبكة تعملين؟' أخبرته فضحك من جديد. لربما تقاطعت أقدارهما فعلاً. "أتعلمين، نحن أيضاً نعمل في نفس المبنى'. ورغم أنه لم يسبق له أن رآها هناك، إلا أن مسلسله يتم تصويره في المبنى

نفسه بعد ثلاثة طوابق من مكتبها. "أنا أعمل على مسلسل تلفزيوني فوق استديو الأخبار بحوالي ثلاثة طوابق'.

'يا للطرافة'. لقد سرتها هذه الصدفة أيضاً، رغم أن حماسها للموضوع لم يكن بقدر حماسه. 'لأي مسلسل تعمل؟'.

'*حياة جديرة بالعيش*'. قال بدون تعليق، محاولاً أن يتناسى أن هذا المسلسل كان من بنات أفكاره.

"إنه مسلسل جيد. لقد كنت أحب أن أشاهده في أوقات الفراغ، قبل أن أعود إلى العمل في نشرة الأخبار".

'منذ متى تعملين هناك؟' لقد أثارت أدريانا اهتمامه، وأحب الوقوف هناك إلى جانبها. لقد تخيل حتى إنه يشم رائحة الشامبو في شعرها. لقد بدت نظيفة، ومتألقة، ولبقة، وفجأة وجد نفسه يتساءل عن أشياء تافهة، مثلاً فيما إذا كانت تضع عطراً أم لا، وإن كانت كذلك، فما نوعه وهل سيحب هذه الرائحة.

'منذ ثلاث سنوات'. واستأنفت 'لقد اعتدت أن أعمل على برامج خاصة، وأفلام مدتها ساعتان. فأنا أعمل في الإنتاج. ولكن حصلت فيما بعد على فرصة العمل في قسم الأخبار..." وتوقفت عن الكلام، وتساءل عن السبب.

'هل تحبين هذا العمل؟'.

'أحياناً. إنه مقيت ويثير الكآبة، أحياناً، وأحياناً يؤثر على حالتي النفسية'. هزت كتفيها استهجاناً وكأنها تعتذر عن ضعف جسدي.

'سوف أُصاب أنا أيضاً بنفس الشيء. فلا أعتقد أن في وسعي العمل في هكذا مجال. أنا أفضل أن أعمل على مستوى أرفع... جريمة واغتصاب وسفاح القربى. هذه المواد والمواضيع الجيدة التي يحبها الأمريكيون بالإجمال". وبش في وجهها من جديد وقد استند إلى دراجته بينما ضحكت هي لوهلة، حتى بدت سعيدة مبتهجة خالية من الهم، بنفس الهيئة التي بدت عليها عندما رآها أول مرة.

'هل أنت كاتب؟' لم تعرف لماذا تسأله، ولكن كان من السهل الحديث إليه ولم يكن لديها شيء آخر تفعله صباح هذا الأحد.

'نعــم ولكنـــي ما عدتُ أكتب في المسلسل كثيراً. أنا أكتفي بالتطفل من الخارج'. لم تعرف أنه هو من ابتدع المسلسل ولم يُرِدْ أن يخبرها بذلك.

'لا بـــد أن الأمر مسلٍ. كنتُ أرغب في الكتابة، منذ زمن بعيد، ولكنني أفضل في مجال الإنتاج'. أو على الأقل هذا ما كان ستيفن يقوله، ولكن ما أن فكــرت به حتى أصاب الحزن عينيها من جديد، ولاحظ بيل ذلك إذ كان ينظر إليها.

'أراهــن بأنك ستكونين ماهرة فيها، إذا ما حاولتِ. معظم الناس يعتقدون أن الكتابة لغز كبير، مثل الرياضيات، ولكنها ليست كذلك في الواقع'. شردت أثــناء الحديث ولاحظ ذلك إذ عادت إلى حزنها الأولي. ولوهلة توقف كلاهما عــن الحديث ونظر إليها، ثم هزت رأسها محاولة أن تحمل نفسها على التفكير في الكتابة من جديد، لتبقي فكرها بعيداً عن ستيفن.

"لا أعتقد أنني أستطيع الكتابة". ونظرت إليه بحزن عندئذ، وكان يود لو يقترب منها ويلمسها.

'ربما عليكِ أن تحاولي ذلك. إنها مصدر عزاء وراحة كبيرة أحياناً...'. خاصة إزاء ذاك الذي يعتمل في داخلك ويجعلك حزينة. لقد بثّ إليها كل أمانيه الطيبة، ولكنه لم يستطع أن يقول شيئاً. فقد كانا غريبين بالنسبة لبعضهما على جميع الأحوال، وما كان ليستطيع أن يسألها عما يجعلها حزينة جداً هكذا.

فتحت باب سيارتها عندئذ، ونظرت إلى الخلف نحوه قبل أن تركب سيارتها الـــ أم جي. لقد بدا وكأنها تأسف على فراقه، ولكنها حارت في أمرها لا تعرف ما تقول له. لقد سرّها تجاذب أطراف الحديث معه، وفكرت الآن أن عليها أن تنطلق، ولكنها لم تكن لترغب في ذلك. 'أراك من جديد في وقت ما...'. قالت في هدوء فأومأ برأسه.

'آمل ذلك'. قال مبتسماً، متحدياً رباط زواجها، وكان هذا أمراً نادراً،

ولكنها أيضاً فتاة نادرة. لقد أدرك ذلك رغم أنه لم يعرفها حتى.

وإذ قادت سيارتها مبتعدةً، وقف ممسكاً بدراجته الجبلية، وتابعها بنظره.

الفصل 11

اتصل ستيفن بها في المنزل بعد يومين قبل أن تغادر إلى العمل. في ذلك الوقت كانت قد فقدت الأمل بأن تسمع منه، وارتفعت معنوياتها عندما سمعت صوته، ثم ما لبثت أن هبطت بشكل صاعق عندما أخبرها أنه بحاجة إلى ماكينة الحلاقة الأخرى.

"إذا أحضرتها معك اليوم إلى العمل، سأمر وآخذها في وقت ما صباح غدٍ قبل الذهاب للعمل. لقد تعطلت ماكينتي الجيدة".

قالت "يؤسفني سماع ذلك". وهي تحاول أن تبدو عادية رابطة الجأش، كي لا يعرف أنها مكتئبة. "كيف أمورك الأخرى؟".

قال "على خير ما يرام، وأنت؟".

"أنا بخير وأفتقدك".

"لا يكفي هذا، ما لم يكن قد حدث أمرٌ ما لم أعلم به". عاد لنفس الموضوع وبنفس الرأي. لم يكن يخضع للمساومة أو يقبل بتقديم التنازلات، كما أنه لم يغير رأيه، ولم تظهر من جانبه أي علامة لين، وتساءلت أدريانا فجأة هل كانت زيلدا مخطئة في رأيها وأن زواجهما قد انتهى فعلياً. لم يكن بالإمكان تصديق ذلك، ولكن ها هو يرحل بسبب الجنين.

"يؤسفني أنك لا تزال تشعر على هذا النحو يا ستيفن. هلاّ تريد أن تأتي إلى هنا في عطلة نهاية الأسبوع لنتحدث؟".

"ليس ثمة ما نتحدث عنه ما لم تغيري رأيك". لقد كان مصراً على إسقاط الجنين كما يصر الأطفال. "وإلا".

"وإلا ماذا الآن؟ نعيش هكذا إلى الأبد ثم أعلمك عندما يولد الطفل؟" كانت

تمازحه ولكنه كان جدياً.

"ربما. لقد فكرت أن ننتظر لبرهة لنرى إذا كنت ستغيرين رأيك خلال الأسابيع القليلة القادمة. وإذا قررتِ أن... أن تتابعي قدماً... فعندها سأبدأ بالبحث عن شقة".

"أنت جاد فيما تقول؟" لم تصدق ما تسمع.

"نعم. وأظن أنك تعلمين ذلك. أنت تعرفينني بما يكفي لتدركي أنني لن أستمر معك في اللعبة طويلاً يا أدريانا. خذي قرارك وأعلميني حتى نستطيع أن نستأنف حياتنا. فهذا الوضع غير سليم بالنسبة لكلينا". لم تستطع أن تصدق ما يقول. لقد أرادها أن تُعلمه بقرارها بأسرع وقت ممكن حتى يستطيع أن يبحث عن شقة ويواعد النساء. إنها لا تصدق ما تسمع.

"بالتأكيد ليس الأمر سليماً. وسنرى ماذا ستقول لابنك أو ابنتك تبريراً لموقفك". ولكن السهم لم يصب الهدف هذه المرة. فبدا وكأنه لا يبالي بما ستخبرهم به.

"لماذا لا ندع الأمور تهدأ لبضعة أسابيع ونرى ما يكون شعورك آنذاك. سأذهب إلى نيويورك الأسبوع المقبل، وسأعود إلى شيكاغو بعد ذلك. في الواقع سيكون عندي سفر كثير في الأسابيع القليلة المقبلة. لماذا لا نترك الموضوع حتى منتصف حزيران. هذا يعطيك شهراً لتفكري فيما تريدين". رغبت آنذاك لو تقتل نفسها، فهذا ما كان يريده... أو أن تقتله... فلم تكن ترغب في الانتظار حتى حزيران حتى يقرر إذا كان سيطلقها أم لا.

"يبدو أنك على استعداد لأن ترمي بسنتين ونصف من حياتنا معاً في نوبة انفعال مزاجية؟".

"إذا اعتقدت ذلك فهذا يعني أنك لا تفهمينني جيداً، أليس كذلك يا أدريانا؟ إنها مسألة تتعلق بأهداف حياتنا، ويبدو أن أهدافنا مختلفة جداً".

"أنت على حق، فأنا لستُ مستعدة لأن أبيع روحي، أو طفلي مقابل جهاز ستيريو جديد ورحلة إلى أوروبا. إننا لا نتحدث الآن عن مشاهدة مباراة، وإما

تتحدث عن حياتنا وطفلنا. لا أزال أقول لك ذلك، ولكن لا أعتقد أنك تسمعني".

"إنني أسمعك أدريانا. ولكنني لا أوافقك الرأي فيما تقولين. سأتحدث إليك خلال بضعة أسابيع". ثم قال: "اتصلي بي إذا غيرتِ أفكارك في هذه الأثناء".

"كيف سأجدك؟" وماذا لو كانت هناك حالة طارئة أو إذا ما احتاجت له؟ فهو لا يزال الشخص الذي يتم الاتصال به بحالة الطوارئ في كل أوراقها. وهذا ما جعلها تشعر بالخوف أيضاً. كل شيء كان ليشعرها بذلك. لقد أحست أنها منبوذة متروكة كلياً.

"اتصلي بمكتبي، وسيعرفون أين أكون".

"يا لحظهم". قالت في سخرية وتهكم.

"لا تنسي ماكينة الحلاقة".

"نعم... طبعاً...". عندئذ أغلق السماعة، فجلست في مطبخها لوقت طويل، وهي تمعن التفكير فيما قاله، وتتساءل فيما إذا كانت قد عرفته على هذا الشكل. وبدأت تشك في ذلك.

أحضرت ماكينة الحلاقة إلى المكتب ذلك اليوم وفي اليوم التالي كان قد أخذها. فقد عرج على المكتب ليلتها وأخذها ولم يترك لها ولو ورقة أو ملاحظة صغيرة، ولكنها لم تقل لأحد شيئاً عن ذلك. ولا حتى لزيلدا. ولم تخبر أحداً في العمل أن ستيفن كان قد هجرها. لقد كان الأمر محرجاً جداً. وعندما يعودان إلى سابق عهدهما بعد بضعة أسابيع سيكون أقل إحراجاً لهما إذا كانا لم يخبرا أحداً بذلك، ما عدا زيلدا.

عندما سمعت زيلدا عن الاتصال الهاتفي، أكدت لأدريانا أنه سيعود إلى رشده عندما يحين الأوان.

ولكن في غضون ذلك، بدت عطلات نهاية الأسبوع طويلة. ولم يتصل ستيفن. وفجأة أدركت أدريانا أنها اعتادت على أن تكون معه حتى إنها لم تعد تعرف ما تفعل لوحدها. وكان لزيلدا حياتها الخاصة لتعيشها. لقد كان لديها الآن صديق جديد تعاشره وهو في الرابعة والعشرين من العمر، وكان عارض

أزياء. وقد وجدت أدريانا أن زيلدا مشغولة جداً بحياتها الخاصة فلم تشأ أن تزعجها.

تقبلت أدريانا بهدوء فكرة رحيل ستيفن، وكان رحيله مريحاً لها نوعاً ما. فما عادت تترقب أو تعد نفسها بالذهاب إليه. لم تعد تستلقي في سريرها على أمل أن يعود إلى الشقة ليأخذ بعض الأغراض، أو يمر عليها في مكتبها ليقول لها إنه كان أحمق وإنه في غاية الأسف. لقد علمت أنه عاد إلى شيكاغو الآن، ولكنها لم تسمع عنه شيئاً منذ أسابيع، وعندما يعود ربما يستطيعان أن يعيدا المياه إلى مجاريها ويتأقلما مع حياتهما الجديدة.

في غضون ذلك، شعرت وكأن كل شيء ينتظر. لقد كانت تعمل، وتأكل، وتنام، ولم تذهب إلى أي مكان، ولم ترغب بالخروج من البيت. لم تذهب حتى إلى السينما. ذهبت مرةً لرؤية الطبيب الذي أخبرها أن حملها كان يسير على ما يرام وأن كل شيء طبيعي. كل شيء ما عدا حقيقة أن زوجها قد هجرها، هذا ما فكرت به في نفسها. ولكنها كانت مرتاحة لأن الجنين كان على ما يرام. لقد صار يعني كل شيء بالنسبة لها الآن، لقد كان هو كل ما تبقى لها... ذلك الكائن الصغير الضئيل الذي ستغدق عليه الحب... كائن لم يُولد بعد. لقد شعرت بالعزلة مرة أو مرتين، ورغبت بالاتصال بوالديها، ولكنها قاومت الفكرة، وكانت تتناول طعام الغداء مع زيلدا في العمل من وقت لآخر. فهي الوحيدة التي كانت تعرف بما يجري والوحيدة التي يمكن لأدريانا أن تتحدث معها عن الطفل.

التقت ببيل ثيغبن بالصدفة عدة مرات، وبما أنهما تعارفا فقد كثر مصادفة وجودهما تقريباً في كل مكان: في المصعد، في الكاراج، بل أنهما التقيا ثانية في السيفواي. كما التقت به أيضاً في المجمع السكني، لكنه لم يقل لها أنه رأى زوجها وهو يغادر منزلهما قبل عدة أسابيع مترنحاً تحت ثقل الحقائب التي كان يحملها. لقد عرف أنه ذاهب إلى مكان ما، ولكنه لم يسألها إلى أين، ولم تذكر له أدريانا ذلك عندما التقيا عند بركة السباحة. بل بدلاً من ذلك تحدثا مطولاً

عن الكتب والأفلام المفضلة التي كانا يحبانها، وأخبرها عن ولديه. لقد كان واضحاً أنه يحبهما للغاية، وقد تأثرت كثيراً بالطريقة التي كان يتحدث بها عنهما.

"لا بد أن يكونا مهمين جداً بالنسبة لك".

"نعم. إنهما كذلك. إنهما أجمل ما في حياتي". وابتسم مبدياً إعجابه بها وقد وضعت على جسدها المزيد من زيت تسمير البشرة. لقد بدت سعيدة أكثر مما كانت عليه عندما التقى بها صدفة من قبل، ونوعاً ما أكثر إحساساً بالهدوء والسلام، ولكنها لا تزال تبدو هادئة جداً ومتحفظة. وتساءلت إذا ما كانت دائماً على ذلك النحو، أم أنها خجولة نوعاً ما مع الغرباء.

"ليس لديك أولاد على ما أعتقد؟" افترض أن ليس لديها أولاد، لأنه لم يرَ أحداً منهم معها، ولم تذكر شيئاً عنهم، كما أنها لو كانت تملك أولاداً لقالت شيئاً بخصوصهم. لقد كان معظم الناس في المجمع بدون أولاد. باستثناء بعض الأزواج الذين لديهم أطفالاً حديثي الولادة، فعندما كان سكان المجمع يرزقون بالأطفال كانوا ينتقلون إلى منازل أكبر.

"لا". قالت ذلك وقد بدت مترددة، فنظر إليها وهو يتساءل إذا ما كانت هناك تكملة للقصة. فاستأنفت تقول: "لا، ليس لدينا أطفال. أنا... نحن... كنا مشغولين جداً بالعمل".

أومأ برأسه، وقد تساءل ماذا لو أصبحا صديقين. لم يسبق أن كانت له صداقات مع نساء على الطريقة الأفلاطونية العذرية منذ وقت طويل، والغريب في الأمر أنها كانت تذكّره في كثير من الأحيان بليسلي. لقد كان لها نفس الطبع من ناحية الجدية والحدة، ونفس القيَم المحافظة نحو أشياء عديدة. سأل بيل نفسه عدة مرات إذا ما كان سيحب زوجها. لربما يصبحان صديقان. كل ما عليه هو أن ينسى أنها ذات منظر فتّان وجسد مثير للغاية.

ثم حمل نفسه على أن ينظر إلى عينيها ويناقش معها موضوع مستقبلها في قسم الأخبار. لقد كانت هذه إحدى الطرق التي تجعله ينسى مظهرها وهي

ترتدي ثياب السباحة، ويقاوم رغبته في أن ينحني ويقبلها.

"متى سيعود زوجك؟" سألها في معرض حديثه، أجفلت من السؤال. ثم تعلم أن بيل كان يعرف بأنه غائب. وفكرت في نفسها قائلة إنها ربما ذكرت شيئاً عن ذلك في حديثها.

"في القريب العاجل". قالت بهدوء. "إنه في شيكاغو". وعندما سيعود سوف يحاولان لمرة واحدة وأخيرة أن يحسما مسألة زواجهما. فلم يكن هذا أمراً عديم الأهمية، وكانت في نفس الوقت تتشوق إليه وتخشى عودته. لقد كانت تتوق لرؤيته، ولكنها كانت تخشى أن تخبره أنها لم تغير رأيها بخصوص الطفل. لقد صار الطفل جزءاً منها الآن، وسيبقى كذلك، إلى أن يُولد. وكانت تدرك أن ستيفن لن يسر لسماع ذلك.

أخيراً، وفي ثاني إثنين من حزيران سمعت عن ستيفن عند الساعة التاسعة تقريباً في اللحظة التي وصلت فيها إلى المكتب. قالت لها سكرتيرتها إنه على الخط فانقضّت على سماعة الهاتف. فما برحت تنتظر اتصاله منذ حوالي شهر، وانهمرت الدموع من عينيها لسماعها صوته فقد كانت في غاية السرور. ولكنه لم يَبْدُ ودّياً. فقد سألها عن حالها، وبدا وكأنه يسأل بشكل محدد عن صحتها. وعرفت ما كان يريد أن يعرفه فقررت أن تواجه الأمر بشكل قاطع.

"ستيفن. أنا لا أزال حامل، وسأبقى هكذا".

"هذا ما اعتقدتُه". ثم: "يؤسفني أن أسمع هذا". وقال لها بكره ولكن بصدق: "إذاً أنت لم تغيري رأيك؟".

هزت رأسها والدموع تنهمر من عينيها وتسيل على خديها: "لا لم أغير رأيي. ولكنني أود أن أراك".

"لا أظن أن هذا مستحسن. فهذا سيشوشنا ويربكنا". لماذا كان خائفاً منها إلى ذلك الحد؟ لماذا كان يتصرف هكذا؟ لا تزال عاجزة عن فهم الأمر.

"وهل هناك حرج بين الأصدقاء؟" وضحكت من خلال دموعها، وحاولت أن تبسط الأمور التي لم تكن كذلك.

"سوف آخذ أغراضي من المنزل خلال الأسابيع القليلة القادمة. سوف أبدأ بالبحث عن شقة".

"لماذا؟! لماذا تفعل هذا؟ لماذا لا تأتِ إلى المنزل قليلاً؟ حاول ذلك". لم تكن لديهما أبداً أي مشكلة في التواصل، ولم يتشاجرا يوماً، ولم يجدا أي مشكلة في التأقلم مع بعض منذ زواجهما. هذه هي أول مشكلة تعترضهما. ألا وهي طفلهما. وفجأة انتهى كل شيء.

"ليس هناك من داعٍ لأن نعذب أنفسنا يا أدريانا. فقد اتخذت قرارك، والآن دعيني آخذ أغراضي ويذهب كل منا في طريقه". لقد كان يتصرف وكأنها خانته، وكأن كل الذنب ذنبها هي، وأنه كان متعقلاً. وتساءلت إذا ما كان حقاً سيتصل بمحامٍ. وسألها: "ماذا تنوين أن تفعلي بشأن الكوندو (البيت المشترك)؟" أي منزلهم ذي الطابع الريفي؟ ماذا يقصد بسؤاله هذا؟ لقد كانت تنوي أن تعيش هناك إلى أن تنجب طفلهما.

"لقد كنت أعتزم المكوث هناك، هل تعترض على ذلك؟".

"ليس الآن، ولكن ربما في نهاية الأمر. أود أن نفصل بين ملكياتنا وأموالنا، ثم يشتري كل منا ما يناسبه ما لم تكوني راغبة في شراء النصف الذي أملكه"، قال ذلك وكلاهما يعرف أنها لا تستطيع دفع ثمنه.

"متى تريد أن أنتقل؟" لقد كان يرمي بها إلى الشارع، وهذا فقط لأنها كانت حامل.

"لستُ على عجلة. سوف أخبرك عندما أريد أن أتخذ أي إجراء بخصوص ذلك. أما الآن فأنوي أن أستأجر شقة". يا للطفه. يا لروعته. شعرت وكأنها سيغشى عليها وهي تستمع إليه. لم تكن لتريد أن تجعل من نفسها حمقاء فيما بعد الآن. فها هو يتركها. لقد قُضي الأمر. ما لم يحدث فيما بعد... بعد أن يُولد الطفل، أن يرجع إليها وقد أدرك خطأه. كان هناك ثمة أمل في ذلك. ما

كانت تصدق أنه سيتركها فعلاً إلى أن تلد الطفل ويقول لها عندئذ بشكل واضح وصريح أنه ما عاد يريد البقاء معها بوجود الطفل. لقد كانت على استعداد للانتظار إلى أن يحين ذلك الوقت، مهما كان عُصابياً خلال هذه الفترة. وحتى لو طلّقها، فيمكنهما في أي وقت يشاءان أن يتزوجا من جديد.

"افعل ما تشاء". قالت له بهدوء.

"سآمر على المنزل لآخذ أغراضي في عطلة نهاية الأسبوع". ولكنه لم يأتِ كما قال لأنه كان مصاباً بالأنفلونزا، بل جاء في الأسبوع التالي، راقبته أدريانا بحزن وهو يجمع كل الأغراض التي كانت ملكه ويضعها في صناديق.

لقد استغرق منه الأمر عدة ساعات ليجمع كل أغراضه، وكان قد استأجر شاحنة أتى بها معه، واستعان بصديق من المكتب ليساعده في تحميلها. وكان مجرد وجودها هناك محرجاً لها. فقد كانت سعيدة للغاية عندما رأته في أول مرة، ولكنه كان بارداً وقد حافظ على البعد والجفاء بينهما.

فخرجت بعد ظهر ذلك اليوم في حين كانا يحمّلان الأغراض في الشاحنة فركبت سيارتها وقادتها لئلا تضطر لمشاهدة ما يحدث أو أن تلقي عليه تحية الوداع من جديد. فما عادت تحتمل الألم في هكذا موقف، كما وأنه بدا تواقاً لتحاشيها وهي هناك.

عادت إلى المنزل الساعة السادسة، ولاحظت أن الشاحنة كانت قد ذهبت. دخلت إلى المنزل، وحبست أنفاسها وهي تنظر حولها. فعندما قال إنه "سيأخذ كل شيء" كان يعني ذلك فعلاً. لقد أخذ كل ما كان يُعتبر ملكاً له تقنياً، كل ما كان يملكه قبلاً، وكل ما دفع ثمنه، أو ساهم في دفع ثمنه منذ أن تزوجا. فلم تستطع أن تتمالك نفسها عن البكاء. فقد أخذ الأريكة والكراسي، وطاولة الكوكتيل، والستيريو، وطاولة الطعام، وكراسي المطبخ. وكل ما كان معلقاً على الجدران. لم يترك أي كرسي في غرفة الجلوس، وعندما صعدت إلى الأعلى وجدت أن الشيء الوحيد الذي تركه في غرفة النوم هو سريرهما. لقد أفرغ أدراج الخزانة ووضع محتوياتها في صناديق. وأخذ الخزانة وكل

المصابيح والكرسي الجلدي المريح. وكل أدواته وآلاته وأغراضه. لم يعد لديها تلفزيون. وعندما ذهبت إلى غرفة الحمام لتتمخط اكتشفت أنه أخذ حتى فرشاة أسنانها. فبدأت تضحك على سخف الموقف. لقد كان هذا جنوناً مطبقاً. لقد أخذ كل شيء. ولم يبقَ لها شيء. لقد انتهى كل شيء. كل ما تركه لها الآن هو سريرها وثيابها وسجاد غرفة الجلوس وبعض الأشياء والأغراض الزائدة التي تركها على أرضية الغرفة، ومجموعة الأواني الخزفية التي كانا قد اشترياها عندما تزوجا والتي تكسرت معظم أوانيها على مدى الأيام.

لم يكن بينهما أي نقاش، أو جدال، أو حديث بخصوص ما يخص كل منهما، أو ما يريد كل منهما. ببساطة أخذ كل شيء لأنه دفع معظم ثمنه، ولأنه كان يشعر أنه ملكه وله الحق في أخذه بالتالي. وعندما عادت إلى الطابق السفلي سارت نحو الثلاجة لتشرب شيئاً، واكتشفت أنه أخذ كل علب الكولا. فعادت إلى الضحك من جديد عندئذ. لم يعد لديها ما تفعله، وكانت لا تزال تنظر حولها في ذهول عندما رن جرس الهاتف. لقد كانت زيلدا.

"كيف الأحوال؟".

"ليس كثيراً". ونظرت أدريانا حولها باكتئاب. "في الواقع لا شيء".

"مـــاذا تقصدين؟" سألتها ولم تكن قلقة هذه المرة. فقد بدت أدريانا أفضل ممـــا كانت عليه منذ زمن بعيد. بل حتى بدت سعيدة هذه المرة. ولكنها لم تكن كذلك. إلا أن الاكتئاب ما عاد ليسيطر عليها كثيراً. فقد تجاوز الحدود حتى ما عادت تتأثر وجل ما كانت لتفعله الآن هو أن تضحك.

"لقد كان أتيلا ملك الهون هنا، يصول ويجول، يسلب وينهب".

"هل تعرضتِ للسرقة؟" سألتها زيلدا في خوف.

"يمكـــنك أن تسمي الأمر هكذا على ما أعتقد". وضحكت أدريانا وجلست علـــى الأرضـــية إلـــى جوار الهاتف. لقد غدت الحياة بسيطة للغاية. "لقد أخذ ستيفن بقية أغراضه اليوم. وترك لي سجاد الأرضية والسرير، وأخذ كل شيء آخر بما فيه فرشاة أسناني".

"آه يا إلهي. كيف تركته يفعل ذلك؟".

"وماذا تظنين أنني كنت لأفعل؟ أن أطارده ببندقية؟ ماذا سأفعل، أن أقاتل من أجل منشفة للصحون ودبوس شعر؟ فلتذهب كلها إلى الجحيم. فليأخذها كلها إذا أراد". فـــإذا عاد، وقد كانت تشك بذلك، فإنه سيعيد كل تلك الأشياء، ولكن لـــيس هذا أمراً ذا أهمية بالنسبة لها. كانت أسمى من أن تتشاجر معه من أجل طاولات القهوة أو الأريكة.

"هـــل تحتاجيـــن لشيء؟" سألتها زيلدا بلهجة تنم عن الإخلاص، وأمكن لأدريانا أن تضحك وحسب.

"بالتأكـــيد. هـــلا جلبتِ لي حمل شاحنة مخلفة من الطاولات والكراسي، ودزينتـــي صـــحون، وبعض أغطية للطاولات، وخزانة ذات أدراج، وبعض المناشف... آه، ولا تنسي فرشاة أسنان".

"أنا جادة فيما أقول".

"وأنـــا أيضاً. على كلٍ هوني عليك يا زيلدا. إنه يريد أن يبيع هذا المنزل بأي حال من الأحوال". لم تستطع زيلدا أن تصدق ذلك كما كانت أدريانا غير مصدقة. لقد أخذ كل شيء ولكن بقي لديها الشيء الوحيد الذي كان يهمها الآن ألا وهو الطفل.

لقد ارتفعت معنوياتها بشكل مذهل رغم كل شيء ولم تتزعزع على ما حدث إلا في اليوم التالي. لقد استلقت بجانب حوض السباحة لوقت طويل وهي تفكر فيه، وتتعجب كيف انهارت حياتهما سريعاً. لا بد أن الخطأ كان منذ البداية. شيئاً أساسياً كان مفقوداً، وعلى الأرجح فيه، إن لم يكن في زواجهما. وفكرت في والديه وأقاربه الذين تخلى عنهم منذ سنين، وفي صديقه الذي خانه، دون أن ينظر إلى الخلف. لربما كان فيه جزء لا يعرف الحب. وإلا لما حدث ما حدث على هذا النحو. ولكن الأمر حقيقي. فخلال أسابيع آل زواجهما إلى زوال. وعندما فكّرت بالأمر شعرت بالاكتئاب، ولكن كان عليها أن تتقبل فكرة رحيله. وعليها أن تبدأ حياة جديدة بنفسها، ولكن لم تستطع أن تتصور

كيف. لقد كانت في الحادية والثلاثين من العمر وقد دام زواجها سنتين ونصف، وهي الآن حامل. لم تهتم للمواعدة كما لم ترد الخروج مع أحد على كل حال. ما كانت حتى تود أن تعترف لأيٍّ كان بأن ستيفن قد هجرها. لقد ظلت تقول للجميع أن ستيفن كان مسافراً. لأنه كان مؤلماً ومحرجاً للغاية أن تصارح الآخرين بحقيقة رحيله عنها. وعندما ظهر بيل ثيغبن عند المسبح بعد ظهر ذلك اليوم بطريقة هزلية مازحة وسألها إذا ما كانوا سينتقلون، أجابت بشكل واضح وقالت إنهما كانا سيبيعان الأثاث ويشتريان أثاثاً ومفروشات جديدة، ولكن حتى هي نفسها شعرت أن كلامها هذا لم يكن مقنعاً.

لقد بدت مفروشات جيدة. قال لها بحذر وهو ينظر إليها وقد استلقت على الأرض بجانب المسبح، وكان قد رأى في وجه ستيفن ما ذكّره بليسلي عندما تركته. ولكن أدريانا بدت مسرورة جداً وهي مستلقية إلى جوار المسبح، كانت تحمل كتاباً بيدها وتمسكه رأساً على عقب وانقبض قلبها عندما فكرت بستيفن.

الفصل 12

شعرت أدريانا خلال الأسبوع الذي انتقل فيه ستيفن وكأنها في حلم. كانت تستيقظ، وتذهب إلى عملها، وتعود إلى المنزل ليلاً، وكانت تتوقع في كل ليلة عندما تصل إلى هناك أن تجده في انتظارها. كانت تظن أنه قد يعود إلى رشده في هذه الأثناء، وسيأتي معتذراً مذهولاً مما حصل شاعراً بالخزي، وسيضحكان معاً ويصعدان إلى السرير في الطابق الأعلى ويتصالحان من جديد، وبعد عشر سنين سيخبر ابنهما كم كان سخيفاً في موقفه عندما أخبرته أنها كانت حامل وستنجب طفلاً.

ولكن عندما تصل إلى المنزل كانت تجد أنه لم يعد ولم يتصل. فتجلس على الأرض في غرفة الجلوس ليلاً وتحاول أن تقرأ أو تتظاهر بتقليب صفحات الجرائد.

لقد فكرت بشراء أثاث جديد حالما تركها. ولكن تراجعت عن الفكرة متوقعةً عودته إليها بالتأكيد. فما الفائدة من أن يكون لديهما طقمان من المفروشات في نفس الشقة؟

لقد أبقت على المجيب الصوتي يعمل كل الوقت، ولكنها كانت تستمع إلى المكالمات التي تأتيها. لم تكن من ستيفن عادةً بل من أصدقائها، أو من المكتب، وكان معظمها في الآونة الأخيرة من زيلدا. ولكن حتى هذه ما كانت أدريانا تشعر برغبة في التحدث إليها أيضاً. الأمر الوحيد الذي حافظت عليه والذي جعل حياتها تستمر هو الذهاب إلى العمل والعودة إلى المنزل. لقد شعرت أنها تشبه الرجل الآلي في حياتها الرتيبة من استيقاظ وذهاب إلى العمل كل يوم، ثم العودة إلى البيت وإعداد ما تأكله ثم العودة من أجل أخبار الساعة

الحاديـــة عشرة لقد كانت تشعر وكأنها مربوطة إلى طاحونة تعذيب إلى ما لا نهاية. كانت في عينيها نظرة تدل على الألم رافقتها يوماً بعد يوم، وكانت زيلدا تتألم لرؤيتها على هذا النحو، ولكن حتى هي ما كانت تستطيع أن تساعدها في شـــيء. وقــد كانت غير قادرة على تقبل أو تصديق حقيقة أن ستيفن قد تخلى عــنها، أو أنه كان يقصد ذلك حقاً. ولكن عندما حاولت أدريانا أن تتصل به، كانت سكرتيرته تقول لها على الدوام إنه مسافر، ولم تكن أدريانا واثقة من أنها تقــول لهـــا الحقــيقة. استولى عليها شعور بالخوف مما قد يحدث لها إذا ما احتاجـــته حقاً، ولكنها لم تحتج إليه حتى الآن، وكانت تدرك أن عليها أن تبقي الأمور على ما هي عليه إلى أن يعود إلى رشده.

التقت أدريانا صدفة ببيل من جديد يوم الجمعة الرابع من تموز في السيفواي. كانت قد انتهت لتوها من تقديم نشرة الأخبار الليلية، وأدركت أن ليس في بيتها شيء من أجل اليوم التالي، وكانت لديها عطلة نهاية الأسبوع هذه. كان يدفع عربتي تبضّع، وكانتا ممتلئتين بالفحم، ودزينتين من شرائح اللحم، وعدة رزم من السجق، وبعض اللحم المفروم، والكعك المحلى، واللفائف، وتشكيلة من الأغراض حتى بدا وكأنه كان يستعد للقيام بنزهة.

"هـــاي". قـــال لهـــا وقد تلاقيا في الممشى حيث كانت تلتقط قنينتين من الكاتشاب. "لم أرك طوال الأسبوع". قال لها ملاطفاً، وقد شعر عندما رآها أنه اشتاق لها. لقد كان في وجهها عذوبة، وفتنة، وجاذبية تشده إليها حتى إنه كان لا يرغـــب فـــي أن يغيب نظره عنها، وكانت ابتسامتها القوية المعبّرة تشعره بالدفء. "كيف هي الأخبار؟".

"علـــى نفـــس الحـــال. حروب، زلازل، انفجارات، مد وجزر، والأخبار المعتادة. كيف الأمور في مسلسل الحياة؟" لقد كانت لا تزال تشعر بالإثارة من فكرة انشغاله بمسلسل تلفزيوني.

"نفـــس الأمـــر كمـــا في الأخبار... حروب... مد وجزر... زلازل... انفجـــارات... طلاق... إنجاب أولاد غير شرعيين. إننا كلانا في الواقع نعمل

ونتعاطى نفس المجال".

ابتسمت له عندئذ. "إن مجالك يبدو مسلياً أكثر".

"إنه كذلك... أحياناً...". لقد كان يشعر بالعزلة منذ أن تركت سيلفيا المسلسل، وكان عليه أن يقرّ أن ذلك كان حماقة. لقد كان مسلياً بالنسبة له أن يكون معها بين الفترة والأخرى، وقد كان كل منهما يمنح الآخر بعض الراحة. ولكنها لم تترك بالفعل طبيعة الحياة التي كان يحياها، ولم يفعل هو ذلك، ولذلك آثرت الرحيل مع مصنّع الألبسة في نيوجرسي. كانت قد أرسلت صوراً تذكارية لطاقم التمثيل بعد أن رحلت، وهي تكتب لهم بحماسة مفرطة عن المنزل الذي اشتراه ستانلي لها. وعندما نظر إلى الوراء، شعر بيل الآن بأنه كان أحمق لأنه كان معها. لقد صار هذا شعوره الآن تجاه كل النساء اللواتي كان يخرج معهن. ولقد قرر أن يقلب صفحة جديدة في حياته ليقيم علاقة فقط مع النساء اللواتي يعتبن شيئاً له، ولكن المشكلة أن معظم النساء اللواتي التقى بهن ما كن كذلك. لقد قابل الكثير من الممثلات خلال عمله، وكانت نساء كثيرات تُردنَ أن يضاجعهن مقابل دور هام، أو فرصة للظهور في مسلسله. لقد كن يعتبرن ذلك نوعاً من المقايضة العادلة، ولكن العلاقة معهن كانت قلما تصل إلى مستوى عالٍ من الرومانسية. بنتيجة ذلك، مضى عليه حوالى أكثر من شهر لم يخرج فيه مع امرأة، ولم يفتقد ذلك حقاً. كان يفتقد لوجود شخص يتحدث إليه في وقت متأخر من الليل، شخص ينقل له أفكاره حول المسلسل، شخص يشاركه أفراحه وأتراحه. ولكنه ما كان ليجد ذلك مع سيلفيا بحال من الأحوال. وفي الواقع لم يشارك أحداً في ذلك بعد ليسلي.

"هل ستأتين إلى حفلة الشواء مساء غد؟" سألها راجياً ذلك. لقد كان يحب أن يدردش معها، وكان يشعر بالفضول والريبة نحو زوجها. كانت قد أخبرته لـــه يعمـــل في مجال الدعاية والإعلان، ولكنه بدا بالنسبة لبيل أقرب منه إلى الممثليـــن. ولكـــنه لـــم يره منذ حوالى أسبوعين، منذ أن حمّل كل الأثاث في

منـزلهم إلى السيارة المغلقة وانطلق بها. "إن حفلة شواء الرابع من تموز في مجمعنا السكني هي أكبر مناسبة طهو سنوية بالنسبة لي. ينبغي ألا تفوتها عليك". قال ذلك وأشار بيده إلى الأغراض التي كان يضعها في عربة التبضع وابتسم لها ابتسامة عريضة. "لقد كنت أقيم هذه الحفلة كل سنة استجابة لرغبة الجميع أما الآن فإنني أقيمها بدافع الاعتياد. أنا أصنع شرائح لحم رائعة". وابتسم من جديد. وسألها: "هل أتيتِ السنة الماضية؟" لم يتذكر حضورها. ما كان لينسى فتاةً مثلها.

ولكنها هزت رأسها، وقالت: "عادة ما نخرج في هذه المناسبة. وأعتقد أننا ذهبنا العام الماضي إلى لاجولا".

"هل ستذهبون بعيداً هذه المرة أيضاً؟" سألها وقد بدا خائب الأمل.

هزت رأسها، وقالت: "لا... أنا... ستيفن... زوجي ليس هنا إنه في شيكاغو". خرجت الكلمات من شفتيها مرتبكة، وبدا بيل مندهشاً.

"أهو مسافر في الرابع من تموز؟ إنها مناسبة للاحتفال والصخب. ماذا ستفعلين في غيابه؟" لم يكن جلفاً، بل كان ودياً. لقد كانا يستمتعان بالدردشة معاً بجانب المسبح عدة مرات. وكان يعرف أنها كانت متزوجة، ويفهم ذلك.

"ليس لدي الكثير لأفعله" قالت بشكل مبهم، وقد بدت متوترة.

"تعالي إلى حفلة الشواء، إذاً. سوف أعد لك طبقاً من ستيك تيبس الشهير". وابتسمت للنظرة التي بدت على وجهه، لقد بدا متلهفاً، وكانت بالفعل تشعر بالمودة نحوه.

ابتسمت وقالت له "سأتناول طعام العشاء مع أصدقاء". ولكنه عاد ورأى عيناها حزينتين من جديد. "ربما العام القادم".

أومأ برأسه، وقد نظر إلى الساعة على الجدار خلفها. لقد كانت الساعة الثانية عشرة والنصف ليلاً، وكانا يتجاذبان أطراف الحديث وكأنها الساعة العاشرة صباحاً. "أعتقد أن عليّ أن آخذ بقية الأغراض التي تلزمني". قال بلهجة اعتذار وأسف. واستأنف يقول: "عرِّجي علينا إذا غيرت رأيك،

واحضري أصدقاءك. فقد حضَّرْتُ من الطعام ما يكفي لجيش".

"سأحاول". قالت ذلك دون أن تكون لديها نية بالذهاب إلى حفل الشواء واستأنفت تسوقها لباقي الأغراض التي أرادت شراءها، وتذكرت أنها رأت ورقة دعوة للمشاركة في الحفلة في بريدها قبل أسابيع ولكنها كانت قد رمت بها في سلة المهملات. لقد كانت تفكر في أشياء أخرى آنذاك، ولم تأسف على ذلك. فآخر ما كانت تود أن تفعله هو أن تتواجد في المجمع السكني مع مجموعة من العازبين الذين يشعرون بالعزلة. لقد كانت لديها حياتها الخاصة لتحياها، ولم يكن يهمها إقامة علاقات جديدة، أو مواعدة أحد. لقد كانت متزوجة وكل ما كان عليها فعله هو انتظار عودة ستيفن إلى رشده. وكانت متأكدة أن المسألة هي مسألة وقت، وعندما يعود سوف يركزان جهودهما على ولادة الطفل. في غضون ذلك ألقت جانباً التفكير في هذا الموضوع إلى أن يحين الوقت المناسب له. وقلما فكّرت به. لقد اتخذت قرارها ومضت قُدُماً في حملها، ولكنها تحاول الآن ألا تفكر في هذا الأمر قدر ما تستطيع. وكان لا يزال بإمكانها الآن تجاهل هذا الموضوع بسهولة، اللهم ما عدا شعورها بالغثيان من فترة لأخرى، وشهية متزايدة للأكل بقية الوقت، وبعض الوهن. ولولا ذلك لكانت تكاد تنسى أنها حامل. لم تظهر عليها علامات حمل، فهي ما تزال في الشهر الثالث. وكانت بحاجة لأن تحصر تفكيرها في عملها وانتظار عودة ستيفن. عندما رحل، وفي بداية الأمر، قالت في قرارة نفسها أن الأمر قد انتهى، وأنه لن يعود ثانية، وإذا حدث هذا فإن علاقتهما ستكون خَرِبَة دائماً. ولكنها في الأسبوعين الماضيين حاولت أن تقنع نفسها أن هذا انقطاع مؤقت، لحظة جنون تنتاب حياة زوجية سليمة صحيحة. رفضت أن تصدق حقيقة أنه لم يتصل أبداً، وأنه لم يكن يستقبل مكالماتها كلما اتصلت به، وأنها لم تسمع شيئاً منه منذ أن نقل كل أغراضه من بيتهما المشترك الكوندو الذي كان علامة على أنه يشعر بأن زواجهما قد آل إلى الزوال بالفعل.

ألقت نظرة على بيل من جديد وهو يقف في صف تفقد البضائع ومعه

ثلاث عربات مليئة بالكامل يجرها خلفه. حملت مشترياتها الضئيلة إلى سيارتها وهي تشعر بالحزن مجدداً. لقد أمكنها أن تضع حاجيات كل الأسبوع في كيسين الآن. لقد بدا أن كل ما في حياتها قد تقلص منذ أن رحل ستيفن عنها. وعندما وصلت إلى المنزل، بدت الشقة فارغة بشكل يدعو إلى السخرية. وضعت الأغراض في الثلاجة، وأطفأت الأنوار وصعدت إلى الطابق العلوي حيث قفص السرير ذي النوابض وفراش السرير لا يزالان موضوعان على أرضية الغرفة، وحيث لا تزال ثيابها موضوعة في الصناديق على الأرض حيث تركها ستيفن. واستلقت في سريرها مطولاً وهي يقظة تفكّر فيه، وتتساءل عما يفعله طوال عطلة نهاية الأسبوع. شعرت بالرغبة بأن تتصل به، وأن تتوسل إليه أن يعود إلى المنزل، وأن تخبره أنها ستفعل كل شيء من أجله... كل شيء عدا إسقاط الجنين. ولكن لم تعد هذه هي القضية الآن. القضية هي أن تتدبر أمور حياتها بدون زوج. كانت لا تزال مندهشة لإدراكها إلى أي مدى كانت تشعر بأنها ضائعة ومحرومة ومتروكة. فبعد سنتين ونصف ما عادت تتذكر ما كانت قد اعتادت على القيام به لتموه عن نفسها قبل أن يتزوجها. لقد بدا تقريباً وكأنها لم تعش أبداً لوحدها، وكأنه لم تكن لديها أية حياة قبل ستيفن.

عندما غفت كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة، وعندما استيقظت صباح اليوم التالي كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة صباحاً. لقد بدا أن هذا هو الأمر الوحيد الذي تفعله بسهولة الآن. فقد صار بمقدورها النوم طوال النهار إذا سنحت لها الظروف بذلك. قال لها الطبيب إن ذلك بسبب الحمل. لقد كانت الفكرة لا تزال غير معقولة. إنه المخلوق الصغير الضئيل الذي كلّفها زواجها. ومع ذلك فقد كانت ترغب به. ونوعاً ما بدا وكأنه يستحق ذلك.

نهضت واستحمت، وأعدت لنفسها بيضاً مخفوقاً عند الظهيرة، ثم دفعت بعض الفواتير واهتمت بالغسيل. جالت في أنحاء غرفة الجلوس الخاوية وضحكت. لقد كان من السهل ترتيب منزلها هذه الأيام. فما كان هناك ما

تحتاج لترتيبه، أو غبار لتنفضه، أو بقع على الأريكة تثير قلقها، أو نباتات لترويها، فقد أخذ تلك أيضاً. كل ما كان عليها فعله هو ترتيب سريرها وكنس أرضية الغرف. عند الساعة الثانية والنصف خرجت إلى حوض السباحة، ورأت بيل منهمكاً في التحضير لحفلة الشواء. كان يتباحث مع رجلين آخرين كانت أدريانا قد رأتهما من قبل، وكانت هناك امرأتان تضعان أصيصاً كبيراً من الورود على طاولة نزهات طويلة. لقد بدا واضحاً أن الحفل سيكون حدثاً هاماً كبيراً، وشعرت بالأسف لأنها لن تحضر الحفل. لم يكن لديها ما تفعله، أو مكان تذهب إليه. فقد كانت زيلدا في المكسيك مع صديقها، وكل ما فكرت به أدريانا هو الذهاب إلى السينما.

لوحت أدريانا بيدها لبيل وهي تتجه نحو بركة السباحة، لتطفو على سطح الماء تحت أشعة الشمس الحارة لوقت طويل ثم تستلقي على بطنها على إحدى كراسي الاسترخاء. بعد قليل أتى وجلس إلى جوارها وقد بدا سعيداً ولكن منهك.

"ذكّريني ألا أفعل ذلك العام القادم". قال لها وكأنهما صديقين قديمين حميمين. ولكنهما في الواقع كانا يزدادان تآلفاً تجاه بعضهما البعض من كثرة تصادف لقاءاتهما في كل الأمكنة تقريباً. فقد كانا يعيشان ويعملان في نفس المكان، بل حتى يتبضعان من نفس المتجر في منتصف الليل. "أقول ذلك لنفسي كل عام". وخفَض صوته بلهجة توحي بالتآمر: "يكاد هؤلاء الناس يصيبونني بالجنون".

نظرت إليه مبتسمة ابتسامة عريضة. لقد كان رجلاً مرحاً بطبيعته. وقد بدا متعباً وفي نفس الوقت مستمتعاً بما يفعل. "أراهن أنك تستمتع بالقيام بذلك".

"بالتأكيد. كان لشيرمان أوقات ممتعة بالمسير في أطلانطا. ولكن لربما كان تنسيق الأوركسترا هناك أبسط وأسهل من هذه". وانحنى مقترباً منها حتى لا يسمع أحد ما يقول: "يعتقد الشباب أنني قد أعددت لهم الكركند. يقولون أنني أعددت ستيك، برغر، سجق في السنوات الثلاث الماضية وقد عفا الزمان عن

ذلك. وتعتقد النساء أنني ولا بد سأقدم هذا النوع من الطعام. يا الله، هل سبق لك أن قمت بنزهة يتم فيها تقديم الطعام عندما كنتِ صغيرة؟ أقصد هل سمع أحد بسجق يتم تقديمه كطعام في الرابع من تموز؟" قال ذلك وقد بدا مغتاظاً، فضحكت إذ وجدت الفكرة طريفة. "هل ذهبتِ إلى نزهة بمناسبة الرابع من تموز عندما كنت صغيرة في السن؟".

أومأت برأسها وقالت: "لقد اعتدنا أن نذهب إلى الكيب كود، وعندما صرتُ أكبر سناً كنا نذهب إلى حقول وكروم مارثا فاينيارد. كنت أحبها. ليس لها مثيل هنا. ذلك الشعور الرائع بالبلدات الصيفية، والشواطئ الجميلة، والأطفال الذين كنا نلعب معهم كل صيف وننتظر طوال العام لنراهم. لقد كان ذلك رائعاً".

"نعم". وابتسم إذ استعاد ذكرياته أيضاً: "لقد اعتدنا نحن الذهاب إلى كوني آيلاند، وركوب العربة الأفعوانية في مدينة الملاهي والتفرج على الألعاب النارية. كان والدي يقيم حفلة شواء عظيمة ليلاً على شاطئ البحر. وعندما صرت أكبر سناً، أصبح لدينا منزل في لونغ آيلاند وكانت أمي ماهرة في إعداد الولائم في فناء المنزل. ولكنني كنت دائماً أرى أن أيام كوني آيلاند كانت أجمل". كان يحتفظ بذكرى جميلة، عن الأشياء التي فعلها مع والديه في طفولته. لقد كان ولداً وحيداً ومتعلقاً بوالديه جداً.

"ألا يزالان يفعلان ذلك؟".

"لا". هز رأسه وهو يفكر بهما، ولكن الذكريات صارت جميعها تثير في النفس المشاعر الدافئة الآن، وكان الحزن قد ولّى. فصدمة فقدانهما كانت قد تلاشت منذ حين. نظر إلى أدريانا، وراقه ما رأى في عينيها، وأحب الطريقة التي كان شعرها الداكن يتدلى بها على كتفيها. واستأنف يقول: "لقد توفيا. بعد أن حصلا على المنزل في لونغ آيلاند، منذ زمن بعيد...". منذ ست عشرة سنة. فقد كان في الثانية والعشرين عندما مات والده، وفي الثالثة والعشرين عندما توفيت والدته بعد ذلك بسنة. "أظن أنني أقوم بكل عناء الرابع من تموز

هذا بسببهما. لربما كانت هذه طريقة لأقول لهما إنني أتذكرهما". وابتسم في دفء وهو ينظر إليها. "يبدو أن معظمنا لديه عائلات خارج هذا المكان. ربما يكون لدينا هنا صديقات وأطفال وكلاب وأصدقاء، ولكن خالاتنا وعماتنا وأعمامنا وأبوانا وجدودنا وأبناء أقاربنا كلهم في مكان ما آخر. أقصد هل التقيت بأي شخص ترعرع في لوس أنجلوس مثلاً؟ أقصد شخصاً عادياً، لا يبدو كمثل جين هارلو ومتعلقاً فعلاً بشقيقته؟" ضحكت لما يقول. لقد كان شخصاً واقعياً، وعميقاً، يمكن أن يعول عليه، وفي نفس الوقت كان مسروراً، مبهجاً ومسلياً.

"من أين أنتِ؟".

كانت تريد أن تقول إنها من لوس أنجلوس، ولكنها أبت ذلك. "أنا من كوناكتيكوت، نيو لندن".

"أنا من نيويورك. ولكنني قلما أذهب إلى هناك. هل تذهبين إلى كوناكتيكوت أحياناً؟".

"لا إن كنت أستطيع تجنب ذلك". وابتسمت. "لم تعد الأوقات هناك ظريفة بعد أن توقفوا عن الذهاب إلى مارثا فاينيارد بعد ذهابي إلى الجامعة. أختي تعيش هناك". هي وأولادها وزوجها الممل إلى أقصى الحدود. لقد كان من الصعب الاتصال أو التواصل مع أي منهم، منذ أن تزوجت ستيفن. بل إنها حتى لم تحاول ذلك. لقد كانت تعرف أنه سيتوجب عليها إخبارهم عن الطفل يوماً ما، ولكنها أرادت أن تنتظر حتى يرجع ستيفن إلى المنزل ويعود إلى رشده. فسيكون من الصعب عليها أن تشرح لهم موضوع حملها، ورحيله عنها، والسبب الذي جعله يتركها وحيدة، ولهذه الأسباب كلها كانت لا تريد التفكير بموضوع حملها في الوقت الحاضر.

"يؤسفني عدم وجودك معنا الليلة". قال لها وهو يشعر بالأسى. فأومأت برأسها، وهي مرتبكة من الكذبة التي ابتدعتها، ولكن مع ذلك كان من الأيسر لها ألا تذهب إلى الحفل. عادت وسبحت ثانية، بينما عاد هو إلى تحضيراته

للعشاء، وبعد ذلك بقليل رجع إلى شقته لينقع شرائح اللحم في الماء المالح والخل والتوابل. لقد بدت عملية الشواء وكأنها عملية إنتاج ضخمة.

عادت أدريانا في الساعة الخامسة إلى شقتها واستلقت على سريرها تحاول القراءة، ولكنها كانت غير قادرة على التركيز. ففي الأونة الأخيرة صعب عليها ذلك في معظم الأحيان، فقد كانت مشغولة البال بأمور كثيرة جداً. استطاعت وهي مستلقية في سريرها أن تسمع الأصوات الصادرة من حفل الشواء. وبدأ الناس في الساعة السادسة يتوافدون إلى المكان. وكانت هناك أصوات موسيقى وضحك، وقدّرت من الأصوات أن هناك حوالى خمسين شخصاً. وخرجت إلى تِرّاسها بعد برهة حيث أمكنها أن تسمع الأصوات وتشم رائحة الطعام، ولكنها لم تستطع رؤيتهم ولم يستطيعوا رؤيتها. ولكن بدا الأمر كله مثيراً بهيجاً. كانت تُسمع أصوات الصلصلة الناجمة عن نقر الأكواب، وكان أحدهم يدير أسطوانة قديمة من ألبومات فرقة البيتلز القديمة وموسيقى تعود إلى الستينات. لقد كان الأمر مسلياً، وشعرت بالأسف لأنها لم تذهب. ولكن كان سيحرجها أن تشرح لهم سبب غياب ستيفن، رغم أنها قالت إنه في رحلة عمل في شيكاغو. ولكن الخروج من المنزل لوحدها كان محرجاً لها. لم تفعل ذلك من قبل، ولم تكن على استعداد للمبادرة إلى ذلك الآن. ولكن عندما شمت رائحة الطعام شعرت بالجوع الشديد. وأخيراً عادت إلى الأسفل ونظرت إلى داخل الثلاجة، ولكن لم يبْدُ فيها شيء يثير شهيتها كمثل تلك الرائحة التي كانت تشمها، وكان يصعب عليها الآن أن تطهو شيئاً. لقد ألفت نفسها فجأة تحترق شوقاً لتأكل الهمبرغر. كانت الساعة آنذاك السابعة والنصف وكانت تتضور جوعاً. فهي لم تأكل شيئاً منذ الفطور، وتساءلت إذا كانت تستطيع أن تتسلل إلى المجموعة، فتلتقط ما تأكله، وتختفي من جديد. وكان بإمكانها أن تكتب شيكاً لبيل ثيغبن بالمبلغ لقاء اشتراكها في العشاء. لم يكن من ضير في ذلك. لم يكن هذا خروجاً بل كان مجرد تناول طعام. تماماً كمثل الذهاب إلى مطعم لتناول الوجبات السريعة أو الطعام الصيني المعد للأخذ خارجاً. كان

يمكنها حتى إن تختطف قطعة من الهمبرغر وأن تعود بها إلى المنزل، دون أن تضطر للتسكع بين الناس في الحفلة.

هرعت من جديد إلى الأعلى، ونظرت إلى المرآة في الحمام، سرحت شعرها، وربطته بربطة من الساتان الأبيض، وألقت به إلى الخلف، ثم ارتدت ثوباً مكسيكياً أبيض اللون يُشد على الخصر كانت قد اشترته وهي في رحلة مع ستيفن إلى أكابولكو. لقد كان ثوباً جميلاً، ويبرز أنوثتها، كما ويسهل ارتداؤه، ويخفي الانتفاخ الصغير الذي لم يظهر بعد ولكنه بات من الصعب عليها الآن ارتداء بنطال فضفاض أو بنطال جينز. وانتعلت صندلاً فضي اللون ووضعت أقراطاً فضية كبيرة متدلية. ترددت لوهلة قبل أن تعود إلى الأسفل. ماذا لو كانوا جميعاً قد التقوا بناءً على مواعيد، فهي لا تعرف أحداً على الإطلاق؟ ولكن حتى لو كان الجميع متواعدين، فعلى الأقل هي تعرف بيل ثيغبن، وقد كان على الدوام حلو المعشر، سمحاً، ولطيفاً، ودوداً. نزلت إلى الأسفل بعدئذ، وما هي إلا دقيقة حتى كانت تحوم حول طرف الحشد قرب إحدى طاولات النزهة الكبيرة حيث كان الطعام. كان هناك مجموعات من الناس قد تحلقت في كل مكان، وضحك ودردشة وتبادل سرد القصص، وكان البعض يجلسون قرب بركة السباحة وقد وضعوا الصحون في حضنهم، أو يشربون العصير، أو يسترخون فقط ويستمتعون بالحفلة. بدا واضحاً أن الجميع يمضون وقتاً جميلاً، وكان بيل ثيغبن يتولى عناء عملية الشواء وقد وقف هناك مرتدياً قميصاً أحمر وأبيض مخططاً وبنطالاً أبيض اللون وقد اتزر بمريلة زرقاء فوق ثيابه.

ترددت أدريانا، وراقبته يناولهم الستيك وكأنه محترف، ويدردش مع الجميع وهم يأتون ويذهبون، ولكنه بدا لوحده، وهذا لم يكن بالأمر الهام بالنسبة لها. وأدركت أيضاً أنها لا تعرف إذا ما كانت لديه صديقة، وما كان هذا أيضاً ليهمها. ولكنها نوعاً ما افترضت أنه غير مرتبط بامرأة. فقد كان يبدو حرّ الحركة دائماً. سارت نحوه في تؤدة، وانفرجت أساريره عن ابتسامة

عريضة عندما رآها، فقد أُخذ بجمالها، وبفستانها الأبيض المشدود عند خصرها، وشعرها الداكن اللامع الصقيل، وعينيها الزرقاوين الواسعتين، فقد بدت جميلة، وكان طرباً جذلاً لرؤيتها. لقد شعر بنفسه كطفل معجب ولهان بابنة الجيران. فتخيل أنك هكذا وأنك لم ترها منذ أسابيع، ثم فجأة تنعطف عند طرف الشارع فتجدها هناك وقد بدت جميلة، فتشعر أنك كالمعتوه، وتضطرب وتتلعثم، ثم تذهب هي وينتهي عالمك برمته إلى أن تلتقي بها من جديد. في الآونة الأخيرة كان بيل قد بدأ يشعر وكأنها كل شيء في حياته، أو بالأحرى الجزء الهام للفهم من حياته، التي غدت سلسلة من لقاءات الصدفة.

"مرحباً". تورد وجهه، وكان يرجو أن تعتقد أن السبب هو حرارة فحم الشواء. لم يعرف بالضبط السبب، ولكنها كانت أول امرأة متزوجة يُفتن بها إلى هذا الحد. ولم يكن يحب أن ينظر إليها فحسب، بل كان يحب أن يتحدث معها أيضاً. وأسوأ ما في الأمر أنه يحب كل ما فيها. "هل أحضرت أصدقاءك؟".

"لقد اتصلوا في آخر لحظة واعتذروا عن ذلك". لقد انطلت عليه الكذبة، ونظرت إليه في سرور وهو يراقبها.

"أنا سعيد... أقصد... نعم، بالفعل، أنا مسرور". ثم أشار إلى اللحم الذي كان يطهيه، وسألها: "ماذا أصنع لك؟" سجق، همبرغر، أم شرائح لحم؟ أنا أنصحك بشرائح اللحم". حاول أن يغطي ما شعر به من خلال الأشياء المسلية العادية مثل إعداد طعام العشاء. لقد كان يشعر كأنه طفل كلما رآها. وهي أيضاً كذلك. والطريف في الأمر، هو أن جل ما كانت تريده هو أن تتحدث معه. لقد كان دائماً سهل المعشر وعذب الحديث.

كانت تتحرق شوقاً لتناول الهمبرغر قبل دقائق، ولكن فجأة بدأت شرائح اللحم تبدو شهية: "سآخذ منها لو سمحت. وليكن قليل الطهو".

"في الحال. هناك المزيد من الأطباق هناك على الطاولة. أربعة عشر

نوعاً من السَلَطة، البيض المنفوخ، والجبن، وسلمون نوفا سكوتيا، ليس لي علاقة بتلك الأصناف. أنا اختصاصي بالشواء، ولكن اذهبي وألقِ نظرة عليها بينما أُحضّرُ لك طلبك، فسوف أعد لك شرائح اللحم". وفعلت ذلك، ولاحظ أنها كدست صحنها بالسلطات والقريدس وأشياء أخرى وجدتها على طاولة البوفيه. كانت تتمتع بشهية جيدة طيبة، وكان هذا مدهشاً، نظراً إلى نحافتها. لقد كان من الواضح أنها ممشوقة القوام وتعتني بصحتها.

وضع شرائح اللحم في صحنها وعرض عليها بعض العصير، فاعتذرت عن شربه، جلست قرب المسبح، وكان يرجو أن تكون ما زالت هناك عندما ينتهي من الطهو. وبعد نصف ساعة قرر أخيراً أنه قد انتهى دوره في ذلك، فالجميع كانوا يأكلون، ومعظم الضيوف كانوا يتناولون الطعام للمرة الثانية. وعرض عليه رجل، من كونتو قريب منه، أن يتولى الأمر نيابة عنه، فقبل بيل ذلك مسروراً وذهب ليجد أدريانا وقد أتت مسرورة على صحنها وقد جلست لوحدها في هدوء تصغي إلى الناس يدردشون حولها.

"كيف وجدتها؟ آمل ألا تكون سيئة للغاية". كانت شرائح اللحم قد اختفت مع باقي الأصناف التي كانت في صحنها. فشعرت بالارتباك والإحراج وضحكت خجلة من نفسها.

"لقد كانت لذيذة. وكنت أتضور جوعاً".

"حسناً. فأنا أكره الطهي للناس الذين لا يأكلون. هل تحبين الطهي؟" لقد كان يشعر بالفضول نحوها، فكان يود أن يعرف عنها الكثير، كيف هي، وماذا كانت تفعل، وكم هي سعيدة مع زوجها. ما كان يجب أن يهتم كثيراً للأمر، ولكنه كان مهتماً. لم يكن ليصغي إلى أجراس الإنذار تُقرع في رأسه، وكان يقول في قرارة نفسه إن عليه التوقف، ولكن كان في نفسه صوت آخر أقوى يقول له ألا يقف عند أي حد.

"أحياناً. أنا لستُ ماهرة. وليس لدي الوقت الكثير للطهي". ولم يكن لديها من تطهو له. الآن، على الأقل. وعلى كل حال فستيفن لم يكن من النوع

الأكول. لقد كان دائماً يفضل أن يتناول السلطة وحسب.

"لكن ليس مع إعدادك لنشرتي أخبار في المساء. هل تأتين إلى المنزل بين النشرتين؟" لقد كان يريد أن يعرف كل شيء عنها.

"معظم الأحيان. ما لم يكن هناك شيء درامي هام يحدث وأعجز معه عن الخروج بين النشرتين. ولكنني عادة أعود إلى المنزل حوالى الساعة السابعة وأعود إلى العمل حوالى العاشرة أو العاشرة والنصف. ثم أعود إلى منزلي من جديد حوالى منتصف الليل".

"أعلم". قال ذلك وابتسم. فقد كانت هكذا الحال عادةً كلما التقى بها بالصدفة في السبفواي.

"لا بد أنك تعمل لساعات طويلة جداً". وابتسمت. لقد كانت تلهو بشطيرة التفاح في صحنها وهي تشعر بالحرج من التهامها بينما هو ينظر إليها.

"في بعض الليالي أنام على الأريكة في المكتب". لقد كانت النساء تقول أن صحبته تعجبهن وهن مسرورات. "إن النصوص لدينا تتغير بسرعة أحياناً، ومعها يتغير وضع كل واحد في المسلسل. إنه نوع من تأثير مضاعف يصعب معه أحياناً المحافظة على النفس سوية. ولكنه مسلٍ أيضاً. عليك أن ترى المسلسل يوماً ما". لقد بدا الأمر طريفاً بالنسبة لها تحدثا عن المسلسل لبعض الوقت: كيف بدأ في نيويورك قبل عشر سنوات، وكيف انتقل في نهاية الأمر إلى كاليفورنيا. "إن أصعب ما عانيتُه بانتقالي إلى هنا هو تركي لولداي". قال بهدوء. "إنهما رائعان. إنني أفتقدهما فعلاً". كان قد تحدث عنهما من قبل ولكن ثمة الكثير من الأشياء بخصوصهم لم تكن قد عرفتها بعد، تماماً كما هو الحال بخصوص والدهما.

"هل تراهما كثيراً؟".

"ليس كما أتمنى. إنهما يذهبان إلى المدرسة. وأراهما في العطلات خلال السنة، وحوالى الشهر في الصيف. سوف يكونان هنا خلال أسبوعين". وإذ قال

ذلك أشرقت أساريره، لقد كانت رؤيته على هذه الحال مثيرة للمشاعر.

"ماذا تنوي أن تفعل لهما عندما يأتيان إلى هنا؟" فعمله على النحو الذي كان عليه، واهتمامه بطفلين لم يكن بالأمر السهل عليه.

"قبل أن يأتيا أعمل كالعفريت، ثم آخذ أربعة أسابيع إجازة. وأذهب من حين لآخر لألقي نظرة على سير الأمور، بشكل عام لا أحب الإقرار بأن المسلسل يمكن أن يسير دون الكثير من تدخلاتي". قال ذلك وابتسم بوداعة وخجل إذ اعترف بذلك. "عادة نذهب في رحلة تخييم لأسبوعين، ونتسكع هنا لحوالى أسبوعين. إنهما يحبان ذلك. بمكنني الاستغناء عن رحلة التخييم. ففكرتي أن نخيم أسبوعاً في فندق بيل إير. ولكن التخييم يعني الكثير لهما وهما يحبان أن يتسخا وأن يتعبا وأن يناما في الغابة. عادة ما نفعل ذلك لمدة أسبوع، ونمكث في فندق ما في الأسبوع الآخر، مثل أهواهني في يوسيميت، أو نذهب إلى ليك تاهو. بمكنني أن أتحمل أسبوعاً في خيمة وكيس نوم، ولكنه أمر مناسب نوعاً ما لنا. إن ذلك يبقيني متواضعاً. وضحك، وأنهت أدريانا شطيرة التفاح وهي تصغي إليه بانتباه.

"كم يبلغان من العمر؟".

"سبعة، وعشرة. إنهما ولدان رائعان. سوف تشاهدينهما هنا في المسبح. إنهما يعتقدان أن كاليفورنيا هي أحواض سباحة وحسب. إنها مختلفة كثيراً عن غريت نيك، خارج نيويورك، حيث يعيشان مع والدتهما".

"هل يبدوان مثلك؟" سألته أدريانا وهي تبتسم، ما كانت لتستطيع أن تتخيله مع طفلين صغيرين كدميتين تشبهانه.

"لستُ متأكداً. يقول الناس إن الصغير يشبهني، ولكنني أظن أنهما يشبهان أمهما". وهنا، وبلهجة تنم على الحنين إلى الماضي، قال: "لقد رُزقنا بآدم في بداية الأمر. وكان الأمر قاسياً علينا. اضطرت ليسلي للتوقف عن الرقص، فقد كانت زوجتي راقصة في برودواي آنذاك. وكافحت بجهد حقاً. ومرت بنا

أوقات فكرتُ أننا قد نعاني الجوع والحرمان، ولكن هذا لم يحدث. وكان الطفل أجمل ما حدث لنا في حياتنا. أعتقد أن هذا أحد الأشياء القليلة التي لا تزال نتفق عليها. وقد توافقت ولادة الطفل مع بدء المسلسل. فكرت على الدوام أن العناية الإلهية بعثت لنا ما نحتاجه من أجل الطفل ومن أجلنا. فقد كان المسلسل جيداً بالنسبة لي لزمن طويل". بدا ممتناً وهو يتحدث عن ذلك، وكأنه لا يستحق ذلك فعلاً بل إنه محظوظ جداً، وكان يعرف ذلك. وقد فوجئت أدريانا وهي تسمعه إذ أدركت كم كان مختلفاً عن ستيفن. فقد كان ولداه يعنيان له الكثير وكان متواضعاً جداً تجاه نجاحه. كانت العناصر المشتركة بين الرجلين قليلة جداً. 'وماذا عنك؟' سألها عندئذ، 'هل تعتقدين أنك ستستمرين في قسم الأخبار؟'.

'لا أدري'. لقد سألت نفسها نفس السؤال، ولربما سيتسنى لها الوقت، عندما تأخذ إجازة الأمومة، أن تفكر ملياً فيما تريد أن تفعل بقية حياتها، إضافة إلى كونها أم.

'أفكر بأن أبدأ مسلسلاً جديداً أحياناً. ولكن على ما يبدو لا يتسنى لي الوقت لأفكر به. فلا يزال المسلسل 'حياة' يتطلب مني التزاماً بدوام كامل'.

'من أين تحصل على الأفكار لهذا المسلسل؟' سألته وهي تشرب عصير الليمون الذي صبه لها أحدهم.

'الله وحده يعلم'. ابتسم وهو يقول ذلك ثم أردف قائلاً: 'من الحياة الواقعية، ومن أفكاري. من كل ما يخطر في ذهني ويكون مناسباً. إنه يدور حول ذلك النوع من الأشياء التي تحدث في حياة الناس، تنصب في بوتقة واحدة وتمتزج معاً. الناس يقومون بالأعمال البغيضة، ويتورطون في مواقف سخيفة غير معقولة'. أومأت برأسها وهي مستغرقة في تأمل عميق. لقد كانت تعي ما يقول تماماً، كان يراقب تعابير وجهها. وعندما رفعت نظرها من جديد، التقت عيناهما وبدا وكأنها كانت تود أن تقول شيئاً ولكنها أحجمت.

في ذلك الوقت كان الحشد يتفرق والناس ينصرفون، وقد أتى العديد من

المدعوين إليه شاكرين دعوته. لقد بدا وكأنه يعرف الجميع، وكان على الدوام ودياً ولطيفاً ومبتهجاً. لقد كانت تحب البقاء بجواره وكانت تستغرب مدى ارتياحها إليه. لقد كان في مقدورها أن تخبره بأي شيء. تقريباً كل شيء، ما عدا ما يتعلق بستيفن. فقد كانت تشعر بشكل من الأشكال أن هجره لها إنما هو إخفاق وفشل لها.

'هل تودين أن تشربي شيئاً؟' سألها وهو يشرب العصير الذي كان بيده طوال الليلة، وعندما اعتذرت، وضعه من يده، وصب لنفسه فنجاناً من القهوة.

كان هناك العديد من الثنائيات يجلسون على مقربة منهم، يتحدثون ويضحكون وقد أمسك كل منهم بيد الآخر، لقد شعرت بالعزلة وهي تشاهدهم. لقد أعاد منظرهم إلى نفسها ذلك الشعور بالوحدة. فبعد أن بنت علاقة مع ستيفن لخمس سنوات، تجد نفسها في عزلة، وليس هناك من يمسك بيدها ويحبها.

'متى سيعود زوجك؟' قال ببساطة، وهو يشعر بالأسف نوعاً ما لأنه سيعود. لقد كان فتى محظوظاً، ولا يزال بيل يتمنى لو أن أدريانا لم تكن متزوجة.

'الأسبوع القادم'. قالت باقتضاب.

'وأين هو الآن من جديد؟'.

'في نيويورك'. أجابت بسرعة وأصاب الذهول بيل إذ قالت ذلك.

لقد بدا مندهشاً. 'كنت أعتقد أنك قلتِ أنه في شيكاغو'. واحتار في أمره، ثم تجاهل الموضوع وقد رأى نظرة الذعر على وجهها. يبدو أن أمراً أزعجها بشدة ولم يعرفه، وغيّر الموضوع بسرعة.

'كانت فكرة رائعة'، قالت ذلك وقد وقفت تنظر حولها بعصبية وتوتر. 'لقد أمضيتُ وقتاً طيباً معك'. قالت ذلك وهي على وشك أن تغادر المكان وهي مكتئبة. لقد أفزعها ولم يكن ليريدها أن تذهب. وبدون أن يفكر، مدّ يده وأخذ

بيدها وهو يرغب بأن يفعل أي شيء ليجعلها تبقى إلى جواره.

"أرجوك لا تذهبي أدريانا... إنها ليلة رائعة، ويسرني أنك هنا، أتحدث إليك". لقد بدا فتياً ورقيقاً جداً وقد تأثرت بما قاله.

"لقد فكرت... أنك... ربما يكون لديك مخططات أخرى... لم أرد أن أضجرك...". بدت مضطربة، ولكنه كان يجهل السبب، وعندما جلست من جديد أبقى يدها في يده، وهو يتعجب مما يفعله. لقد كانت متزوجة ولم يرد أن ينصدع قلبه.

"أنت لا تضجريني، أنت رائعة، إنني أستمتع بالوقت الذي أمضيه معك. أخبريني عنك. ماذا تحبين أن تفعلي؟ ما هي رياضتك المفضلة؟ ما نوع الموسيقى التي تحبينها؟".

فضحكت. لم يسألها أحد هذه الأسئلة منذ سنوات، ولكنها سُرت بالحديث إليه طالما لا يضغط عليها بالسؤال عن ستيفن: "أحب كل شيء... الموسيقى الكلاسيكية... والجاز... والروك... والموسيقى الريفية الكاونتري... أحب ستينغ، والبيتلز، ويوتو، وموزار. لقد اعتدت التزلج كثيراً عندما كنت أصغر، ولكنني لم أفعل منذ سنتين. أحب الشاطئ... والشوكولا الساخنة... والكلاب...". وضحكت فجأة وقالت: "والشعر الأحمر، لقد وددت دائماً أن يكون شعري أحمر"، ثم فجأة بدت حزينة وقالت: "والأولاد. لقد كنت أحب الأطفال دائماً".

"وأنا أيضاً". قال مبتسماً، وهو يتمنى لو يمضي حياته كلها معها وليس هذا المساء فقط. "لقد كان ولديّ ذكيين رائعين عندما كانا صغيرين. عندما قدمت إلى هنا كان طومي في السنة الأولى في عمره، وكان هذا يفطر قلبي". وهنا التمعت في عينيه أحزان وآلام هذه الذكرى بينما كان يخبرها بذلك. "أود أن تلتقي بهما عندما يأتيان خلال أسبوعين. ولربما أمكننا أن نمضي جميعنا معاً أمسية ما". لقد أدرك أنه إذا شاء مصادقة أدريانا فعليه أن يتصادق مع زوجها أيضاً. لقد كانت هذه هي العلاقة الوحيدة المتاحة لهما، وكان على

استعداد للقيام بذلك فقط لكي يكون قريباً منها. ولربما كان زوجها ألطف مما بدا عليه، رغم أن بيل كان يعتبر الأمر غير محتمل.

"أود أن ألتقي بهما يوماً ما. متى ستذهبون في رحلة التخييم؟".

"خلال أسبوعين تقريباً". وابتسم. "في الواقع سوف نقود السيارة إلى ليك تاهو، عبر سانتا بربارة، سان فرانسيسكو ونابا فالي. ثم سنخيم لخمسة أيام عندما نصل إلى هناك".

"إنها تبدو رحلة متحضرة جداً". كانت تتوقع شيئاً أكثر قسوة ومغامرة.

"عليّ القيام بذلك على هذا النحو. فالكثير من الهواء النقي يضر بجسدي".

"هل تلعب كرة المضرب؟" سألته في تردد. لم يكن ذلك نوعاً من المقارنة تريد أن تجريها بينهما، ولكن كان ذلك بدافع الفضول. فمع ستيفن كان هذا تعلقاً مرضياً مبالغاً فيه.

"يمكنك أن تقولي ذلك". ثم قال معتذراً: "ولكنني لستُ بارعاً جداً فيه".

"ولا أنا". قالت وهي تضحك، وهي متشوقة لقطعة أخرى من شطيرة التفاح، ولكنها لم تجرؤ على الذهاب والإتيان بها. فقد فكّرت أنه سيظنها شرهة جداً إذا ما أكلت المزيد، ولكن العشاء بكل أصنافه كان لذيذاً. وجاء فريق التنظيف والترتيب ليهتموا بالمكان، وكان الجو قد صار حالكاً أكثر وقد جلسا بجانب بركة السباحة. كان قد انصرف المزيد من المدعوين، ولكنها كانت مستمتعة بصحبته ولم ترغب في الانصراف رغم أنها فكرت بأن عليها القيام بذلك، ثم فجأة، وعالياً في السماء، بدأت الألعاب النارية. لقد تم وضعها في منتزه قريب وقد كانت جميلة وقف الجميع يتفرجون عليها، نظرت أدريانا أيضاً إلى الألعاب النارية وكانت كطفل مبتهج تستمتع، وابتسم بيل لها. لقد كانت جميلة جداً، ودافئة جداً، ولطيفة جداً. لقد بدت كفتاة صغيرة وقد رفعت وجهها نحو السماء، ولكنها جميلة، شعر بيل برغبة جامحة بتقبيلها، كان قد شعر بهذه الرغبة من قبل، ولكنها الآن صارت تزداد أكثر فأكثر في كل مرة

يراها فيها.

استمر العرض حوالى نصف ساعة ثم تحول إلى رذاذ قوي من الألوان الحمراء والبيضاء والزرقاء، واستمر على هذا النحو، وبدا كأن لا نهاية له. ثم أظلمت السماء من جديد وقد سطعت فيها النجوم في الأعالي، مع تساقط مسحوق أسود تبقى عن الألعاب النارية، وخيوط دخان ضئيلة رفيعة تتساقط ببطء إلى الأرض، في حين وقف بيل إلى جانبها وقد تنشق نفحة من عطرها. لقد كان ذلك العطر من ماركة شانيل رقم 19 وقد كان يحبه.

"هل لديك أية مخططات لعطلة نهاية الأسبوع هذه؟" سألها بتردد، وهو لا يعرف إذا كان من المناسب أن يطرح عليها هكذا سؤال. ولكن كان في مقدورهما أن يكونا صديقين في نهاية الأمر. فطالما كان متمالكاً لنفسه، ليس من سبب حقيقي يمنع من أن يكونا معاً. "فكرتُ أنك قد تحبين الذهاب إلى الشاطئ أو شيء من هذا القبيل". قال لها ذلك لأنها كانت قد ذكرت له لتوها أنها كانت تحب الشواطئ.

"أنا... حسناً... لستُ متأكدة... زوجي قد يأتي إلى المنزل...". كانت تشعر بالحرج والارتباك، ومع ذلك فقد كانت تود أن تذهب، ولم تدرِ ما تقول إزاء هذه الدعوة.

"كنت أظن أنه سيكون في نيويورك... أو شيكاغو... حتى الأسبوع القادم. أنا واثق من أنه لن يمانع ذلك. أنا رجل محترم. وهذا أفضل من أن تمكثي هنا طوال عطلة نهاية الأسبوع طالما أنه ليس لديك عمل. يمكننا أن نذهب إلى ماليبو؛ لديّ أصدقاء هناك يسمحون لي باستخدام منزلهم. إنهم يعيشون في نيويورك، ويحتفظون بالمكان هنا. وأنا أعتني بالمنزل في غيابهم. ولسوف يعجبك المكان".

"حسناً". ابتسمت له، وهي لا تدري ما الذي يحدوها إلى ذلك. ولكن هذا الرجل أوحى لها بالارتياح فجذبها بقوة لا تقاوم، وهنا هبت واقفة واستعدت للعودة إلى شقتها.

"سيكون ذلك من دواعي سروري".

"هل تناسبك الساعة الحادية عشرة؟".

أومأت برأسها. لقد بدت الفكرة رائعة. ولكنها مخيفة قليلاً. "دعيني أوصلك إلى المنزل". كان قد خلع عنه المريلة، وبدا ظريفاً وهو يسير معها إلى منزلها. وعندما وصلت إلى الباب الأمامي، فتحته بحذر، وفتحته فتحة صغيرة فقط بما يكفي لتشعل الأنوار. لم تكن تريده أن يرى الشقة الفارغة.

"شكراً جزيلاً بيل. لقد أمضيتُ وقتاً رائعاً. شكراً لدعوتك لي الليلة". لقد كان ذلك أفضل من البقاء في المنزل، والشعور بالأسى على نفسها والتساؤل عما يفعله ستيفن.

"أنا أيضاً أمضيتُ وقتاً طيباً". وابتسم لها وهو يشعر بالسعادة، والارتياح، والرضى. "سأمر عليك غداً الساعة الحادية عشرة تقريباً".

"لا بأس. يمكنني أن أراك عند المسبح".

"لستِ في حاجة إلى ذلك. سوف ألقاك من هنا". بدا مصمماً وبدت متوترة، وقد استعدت لتثب داخلة إلى شقتها قبل أن يتمكن من رؤية ما في داخل الشقة.

"شكراً من جديد". ونظرت إليه للمرة الأخيرة ثم اختفت فجأة داخل المنزل مثل الشبح. ففي لحظة كانت تقف أمامه، وفي اللحظة التالية كانت قد دخلت المنزل وأغلقت الباب، واستغرب كيف أمكنها ذلك. لقد كانت هذه أسرع تحية وداع رآها، وسار في تؤدة عائداً إلى شقته مبتسماً.

الفصل 13

في تمام الحادية عشر من اليوم التالي أقل بيل أدريانا، لقد كانت خارج المنزل تنتظره عندما وصل. وكانت ترتدي بنطال جينز وقميصاً فضفاضاً، وقبعة لتتقي أشعة الشمس، وحذاء خفيفاً. وكانت تحمل حقيبة تستخدمها من أجل الشاطئ مليئة بالمناديل، والكريمات، والكتب، وأقراص فريسبي. ضحك بيل عندما رآها.

'تبدين بهذه الهيئة وكأنك في الرابعة عشر من العمر'. لقد كانت ترتدي قميص ستيفن، وكانت تحب هذا القميص كثيراً، وكان يحجب بنطال الجينز الذي صار ملتزاً ضيقاً عليها، ولكن بيل لم يلاحظ ذلك وهو ينظر إليها.

'أهذا إطراء أم توبيخ؟' سألته دون حرج. لقد غدت تشعر بالارتياح إليه وتبعته عبر المجمع السكني.

'إنه إطراء. بالتأكيد'. ثم توقف، وقد تذكر أنه نسي شيئاً، فسألها: 'هل لديك كولا في المنزل؟ لقد فرغت للتو من عندي'. وكانت كل المحلات مغلقة إذ كان ذلك يوم أحد.

'بالتأكيد'.

'هلاّ أخذنا معنا بعضاً منها كي نشرب عندما نعطش؟'. فعادت أدراجها إلى منزلها وتبعها. ولكن عندما وصلا إلى الباب الأمامي توقفت ونظرت إلى الخلف من فوق كتفها.

'سأدخل سريعاً وأحضرها. لماذا لا تبقى هنا مع الأغراض؟' قالت ذلك وكأنها تظن أن أحداً ما سيسرق حقيبة الشاطئ التي لديها ويلوذ بالفرار.

'سأدخل وأساعدك'.

'لا، لا بأس. فالبيت في فوضى. فلم تتسنى لي فرصة لأرتبه وأنظفه بعد ذهاب ستيفن... أقصد في ذلك اليوم... عندما ذهب إلى نيويورك...'. هل كان ذلك نيويورك أم شيكاغو، تساءل بيل، ولكنه لم يقل شيئاً لأنه كان واضحاً أنها لم تكن تريده أن يدخل ولذلك لم يفعل.

'سأنتظرك هنا'. قال لها وهو يقف عند الباب الأمامي ويشعر أنه أحمق. تركت الباب الأمامي مفتوحاً وقد رفعت السقاطة، ولكن أغلقت الباب بحيث لا يرى ما في الداخل. لقد بدا وكأنها تخفي شيئاً في شقتها. وبعد دقيقة سمع صوت تحطم هائل، وبدون تفكير اندفع إلى داخل الشقة ليساعدها. لقد أسقطت زجاجات الكولا، وانتشرت الكولا في كل أرجاء المطبخ. 'هل تأذيت؟' سارع إلى سؤالها وهو قلق، فهزت رأسها، فالتقط منديلاً وساعدها في تنظيف المكان.

'لقد كانت هذه حماقة مني'. قالت. 'لا بد أنني هززتها كثيراً بدون أن ألاحظ، ثم أوقعتها'. استغرقهم الأمر دقيقتين لإزالة آثار ذلك، ولم يلاحظ وجود أي شيء غير عادي في المكان، إلى أن أتت بالمزيد من زجاجات الكولا، فأدرك عندئذ أن ليس ثمة أثاث في المطبخ. لقد كان المكان عبارة عن منضدة مطبخ فارغة وكرسي موحش بلا ظهر وُضع إلى جوار الهاتف عند طرف المطبخ. وإذ سارا عبر غرفة الجلوس، كانت مخيفة تقريباً. فلم يكن فيها مفروشات، وكانت هناك آثار لوحات جدارية على الجدران، وتذكر عندئذ ستيفن وهو يحمل الأثاث إلى السيارة المغلقة قبل حوالي أسبوعين. قالت أنهما كانا ينويان بيع كل شيء وشراء أثاث جديد، ولكن في هذه الأثناء بدت الشقة خاوية وموحشة كئيبة. ولكن بيل لم يقل شيئاً، فسارعت لتفسر الأمر. 'لقد طلبنا الكثير من الأغراض الجديدة. وكما تعلم كيف هي الأمور هنا، كل شيء يستغرق من عشرة إلى اثنتي عشر أسبوعاً ليتم تسليمه إليك. ولن يصبح هذا المكان لائقاً أو مقبولاً تقريباً من جديد حتى شهر آب'. في الواقع لم تطلب أي شيء. لقد كانت لا تزال تتوقع أن يعود ستيفن إلى المنزل مع الأغراض

العتيقة التي أخذها معه.

"بالطبع أعرف كيف تسير الأمور". ولكنه شعر أن ثمة أمراً غير صحيح، ولكنه لم يعرف بالتأكيد ما هو. ربما كانا في فقر شديد لا يستطيعان معه شراء أثاث. وربما باعوا هذا الأثاث الذي كان لديهم ليشتروا مفروشات جديدة. فالناس في هوليوود كانوا يعيشون هكذا. ولديه الكثير من الأصدقاء الذين يفعلون ذلك. وكان واضحاً أن أدريانا كانت محرجة من أمر ما. "إن الشقة شبه الفارغة تكون جميلة المنظر ونظيفة". قال ممازحاً واستأنف: "ومن السهل ترتيبها". فشعرت بالحرج من جديد ثم مازحها قائلاً: "لا بأس. ستبدو رائعة المنظر عندما يأتي الأثاث الجديد". ولكن في غضون ذلك، لم تكن لتبدو هكذا. لقد بدا المكان مهجوراً نوعاً ما.

حالما غادرا المنزل نسيا الأمر، وأمضيا وقتاً ممتعاً على الشاطئ. ومكثا هناك حتى تجاوزت الساعة الخامسة عندها بدأ الجو يصبح بارداً، وكانا يتحدثان حول المسرح، والكتب، ونيويورك، وبوسطن، وأوروبا. تحدثا عن الأولاد، والسياسة، والنظريات الفلسفية وراء المسلسلات التلفزيونية ونشرات الأخبار، والأشياء التي كان يحب أن يكتب عنها، والقصص القصيرة التي كتبتها عندما كانت في الجامعة. تحدثا عن كل شيء واستمرا في الحديث وهو يقود السيارة عائداً إلى المجمع.

"بالمناسبة أحب سيارتك جداً". لقد كان معجباً بسيارتها الـ أم جي منذ أن رآها لأول مرة.

بدت مسرورة للإطراء، وقالت: "وأنا أيضاً. لقد كان الجميع يحاولون إقناعي بالتخلي عنها ومنذ سنوات، ولكنني لا أستطيع. فأنا أحبها كثيراً. إنها جزء مني".

"وكذلك الأمر بالنسبة لسيارتي". وأشرق وجهه بابتسامة. لقد كانت تفهم ما معنى أن يحب الإنسان سيارته. إنها تفهم أموراً كثيرة، كمثل الاعتناء،

والخسارة، والأمانة، والحب، والاحترام وكانت تشاطره الشغف بالأفلام القديمة. المشكلة الوحيدة التي كانت تعاني منها، عدا أنها تأكل طعاماً يكفي لعائلتين، هي أنها متزوجة، ولكنه قرر أن يتجاهل ذلك ولن يتوقف عن الانزعاج من هذا الأمر، وأن يستمتع بصداقتها. لقد كان من النادر للرجال والنساء أن يكونوا أصدقاء، دون أن يكون بينهما أي علاقة جنسية، وإذا كان قادراً على مصادقتها حقاً فإنه سيعتبر نفسه محظوظاً جداً". "هل تريدين أن نتناول العشاء في طريق العودة؟ هناك مطعم مكسيكي رائع في سانتا مونيكا كانيون، إذا أحببت أن تجربيه". لقد كان يعاملها كمثل صديق قديم، كشخص يعرفه ويحبه على الدوام. "أو بالأحرى، لقد بقيت لديّ شريحتا لحم. هل تريدين أن نعود إلى منزلي، وسأطهو لك العشاء؟".

"يمكننا أن نطهيها في منزلي". وكانت على وشك القول إنها تفضل أن تنصرف إلى البيت. ولكن لم يكن هناك داعٍ لذلك كما وأنها لم تريد ذلك حقاً. فسوف تكون الليلة ليلة أحد تشعرها بالوحدة، بينما كانت هي تستمتع بصحبته ولا ترغب في أن تفارقه بعد. ولم يكن هناك من سبب يمنعها من تناول العشاء معه.

"أنا لا أتحرق شوقاً لأكلها على أرضية الشقة. أم أن هناك قطع أثاث أخرى لم أرها بعد؟" قال لها ممازحاً. وفي الواقع لم يكن لديها سوى سرير، ولكنها لم تقل ذلك.

"حسناً أيها المتكبر المتعجرف". قالت مازحةً وهي تشعر بنفسها كالأطفال من جديد. "لنذهب إلى منزلك". لقد مضى عليها سنين لم تقل ذلك لرجل. لقد كانت تخرج مع ستيفن لسنتين قبل أن يتزوجا. وها هي، فجأة، وبعد خمس سنوات تتناول طعام العشاء في شقة رجل. ولكن عليها أن تعترف بأنها ما كانت لتمانع في ذلك. لقد كان بيل ثيغبن رائعاً، وذكياً، وممتعاً، ولطيفاً وقد أعطاها الانطباع برغبته وقدرته على العناية بها بكل ما أمكنه. لقد كان دائماً يهتم لأمورها. فيما إذا كانت عطشة، أو جائعة، أو ترغب في المثلجات، أو

الكولا، أو تحتاج إلى قبعة. لقد كان دافئ العواطف، مريحاً، سعيداً، وكان يسليها على الدوام بقصصه عن مسلسله التلفزيوني، أو عن الناس الذين يعرفهم، أو عن ابنيه آدم وطومي.

وعندما خطت داخلة إلى شقته، رأت بُعداً جديداً من حياته وطباعه. كانت هناك لوحات معاصرة جميلة على الجدران، وبعض التماثيل الرائعة التي كان قد جمعها خلال رحلاته وترحاله. كانت الأرائك الجلدية مريحة ومفروشة جيداً، والكراسي كبيرة الحجم ولينة وجذابة. وفي غرفة الطعام كان هناك طاولة جميلة أتى بها من إيطاليا، وسجاد كان قد اشتراه من باكستان، وكان المكان يحفل بصور ولديه الجميلة. كان هناك جو من الحميمية العائلية في ذلك البيت يجعلك ترغب في إلقاء نظرة إلى كل ما حولك، الجدران المليئة بصفوف الكتب، والموقد المصنوع من القرميد، والمطبخ الريفي الكبير الحجم المصمم بأسلوب جميل. لقد بدا ذلك البيت أشبه بمنزل منه إلى شقة. كان لدى بيل مختلى دافئ ومريح حيث كان يعمل، وفيه آلة كاتبة قديمة جداً، وكتب كثيرة وكرسي من الجلد مريحة وكبيرة وقديمة جداً وكان يحبها لأنها كانت لوالده يوماً. كان هناك أيضاً سرير للضيوف مثير للاهتمام وقد بدا وكأنه لم يُستعمل أبداً، وقد فُرش بلون البيج، مع سجاد للأرضية هو عبارة عن جلد غنم كبير الحجم، وسرير ذي أربع أعمدة، وكان هناك أيضاً غرفة نوم كبيرة ملونة من أجل الأولاد، وفيها سرير ذي طابقين بلون أحمر ساطع بدا وكأنه قاطرة، أما سريره الشخصي فقد كان في أسفل الردهة، وقد ظلل كله بالألوان الترابية الدافئة، وغطي بالقماش الناعم، ونوافذ كبيرة مشمسة تطل على حديقة لم تكن أدريانا تعرف بوجودها في المجمع السكني. لقد كان المنزل رائعاً. لقد كان مثله تماماً. جميلاً، ودافئاً، ومُحباً. وبدا جزء منه مهترئاً بفعل الأيدي التي لامسته. لقد كان من الأمكنة التي كنت لترغب لو تبقى فيها سنة، فقط لكي تنظر في أرجاءه وتتعرف عليه. وكان على النقيض تماماً من الحياة الجدباء المترفة التي كانت تشارك فيها ستيفن الذي تخلى عنها كلياً، ولم يترك لها

سوى السرير والسجادة.

"بيتك جميل يا بيل". قالت له في إعجاب واضح.

"أنا أيضاً أحبه كثيراً" أقرّ بذلك ثم سألها: "هل رأيتِ سرير الأولاد؟ لقد صنعه فتى من نيوبورت بيتش. إنه يصنع سريرين في السنة. وكان لي الخيار بين هذا السرير وبين سرير جُعل على شكل باص ذي طبقتين. لقد اشترى شاب إنكليزي ذلك السرير، وأخذتُ أنا هذا الذي على شكل القاطرة. لقد كان لدي ولع دائم بالقطارات. فهي عظيمة جداً، وقديمة الطراز، وحميمية". لقد بدا وكأنه يصف نفسه، وابتسمت أدريانا له.

"أنا أحبه". لا عجب أنه ضحك عندما رأى شقتها الفارغة. فقد كان منزله حافلاً بالأشخاص والأشياء ودافئ جداً. لقد كان مكاناً عظيماً مناسباً للعيش والعمل أيضاً.

"لقد فكرت بشراء منزل لي منذ سنوات، ولكنني أكره الانتقال، كما وأن هذا البيت مريح جداً. إنه يلبي الغاية منه. والولدان يحبانه".

"أستطيع أن أرى السبب". فقد خصص لهما أكبر غرفه، رغم الوقت القصير الذي كانا يقضيانه معه، ولكن بالنسبة له كان الأمر يستحق ذلك.

"عندما يصبحان أكبر سناً، آمل أن يقضيا وقتاً أطول هنا".

"أنا واثقة بأنهم سيفعلون ذلك". ومن لا يريد ذلك، مع أب مثله، ومنزل كهذا ليعود إليه. لم يكن ذلك بالمنزل الكبير الحجم أو المترف جداً، لا أبداً. بل كان منزلاً دافئاً وحميمياً، ولكن التواجد في هكذا منزل يغمرك بشعور لا يوصف. شعرت أدريانا بذلك وقد جلست على الأريكة تنظر إلى ما حولها، ثم خرجت إلى المطبخ كي تساعده بإعداد العشاء. لقد كان قد صنع معظم ما في المطبخ بنفسه، وكان خبيراً ماهراً بالطهي كما بدا في إعداده لذلك العشاء.

"ما الذي لا تستطيع فعله؟" سألته.

"أنا أخرق في الرياضة بأنواعها. وكما أخبرتك، لا أجيد لعب كرة

المضرب. ولا أستطيع أن أشعل النار في البرية لكي أنقذ حياتي. وأنتم هو من يقوم بذلك كلما ذهبنا للتخييم. كما أخاف ركوب الطائرات". لقد كانت هذه قائمة صغيرة مقارنة بالأشياء التي كان يستطيع القيام بها.

"على الأقل إنه لمن الطريف أن يعرف المرء أنك إنساني".

"ومــاذا عنك أدريانا؟ أي الأشياء تبرعين فيها؟ إنه لمن الممتع دائماً أن تسمع ما يقوله الناس عن أنفسهم. وجه لها هذا السؤال وهو يقوم بانتقاء الحق من أجل السلطة.

"أنا لستُ بارعة في كثير من الأشياء. التزلج على الجليد، وأنا خرقاء في كرة المضرب، وسيئة جداً في لعبة البريدج، وذات مستوى متدنٍ في الألعاب، ولا أستطيع أن أتذكر قواعد اللعب أبداً، ولا أبالي إذا ما فزتُ أو خسرتُ. أكره الكمبيوتر". فكّرت جدياً للحظة ثم استأنفت قائلة: "أما المساومات والحلول الوسط، فلستُ ماهرة في المساومة على ما أؤمن به".

"أعتقد أن هذه فضيلة وليست نقصاً أو عيباً، ألا توافقيني الرأي؟".

"أحياناً". قالت وهي تفكر متأملة: "أحياناً تكلفك الكثير". كانت تفكر بستيفن في هذه اللحظة. لقد دفعت ثمناً باهظاً مقابل ما تؤمن به.

"أفلا يستحق الأمر العناء؟" قال برفق. "ألا تفضلين أن تدفعي ثمناً ما وتلتزمي بما تؤمنين به؟ أنا دائماً أفعل ذلك". ولكنه انتهى إلى عزلة ووحدة أيضاً، وما كان ليبالي بذلك.

"أحياناً يصعب على المرء أن يدرك ما هو الأمر الصائب لفعله".

"أنت تبذلين أفضل ما لديك يا عزيزتي. أعط الأمر أفضل محاولة لديك، على أمل أن يفي ذلك بالغرض. وإن لم يرق ذلك للآخرين" قال ذلك وهو يهز كتفيه متحدثاً عن فلسفته: "فالمشكلة تكمن فيهم". قالها بسهولة. ولكنها كانت لا تستطيع أن تصدق بأن ما حدث كان نتيجة لمحاولة التزامها بمبادئها في موقفها تجاه ستيفن. ولكن يبدو أنه لم يكن لديها خيار. فما كانت لتستطيع اختيار الحل

البديل. ببساطة لم تستطع ذلك. لم يكن ثمة سبب لذلك. لقد كان ابنهما، وقد أحبته. وهذا ما جعل التخلي عنه صعباً في نزوة أو لحظة طيش فقط لأن ستيفن خاف من هذا الأمر. وهكذا فقد خسرته.

"هل ستثابر على إيمانك رغم موقف الآخرين؟" سألته وقد جلسا ليتناولا شرائح اللحم الكبيرة التي قام بطهيها وهي تنظر إليه. كانت أدريانا قد أعدّت الطاولة وصنعت مرق السلطة، ولكنه قام بالأشياء الأخرى كلها، وبدا العشاء لذيذاً. شرائح لحم، وسلطة، وخبز مثوّم، وكان هناك فريز مغطس بالشوكولا كتحلية لهما بعد الطعام. "هل تتشبث برأيك مهما كلف الأمر؟".

"الأمر نسبي. هل تقصدين أن أتشبث برأيي على حساب أحد آخر؟".

"ربما".

احتار في الأمر قليلاً، بينما سكبت السلطة لنفسها. "أعتقد أن الأمر سيكون بحسب مدى التناغم بالموضوع. هكذا سأنظر للموضوع إذا شعرتُ أن التزامي الأخلاقي على المحك، أو كان الموضوع حساساً. أحياناً لا يهمك إذا فقدت شعبيتك، فما يهم هو، أنك لا تستطيعين أن تحيدي عما تؤمنين به. أعلم أن المرء إذا كبر بالسن فإنه من المفترض به أن يكون أكثر اعتدالاً، وأحياناً أجد نفسي هكذا. أنا في التاسعة والثلاثين من العمر وأنا أكثر تساهلاً مما اعتدت أن أكون. ولكنني لا أزال أؤمن بأن عليّ أن أتخذ موقفاً من الأشياء التي تهمني وتعنيني. هذا المبدأ لم يؤمّن لي الفوز بالأوسمة، ولكن بالمقابل فأصدقائي يعرفون أنهم يستطيعون أن يعتمدوا عليّ. وهذه الثقة لها أساس، وهذا يعني شيئاً مهماً بالنسبة لي على ما أعتقد".

"وأنا أيضاً أعتقد ذلك". قالت في لطف.

"كيف ينظر ستيفن إلى هكذا أمور؟" كان الفضول يتعاظم بخصوصه. فلم تكن أدريانا قد تحدثت عنه كثيراً، وكان يتساءل إلى أي درجة كانا يتواصلان ويتفاهمان، وتساءل كم من القواسم المشتركة بينهما. فمجرد النظر إليهما

يوحي بأنهما مختلفان للغاية.

"أعتقد أنه مقتنع جداً بهذه الآراء أيضاً. إنه لا يتفهم دوماً مشاعر الآخرين ومواقفهم". لقد كان هذا تصريحاً تقليدياً مبطناً مألوفاً.

"هل نجح في التأقلم والتلاؤم معك؟ كان زواجهما يثير فضوله. لقد كان يريد أن يتعرف عليهما، طالما أنه لا يستطيع أن يحصل عليها لنفسه، رغم أنه يتمنى ذلك.

"ليس دائماً. إنه جيد في...". بحثت عن الكلمات المناسبة: "العيش المتوازي هي أفضل ما أستطيع أن أصف به طبيعة علاقتنا. فهو يفعل ما يشاء، ويسمح لك بأن تفعل ما تشاء دون أن يتدخل". طالما يشعر بأن ما تفعله هو الأمر الصائب لتنجح في مسعاك. كما هو الحال في موضوع العمل في قسم الأخبار.

"وهل ينجح ذلك؟".

لقد كان ينجح في العادة. نعم لقد نجح، إلى أن خرج من حياتها لأنه لم يرق له ما كانت تفعله. التقطت أنفاسها وهي تحاول أن توضح الأمر لبيل فيغين: "أعتقد أنه ليكون الزواج ناجحاً، عليك أن تكون أكثر ترابطاً، وتوافقاً، وتفاعلاً. لا يكفي تماماً أن تترك الآخر يكون، بل عليك أن تكون معه شيئاً ما". فهم الأمر، وكان قد أدرك ذلك عندما كان متزوجاً من ليسلي. "ولكنني اكتشفت ذلك مؤخراً فقط".

تكمن المشكلة في هذه النقطة التي هي لب الموضوع. يدعك الكثير من الناس تفعل ما تريد، ولكن المشكلة هي أن بعض الناس فقط يريدون أن يفعلوا نفس الذي تفعله. لم أجد أي شخص بتاتاً هكذا. رغم أنني يجب أن أعترف أنني لم أنظر كثيراً حولي في السنين القليلة الأخيرة. لم يكن لدي الوقت حقاً، أو النية". أضاف بيل يقول.

"لم لا؟" لقد أثار هو فضولها أيضاً، لقد بدا لها أنه سيكون أكثر استمتاعاً

لو كان متزوجاً.

"أظن أنني كنت خائفاً. لقد تألمت كثيراً عندما انفصلت عن ليسلي، وعندما أخذت الأولاد، وأعتقد أنني ما كنت لأريد أبداً أن أكرر التجربة. لم أكن أريد الاهتمام بشخص أو الاعتناء به لدرجة أتألم معها، أو أرزق بأطفال يستطيع شخص آخر أن يأخذهم مني فقط لأن الزواج لم ينجح. لم أر في الأمر إنصافاً لي. لماذا عليّ أن أخسر أولادي إذا كانت المرأة التي معي لم تعد تحبني؟ فلذلك فقد كنت حذراً حريصاً". وكسولاً. فهو تعمد ألا يسعى إلى علاقة جدية ولوقت طويل، ويبرر لنفسه ذلك بأنه لم يكن مستعد.

"هل ستعتقد أنها ستعطيك الأولاد طوال الوقت، أكثر من مجرد بضعة زيارات في السنة؟".

"أشك في ذلك. فهي تعتقد أن لها الحق فيهم، وأنهم لها، وأنها تقدم لي معروفاً كبيراً بإرسالهم. ولكن الحقيقة هي أن لي الحق في أن أكون معهما مثلها تماماً. إنه لمن سوء حظي فقط أنني في كاليفورنيا. لقد كنت أستطيع أن أعود إلى نيويورك لأراهما أكثر، لكنني كنت أفكر دائماً أن الأمر سيكون صعباً أكثر عليّ هناك. لا أريد أن أكون على بعد عدة شوارع منهما كل ليلة وأتساءل عما يفعلونه عندئذ. أريد أن أراهما كل لحظة، وأن أدخل إلى غرفتهما ساعة أشاء، وأن أراهما يتحدثان على الهاتف، ويكتبان وظائفهما، ويتسكعان مع أصدقائهما. أريد أن أراهما هناك وأذرف الدموع وأنا أراقبهما نائمين ليلاً. أريد أن أكون إلى جانبهما عندما يمرضان ويتقيآن وتكون أنوفهما راشحة. أريد أن أكون متواجداً هناك بشكل حقيقي. وليس فقط بضعة أسابيع في ديزني لاند وليتل تاهو في الصيف". قال ذلك وهز كتفيه عندئذ، وقد أطلعها على ما يهمه فعلاً، وتأثرت فعلاً بما قال. "ولكن أعتقد أن هذا كل ما أملك. ولذلك أحاول جهدي الحفاظ عليه ومعظم الوقت أتقبل الأمر على ما هو، ولا أريد أن أقلق بخصوص ذلك. لقد كنت أرغب في العادة بأن يكون لدي المزيد

من الأطفال، وهكذا أستطيع أن أقوم بالأمر الصائب بالنسبة لهم هذه المرة. ولكني حتى الآن أرى أن الأمور أفضل على ما هي عليه. فلا أريد أن يتحطم فؤادي من جديد إذا ما قررت إحداهن أنها لا تحبني حقاً.

"ربما استطعت في المرة القادمة أن تحتفظ بالأطفال". وابتسمت له في حزن بينما هز رأسه. لقد كان يعرف أكثر منها بهذه الأمور.

"ربما سيكون أكثر حكمة وحذقاً ألا أتزوج وأنجب أطفالاً". وهذا ما قاله لسنوات، ولكنه في أعماق نفسه كان يدرك أن ليس هذا بالحل الأفضل. "وماذا عنك؟ هل تعتقدين أنك وستيفن ستنجبان أطفالاً؟ لقد كان سؤالاً مباشراً جريئاً، ولكنه كان على سجيته في علاقته معها حتى إنه لم يتجرأ على طرح هذا السؤال.

ترددت مطولاً قبل أن تجيبه، وهي لا تدري ما تقول. لوهلة أرادت أن تخبره بالحقيقة، ولكنها لم تفعل. "ليس في المستقبل القريب، فستيفن... متردد قليلاً تجاه موضوع الأطفال". "لماذا؟" سألها وقد أثار ذلك فضوله. فقد كان بيل يعتقد أن الأطفال أحد أجمل الأشياء في الزواج. كانت لديه خبرة في ذلك فهو مقدّر أهمية الأطفال وقيمتهم.

"لقد عانى طفولة قاسية. والدين مُعدمين في فقر مدقع. فقرر منذ وقت مبكر أن الأطفال هم أصل الشرور".

"آه يا عزيزتي. إنه أحد أولئك الذين يفكرون هكذا. وكيف ترين الأمر بالنسبة لك؟".

تنهدت، والتقت عيناها بعينيه. "ليس بالأمر السهل دائماً. آمل أن يغير رأيه في نهاية المطاف". مثلاً في شهر كانون الثاني.

"لا تنتظري طويلاً يا أدريانا. فستأسفين على ذلك. إن الأطفال هم الفرح الأعظم في العالم. لا تحرمي نفسك من ذلك، إذا أمكنك تفادي الأمر". فبيل كان يرى أن عدم إنجاب الأطفال حرمان حقيقي.

"سأخبر ستيفن عن رأيك في الموضوع". وابتسمت وبادلها الابتسامة وتمنى لو يذهب ستيفن إلى الجحيم. فالأمور ستكون رائعة لو أنها حرة غير مرتبطة. مدّ يده ولمس يدها، بلطف، ودفء.

"لقد أسعدتني صحبتك يا أدريانا اليوم. آمل أن تعني ذلك".

"وأنا أيضاً". وابتسمت له سعيدة، وتناولت ما بقي من شريحة اللحم في صحنها، وأتى بيل على السلطة.

"هل تعلمين، إنك تأكلين كثيراً بالنسبة لفتاة نحيفة". لقد كان صادقاً، ولكن مازحاً ملاطفاً، فضحكا.

"آسفة. لا بد أن ذلك يعود إلى الهواء النقي". لقد كانت تعلم السبب، ولكنها ما كانت لتريد أن تخبره به.

"إنك محظوظة لأنك تستطيعين تحمله". لقد كانت جميلة الطلة، وقد راقه أنها استمتعت بطبخه بشكل واضح.

تحدثا حتى الساعة العاشرة، كما قامت بمساعدته في ترتيب المطبخ، ثم سار معها في النهاية إلى منزلها وهو يحمل حقيبة الشاطئ عنها. لقد كانت ليلة جميلة أخرى، ولم يكن هناك ما يعكر صفاء الجو، وكانت النجوم تومض فوق رأسيهما. لقد كانت تشعر بنفور من فكرة العودة إلى العمل في اليوم التالي، ولكنها قالت إنها سوف تعمل لأنه ليس لديها شيء آخر تفعله ما عدا انتظار اتصال ستيفن. وكان لديهم العرض الاعتيادي ليقوموا به رغم العطلة الطويلة، وكذلك الأمر مع بيل.

"هـل تريدين أن تمري عليّ غداً؟" سألها بيل، "سوف أكون في المكتب الساعة الحادية عشرة".

"يبدو الأمر ظريفاً".

"نحن نبث على الهواء الساعة الواحدة. مرّي عليّ إذا كان لديك بعض الفراغ. يمكنك أن تتفرجي على المسلسل، ستكون حلقة الغد جميلة". ابتسمت

لتصورها ذلك، لقد كانت أمورها الآن مريحة ولذلك لم تجد ضيراً في أن يفتح الباب الأمامي للمنزل. فقد رأى شقتها الفارغة. وما عاد ثمة ما تخفيه عنه، اللهم ما عدا حقيقة أن ستيفن قد رحل عنها منذ شهرين، وأنها حامل.

"هلا تدخل لتشرب فنجان قهوة؟" كان على وشك أن يرفض، ولكنه قرر أن يقبل ذلك بغية إطالة أمسيته معها. سحبت الكرسي وأعطته إياه وأعدت القهوة ثم ذهبا للجلوس في غرفة الجلوس وفناجين القهوة معهما. جلسا على الأرض إذ لم يكن هناك ما يجلسان عليه. فشتان ما بين شقتها وشقته المريحة.

ولاحظ أثناء جلوسها عدم وجود تلفزيون أو راديو، ولاحظ أيضاً المكان الذي كانت فيه مكبرات الصوت. وخطر في ذهنه فجأة أنه ما كان ينبغي عليها أن تبيع هذه الأشياء. لم يكن قد بقي في شقتها سوى مثبتات الضوء ومقابض الأبواب، وسجادة في غرفة الجلوس، وآلة رد للإجابة على الهاتف قد وضعت على الأرض إلى جانب الهاتف. وحتى الطاولة التي كان الهاتف عليها فيما مضى كانت قد اختفت. لقد بدا المنزل وكأن شخصاً أفرغه من محتوياته بغية الانتقال منه، وإذ فكر بذلك، أدرك ما اعتقد أنه قد حدث فعلاً. ونظر إليها مندهشاً وكأنه ينقل أفكاره بصوت عالٍ عندما خطرت له الفكرة، ولكنه لم يجرؤ على سؤالها.

"أخبريني عن أغراضك الجديدة". قال لها وهو يدّعي اللامبالاة بينما وقف ينظر حوله.

"ما الأغراض التي طلبتها؟".

"اه... الأغراض العادية". قالت بشكل مبهم، وهي تستأنف حديثها عن سياسات قسم نشرة الأخبار وترجو أن تصرف انتباهه.

"هل تعلمين، إن مخطط منزلكم مختلف جداً عن منزلي، ولا تبدو هناك أية صلة أو تشابه بين المكانين".

"أعلم، يا للطرافة. أليس كذلك؟ لقد لاحظت ذلك أيضاً، عندما كنت في

بيتك". كانت تبتسم له. فقد أمضت يوماً جميلاً، وكانت مرتاحة كثيراً، رغم أنها كانت متعبة قليلاً.

"كم تبلغ المساحة التي لديكم في الأعلى؟".

"فقط غرفة نوم وحمّام. أجابت دون تردد، واستأنفت:

"ولدينا غرفة نوم أخرى في الأسفل، ولكننا لا نستخدمها أبداً".

"هل لي أن ألقي نظرة؟" لقد سمح لها بالتجول في كل أرجاء منزله فكان حرياً بها بدافع اللباقة أن تسمح له القيام بالمثل، ولذلك فقد ترددت ولكنها أومأت برأسها علامة الموافقة، فصعد السلالم وطلب منها كوباً آخر من القهوة. وعندما دخلت كي تأتيه به، دخل بسرعة البرق إلى غرفة نومها. لقد كانت فارغة كما توقعها، وخلال ثوانٍ معدودات فتح الخزانتين، ونظر عبر الحمام، وتفقد الصناديق حيث وضعت ملابسها، وتأكد له ما كان قد توقعه ولم تخبره به... وشعر بيل فجأة برغبة في أن يعرف ما يجري ولكنه لم يجرؤ على سؤالها. لقد شعر بحاسته السادسة أن ثمة سبب جعل ستيفن تاونسيند يحمل كل الممتلكات إلى عربة مغلقة، وليس الدافع لذلك هو أنهما يريدان تجديد الأثاث في الشقة. وحتى صورة زفافهما بالإطار الفضي كانت ملقاة على أرضية غرفة النوم حيث المصباح الوحيد للغرفة، لأن ستيفن كان قد أخذ المزيّنة وكل الطاولات.

"يعجبني مخطط بيتكم". قال وهو ينزل السلالم ويبدو مرتاحاً، فقد مرّت جولته الخاطفة دون أن تلاحظها، ثم سألها إذا كانت تسمح له باستعمال الحمام. كان هناك بابان عند الحمام، وتعمد أن يختار الباب الذي توقع أن يكون خزانةً، ففتحه ووجده مخزناً فارغاً لعلاقات الثياب الخشبية الصغيرة الحجم. ثم فتح الباب المناسب، وأغلقه خلفه وخطا داخل الحمام. وفتح كل الخزائن بهدوء قدر الإمكان، ثم دفق ماء التواليت. وعندما جلس معها لارتشاف القهوة من جديد، راقب عينيها بحثاً عن إجابة لأسئلته. ولكنه لم يستطع الوصول إلى أي

استنتاجات واضحة. فلم تقل له شيئاً. لقد ادّعت ولأسابيع عديدة أن ستيفن كان غائباً في رحلة عمل، وأنه سيعود خلال أيام قليلة، وأن كل شيء كان على ما يرام، رغم أنها أقرّت على العشاء بأن الأمور لم تكن دوماً سهلة. لقد كانت فتاة جميلة، وكان يعرف أنها متزوجة. وكانت لا تزال تضع في يدها خاتم الزفاف. ولكنه أيضاً عرف شيئاً آخر بعد أن ألقى نظرة على كل الخزائن في المنزل. فأياً كان السبب الذي جعلها لا تفضي بسرها، فإن ستيفن تاونسيند ما عاد يعيش مع زوجته، وعندما غادرها، فإنه أخذ معه كل شيء تقريباً.

شكرها بيل بعد قليل، ثم أخبرها أنه سيمر على قسم الأخبار في اليوم التالي، وظل يفكر بها في طريق العودة إلى بيته على الطرف الآخر من المجمع السكني. ماذا كانت تفعل؟ ولماذا؟ ولماذا الادعاء بأن كل شيء كان يسير على ما يرام؟ ولماذا لم تكن لتعترف بأنها كانت تعيش لوحدها؟ ماذا كانت تخفي؟ ولماذا؟ ولكن، عندما فكر بالخزائن الفارغة من جديد، شعر بأنه ثيغبن بالسرور في نفسه.

الفصل 14

أظهرت الحبكة المعقدة أن بيل كان يستطيع تدبر أمره، بالتحكم بالمواقف، التي يبدو أنها وصلت إلى طريق مسدود. فجون زوج هيلن، اعتقل في الآونة الأخيرة بسبب قتله لفوخن شقيقة زوجته، التي كانت سيلفيا العظيمة تلعب دورها. كما قتل أيضاً تيم ماكارثي. أما فوخن فقد كُشف النقاب عن خفايا حياتها من ممارستها الدعارة كمومس وتعاطيها المخدرات، وقد أحدث هذا الأمر حرجاً لا يوصف، أما السياسي الذي كانت على علاقة معه فقد أصبح على وشك الفضيحة وافتضاح أمره عندما تعلم الصحافة بقصته وتنشرها. أما هيلن فقد كان لها فضيحة من نوع آخر سوف تكتشف في الحلقة المقبلة بخصوص طفلها الذي لم يكن من زوجها وأصبح موضوعها لغزاً كبيراً وحديث الناس في كل المطابخ في طول البلاد وعرضها. من كان والد الطفل؟ في النهاية سينتهي زواج هيلن بالطلاق عندما يدخل زوجها السجن لقتله تيم وفوخن وسوف تُعرف هوية والد الطفل، ولكن ليس لوقت طويل. وسوف يتلاعب بيل بالأدوار ليقدم للجمهور المزيد من التسلية أثناء ذلك.

كان بيل يفكر بأدريانا وهو يقود سيارته إلى عمله في اليوم التالي، كان يفكر في السبب الكامن وراء إخفائها حقيقة أن ستيفن كان قد تركها. لم تكن هذه القصة مختلفة عن إحدى حبكاته، رغم أن الأسباب كانت أبسط بكثير من دون ريب. وكان من الممكن أن يكون مخطئاً في ظنه، رغم ذلك، ولكن لم يكن ليستطيع فهم ما يجري. لم يكن هناك ولو مقدار ذرة من الثياب الرجالية في المنزل، وليس من عطور رجالية أو عطر ما بعد الحلاقة، ولا حتى آلة أو شفرة حلاقة. لقد كان واثقاً من ذلك بعد الاستقصاء السريع الذي قام به. ولكن

ما الذي كانت تخفيه؟ ولماذا لم تخبره؟ لقد كان يتساءل فيما إذا كانت محرجة أو فيما إذا لم تكن مستعدة للخروج بعد.

عندما وصل إلى العمل ما عاد يستطيع أن يفكر بالموضوع. فقد كان أحد الممثلين مريضاً، وكان الكاتبان الرئيسيان لسيناريو المسلسل يتشاجران، ولم يستطع أن يلتقط أنفاسه حتى الظهيرة، وكان يرغب أن يذهب إلى استديو الأخبار عند أدريانا وأن يأتي بها إلى موقع التصوير لكي تشاهد بث الحلقة الساعة الواحدة على الهواء.

وفي مكتبها كانت أدريانا منكبة على معالجة خبر اكتشاف ابن سيناتور محلي كان اختطف وقُتل بوحشية في وقت متأخر من ليلة أمس. لقد كان خبراً صادماً صاعقاً، وكانت العائلة منهارة وفي كرب شديد. فقد كان الفتى في التاسعة عشر من العمر، وكان الجميع في قسم الأخبار مكتئبين. ورؤيتها للأشرطة التي جاءتهم جعلتها حزينة وكاد يغشى عليها. لقد أُلقي على درج باب منزل أهله وقد نُحِرَ عنقه.

كانت منشغلة في تعيين محررين للعمل على التفاصيل التي تردهم، والمراسلون يتحدثون إلى الأصدقاء المقربين من العائلة، عندما أخبرها أحدهم أن لها اتصالاً هاتفياً وأن المتصل ينتظر على الخط. رفعت السماعة ولم تميز اسم المتصل ولم تعرف من يكون. لقد كان اسمه لورانس ألمان.

"نعم؟" سألت وهي وسط معمعة من الأمور وكتابة الملاحظات ورؤوس الأقلام بينما أصغت له لتعرف ما كان يريد.

"السيدة تاونسيند؟".

"نعم".

"لقد طلب مني زوجك أن أتصل بك". وكاد قلبها يتوقف عندما سمعت ما يقول.

"هل تعرض لحادث؟ هل أصابه مكروه؟ أهو على ما يرام؟".

شعر بالأسف لأجلها وهو يصغي إلى رد فعلها. فهذه ليست امرأة لا تبالي بزوجها، بل كانت على عكس ما قاله زوجها. "لا، إنه بخير. أنا محاميه". بدت مضطربة ومشوشة وهي تصغي إليه. لماذا يتصل بها محاميه ولماذا طلب منه ستيفن أن يتصل بها؟

"هل من خطب؟". لوهلة لم يعرف ما يقول لها. لقد بدا أنها غير مستعدة لسماع ما سيقوله لها. وشعر بنفسه حقيراً لاتصاله بها.

"لقد كنت أظن أن زوجك قد حدثك عن الموضوع. ولكن يبدو أنه لم يفعل". أو ربما كانت تحتال وتتلاعب معه، ولكنه شك في ذلك. لم يبدُ أنها من ذلك النوع من الناس. "لقد رفع زوجك دعوى تفريق وأرادني أن أنهي الموضوع بالتراضي معك يا سيدتي". شعرت وكأنها كانت على أفعوانية في مدينة ملاهي تلتوي وتنخفض ثم توقفت لتوها وقذفت بها الأفعوانية خارج مقعدها تاركةً قلبها على بعد أميال في الخلف. كانت بالكاد تستطيع أن تلتقط أنفاسها وهي تصغي إليه. ماذا كان ستيفن سيفعل؟

"عفواً، أنا... لا أفهم. ماذا يعني ذلك؟".

"إنه تفريق يا سيدة تاونسيند". قالها بلطف قدر استطاعته. لقد كان لبقاً ولم تكن هذه من القضايا أو الدعاوى المفضلة لديه. لم يكن ستيفن عقلانياً أبداً عندما ناقشه بالموضوع. واستأنف الرجل كلامه: "أقصد طلاق. فزوجك يريد الطلاق".

"آه... لقد ... فهمت... أليس في الأمر عجلة بعض الشيء؟".

"لقد سألته إذا كان يريد التحدث إليك فلربما تتمكنان من تسوية الخلافات لكنه أصر على أن خلافكما غير قابل للتسوية".

"هل أستطيع أن أرفض؟... أقصد الطلاق...". وأغمضت عينيها محاولةً ألا تبكي على الهاتف، وإلا فسيظنها الرجل حمقاء. كان عليها أن تبقى هادئة، ولكن بإصغائها له كانت تفقد السيطرة على نفسها. لم تستطع أن تصدق ما

تسمع. ستيفن كان يريد الطلاق، ولم يكلف نفسه حتى عناء الحديث معها في هذا الموضوع. لقد جعل شخصاً غريباً يتصل ليخبرها بذلك.

"لا. لا يمكـنك أن ترفضـي". وشرح لها المحامي الأمر: "هذه القوانين تغـيرت منذ زمن بعيد. يحق لك أو للسيد أن يرفع دعوى تفريق دون موافقة الطـرف الآخـر". لـم تستطع أن تصدق ما كانت تسمعه، وكان لديه المزيد ليقوله: "هناك بعض الأوراق الإضافية يريد السيد تاونسيند إعلامك بها".

"يـريد أن يبيع الكوندو، أليس كذلك؟" وكانت الدموع قد بدأت تنهمر من عينيها وهي تصغي إليه وتراقب عالمها كله ينكمش حولها.

"نعم. هو كذلك. ولكنه يعطيك مهلة ثلاثة أشهر قبل أن تضعيه برسم البيع ما لم تكوني تودين شراءه بسعر السوق". شعرت بأنها ستصاب بالغثيان وقد وقفت في مكتبها. لقد كان يريد الطلاق. وكان يريد أن يبيع الكوندو ذي الملكية المشتركة. "ولكن ليس هذا ما كنت أشير إليه يا سيدة تاونسيند فقد كان طرحه معقولاً بما يخص هذا المنزل الريفي الطابع. لقد كنت أتحدث عن..." وبدا متردداً. لقد كان يريد أن يناقش ستيفن في ذلك، ولكنه كان يفترض أن أبوته للطفل كانت لتكون موضع سؤال إذا كان ستيفن لا يصغي إلى العقل. "هناك أوراق أخرى طلب مني إعدادها. أود أن تلقي نظرة عليها".

"ماذا تتناول هذه الأوراق؟" أخذت نفساً سريعاً عميقاً وحاولت أن تستعيد رباطة جأشها وقد مسحت الدموع عن وجنتيها بأصابع مرتجفة.

"إنـه ... بالنسبة... للطفل. إن السيد تاونسيند يريد أن يتبرأ من أية حقوق أبويـة تجـاه الطفل حتى وهو جنين. ربما يكون هذا سابقاً لأوانه والطفل غير مكـتمل النمو بعد ولكن كان لزاماً عليّ أن أخبرك بذلك، ولقد نصحته بألا يقدم على هذه الخطوة. فهذا إجراء غير اعتيادي. ولكنه متشبث برأيه وهذا ما يريده. لقـد أعـددتُ مسودةً لبعض الأوراق لكي تطلعي عليها". إن فحوى هذه الأوراق يقـول ببسـاطة إنه يتبرأ من أي التزام أو علاقة بالطفل. وبالتالي ليس عليه أي حقـوق زيارة، وأية صلة بالطفل عندما يولد. وسوف لن يحمل اسمه. وسيطلب

مـنك أن تعـودي إلى استخدام اسمك قبل الزواج، وأن تعطي هذا الاسم لابنك. سوف لن يظهر اسمه على شهادة ميلاد الطفل عندما يُولد، وبالطبع... لن يكون لـك أو للطفل أية مطالب قانونية أو مالية مترتبة على السيد تاونسيند. وهو يريد أن يقدم لك بعض التعويض المالي لقاء ذلك، ولكنني أوضحتُ له أنه، وبناء على قوانيـن كاليفورنيا لا يمكننا أن نفعل ذلك. فلا يجب أن يكون هناك تبادل أموال مقـابل نكـران الحقـوق الأبوية وإلا تعتبر هذه الإجراءات غير قانونية". كانت لذاك تبكي بصوت مرتفع وما كانت لتهتم إذا ما سمعها المحامي.

"ماذا تريدني أن أفعل؟ ولماذا تتصل بي اليوم؟" قالت وهي تنشج. "كما أن اليوم عطلة، ولا يفترض بك أن تعمل اليوم". كان ستيفن قد أخبره أنها ستكون على الأرجح في محطة التلفزيون وسيكون هذا الوقت مناسباً لإيجادها، ولذلك فقد كان يتصل من المنزل. لقد شعر بأنه دنيء لإخبارها بتلك الأشياء، ولكنه فكّر أن الأمر سيكون أسوأ إذا ما فتحت بريدها ووجدت هذه الأوراق كلها هناك. لقد أصر ستيفن على عدم حدوث شجار معها، فقد كانت زوجة صالحة وكانا سعيدين، وكل ما هنالك أنه ما كان يريد الطفل وقد رفضت هي أن تسقط الجنين. لقد بدا الأمر معقولاً بالنسبة له. وتساءل لاري ألمان إذا ما كان تاونسيند أقل من عقلاني في هذا الموضوع. ولكن لم يكن من شأنه أن يجادله فيه. لقد حاول إخباره بضرورة تسوية الأمر معها قبل اتخاذ القرار النهائي، حاثاً إياه لأن يعيد النظر في الموضوع، وألا يلجأ إلى التبرؤ من حقوقه الأبوية نحو الطفل حتى يُولد الطفل ويراه على الأقل. ولكن ستيفن رفض الإصغاء.

"سيدة تاونسيند" قال ألمان في هدوء: "إنني آسف حقاً. لا يمكنني أن أقدم لك أية نصيحة سارة بخصوص كل ذلك. وكنت أظن أن اتصالاً هاتفياً...".

"إنهـا ليست غلطتك" قالت وهي تنشج بالبكاء، وهي تتمنى لو أمكنها أن تعـدل فـي طريقة ستيفن في الخروج من حياتها، ولكنها كانت تعلم أنه ليس بمقدورها ذلك. "أهو على ما يرام؟" سألته، فاندهش.

"إنه بخير. هل أنت على ما يرام؟" لقد كان هذا أكثر أهمية على ما يبدو.

أومأت برأسها وقد عادت الدموع تسيل على خديها من جديد "أنا بخير".

ابتسم حزيناً من جهته وقال: "أنا آسف لأجلك، ولكن لا يبدو أنك هكذا".

"لقد كان يومي مزعجاً ومتعباً... فلولا خبر ابن السيناتور، والآن هذا. لقد كان الأمر مريعاً بالإجمال. بينما كانت قد استمتعت بعطلة نهاية أسبوع رائعة قبل ذلك. "هل تفترض..." وشعرت أنه من الحماقة أن تسأله، ولكنها كانت تريد أن تعلم إذا ما كان يظن أن ستيفن سيغير رأيه عندما يولد الطفل. أو ربما عندما يراه. لقد كانت لا تزال تعتقد أن رؤيته له ستغير كل شيء. فلولا وأخيراً كان هو والد الطفل. "لا أظنك تعتقد أنه سيبدل رأيه أليس كذلك؟ أقصد... فيما بعد...".

"ربما. ولكنه يتخذ خطوات متطرفة مريعة، وبإفراط في بعض النواحي، ولكنه يبدو مصمماً على أن يفعل ذلك الآن، لكي يريح فكره. إنه يريد أن تتم تسوية كل شيء وحله بطريقة قانونية".

"متى سيتم تنفيذ الطلاق؟" ما عاد هذا يهمها بحال من الأحوال. وما الفرق الذي سيحدثه ذلك؟ سوى أن هذا الأمر سيكون فرصة ظريفة لها لتتزوج بعد أن تنجب الطفل.

"في الواقع رفع الدعوى منذ أسبوعين. وهذا يعني أن طلاقكما سيحصل بشكل نهائي... في منتصف كانون الأول (ديسمبر)". رائع سيكون ذلك قبل أسبوعين من ولادة الطفل. بلا اسم أب في شهادة الميلاد. يا لهذا الخبر الرائع. لقد كانت من دون ريب مسرورة من اتصاله بها.

"أهذا كل شيء؟".

"نعم... سأرسل لك الأوراق غداً".

"شكراً لك". قالت وقد مسحت دموعها من جديد، وكانت يداها لا تزالان ترتعشان.

"سنبقى على اتصال بعد شهرين بخصوص الكوندو. وبالطبع، يستحسن أن تأتي مطالبك بإعالة أو نفقة زوجية عن طريق محاميك".

"ليس لدي محامٍ، ولا أريد نفقة زوجية".

"أعتقد أن عليك استشارة أحدهم يا سيدة تاونسيند. إن لك حقاً في النفقة الزوجية بحسب قوانين كاليفورنيا. وكان يظن أنه من الحماقة ألا تطالب بها. لقد كان يكره هذه القضية. وكان يود على الأقل أن يراها قد حصلت على بعض المال من ستيفن. لقد كان يدين لها بشيء ما على الأقل إكراماً لعشرة العمر. وكان قد نصحه بذلك أيضاً. "حسناً ستكون على اتصال".

"شكراً لك". أصغت إلى صوت السماعة تُغلق على الطرف الآخر بعد أن ألقت تحية الوداع على المحامي، ووقفت وهي تمسك بالسماعة وقتاً طويلاً وكأن صوتاً كان سيأتي إليها عبر السماعة ليقول لها إن كل ذلك كان بالغلط، وأنهم كانوا يمزحون معها وحسب. ولكنهم ما كانوا يمزحون. لقد كان ستيفن قد رفع دعوى الطلاق، ويريد توقيعها على أوراق تنص على أنه يتخلى عن حقوقه نحو الطفل. وكان هذا هو الأمر الأسوأ الذي سمعته. ووقفت وهي ترتجف وتفكر بالأمر، وتتساءل عما ستفعله الآن. في الحقيقة، لم يتغير شيء عملياً. فلا يزال المنزل الريفي تحت تصرفها لبعض الوقت، ولا يزال لديه كل أثاث المنزل، ولا يزال لديها الجنين. ولكن كل شيء تغير فعلاً. لم يعد لها أي أمل بعد، سوى الفكرة الخيالية الوهمية بأن كل شيء سيتغير رأساً على عقب عندما يعود ويغمره الحب نحو الطفل. ولكنها مع ذلك كانت تعرف أن هذا بعيد الاحتمال. ما ستضطر لمواجهته الآن هو أن تنجب الطفل لوحدها، وأن تحتفظ بعملها، وأن تجد منزلاً جديداً، وعلى الأقل أن تشتري أريكة تجلس عليها. والأهم من ذلك هو أن تواجه حقيقة أنه سيطلقها، وقانونياً سيكون الطفل بلا أب. لقد كانت هذه ضربة صاعقة قاضية واهتز كتفاها وهي تبكي بعد أن وضعت السماعة في نهاية الأمر. لقد كان ظهرها نحو الباب، ولم تسمع أحداً يدخل إلى مكتبها. وإذ رأى ظهرها فقط من الخلف، لم يعرف أنها كانت تبكي.

استدارت ببطء وقد غمرت الدموع وجهها، وأمكنها أن تراه وسط الغشاوة التي على عينيها. لقد كان بيل ثيغين.

"يا إلهي... أنا آسفة... لم أقصد... أعتقد أن هذا التوقيت سيئ". لقد كانت عبارة لطيفة لبقة مليئة بالاعتذار، وحاولت أن تبتسم وسط دموعها وهي تتلمس المكتب بيدها بحثاً عن منديل.

"لا... أنا... في الواقع... لا بأس". ثم انهارت على كرسيها، وهي تبكي من جديد وقد دفنت وجهها بيديها. "لا... إنه أمر مريع". لم تستطع أن تشرح له الأمر، ولم تكن تريد ذلك فعلاً. "الأمر هو... أنا لست... أنا لا أستطيع..." لم يكن لكلماتها معنى حتى، فسار نحوها وربّت على كتفيها.

"هوني عليك يا أدريانا. كل شيء سيكون على ما يرام. أياً كان الأمر، سيمضي عاجلاً أم آجلاً". تساءل إذا ما كانت قد فُصلت من عملها، أو أن شخصاً عزيزاً توفي. لقد كانت ترتعش، وبدت في غاية الشحوب، وتساءل لوهلة إذا ما كانت سيُغمى عليها. ولكنه جعلها تأخذ نفساً عميقاً وناولها كأساً من الماء لتشرب، وبعد دقيقة كانت في حال أفضل. "إنك تبدين وكأنه مرّ بك صباح مخيف". نظر نحوها بتعاطف، وحاولت أن تبتسم ولكن محاولتها تلك كانت ضعيفة.

"يا له من يوم". قالت وقد تمخطت من جديد، ونظرت إليه بمزيج من الارتباك والتقدير لمشاعره. "فلولا خبر اختطاف وقتل ابن السيناتور وقد حصلنا على تسجيلات كثيرة حول ذلك، حيث انتهى الأمر بذبح الابن". ونشجت من جديد، وهي تفكر بالأمر. "ومن ثم..." ترددت، وقد رفعت نظرها إلى بيل تقلّب الأمر على وجهه حائرة في أن تخبره أم لا. ولكن لم يكن ثمة داعٍ للحفاظ على الأمر سراً بعد الآن، وحتى لو كانت تلك غلطتها، إلا أن القرار لم يكن بيدها. "ومن ثم... تلقيتُ هذه المكالمة الخرقاء من محامي زوجي". واغرورقت عيناها بالدموع من جديد وصار صوتها يرتجف وهي تقول له ذلك.

"محامٍ؟ لماذا يتصل بك؟ كما أن اليوم عطلة على جميع الأحوال".

"هذا ما قلتُه أيضاً".

"ما الذي كان يريده؟" قال بيل وقد قطب حاجبيه وهو يشعر بضرورة حمايتها والدفاع عنها.

أخذت نفساً عميقاً، وتشبثت بالمنديل في يدها وقد أشاحت بوجهها. لم تستطع أن تواجه بيل وهي تقول له ذلك. "لقد اتصل كي يخبرني أن زوجي..." قالت ذلك وقد انخفض صوتها حتى صار بالكاد يُسمع. "... أن زوجي قد رفع دعوى تفريق. قبل أسبوعين فعلياً".

أُجفل بيل للوهلة الأولى. وكان ذلك بسبب الطريقة التي أخبرته بها أكثر من فحوى ما قالته. إن ألمها المضني الواضح وهي تقول ذلك هو ما أثّر به ومسّ قلبه. لقد توقع منذ ليلة أمس أنهما كانا منفصلين؛ لقد ارتاح الآن وقد اتضح الأمر بما لا يدعو للالتباس. ولكنه كان آسفاً من أجلها، فقد بدت وقد حملت ذلك على محمل الجد للغاية، وكأنها ما كانت تتوقع ذلك.

"هل صدمك ذلك يا أدريانا؟" سألها بصوت عذب لطيف.

"نعم". وتنهدت وهي ترفع بصرها نحوه، وقد استند إلى مكتبها وانحنى صوبها وقد بدا التعاطف واضحاً عليه. "ما كنت أبداً لأتوقع أن يفعل ذلك. قال إنه سيفعل ذلك، ولكنني لم أصدقه".

"منذ متى تدور الأحداث على هذا النحو؟".

"منذ حوالى ستة أسابيع... أو ربما سبعة... لقد نقل أغراضه من الشقة منذ حوالى ثلاثة أسابيع، وأغراضي أيضاً". وابتسمت وقد فكر كلاهما بالشقة الفارغة. "هذا لا يهمني. لم أفكر بأن... لم أرد أن..."

"أفهم. لقد شعرت هكذا عندما طلبت ليسلي الطلاق. لم أكن أرغب أبداً في الطلاق. ولكن الصدمة التي تعرضتُ لها قد زالت. يبدو من غير الإنصاف أن يتخذ شخص آخر القرار".

"هــذا نــوع مما فعله". وبدأت تبكي من جديد، وهي تشعر بالحرج أمام بيل، ولكنه أبدى موقفاً هادئاً جداً نحو الموضوع. "أنا آسفة ... أنا في فوضى عارمة".

"معذورة أنت في ذلك. ألا يمكنك أن تذهبي إلى المنزل وتأخذي بعد الظهر عطلة عن العمل؟ سأقود السيارة بك إلى البيت".

"لا أعتقد أنني أستطيع ذلك. فلدينا بث خاص قد خططنا له قبل الأخبار الليلة".

"لماذا لم يتصل بك بنفسه؟".

"لا أدري". بدت مكتئبة وقد جلست إلى طاولة مكتبها، بينما جلس هو في ركن المكتب. "أعتقد أنه ما عاد يريد التحدث إليّ".

"هذا أصعب ما في موضوع الطلاق عندما لا يكون لديك أولاد. فعلى الأقل عندما يكون لديك أولاد، يمكنك أن تتحدثي معهم إلى أن يصبحوا ناضجين وراشدين في السن. أحياناً يصيبك الأمر بالجنون، ولكن على الأقل إنه نوع من الاتصال المستمر". أومأت برأسها، وهي تفكر أن لهما طفل. أو على الأقل لديها طفل. وقد تبرأ ستيفن منه. "هل لديك فكرة عن السبب الذي قادكما إلى هذا؟ أم أن هذا ليس من شأني؟".

ابتسمت بحزن وقالت: "أنا أعرف. ولكن ليس الأمر بذي أهمية. لقد اتخذ موقفاً وأنا أيضاً. بالنسبة لي لم أستطع أن أفعل ما كان يريده مني، وأعتقد أن كلانا شعر أنه شخصياً على المحك، ولذلك تشبثنا بمواقفنا. وقد فاز هو على ما أعتقد. أو أن كلانا خسر. لقد كان هكذا أحياناً. فهو لم يعطني فرصة منذ أن اتخذ قراره".

"إنــه يــبدو مــثل ليسلي. ولكن بالنسبة لها كان هناك شخص آخر على الخط، ولم أعرف بذلك. هل تعتقدين أنه على علاقة مع امرأة ما؟".

"ربمــا. ولكنني لا أعتقد ذلك. أظن أن الأمر له علاقة بما يريده كل منا فــي حــياته، وما لا يريده. ومما يثير الدهشة أن طرقنا افترقت بشكل سريع

ومفاجئ".

"إنهــا لخطوة مؤلمة جداً أن تفترق الطرق". ولكن للناس طباع غريبة، يفعلون أشياء غريبة. كانا يدركان هذه الحقيقة. "لقد كنت سأدعوك إلى الاستديو لنشرب فنجاناً من القهوة، ولكن ربما ليس هذا بالوقت المناسب". لقد كان آسفاً من أجلها، وانحنى إلى الأمام ولمس خدها بيد حانية وهو يقول ذلك. "ربما في فرصة أخرى".

أومأت برأسها، وكانت تشعر كما لو أن كلمات ألمان كانت كالسياط على جسدها. "علي أن أعود إلى العمل. إننا نعدّ عرضاً خاصاً عن عائلة السيناتور. لقد كان الفتى في فريق جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس بكرة القدم الأمريكية، كان نجم المنتخب في المدرسة الثانوية، وكان يشترك كثيراً في نشاطات الخدمة العامة. وصديقته كانت ابنة أخ الحاكم. هذا سيمزق فؤاد الجميع". لقد مزّق قلبها على الأقل. ووطئ ستيفن على ما تبقى منه. لقد شعرت بأنها ماتت قبل موعد طعام الغداء. "سأكون هنا حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وربما حتى الساعة الثانية". وبدت منهكة القوى فعلاً.

"ألا يمكنك أن تأخذي استراحة؟ على الأقل اخرجي قليلاً وتناولي شيئاً؟".

"أشك في ذلك. سوف آتي متأخرة غداً". كل ما كانت تخشى الآن هو أن تفقد الجنين. ولكنها كانت عاجزة حتى عن التفكير في هذا الآن. لقد كان عليها أن تمضي هذا النهار بشكل أو بآخر، وبعدها يكون هناك يوم آخر، وهكذا تستمر عجلة الحياة في التقدم.

"سأعمل أنــا أيضاً لوقت متأخر الليلة. لدينا الكثير من التطورات التي تطــرأ على العرض. جرائم، محاكمات، طلاق، أولاد غير شرعيين. والأشياء السعيدة العادية. إنها تشغل وقتي كثيراً. ويجب أن أتأكد من أن يكون كتابنا قد أعدوا مجموعة من النصوص قبل أن يأتي الأولاد إلى هنا".

"إنهــا تبدو كقصة حياتي". وابتسمت في وهن، وقف مستعداً للانصراف وقبل برفق أعلى رأسها.

"هوِّنـي عليـك وتحلي بالصبر. سأمر عليك لاحقاً. إذا احتجت إلى أي شـيء، أعلميني فقط. إن مطبخ الاستديو الذي نعمل فيه مليء بالطعام لأن المطاعم حولنا هنا مغلقة".

"شكراً يا بيل". ونظرت إليه بامتنان، وخرج ملوحاً لها بيده، بينما حدقت من النافذة لدقيقة. لقد كان عالماً مجنوناً محموماً. ستيفن تخلى عنها، وهجرها وطفلهـا، وشخص آخر قتل شاباً بريئاً في التاسعة عشر من عمره كان يبشر بمستقبل زاهر.

عـادت بعد ذلك إلى العمل، وحاولت أن تنسى مشاكلها الخاصة، ولكنها كانت تفكر ببيل طوال الوقت وبالدعم الذي كان يقدمه لها.

تم عرض البرنامج الخاص الذي أعدته في الساعة الخامسة وكان مؤثراً للغاية، وحتى العاملين في قسم الأخبار بكوا عندما شاهدوه. بعد ذلك عرضوا أخبار الساعة السادسة، ومن ثم شاهدت بعض الأفلام لترى ما ستضيفه إلى العرض الخاص الآخر الذي سيقدمونه عند منتصف الليل. لقد بدا يوماً طويلاً لا نهاية له، وكانت الساعة قد تجاوزت التاسعة قبل أن تجد العشاء الذي أرسله لها بيل. وعند منتصف الليل، وبينما كانت تجلس في الاستديو تشاهد العرض، رأته يسير داخلاً فأشارت له ليجلس إلى كرسي بجوارها. فجلس بهدوء وصمت يشاهد معها وقد بدا واضحاً أنه تأثر بالعرض بعمق.

"يا للأسف". قال بعد انتهاء البث المباشر. لقد بكى السيناتور علانية أمام الكاميرا، وتحدثوا عن الله وعن حبه لهم جميعاً، وعن الحدث الذي عصر الفؤاد، ولكن هذا لم يكن له تأثير كبير على القلوب المحطمة المتصدعة. ثم نظر بيل إليها. لقد بدت في حال أسوأ مما كانت عليه قبلاً. لقد كان النهار طويلاً. وسألها: "كيف حالك؟".

"متعـبة". لم تكن هذه الكلمة تعبر تماماً عما كانت تشعر به، ولم يُرِد أن يثقل عليها، بل أراد أن يساعدها. لقد بدت منهكة جداً لدرجة تعجز معها على

أن تقـود السـيارة بنفسها إلى المنزل، وعرض أن يقلّها بسيارته إلى المجمع السكني.

"لماذا لا تدعيني آخذك إلى المنزل؟ يمكنك أن تعودي إلى هنا بسيارة أجرة غداً. اتركي سيارتك هنا. أو بالأحرى يمكنني أن أقودها عنك، إذا شئتِ". كان لا يثق بقدرتها على قيادة السيارة على الطريق فلقد كانت منهكة جداً، وبدا وكأنها ستغفو على مقود السيارة، ولم تكن لديها الطاقة بعد لتجادله.

"سأترك سيارتي هنا. وعلى فكرة شكراً لك من أجل العشاء". بدا وكأنه يفكر في كل شيء، رغم أنه هو نفسه كان قد عمل لوقت متأخر. وقّعا على سجل الخروج، وارتمت فوق المقعد في سيارته المريحة وهي تئن من التعب والألم وقالت: "يا إلهي... أشعر وكأنني سأموت".

"ربما، إذا لم تأخذي قسطاً من النوم". واندس خلف عجلة القيادة، وكانت في غاية الإرهاق حتى إنها لم تقوَ على الحديث معه وهما في الطريق إلى المنزل عبر طريق السريع سانتا مونيكا. وعندما وصلا إلى المجمع السكني، ركن سيارته وسار معها إلى باب منزلها دون أن يقول شيئاً. وعندما فتحت الباب، نظر إليها قلقاً وقد استدارت نحوه عند المدخل وسألها: "هل ستكونين على ما يرام؟".

أومأت برأسها، ولكن لم تكن مقنعة في مظهرها. "أعتقد ذلك". فهي لم تكن في حياتها أكثر حزناً أو عزلة مما هي عليه الآن. لقد شعرت كما لو أن ستيفن قد تخلى عنها من جديد الآن.

"اتصلي بي إن احتجت. فأنا لستُ بعيداً عن هنا". ولمس بيده ذراعها، ثم ابتسمت وأغلقت الباب وهي تشعر بنفسها مستنزفة. سارت في تؤدة صاعدة السلَّم حتى من دون أن تشعل النور. لم تكن تريد أن ترى الجدران الخاوية والغرف الفارغة. سارت عبر غرفة نومها وارتمت على سريرها، ثم رقدت هناك وهي تنشج بالبكاء، إلى أن غفت، وهي مرتدية كل ملابسها، وطفل ستيفن داخل أحشائها.

الفصل 15

شعرت أدريانا في الأسبوعين التاليين وكأنها في حلم. فقد وصلتها الأوراق التي وعدها بها لورانس ألمان. ووقعتها في المكان المناسب. ووافقت على البند الذي يقول إنها لا تريد أي إعالة زوجية من ستيفن، ووافقت على وضع الكوندو برسم البيع في أول شهر تشرين الأول (أكتوبر). لم تقل لبيل إلا النذر اليسير عن ذلك وقد كان يمرّ ليطمئن على حالها في مكتبها كل يوم تقريباً، ولكنه لم يضغط عليها بشأن الخروج معه. لقد كان حدسه صائباً باستيائها من صدمة الطلاق. كانت أمور كثيرة تمر به، وكانت الأمور محمومة محتدمة في عمله، وكان مشغولاً طوال الوقت بالتغييرات التي تطرأ على النصوص، وواقع استعداده ليفرّغ نفسه لإجازته السنوية ذات الأسابيع الأربعة.

ومع ذلك فقد وجد الوقت ليأتي بها إلى موقع التصوير مرة بعد ظهر أحد الأيام، حيث شاهدت بافتتان المسلسل، وقد كانوا يبثونه مباشرة على الهواء. أعادها هذا الأمر إلى ذكريات الماضي عندما كانت تعمل في المسلسلات الأخرى. وبعد ذلك قدمها إلى الجميع، وعندما عادت إلى مكتبه، أعجبت بجوائز آمي التلفزيونية التي نالها، وأراها نص المسلسل الحالي. وفيه وضع رؤوس أقلام لحبكة المسلسل للأشهر القليلة القادمة، مع الحلول البديلة للمشاكل التي قد تظهر، وكانت النصوص التجريبية المؤقتة مكدسة على مكتبه وكان عليه أن يوافق عليها. لقد شرح لها كل الأمور، ووجدت نفسها ترغب لو تعمل في مسلسل كهذا، بدلاً من نشرة الأخبار، وعندما قرأت بعض ملاحظاته أبدت بعض التعليقات الممتعة جداً.

"لماذا لا تساعديني في النص أحياناً؟... أو في بعض الأفكار للحوارات؟ فالكتاب سيسرون لو قدمت لهم بعض العون، فهم يستطيعون دائماً الاستفادة من الأفكار الجديدة. إذ ليس من السهل أن يفكروا بمواضيع وأفكار جديدة بينما يعملون على خمس حلقات كل أسبوع".

"أستطيع أن أتخيل..." ثم نظرت إليه بعينين مليئتين بالإثارة. "هل تعني ما تقول يا بيل؟ أقصد بخصوص وضع رؤوس أقلام لأفكار تفيد المسلسل؟".

"بالطبع. لم لا؟ فبإمكاننا أنا وأنت أن نبتدع بعض الأفكار خلال عشاء في إحدى الليالي إذا أردتِ. سوف أعطيك لمحة عن خلفية الشخصيات. ويمكنك أن تتخيلي ما تشائين". لقد رأيا أن هذه فكرة عظيمة، وتحدثا عن هذا الأمر طوال طريق العودة إلى قسم الأخبار، وتحدثا عن ذلك مرة أخرى في الليلة التالية عندما قبلت أخيراً، وبعد أربعة أسابيع من حفلة شواء الرابع من تموز، أن يخرجا معاً للعشاء.

لقد كانت ليلة سبت، وكانا قد التقيا معاً في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم. لقد بدت أفضل مما كانت عليه منذ أيام، وبدا أنها امتصت الصدمة من جراء كل ما جرى لها. وكانت لا تزال تشعر بالإثارة والتشوق لرؤيتها مسلسله في اليوم السابق. وعندما كانت تتحدث عنه بدت أجمل بكثير مما كانت قبلاً على الإطلاق.

"هل لي أن أسعدك بطبق من شرائح لحم ثيغين الشهيرة الليلة؟ أو ما رأيك بشيء أكثر سحراً، كأن نتناول العشاء في سباغو؟" لقد كان المكان المحلي المألوف الذي يتردد عليه كل من في التلفزيون والسينما. فولفغانغ باك جعله المكان المفضل للجميع لتناول أطباق الباستا والبيتزا اللذيذة بفضل أسلوب الطبخ الجديد الذي ابتكره والمثير للعجب.

بدأت أدريانا تتأقلم مع حقائق ووقائع حياتها في الأسابيع القليلة الماضية، وبدت فكرة قضاء أمسية في الخارج ظريفة. لقد كان صبوراً معها بشكل لا

بصدق. لقد كان يُعنى بها ويهتم لأمورها، دون أن يتطفل أو يفرض نفسه عليها. لقد كان يمر عليها في عملها، ويرسل لها الطعام في وقت متأخر من الليل، ويعرض عليها أن يقلها بالسيارة مرة أو مرتين، ولكن لا يضغط عليها في موضوع المواعدة أو قضاء أمسية معاً في الخارج وكان واضحاً أنها ما كانت تنزعج من ذلك. بل وحتى نصحها بمحامٍ اهتم بقضاياها وتحدث عدة مرات إلى لورانس المان، ولكن بعد أسبوعين من الحزن والتعب والمعاناة، شعرت أخيراً بأنها أقرب قليلاً إلى الحياة والحيوية من ذي قبل، وكان كلا الاقتراحين اللذان قدمهما بيل ظريفين.

"سأختار ما تفضله أنت". وابتسمت له بامتنان. لقد غدا صديقاً حميماً لها في وقت قصير.

"ما رأيك بمطعم سباغو؟".

"رائع". وابتسمت، وعاد كل منهما إلى منزله ليقوم بالأعباء المترتبة عليه، كالغسيل، ودفع الفواتير، وواجبات لا نهاية لها، وخاصة الآن فستيفن لم يعد هناك ليقوم بهذه المهمات. لقد كان راتبها يغطي كل شيء، ولكنها صارت تحاول مؤخراً أن تدخر ما أمكنها من النقود كي تستخدمها عند الحاجة وقت ولادة الطفل. وبما أن ستيفن لن يشارك في المصاريف، فقد توجب عليها أن تكون أكثر انتباهاً إلى المصروف.

أقلها بيل الساعة الثامنة، وكان يرتدي بنطالاً فضفاضاً كاكي اللون، وقميصاً أبيض، وسترة فضفاضة زرقاء، وكانت ترتدي فستاناً كان عندها منذ سنوات. كان حريرياً وخوخي اللون ويتدلى من كتفيها. ركبا السيارة إلى سانسيت وهما يدردشان بخصوص العمل، ومدى الضغط الذي كانا يمران به خلال الأسابيع القليلة الماضية، وقد بدا واضحاً مدى حماسه لقدوم الأولاد يوم الأربعاء القادم. فسوف يمضيان يومين معه في البلدة، ثم سيشرعون بمغامرتهم الكبيرة.

طلب بيل بيتزا بلحم البط الساخن، وطلبت هي باستا مع البندورة الطازجة والريحان. للتحلية، تشاطرا قطعة كبيرة من كيك الشوكولا التي جاءت إلى طاولتهما وهي مغمورة بكريما لذيذة مخفوقة ومن صنع البيت. وكالمعتاد، فقد أكلت كل شيء، مازحها بيل قائلاً بأنها تأكل مقداراً كبيراً دون أن يزيد وزنها، ولكن عندما قال ذلك بدت متوترة قليلاً.

"لا بد أن أراقب ذلك أكثر مما كنت أفعل في الآونة الأخيرة". ولاحظ أنها ما كانت تنحف، وأيضاً لم تكن لتزداد بدانة. الشيء الوحيد الذي لاحظه هو أن صدرها كان يزداد انتفاخاً يوماً بعد يوم تقريباً، ولكنه كان يجهل السبب لأنه لم يدقق النظر كثيراً. "سوف أبدأ بالانتباه إلى طعامي فلن آكل إلا السلطات بعد الآن".

"يا للكآبة". التقط نفسه، وقد ادعى بمغص في خصره، لقد كان قوي البنية، ولكنه لم يكن ثقيل الوزن. "سوف يكون طعامي الهمبرغر والبطاطا المقلية من محلات الوجبات السريعة القائمة على جانب الطريق خلال الأسبوعين القادمين، سوف تكون هناك أعجوبة إذا لم أعد إلى المراهقة وأنتهي بظهور حب الشباب". وضحك كلاهما للفكرة، ثم نظر إليها بطريقة غريبة. لقد كان يتوق لأن يسألها منذ أسابيع، منذ عرف برفع ستيفن لدعوى الطلاق، ولكنه لم يُرِدْ أن يسألها بمثل تلك السرعة. وتساءل الآن إذا ما كانت على استعداد لأن تسمعه. "لدي سؤال مُضحك أريد أن أسألك إياه أدريانا". وإذ قال ذلك، بدت فجأة مذعورة. فتابع يقول: "لا تضطربي. إنه ليس بشيء شخصي، وسوف لن تؤذي مشاعري إذا رفضت. ولكنني منذ فترة أنتظر الفرصة لأن أكلمك عن ذلك". توقف عن الكلام لبرهة وكأنه يبحث عن الكلمات. "ما هو احتمال أن تأخذي إجازة من العمل لأسبوع أو أسبوعين؟".

لقد كانت تتوقع ما سيسألها عنه، وابتسمت، وهي تشعر بالإطراء. لقد كانت تدرك مدى اهتمامه بولديه، وأدركت رغبته في أن تكون معهم، ومجرد

رغبته أن يعرفها عليهم كان لها، اعتبار كبير عندها. فقالت: "إنه ليس بالأمر المستحيل. فلا يزال لدي حق في إجازة لأربعة أسابيع. فقد كنت أتخر الوقت من أجل القيام برحلة إلى أوروبا في شهر تشرين الأول (أكتوبر)". هذه الرحلة ما عادت تريد أن تقوم بها الآن. فلن تذهب إلى أي مكان ومع أي شخص. ففي أكتوبر ستكون في الشهر السادس من حملها.

"هل تعتقدين أنهم سيوافقون على أخذك الإجازة بسهولة؟ لقد كنت أتساءل إذا كنت تحبين أن تنضمي إلينا في رحلتنا نحو الشمال. هل يهمك الأمر؟ إن لم يكن ذلك فسأحترم رغبتك، وحكمك وعقلانيتك. سوف لن تكون هذه الرحلة بالرحلة السهلة. فسوف نكون عالقين في السيارة طوال النهار مع ولدين صغيرين، ونسمعهما يتشاجران ويتجادلان ليلاً نهاراً، ويتناولان طعاماً غير صالح للأكل من طرف كاليفورنيا إلى طرفها الآخر، وينامان في أكياس النوم على الأرض الصلبة في ليك تاهو". ولكنه في الحقيقة كان يحب ذلك وكانت تدرك ذلك، وكان هذا شرفاً كبيراً لها أن يطلب منها الانضمام إليهم.

"تبدو الفكرة رائعة". قالت بابتسام.

"أتظنين أن بإمكانك أخذ إجازة؟".

"لا أدري. سوف أسألهم". لم تكن متأكدة مما سيقولونه لها، ولكن من المحتمل أن يعطوها إجازة الآن، على الأقل لمدة أسبوع إن لم يكن أسبوعين، وهذا يكفيها مبدئياً.

"إذا لم تستطيعي أن تأخذي الإجازة في الأسبوع الأول، فيمكنك في الأسبوع التالي أن تستقلي الطائرة مباشرة إلى رينو وأن تنضمي إلينا في ليك تاهو. ولكن الجزء الأول سيكون طريفاً جداً. سوف نعرّج على سان يسيدرو رانش قرب سانتا بربارة، ونمكث في فندق قديم طريف تحبه في سان فرانسيسكو، ثم سنذهب إلى نابا فالي. هناك عدة فنادق صغيرة رائعة، وأعتقد أنه سيكون طريفاً لو نتوقف في مكان ما في طريقنا إلى ليك تاهو".

"يبدو الأمر رائعاً". قالت وهي تبتسم له، وتشعر بالارتياح لأول مرة منذ

أسابيع. واستأنفت تقول: "هل تعلم، أنا أدين لك باعتذار حقاً. أظن أنني كنت مصدومة في الأسبوعين الماضيين. منذ أن تلقيتُ ذلك الاتصال من محامي زوجي". قولها ذلك أستحضر سؤالاً كان يدور في ذهنه ويريد أن يطرحه.

"لماذا لم تخبريني عما كان يجري قبل ذلك؟".

"لا أدري بيل. لقد كنت محرجة، على ما أظن إنه... إنه لمن المخزي أن يتركني ستيفن". أوما برأسه وقد تفهم ذلك، ولكن لو كانت قد أخبرته عن ذلك لكانت وفرت عليه بعض الحزن والأسى، فلأول مرة في حياته كان يفكر في إقامة علاقة مع امرأة متزوجة، وكان يعاني صراعاً مع نفسه لأيام عديدة بسبب ذلك. لكان بإمكانها أن تجنبه هذا، لكن ما عاد الأمر بذي أهمية الآن. وقد بدت أفضل من قبل بكثير. لقد تلاشت الصدمة، ولم يرها تبكي منذ ذلك الحين. لقد كانت قوية العزيمة والشخصية. أقوى بكثير مما كان يتوقع.

"على كل حال، ما رأيك في الرحلة؟ هل تظنين أنهم سيعطونك إجازة؟".

"سأسألهم ذلك صباح يوم الإثنين. أعتقد أنهم سيفعلون ذلك على الأرجح. فالأمور تسير ببطء الآن. لا يوجد لدينا الآن الكثير من العاملين في إجازة. لمعظم الناس يفضلونها في الربيع أو الخريف عندما لا يكون هناك ازدحام".

"وأنا أيضاً كنت لأفعل ذلك، ولكن عليّ أخذ الإجازة الآن لأن الأولاد قادمين إلى هنا".

نظرت إليه وهي تتساءل كيف سيتدبرون الأمر. فلم تكن تريد أن تنام معه في نفس الغرفة، ولم ترد أن تنام أيضاً في غرفة الأولاد، فهم قد لا يرحبون بفكرة أن تنام امرأة غريبة معهم في الغرفة. سوف يكون الأمر سهلاً عندما يكونون في الخيم. ولكن سيكون الأمر أكثر تعقيداً في الفنادق، ما لم تطلب غرفة خاصة بها وتدفع أجرتها بنفسها، وهذا ما كانت على وشك أن تقترحه على بيل عندما شرع بالضحك.

"ما الذي يضحكك؟".

"أنتِ. أستطيع أن أرى ما يدور في رأسك. هل أنت قلقة بخصوص ترتيبات النوم؟".

"نعم" دمدمت تقول. "ليس لأنني لا أثق بك. بلى، ولكن...".

"حسناً، لا يجب عليك ذلك" أقر لها معروفاً. "فأنا نفسي لا أثق بنفسي، ولكن لدي خوف اكتسبته من زوجتي السابقة. سوف تبقى الأمور في غاية الاحترام. أعدك بذلك، سأنام مع أولادي على الأرجح. أنا أفعل ذلك عادة، وهم يحبون ذلك. ويمكنك أن تستخدمي غرفتي".

"لن يكون هذا متعباً ومزعجاً لك؟".

"لا" قال برقة "بل إن وجودك معنا سيعني لي الكثير. فأنا أود من كل قلبي أن تمضي بعض الوقت معي ومع الولدين". لقد كان يريد أن يخبرها المزيد عما يشعر به، ولكنه كان يدرك أن الوقت غير مناسب الآن. فقد كانت لا تزال تستعيد عافيتها بعد الصدمة التي تلقتها من ستيفن. وكان رئيس الخدم تواقاً مترقباً مغادرتهما للطاولة. إذ كانت الليلة ليلة سبت كثيرة الزحام، وكان الناس يقفون في الصف طوال الممر إلى السلالم وخارج الباب. وبينما كانا يغادران المكان، رأت زيلدا تقف هناك مع أصغر شاب يعمل معهم. لقد كان صيداً ثميناً، ولم تكن زيلدا تبدو يوماً أكثر سعادة أو أفضل حالاً مما هي عليه الآن. وهذه لمحت أدريانا مع بيل وشكّلت دائرة بإبهامها وسبابتها بإشارة تعني الموافقة والتأييد، بينما ضحكت أدريانا وهي تتبعه إلى سيارته، عندئذ شكرته من أجل العشاء وقد نظرت إليه بجديه.

"أود أن أشكرك على طلبك مني أن أنضم إليك أنت والأولاد. هذا يعني الكثير بالنسبة لي. فأنا أعرف كم هما هامين بالنسبة لك بيل".

"إنهما كذلك حقاً". قال وقد أومأ برأسه، ثم استدار نحوها لينظر إليها بإمعان "وأنتِ أيضاً. فأنت بالنسبة لي شخص مميز جداً". أشاحت بوجهها، وهي لا تدري ما تقول له. فما كانت لتستطيع أن تعده بشيء. فلا يزال هناك

الكثير من الاضطراب والتشويش في حياتها. فإن لم يكن ستيفن يريدها مع الطفل، فلا يمكن لأحد آخر بالتأكيد أن يريد ذلك، فهذا ما كانت تؤمن به.

"إنني أقدر لك كل ما فعلته لأجلي". وتجنبت النظر إليه وقد دخلا السيارة. لقد كانت تفكر بكم سيغضب عندما يعلم أنها حامل، وما كانت لتريد أن تخدعه أو تضلله.

"هل من خطب أدريانا؟" وأخذ يدها في يده بلطف. كانا في المرآب على بعد بضعة أقدام من المطعم ولم يتحركا بعد، ولكنه فجأة شعر بالقلق عليها. كانت تمر بها لحظات حزن عندما يراها تعيسة أو قلقة جداً. لقد كان يشعر أنه قد يكون الطلاق هو مبعث ذلك، ولكن هذا كان يجعله حزيناً من أجلها وكان يريد أن يساعدها لتجتاز ذلك.

"إن حياتي معقدة قليلاً الآن" قالت باقتضاب، فابتسم لها.

"تبدين وكأنك إحدى شخصيات مسلسلي. في الواقع لقد كتبتُ هذا السطر لتوي في النص البارحة. وأنت تعتقدين أنك تعانين من مشاكل. إن شخصية مسلسلي حامل بابن غير شرعي". كادت الكلمات تجعلها تغص، وحاولت أن تضحك بينما أدار محرك السيارة. ولكن كل ما أمكنها أن تفعله هو أن تبدي ابتسامة واهنة. ها هو فن محاكاة الحياة من جديد. فأحياناً يتكرر هذا في الحياة كثيراً.

قادا السيارة عائدين إلى المجمع السكني بعد ذلك، ودعاها إلى منزله لشرب فنجان من القهوة. فقد كانت لديه آلة قهوة إسبريسو فاخرة؛ جلسا لوقت طويل في مطبخه الحميمي الدافئ.

"أشعر دائماً بأن عليّ أن ألقي نظرة أخيرة إلى المكان قبل أن يحضر الأولاد". قال مقطباً حاجبيه: "فبين لحظة وصولهم إلى لحظة رحيلهم ينقلب هذا المكان برمته رأساً على عقب، فالتلفزيون يعمل طوال الوقت، والثياب ملقاة على كل الكراسي، والكلسات على كل طاولة، سكاكر وعلكة في كل الأرجاء. إنهم مريعون".

"يسرني ذلك". قالت مبتسمة.

"هذا موقف خطير". قال وقد بادلها الابتسامة. فكل ما رآه منها حتى الآن أشعره بأنها امرأة مثالية. وكان قد توصل منذ زمن طويل إلى الرأي بأن ستيفن تاونسيند كان إما وغداً أو أحمق، وإنه كان جنوناً منه أن يدعها تذهب، والأسوأ أنه طلقها. "إنني أتحرق شوقاً إلى لقائك بهما".

"وأنا كذلك". قالت وهي ترتشف آخر ما في فنجان الكابوتشينو.

"آمل حقاً أن تتمكني من الذهاب معنا في الرحلة".

"وأنا كذلك". لقد كانت تعني ذلك حقاً. فعلى الأقل يمكن أن أطير إلى ليك تاهو في عطلة نهاية الأسبوع".

"يا للروعة. ولكنني أرغب في أكثر من ذلك". لقد كان يعتقد أن أسبوعين برفقتها هي والولدان سيكونان ممتعين للغاية. لقد كان ذلك هو نمط الحياة الذي يتوق إليه منذ سبع سنين، نمط الحياة الذي فقده وظن أنه لن يستعيده أبداً. ولكن أدريانا كانت امرأة مميزة جداً. وكان من ناحية يخشى مشاعره نحوها، ومن ناحية أخرى يُسر منها.

أوصلها إلى بيتها حوالى الساعة الثانية عشرة، وشعر وكأنه مراهق يقف عند مدخل المنزل. لقد كان يتحرق شوقاً ليضمها إليه، ولكنه كان يدرك بغريزته أنها لم تكن مستعدة لذلك بعد. والرحلة إلى تاهو ليست هي كل ما كان يحلم به أيضاً. سوف لن يجرؤ على أن يضع يده عليها بينما يسافر معها ومع الأولاد. عليه أن ينتظر، وهذا ما كان يفعله. لم يكن حتى ليعرف إذا كان يروق لها، وكان يخشى أن يكتشف ذلك في القريب العاجل. لقد كان هناك احتمال دائماً بأن تخافه وتنسحب. أما هي فكانت ممتنة له لأنه لم يضغط عليها. قبّلته قبلة بريئة على وجنته، وإذ خطت للدخول إلى منزلها، شعر برغبة جامحة في داخله نحوها تكاد تفقده صوابه.

في اليوم التالي أقلها بسيارته، وذهبا إلى ريتز كارلتون في لاغونا نيغويل ليتناولا طعام الغداء، ثم عادا لأنه كان يتوجب عليه الذهاب إلى عمله.

لقد كان عمله، كالعادة، يجعله يتغلب على شعوره المستمر بالإحباط. فقد كانت سيلفيا قد مضت منذ برهة قصيرة، ومنذ ذلك الحين دخلت أدريانا إلى حياته، وما عاد يريد أحداً آخر في حياته. وبدأت أحلامه بها تتملكه.

مرّت عليه في الاستديو يوم الإثنين قبل الظهر، وابتسامة عريضة على وجهها ونظرة توحي بالنصر بينما كان منكباً على محاولة تدبر أمر تغييرات آخر لحظة.

"أستطيع أن أرافقكم. لقد أعطوني إجازة لأسبوعين". قالت له معلنة ذلك بطرب وبهمسة مسرحية سمعها الجميع، ثم ضحكت وقهقهت ممثلتان من طاقم العمل معه. نظر إليها بيل بفخر وسرور ثم سألها البقاء إلى أن ينهي ما ينبغي عليه قبل أن يبدأ بث المسلسل على الهواء، ثم دعاها لمشاهدة الحلقة معه من غرفة التحكم.

لقد كانت حلقة حافلة بالأحداث، مليئة بالصراعات والعواطف. فقد اعترفت هيلن بأنها كانت حامل آنذاك، ولكنها لم تقل لأحد من يكون والد الطفل. وكان جون في السجن والمحاكمة على الأبواب. وفي الحلقة، تتصل هيلن بشخص مجهول وتهدده بأن تقتل نفسها إذا ما أخبر أحداً أن الجنين الذي تحمله في بطنها كان ابنه. لقد كان النص عاطفياً مؤثراً للغاية، والمرأة التي تلعب دور هيلن كانت ممثلة بارعة، فهي تمثل في هذا المسلسل منذ سنوات، وقد كانت إحدى الدعامات الأساسية في (*حياة جديرة بالعيش*). وبينما كان بيل يشاهدهم يمثلون الحلقة، التفت نحو أدريانا، وقد كان سعيداً من إنجاز حلقة اليوم وكان مسروراً لرؤية الإثارة التي تبدت في عينيها. لقد أحبت أن تكون في أجواء مسلسله وكل ما كان يحيط به.

"إنه مسلسل رائع بيل". لقد كان في غاية السرور لسماع رأيها بمسلسله. وكانا لا يزالان يتحدثان عن المسلسل عندما غادرا غرفة التحكم. وعرّفها إلى الممثلين الذين لم تكن قد التقت بهم بعد، وأطرت على "هيلن" على الدور الرائع الذي أدته، ثم عادت إلى مكتبها.

كانت لديها الآن رحلة ستتطلع إليها، وكانت تتشوق للقاء ولديه. وكانت ترجو، وهي منزعجة في طريق عودتها إلى العمل، أن تبقى قادرة على ارتداء الجينز حتى أوائل آب.

الفصل 16

وصل الولدان بعد يومين، بعد ظهر يوم الأربعاء، وذهب بيل ليقلهم من المطار. كان قد طلب من أدريانا أن ترافقه، ولكنها لم تُرِد أن تُثقل عليهم. فلم تكن لدى الأولاد فكرة عمن تكون، كما وأنهما لم يريا والدهما منذ عطلة الفصح. وعلى كل حال كان لديها موعد مع الطبيب في ذلك اليوم. وكانت تلك أول مرة تسمع فيها نبضة قلب الجنين. وضع الطبيب السماعة على أذنيها، وكان هناك أداة صغيرة تشبه الميكرفون موصولة إلى الطرف الآخر مررها الطبيب على بطنها. أول صوت مكتوم عالٍ سمعته كان صوت نبضاتها، وفي الواقع كان صوت المشيمة تضخ الدم إلى الجنين. ولكن وراءه، وبصوت خفيض أكثر، كانت تُسمع نبضات قلب جنين صغير أسرع من نبضات قلبها. أصغت إليها باندهاش واغرورقت عيناها بالدموع عندما سمعتها لأول مرة.

"يبدو كل شيء على ما يرام بالنسبة لي". قال الطبيب بينما جلست. لقد كان ضغط دمها جيداً، ووزنها مناسب أيضاً رغم أنها اكتسبت بعض الوزن، وما كان ليمكن الآن إنكار أن جسدها كان يتغير. لقد بدأ يظهر نتوء على جسدها فجأة، وكانت تستطيع أن ترى ذلك عندما تنظر إلى نفسها في المرآة بشكل جانبي، وبدأت بارتداء فساتينها الفضفاضة قليلاً، وحتى الآن، لم يعرف الآخرون بذلك، ما كان أحد قد لاحظ أنها حامل في الشهر الثالث والنصف.
"هل لديك أية مشكلة أدريانا؟" سألها. لم تكن قد رأته منذ شهر، أي قبل أن يأخذ ستيفن كل أغراضه من الشقة ويرسل لها بالأوراق.

"لا شيء، لم ألاحظ أي شيء". قالت بهدوء. أشعر أنني على ما يرام". وكانت كذلك معظم الوقت ما عدا بعض الأحيان عندما كانت تمر بيوم عمل

طويل، أو في آخر الليل، حين كانت تشعر بأنها في غاية الإنهاك.

"وكيف هو تقبّلُ زوجك لواقع الطفل الآن؟" سألها وهو يغسل يديه. كان يتوقع أن يكون قد تأقلم تماماً مع الأمر في ذلك الوقت. لم يكن لديه فكرة عما حدث في الشهر الماضي. ولم تُرد أدريانا أن تخبره. فقد كان الأمر محرجاً، واعترافها به كان يثير في نفسها إحساساً طاغياً بالخزي والفشل، ولم تكن حتى الآن قد أخبرت أحداً ممن في محيط عملها بالأمر، والوحيدة التي أخبرتها وأقسمت أن تحافظ على هذا السر كانت زيلدا. وكانت هذه تصر على رأيها في أنها حماقة من أدريانا ألا تخبر جميع الناس علانية بذلك، فهي لم تكن قد ارتكبت أي خطأ، بل ستيفن هو الذي سيكون محرجاً وليس أدريانا. ولكن أدريانا كانت لا تزال تدعي أمام الجميع أن كل شيء كان على ما يرام، وتصرّح بأنه كان يقوم بالكثير من الأسفار. وأخبرت أمها ذلك أيضاً في المناسبات القليلة التي كانتا تتحدثان معاً فيها. ولم تخبر أي مخلوق أبداً، سوى زيلدا، عن الطفل.

"إنه بخير". قالت أدريانا ببراءة، "إنه مسافرٌ الآن". وكأن الطبيب كان سيعلم أنه رحل. نهضت واقفةً بعد أن فحصها الطبيب. وكل ما كان عليه الآن هو أن يقوم بوزنها مرة كل شهر، وأن يقيس ضغط دمها، وأن يستمع إلى نبضة قلب الجنين. كان قد أصغى إليه في الشهر الماضي.

"هل ستذهبين إلى أي مكان هذا الصيف؟" قال وهو يدردش معها في لطف، وكانت تشعر بالحرج لأنها كذبت عليه بشأن ستيفن.

"سوف نذهب في إجازة لبضعة أيام. سنخيم في ليك تاهو".

"هذا طريف. لا تبالغي في الانحناء، هوني عليك قليلاً. وإذا قدت السيارة إلى هناك، توقفي كل ساعتين وتمشّي، ومدّدي ساقيك. وسوف تشعرين بتحسن". ولكن حتى الآن كان حملها هادئاً خالٍ من المشاكل. اللهم ما عدا أن زوجها سوف يطلقها.

عادت إلى مكتبها بعد ظهر ذلك اليوم، وكالعادة فقد تكدس أمامها جبل

من الأعمال التي يجب أن تقوم بها. ولم تسمع من بيل، ولكنها افترضت أن الأولاد قد وصلوا بسلام. اتصل بها في قسم الأخبار في وقت متأخر من تلك الليلة، قبيل نشرة أخبار الحادية عشر بقليل، وكان الأولاد قد أووا إلى السرير، ولقد بدا سعيداً ومنهكاً.

"إن الأمر يبدو وكأن زوبعة أصابت هذا المنزل". قال لها وهو يتنهد مسروراً، ولكنهما كانا يعرفان أنه كان يحب وجودهما معه.

"أراهن بأنهما سعيدين هنا".

"آمل ذلك. بالتأكيد أنا سعيد لأنهما هنا. سوف آخذهما إلى العمل غداً لفترة وجيزة، إلى أن يدمّروا المكان. لقد كان آدم يحب دائماً عملي هذا، وهو يفكر بأن يصبح مخرجاً عندما يكبر، ولكن طومي يشعر بالملل والضجر في هكذا أجواء. وفكرتُ أنه ربما يمكننا أن نمرّ ونسلم عليك، أو أن نأخذك لتناول الغداء إذا كان لديك وقت. فهذا يعتمد على مجريات الأمور معك في النهار. إن الأولاد يودون التعرف عليك".

"إنني أتحرق شوقاً للقياهم". وابتسمت، ولكنها كانت متوترة قلقة إزاء ذلك أيضاً. فقد كان الأولاد مهمين بالنسبة له جداً لدرجة أنها كانت تشعر بالقلق مما سيكون عليه الوضع إذا لم يحبوها. في الواقع لم تكن هي وبيل على علاقة حميمة بعد، ولكنها كانت تحبه، وتشعر أنه يحبها أيضاً. وكانت ترغب على الأقل أن تكون هذه بداية صداقة جدية. وكانت تشعر بنغمات تشير إلى شيء آخر أكثر من ذلك، ولكن، ونظراً لظروفها الحالية، لا يستطيع أي منهما بعد أن يعرف كيف يتعامل مع هذا الموضوع. لقد حدثت لها أشياء كثيرة في الآونة الأخيرة، وأشياء أخرى وشيكة أيضاً ففي ظل وجود الجنين ورفع ستيفن دعوى طلاق عليها لم تكن مستعدة لبناء أية علاقة. ومع ذلك فقد اعتادت عليه، وصارت تشعر بحاجة إليه في أوقات عديدة غير متوقعة، وكانت تخشى أن تحتاج إليه أكثر مما يجب، إذا ما أطلقت العنان لنفسها بشكل كامل.

سألها "هل تريدين أن تأتي إلى مسرح التصوير بعد أن نبث المسلسل

على الهواء غداً، أم أنك تفضلين أن نمر عليك في غرفة الأخبار؟" لقد كان قد أخبر الأولاد عنها، فلم يبدُ الاستغراب عليهما. كانا قد التقيا بصديقاته من قبل، وكانا معتادين على ذلك. وكانا في العادة يخبرانهن عن رأيهما فيهن، وكانت اثنتان منهما قد انضمتا إليهما في الرحلات. ولكن كان يصعب عليه أن يوضح لهما أن هذه المرأة كانت مختلفة. فهي امرأة يحترمها ويعجبه، امرأة يرجح أنه سيحبها، ولكنه لم يخبرهما عن هذه الأشياء البتة. فما كان يريد إخافتهما.

"سأمر عليك أثناء المسلسل. أريد أن أرى ما ستفعل بأولئك المساكين على أي حال من الأحوال. ما أخبار تلك المرأة التي تحمل طفلاً غير شرعي؟".

"إنها تشرب كثيراً، والسبب واضح. الجميع يريدون أن يعرفوا من يكون والد الطفل. لم يحدث أبداً أن تلقينا كل هذا العدد الوافر من البريد. إنه لمن المذهل كيف أن هذا النوع من المواضيع يجذب الجمهور ويسحره. فالأمر يبدو موضوع يلقى اهتمام الجميع. أو ربما المسألة تعود إلى تأثرنا بالأطفال وحسب". لقد كان يعزف على الوتر الحساس من جديد، ومجرد سماعها عن ذلك جعلها متوترة. فأبوة جنينها كانت بالنسبة لها قضية مهمة جداً، وتنهدت عندما أدركت أن عليها أن تذهب إلى غرفة التحكم.

"سأراك غداً. سلّم عليهما".

"سأفعل". قال وفي صوته شيء من الدفء نحوها، وكانت تحس بذلك، وكانت تبتسم في قرارة نفسها وقد التقت بزيلدا في طريقها إلى غرفة التحكم.

"كيف تسير الأمور؟" سألتها زيلدا باهتمام. لقد كانت تشعر بالقلق على أدريانا أحياناً، ولكن كانت كلتاهما مشغولتين جداً حتى لم يكن بمقدورهما أن يتحدثا إلى بعضهما كثيراً. سألتها زيلدا إذا ما كانت قد سمعت من ستيفن من وقت لآخر، وكانت دائماً تخشى أن تسمعها تقول بأنها لم تسمع منه أي شيء.

"لا بأس". ابتسمت أدريانا. لقد كانت تعرف أن زيلدا لن تبوح بأي سر من أسرارها.

"لقد رأيتك مع بيل تيغين". الأمر الذي حرك فضولها بخصوص ذلك. لقد كانت تعلم من يكون، وكم كان مسلسله ناجحاً، وتساءل إذا كانت علاقته مع أدريانا ستؤدي إلى نتيجة ما، ولكن كان لديها الإحساس بأن أدريانا كانت تخدع نفسها بخصوص ستيفن. "هل العلاقة جدية؟" سألتها بصرامة، وبدت أدريانا منزعجة من تعليقها المباشر. "نعم. صداقة طيبة". وهرعت نحو غرفة التحكم، وفي منتصف الليل ذهبت إلى منزلها وألقت بنفسها على السرير. لقد كانت متعبة جداً حتى لم تقوَ على التفكير وكان عليها أشياء كثيرة تقوم بها في اليومين التاليين قبل أن تمضي في الإجازة.

ذهبت في اليوم التالي أيضاً إلى استديو بيل، في الوقت المحدد لترى العرض على الهواء مباشرة، شاهدت باستمتاع المرأة التي يفترض أنها حامل وهي تنشج وتتحدث عن جنينها. كان زوجها لا يزال في السجن، وكانت امرأة تبتزها تدعي أنها كانت تعرف من يكون والد الطفل. وكانت محاكمة زوجها قد بدأت للتو، وكانت هيلن لا تزال تندب فقدان أختها. لقد كان من السهل أن يدرك المرء سبب تعلق الناس وتأثرهم بهذه القصة. لقد كان كل شيء منافٍ للعقل ومبالغ فيه، ومع ذلك لم يكن هكذا. لقد كان مبالغاً فيه كما هو في الحياة الواقعية، بكل الانعطافات والمنحنيات غير المتوقعة والكوارث المفاجئة. فالناس يتعرضون للحوادث ويُقتلون، ويخونون بعضهم البعض، ويخسرون وظائفهم، وينجبون أطفالاً. لقد كان في المسلسل ميلودراما أكثر بقليل مما هو في معظم حياة الناس، ولكن ليس بالمقدار الذي يتوقعه الإنسان، كانت أدريانا تفكر وهي غارقة في تأملاتها، رغم أن حياتها نفسها كانت لا تخلو من هكذا أشياء.

دخلت الاستديو بصمت وشاهدت الولدان يقفان إلى جوار بيل، يشاهدان الممثلين بافتتان. بدا آدم أكثر طولاً من سنه، وكان يقف بهدوء إلى يمين والده تماماً، وشعره مجعد رملي اللون وعيناه زرقاوان، وساقاه طويلتان جداً. كان يرتدي بنطال جينز وتي شيرت وحذاء عالي الساق. أما طومي فكان يجلس

علـــى كرسي وقد ارتدى قميص رعاة بقر، وله نفس سيماء وجه والده عندما يركـــز علـــى شـــيء ما. لقد بديا كتوأمين، ما عدا أن أحدهما كان أصغر منه بكثـــير. ومجـــرد رؤيـــتها لطومـــي جعلها تشعر برغبة في أن تركض نحوه وتعانقه. لقد كانت له قصعات شعر بنية ناعمة وعينان زرقاوان كانتا أكبر من عيني أخيه. كان هو أول من رآها ونظر إليها بفضول بدلاً من أن يتفرج على المسلســـل. فابتسمت له عندئذ، ولوحت بيدها، فابتسم ابتسامة عريضة وشد كم والده، وهمس في أذنه، فاستدار بيل نحوها ورآها. لم يتحرك من مكانه إلى أن توقفـــوا عن العرض لتقديم الإعلان وعندها سارع لتقديمها لهما قبل أن يعودا إلى الهدوء من جديد. هزّ آدم يدها بجدية، وابتسم طومي لها وسألها إذا كانت هي من سيأتي معهم إلى ليك تاهو. ولم يتسن لها الوقت إلا لتهمس له بنعم، ثم وجدت نفسها تداعب خصلات شعره الناعم وهي تشاهد بقية المسلسل، ولم يبدِ عليه الاعتراض على ذلك.

"هذا جميل يا بابا". قال آدم يطري على والده بعد أن انتهى المسلسل وقدّمه بيل إلى كل الممثلين. كان قد التقى بمعظمهم من قبل، ولكن كانت هناك عدة وجوه جديدة، وقد تأثرت أدريانا بمدى افتخار بيل بولديه. لقد كان واضحاً أنه أب رائع.

كان طومي يتسلق إحدى الكاميرات بينما كانت أدريانا تتفرج، ولاحظت أنه كان يطيل النظر إليها رغم أنه كان يدعي العكس وأخيراً خرجوا جميعاً للغداء، وتناولوا السندويش ونظر طومي بشكل مباشر وسألها.

"منذ متى تعرفين بابا؟" سألها ذلك في حين عبس آدم في وجهه.

"طومي. كفى. إنه ليس من اللائق أن تطرح الأسئلة".

"لا بـــأس". وابتسمت لكليهما، وحاولت أن تتذكر. هذا يعتمد على موعد أول لقـــاء جرى بينهما. هل هو في السوبرماركت، أم عندما بدأت صداقتهما معـــاً. لم تعرف بناءً على أي الموعدين عليها أن تحسب الوقت، ولكنها قررت أخيراً أن تستند إلى الموعد السابق. لقد بدا الأمر وكأنهما يعرفان بعضهما منذ

وقت أطول قليلاً: "منذ شهرين، على ما أظن. شيء من هذا القبيل".

"هـــل تخرجين معه كثيراً؟" استأنف طومي أسئلته، وابتسمت أدريانا في حين صرخ آدم في وجهه لكي يتوقف.

"أحياناً. فنحن أصدقاء". ولكن نظره وقع على ما أثار اهتمامه على يدها اليسرى، وكان ينظر إليه بينما كانت تأكل السندويش.

"أنت متزوجة؟".

ســـاد صـــمت طويل. وتحاشت النظر إلى عيني بيل. لقد كانت تريد أن تكون صادقة معهم، ولكن لم يكن ذلك بالأمر السهل.

"نعـــم". فقد كانت لا تزال تضع خاتم الزواج في إصبعها. لم تستطع أن تحمـــل نفسها على خلعه. كان بيل قد لاحظ ذلك أيضاً، ولكنه لم يقل شيئاً، ولم تكن لديه الشجاعة التي لدى ابنه الصغير ليسألها مستوضحاً السبب. واستأنفت تصحح قولها: "لقد كنت كذلك؟".

"هـــل أنـــت مطلقة؟" آدم هو الذي سأل هذه المرة وقد انتقلت إليه عدوى الفضول من جراء سلسلة الأسئلة التي بدأ بها أخوه.

"لا، لستُ كذلك" ثم قالت بهدوء. "ولكن سأكون هكذا".

"متى؟" استمرت أسئلته البريئة ودخلت إلى قلبها مباشرة، وحاولت جهدها ألا تظهر ذلك.

"ربما قرابة كانون الأول".

"آه".

ثم سألها طومي من جديد: "لماذا لا تزالين تضعين خاتم زواجك؟ إن أمي ترتدي واحداً مثل هذا". وتابع يقول: "ولكنه أكبر حجماً وفيه جوهرة". أما خاتم أدريانا فكان ضيقاً وبسيطاً وكانت تحبه دائماً.

"إنـــه جمـــيل. إننـــي أرتدي خاتمي الآن... حسناً، أعتقد أن ذلك بسبب اعتيادي على ذلك وحسب". لقد فكرت بأن تخلعه في الشهر الماضي، ولكنها لم

تقو على ذلك.

"هـل كنـت تريديـن الطـلاق؟" سألها آدم عندئذ، فقرر بيل أن يتدخل ويخلصها من المصيدة. وطلب منهما الكف عن ذلك.

"إيه، يا شباب، أعطوا السيدة استراحة. انتبه يا طومي إلى ما تفعل لأنك تكاد تريق الكولا عليك". قال ذلك منقذاً علبة من الكولا كانت على وشك أن تقع منه، ونظر إلى أدريانا معتذراً فهو لم يكن ليرغب بأن يجعلها عرضة للاستجواب. "أعتقد أننا ندين لأدريانا باعتذار. فحياتها الخاصة ليس لنا دخل فيها".

"أنا آسف" قال آدم وقد بدا نادماً. فرغم أنه في العاشرة تقريباً من عمره إلا أنـه كان يعرف أكثر من أبناء جيله. ولكنه كان مأخوذاً ومهتماً بما بدأ به أخوه الصغير.

"حسناً. لا بأس في ذلك. فأحياناً يكون من الأفضل أن نسأل بدل أن نتساءل عن الأشياء. ولو لم أكن أرغب في الإجابة لكنتُ اعتذرتُ منكما". ومع ذلك فهي لم تجبه على سؤاله فيما إذا كانت تريد الطلاق أم لا. لقد كان الموضوع لا يزال مؤلماً جداً لها. "وماذا عنكما؟" نظرت إلى الولدين بجدية وسألتهما: "ألم تتزوجا من قبل؟" ابتسم آدم وقهقه طومي ضاحكاً. "هيا. لقد أخبرتكم. والآن دوركم لتخبروني. ما بالكم؟" نظرت إلى الأول ثم إلى الثاني وقد بدا يضحكان، وكان طومي هو أول من بادر للإدلاء بالمعلومات.

"لا، ولكن آدم لديه صديقة. واسمها جيني".

"غير صحيح" نظر آدم إليه وقد بدا منزعجاً ودفع أخاه بقوة، في حين كانت أدريانا تراقبهما.

"بلـى صـحيح". دافع طومي عن صحة ما قاله. "لقد كان لديه صديقة تُدعى كارول، ولكنها رمت به".

ضـحكت أدريانـا مما تسمع، ونظرت إلى آدم بلطف. "إن هذه الأمور تحدث لأفضل الناس". وابتسمت. "وماذا عنك؟" سألت طومي. "هل هناك فتيات

يمكننا أن نعرف عنهم؟ أقصد إذا كنا سنصبح أصدقاء فعليك أن تخبرني". لقد كـانوا يطـبقون نفس المبادئ عليها، وكانت تستمتع بملاطفتهم، بينما كان بيل يتفرج عليها. لقد كانت حلوة، رقيقة، ودافئة، وصريحة معهما، كما كانت معه تماماً. وشعر بأنه يتعلق بها أكثر فأكثر. فقد كانت رائعة.

دردش الجمـيع أثناء الغداء، لم تكن أدريانا ترغب بتركهم والعودة إلى المكتـب. لقد دعتهما للمجيء لزيارة قسم الأخبار، ولكنها لم تدعهما لمشاهدة النشـرة. فقـد كانـت هناك بعض اللقطات التي حصلوا عليها وكانت مروّعة للغاية، ولم تكن تريدهما أن يشاهداها. ولكنها أرتهما الاستديو وغرف التحرير وعرّفـتهما علـى الجمـيع بمن فيهم زيلدا، التي نظرت إليهما وإلى والدهما باهتمام، وسألت أدريانا عندما غادرا وعادت هي إلى مكتبها.

"هل من المحتمل أن تصبح علاقتك هذه جدية؟".

"مـن غير المحتمل". قالت أدريانا ببرود. فزيلدا تعلم أنها كانت حاملاً، ولكنها كانت تعلم أيضاً أن ستيفن قد تركها. واستأنفت أدريانا كلامها قائلة: "في الظروف الحالية".

"لـيس هناك من أمر آخر. فلا يُعقل هذه الأيام أن تكون العلاقات بريئة إلى هذا الحد". فضحكت أدريانا مما تقول زيلدا. لقد كانت هذه رؤيتها للأمور.

"سأتذكر كلامك هذا إذا ما شعرت بأي ميل للبدء بمواعدة رجال". ولكنها لم تكن تنظر هكذا إلى صداقتها مع بيل ثيغبن. لقد كانت تحبه كثيراً، وإذا فكرت بالأمر أكثر، فإنها ستقر بأنها كانت معجبة به ومنجذبة له، ولكنها لم تكن تشعر أن هذه هي القضية. لقد كانا مرتاحين إلى بعضهما البعض، وكانت هناك قواسم كثيرة مشتركة بينهما. وكانت ترى أن ولديه طومي وآدم رائعين. لقد بدأت تشعر بالإثارة والتشويق للذهاب بالرحلة معهم. ولقد كانت في غاية السرور عندما دُعيت للانضمام إليهم. وفكرت أن تترك لستيفن قصاصة ورقية تخبره فيها عن مكانها، ثم أدركت مدى سخف هذا الموضوع. فهو لم يكن يتحدث إليها، ورفع دعوى طلاق، وكان بالكاد سيحاول أن يتصل بها. وإذا ما

حدث أن غيّر رأيه وقرر أن يأتي إلى المنزل فبالتأكيد سيتصل بمكتبها ليعرف أين هي. فتركت ملاحظة لزيلدا ولمدير قسم الأخبار كتبت فيها أسماء الفنادق التي قال لها بيل إنهم قد يمرون بها. ولكنها ما كانت لتعتقد أن أحداً سيتصل بها. وإذ عادت إلى مكتبها من جديد فكّرت بأسئلة آدم وطومي على الغداء عن خاتم زواجها وطلاقها وفيما إذا كانت تريد الطلاق من ستيفن أم لا. ثم نسيت الموضوع بأكمله، فقد انشغلت كثيراً قبل نشرة المساء.

رأتهم في اليوم التالي، عندما عرّجوا عليها وسألها بيل إذا كان لديها كيس نوم. فقد اكتشف لتوه أن لديه ثلاثة أكياس نوم فقط وأراد أن يعرف إذا ما كان يحتاج لشراء واحد لها.

"أوه، إنني لا أملك كيس نوم". قالت معتذرة. حتى إنها لم تفكر في الأمر، وأكد لها أن ليس من مشكلة في ذلك. فقد تدبّر أمر كل شيء آخر. وأخبرها أن تحضر معها فستاناً مناسباً فربما خرجوا إلى مكان ما، وجاكيتاً دافئاً من أجل الليالي الباردة في ليك تاهو.

"أهذا كل شيء؟" سألت مازحة. "أما هناك شيء آخر؟".

"هذا صحيح". وابتسم وقد وقف قربها، يستمتع بهذه الإثارة الناجمة عن إحساسها بأنه قربها. لقد كان الأمر يزداد صعوبة عليه في أن يحافظ على البعد عنها. "فقط زي سباحة وبنطالي جينز".

"سوف أتعبكم وأضجركم جداً إذا اكتفيت بإحضار هذه الأشياء فقط" قالت تحذره، ولكن بيل هزّ رأسه وقد نظر إليها بدفء.

"أشك في ذلك".

"وماذا عن الألعاب؟ أليس من شيء محدد تحبون أيها السادة؟ سكرابل؟ مونوبولي؟ أم أوراق اللعب؟" لقد أعدت لنفسها قائمة بالأغراض التي ستأخذها معها وكان بعض هذه الأغراض مخصص للتسلية أثناء القيادة على الطريق، وطلب طومي قائمة بكتب هزلية ومسدس ماء.

"لا بأس في ذلك". قال بيل يهدئهم، ثم خرجوا من جديد. لقد كان عليهم

القيام بالتسوق الأخير قبل بدء الرحلة صباح اليوم التالي.

حزمت أغراضها تلك الليلة عندما عادت إلى المنزل بعد أخبار المساء، وعندما عادت إلى عرض نشرة الأخبار المتأخرة، كان كل شيء معداً وموضوعاً عند الباب الأمامي. بدت حقيبتاها الصغيرتان غريبتين في الشقة الفارغة. لقد بدا وكأنها هي أيضاً راحلة. كان المنزل كئيباً الآن وقد صار فارغاً، وفكرت من وقت لآخر أن تشتري بعض الأثاث، ولكنها لم تحمل نفسها على ذلك. فهذا سيجعل كل شيء يبدو نهائياً بينما كان لا يزال في ذهنها احتمال أن يعود ستيفن ويعيد كل شيء معه. وعلى جميع الأحوال، فخلال أشهر قليلة سوف يتوجب عليها ترك المنزل. ولكن ما كان يضيرها أن تحصل على بعض الأثاث في هذه الأثناء. كل ما هنالك أنه لم يتسن لها الوقت ولم تشعر بالرغبة في الشراء.

اتصل بها بيل بعد الأخبار مباشرة، ودردشا معاً بضع دقائق حول الرحلة. لقد كان مثاراً مثلها بخصوص الرحلة. لقد كانت تشعر وكأنها طفلة ستذهب إلى المخيم للمرة الأولى، وللمرة الأولى منذ وقت طويل، كانت تشعر بالسعادة حقاً. كانت كل أمورها صعبة خلال الشهرين الماضيين، ما عدا الوقت الذي أمضته مع بيل، الذي كان مختلفاً على الدوام بالنسبة لها.

"أعتقد أننا سنغادر حوالى الثامنة. هذا يعطينا فرصة للوصول إلى سانتا باربارة الساعة العاشرة، وسيتسنى لنا وقت لركوب الخيل قليلاً قبل الغداء. فالأولاد يتحرقون شوقاً لامتطاء الخيل". لقد كانت هذه أول مرة تفكر بذلك، وكانت تدرك أن هذا أحد الأشياء التي يجب عليها ألا تقوم بها، وتساءلت إذا كان بيل سيخيب أمله بسبب ذلك.

"أعتقد أن عليّ الراحة غداً بينما تذهبون أيها السادة لركوب الخيل".

"ألا تحبين الخيول أدريانا؟" سألها وقد بدا مندهشاً. كان يأمل الترتيب لرحلة لليلة كاملة عندما يصلون إلى ليك تاهو. ولم يعتبر الأمر كارثة إن لم تستطع مرافقتهم. فلقد كان مرناً بخصوص إجازتهم.

"ليس إلى ذلك الحدّ. كما وأنني لست مُدهشة في ركوب الخيل".

"ونحن أيضاً لسنا كذلك. حسناً. سنرى رأيك في الأمر غداً. سنمر عليك الساعة الثامنة صباحاً". بالكاد كان يطيق الانتظار، وهي أيضاً كذلك. وإذ استلقت في سريرها تفكر في الأمر تلك الليلة، مررت يدها على بطنها. لم يعد مفعماً كثيراً، بل بدأت استدارة خفيفة تبرز بين عظامها الحرقفية. وعندما كانت تقف كان يمكنها أن تشعر بها حقاً. وكانت بعض ثيابها قد بدأت تضيق عليها، وكانت تتساءل متى سيبدأ الناس بملاحظة الأمر. كل شيء سيتغير بالنسبة لها آنذاك، بما في ذلك علاقتها مع بيل. وكانت تدرك أنه لن يَرْضَ بأي شكل أن يخرج معها عندما سيظهر عليها الحمل بوضوح. ولكن في الوقت الحاضر على الأقل كان بإمكانها أن تستمتع بالبقاء معه، وكانت حقاً تتشوق إلى الإجازة. لن يكون هناك مجال أمامه ليرتاب عندئذ، طالما هي تلبس قمصاناً فضفاضة فوق بنطال الجينز أو سترة أو كنزات.

مرّوا عليها الساعة الثامنة والربع تماماً، وكان كل شيء على أهبة الاستعداد. فنقل بيل حقيبتها إلى السيارة، وأما هي فحملت كيساً صغيراً وضعت فيه أغراضها الصغيرة، وعدة الماكياج، وعطورها، ومساحيقها وبعض الوجبات الخفيفة للجميع، والألعاب التي اشترتها من أجل الولدين.

بدا بيل مرتاحاً وسعيداً، وقد انحنى نحوها وكأنه على وشك أن يقبّلها عندما وصل، ثم تذكر وتمالك نفسه وتراجع وقد بدت عليه نظرة خجل، ونظر إلى الولدين من فوق كتفيه. كان قد استأجر عربة نوم متنقلة، وكانوا قد أعدوا كل ما يحتاجون إليه للرحلة من كافة النواحي. وتكدست في خلفية السيارة أكياس النوم والمعدات وحقائب السفر.

"هل الجميع مستعدون؟" سأل بيل وهو ينظر إليها وقد أشرق وجهه بابتسامة عريضة، وبادلته الابتسام وهي تجلس إلى جواره في المقعد الأمامي، ثم ألقت نظرة على الولدين في المقعد الخلفي.

فقالا: "نعم" بصوت واحد منسجم.

"حسناً. إذاً هيا بنا ننجز هذا المسلسل على الطريق". شغّل محرك السيارة وانطلق بها شمالاً على الطريق العام. كان آدم يضع سماعات على أذنيه ويستمع لشريط، وكان طومي يهمهم لنفسه وهو يلعب بمجموعة من تماثيل رجال صغيرة وجنود. دردش بيل وأدريانا بارتياح في المقعد الأمامي. لقد بدوا وكأنهم عائلة واحدة منطلقة في رحلة صيف، وإذ فكّرت أدريانا بالأمر بدأت تقهقه. كانت قد وضعت قوس شعر أزرق كبير في شعرها، وارتدت كنزة زرقاء باهتة اللون، وبنطال جينز عتيق وحذاءً خفيفاً. وشعر بيل وهو ينظر إليها أنها تشبه الأطفال في مظهرها وقد جلست إلى جواره وهي تضحك. فسألها: "ما الذي يضحكك إلى هذا الحدّ؟".

فقالت: "لا شيء. أحب هذا. وأشعر كما لو كنت ألعب دوراً في كوميديا".

"هذا أفضل من دور في مسلسل تلفزيوني ميلودرامي". وابتسم. "فعندها ستضطرين للزواج من رجل سكير، عنده ابنة قد هربت من البيت مؤخراً، وابن كان مخنثاً بالسر، أو تحملين من رجل آخر، أو تصابين بمرض عُضال". وذكر لها كل الاحتمالات الممكنة، ورغم أن بعضها كان ينطبق عليها أكثر مما يظن، فقد ظلت تبتسم.

"هذا أفضل إجمالاً".

"بالتأكيد". شغّل الراديو، وقاد بهم السيارة إلى سانتا بربارة، توقفوا في سان يسيدرو رانش بعد العاشرة والنصف. كان هناك كوخ رائع في انتظارهم، وفيه غرفتا نوم وحمامين، وغرفة جلوس حميمة فيها موقد. لقد بدا كمثل أكواخ شهر العسل، ووضع بيل أغراضه في حجرة الأولاد، كما قال، وأعطى لأدريانا الغرفة الأجمل بين غرفتي النوم.

"هل أنت مقتنع بذلك؟" سألته بلهجة اعتذار. فقد شعرت بالذنب لأنه سيعطيها الغرفة الأجمل، ولكنه أصر على أنه سيكون سعيداً إذا ما شارك الأولاد الغرفة الأخرى. "يمكنني أن أنام على الأريكة".

"بالطبع يمكنك ذلك. أو على الأرض. لماذا لا تفعل ذلك في سان

فرانسيسكو؟".

ضحكت، وساعدت الأولاد في تفريغ حقائبهم، وبعد دقائق، ذهب بيل والولدين للاستعلام عن استئجار الأحصنة. ورجتهم ألا تشترك معهم في ذلك وقالت إنها سترتب لهم كل شيء. لقد كانوا يعتزمون المكوث هناك ليومين. وعندما عادوا كان كل شيء مرتب وأنيق.

"إنك ماهرة في الترتيب". قال لها مبتسماً.

"شكراً لك. كيف كان امتطاؤكم للخيول؟".

"جميل. ليتك أتيتِ. فالأحصنة كانت أليفة ووديعة، وكان بمكنك امتطاؤها وأنت مغمضة العينين". نعم طبعاً، ولكن ليس وهي تحمل جنيناً في أحشائها.

"ربما في المرة القادمة". شعر بيل أنها ما كانت ترغب في ذلك، لذلك لم يضغط عليها. طلبوا غداء ثم استلقوا إلى جوار بركة السباحة. ولكن في منتصف فترة بعد الظهر، شعر الأولاد بالضجر، وطلبا أن يفعلا شيئاً ما. ولذلك فقد رتب بيل ليلعبوا مباراة كرة مضرب. كانت مباراة رائعة، فقد كان الجميع متساوين في أنهم غير بارعين في اللعب وضحكوا كثيراً حتى كانوا بالكاد يستطيعون اللعب. وبالنتيجة فازت أدريانا وطومي، ولكن ليس بنتيجة النقاط، بل فقط لأن آدم وبيل لعبا أسوأ منهما.

تناولوا العشاء في غرفة الجلوس في المزرعة، ثم عادوا بالأولاد إلى الكوخ كي يستحما ويشاهدا التلفزيون قبل أن يطلب منهما بيل النوم الساعة التاسعة. وقال لهما إنه لا يريد أن يسمع أي كلمة منهما، وبالطبع ظل الأمر كذلك حيث ظلا يتهامسان حتى الساعة الحادية عشر تقريباً. فقد كانا يتهامسان ويلعبان، وخرج طومي من الغرفة باكياً عندما لم يستطع أن يجد الأرنب الذي كان يغفو دائماً معه. لقد كان آدم قد خبّأه تحت السرير، وبدا بيل سعيداً أو متعباً عندما نام الأولاد في نهاية الأمر. وجلس وأدريانا في غرفة الجلوس يتحدثان همساً أمام الموقد.

"إنهمـا ظريفان جداً". قالت وقد أعجبت بالطريقة التي كان يعاملهما بها، بلطف أكثر منه بحزم، وبكثير من العفوية والحب والعقلانية؟

"خاصةً عندما يكونان نائمين" قال موافقاً إياها الرأي. كان يريد أن يقول لها إنها هي أيضاً ظريفة، ولكنه لم يجرؤ على ذلك. فقد يكون أحدهما مستيقظاً ويسمعه. "أنت متأكدة بأنك لن تصابي بالجنون لقضاء أسبوعين معنا؟".

"نعم، بل إنني حتى سأشعر بعزلة شديدة عندما سأعود إلى المنزل".

"وأنا أيضاً، عندما سيغادران" قال وهو مستغرق في تفكير حزين. واستأنف: "إنه لأمر قاسٍ ومؤلم. إنه دائماً يذكرني بالأيام السيئة التي عشتها عندما انتقلت إلى هنا عندما تركتني ليسلي. ولكنني على الأقل أنشغل الآن بالمسلسل وأقرأ بسرعة". ولربما سيكون محظوظاً هذه السنة فينشغل بها. لقد كان يأمل أن تكون الحال هكذا، ولكنه كان لا يزال غير متأكد بما تتوقعه أدريانا. هل البعد أم القرب. لم يكن متأكد تماماً من ذلك. أهو الصداقة، أم علاقة رومانسية أم كلا الأمرين. لقد كان حذراً للغاية كي لا يخسرها. ما عادت تذكر زوجها إلا فيما ندر، ولكنه كان يعلم أنها ما زالت تفكر فيه، وذلك من خلال بضعة أشياء قالتها. لقد وضع آدم إصبعه على الجرح عندما سألها عن خاتم الزواج. فلماذا كانت لا تزال تضعه في إصبعها؟

"لا أستطيع أن أشكرك بما يكفي، لأنك سمحت لي بالقدوم معكم في هذه الرحلة".

"لا يهمــك. سوف تكرهينني قبل أن تنقضي". وابتسم لها، ولكنهما كانا يعرفان أن الحقيقة على خلاف ذلك. ولقد كان الولدان رائعين.

"هل ثمة شيء خاص تريدني أن أعمله؟ شيئاً أستطيع أن أساعدك فيه معهما؟".

"سوف بخبراتك".

"لا أعرف أموراً كثيرة عن الأولاد". قالت ذلك بحزن، ولكنها كانت على وشك أن تضطر لتتعلم الكثير في القريب العاجل.

"سيعلمانك كل ما تحتاجين لمعرفته. وأعتقد أن ما يهمهم أكثر..." قال متفكراً وقد استند إلى الخلف إلى الأريكة إلى جانبها، "... ما يهمهم أكثر هو الصدق. فهذا يعني الكثير بالنسبة للأولاد. فمعظم الأولاد يكنون احتراماً شديداً لمن يتحدث إليهم بصدق وصراحة".

"وأنا أيضاً كذلك". لقد كان هذا من بين الأشياء التي أعجبتها فيه منذ البداية.

"وهذا ما أحبه فيك أنتِ أيضاً" قال بهدوء، وهو لا يزال يتحدث بصوت ناعم منخفض خشية أن يوقظ الأولاد. "هناك أشياء كثيرة أحبها فيك يا أدريانا". صمتت للحظة ثم أومأت برأسها.

"لم أكن مسرورة في الأسابيع القليلة الماضية. فحياتي كانت في مهب الريح". لقد كان هذا التعبير يدل على نمط حياة يعيشه كثيرون.

"يبدو أنك تديرين أمرك بشكل أفضل الآن، إذا أخذنا بعين الاعتبار كل الأمور. إنه لمن المؤلم جداً ألا تكوني أنت الشخص الذي يريد الطلاق. ولكنني أشعر أحياناً أن تلك الأشياء تحدث لسبب معين. ربما كان هناك شيء أفضل تخبئه لك الأيام... أو ظروف تجعلك أكثر سعادة مما لو كنت متزوجة من ستيفن". لقد كان من الصعب أن تتخيل ذلك، رغم أنهما لم يكونا سعيدين في كل لحظة من يومهما. ولكنها لم تسأل أبداً عما لديهما. لقد كانت الأمور تبدو جيدة، وكانت تظن أن هذا سيدوم للأبد. "ماذا قال والداك عندما رحل؟" لقد ظن بحدسه أنها لم تكن على علاقة قوية بهما، ولكنه تصور أنهما قد صُدما بذلك ولا بد، خاصةً وأنهما من مجتمع بوسطن المحافظ.

ترددت ثم ابتسمت، وهي تشعر ببعض الارتباك: "لم أخبرهما بذلك".

"أحقاً؟" فأومأت برأسها.

"لماذا؟".

"لم أرِد أن أزعجهما. وفكرت أنه إذا عاد، فسيكون الأمر أقل إحراجاً لي

إذا كنت لم أخبرهما".

"إنها وجهة نظر في الأمر. هل تعتقدين أنه سيعود؟" سألها وقد قفز قلبه من صدره أثناء ذلك.

هزت رأسها، عاجزةً عن تفسير كل تفاصيل وملابسات الوضع المعقّد. وكانت غير راغبة أكثر منها غير قادرة. فلم ترد أن تخبره بأنها كانت حامل، "لا. ولكن ثمة مشاكل صغيرة معقّدة تجعل الأمر برمته صعب الإيضاح لوالدي". وفكر بيل في نفسه أن ستيفن قد يكون مخنثاً. فهذا احتمال لم يكن قد أخذه في حسبانه. ولم يرِدْ أن يتطفل عليها أو يحرجها أكثر. لقد كان هذا يفسر الكثير، ويبدو أنها لم تكن لتريد أن تتوسع في الموضوع.

دردشا معاً لفترة من الزمن، وأخيراً نهضا كي يلقيا تحية الوداع متمنين لبعضهما ليلة هانئة، فنظر إليها بتوق وابتسم لها وهي تلوح له بيدها وتغلق باب غرفة نومها. لم تقفل الباب بالمفتاح تلك الليلة لأنها كانت تثق به وتعرف أنه لا داع لذلك. ولم تستيقظ حتى صباح اليوم التالي عندما سمعت صوت الأولاد يستمعون إلى التلفزيون في غرفة الجلوس. كانت الساعة الثامنة صباحاً. عندها خرجت، واستحمت، وانتعشت، وارتدت الجينز وقميصاً وردي اللون وحذاء وردياً، وكان بيل قد طلب الفطور لتوه.

"ما رأيك في الفطائر المحلاة والنقانق؟" سألها وهو ينظر إلى ورقة لائحة أطباق الطعام بينما كانت هي تتمطط.

"عظيم. إلا إذا كنت سأصبح في غاية البدانة عندما نصل إلى ليك تاهو". لقد كان يعرف أنها تحب الأكل، وكان يعجب كيف أنه لا تظهر عليها السمنة إلا قليلاً حول خصرها.

"يمكنك أن تتبعي نظام حمية عندما نعود. وسأشاركك في ذلك". لقد كان قد طلب نقانق، وبيض، وتوست، وعصير برتقال، وقهوة، وأتت أدريانا على كل الطعام في صحنها، والتهم الأولاد الفطائر المحلاة الفضية اللون. وذهبوا لامتطاء الخيول من جديد، وبعد ظهر ذلك اليوم تمشوا في سانتا بربارة.

واشترت للأولاد طائرة ورقية، وقادوا السيارة إلى الشاطئ بعد ذلك كي يطلقوا الطائرة في الفضاء. وكانوا جميعاً عرضة للريح وسعداء عندما عادوا إلى الفندق للعشاء. نام الأولاد في تلك الليلة باكراً لأنهما كانا متعبين جداً، وكان ذلك بعد الساعة السابعة بقليل، وقد كانت قد حملتهما على الاستحمام، وعندما تذمرا، أكد بيل اقتراحها وفرضه عليهما.

"ما هذه الإجازة؟!" قال طومي مغتاظاً. فردت قائلة: "إجازة نظيفة". ولكنهما نسيا الانزعاج عندما ذهبا إلى السرير وسردت لهما قصة طويلة. لقد كانت قصة تذكرتها من أيام طفولتها، عن ولد ذهب بعيداً، بعيداً عبر البحار ولاكتشف جزيرة سحرية. كان والدها قد حكى لها هذه القصة وهي تمقتها وزخرفتها بطريقتها، وسرعان ما نام الولدان بعد أن سردت القصة لهما.

"ماذا فعلت؟ هل أعطيتهما حبوباً منوّمة؟ لم أرهما يخلدان إلى النوم أبداً هكذا من قبل". قال لها بإعجاب.

"أعتقد أن ذلك بفضل الطائرة الورقية، والشاطئ، والحمام، والعشاء الفاخر. أنا نفسي أكاد أغفو سريعاً أيضاً". وضحكت وقد صب كأساً من العصير لكل منهما. لقد كان يوماً رائعاً، وحتى المكالمة التي تلقاها من المخرج عن المسلسل لم تزعجه. كانت هناك مشكلة ثانوية أمكنه حلها بسهولة عبر الهاتف، وكان يبدو عليه الارتياح كلما جلس بجانبها على الأريكة يتحدثان حول الولدين.

"هل كنت تعرف دائماً أنك ستحب الأولاد؟" سألته.

"لا أبداً". وضحك، "عندما سمعتُ أولاً أن ليسلي كانت حاملاً تجمدتُ من الخوف. لم أكن أعرف طرف الولد من الطرف الآخر". وابتسمت لسماعها جوابه. لقد كان ستيفن هكذا، ولكنه لم يقف بثبات لمواجهة الأمر، بل لاذ بالفرار، خلافاً لبيل تجاه آدم. لقد كانت لا تزال مقتنعة أنه سيكتشف خطأه في النهاية ويعرف أن الأمر لم يكن سيئاً لهذه الدرجة... وإن كان غير راغب آنذاك في المحاولة... وربما لا يزال كذلك... "إنك جيدة في تعاملك مع

الأولاد أدريانا. لا بد أنك ستنجبين أطفالاً يوماً ما. وستكونين أماً رائعة".

"أنى لك أن تعرف ذلك؟" سألته في قلق، "ماذا لو لم أكن كذلك؟" لقد كان هذا الأمر موضع قلق عندها كثيراً في الأونة الأخيرة.

"أنى لأي شخص أن يعرف؟ أنت ستبذلين جهدك. ولا يمكنك أكثر من ذلك".

"إنه أمر مخيف للغاية".

وأومأ برأسه يوافقها الرأي. "ولكن كل شيء في الحياة هو هكذا. أنى لك أن تعرفي مسبقاً أنك ستكونين بارعة في العمل على الأخبار، أو أنك ستكونين ناجحة في الجامعة، أو أنك ستتزوجين؟ لقد جربت ذلك. وهذا كل ما يمكنك أن تفعليه".

"نعم". وابتسمت بحزن. "ولم أكن جيدة في ذلك".

"هراء. يبدو لي أنه هو من نسف زواجكما، وليس أنت. فلست أنت التي تركته. بل هو الذي تخلى عنك".

"كانت لديه أسبابه".

"ربما. ولكنك حاولت على الأقل. ولا يمكنك أن تمضي بقية حياتك تلومين نفسك أو تشعرين بالذنب".

"ألا تشعر هكذا؟" سألته بصدق. "ألا تشعر نوعاً ما بأنك المسؤول عن فشل زواجك؟".

"بلى". قال لها بنفس الصدق. "ولكنني أعلم أنه لم يكن خطأي وحدي فقط. لقد كنت أعمل بجد فأهملت زوجتي، ولكنني كنت أحبها وكنت زوجاً صالحاً، وما كنت لأتخلى عنها. ولذلك فجزء من المسؤولية يقع على عاتقي، ولا أشعر الآن بالذنب كما اعتدتُ أن أفعل".

"هذا أمر مشجع، أنا لا أزال أشعر بالذنب اللعين". وترددت ثم قررت أن تخبره "... وذلك بسبب هذا الإخفاق".

"لست أنت الفاشلة. اكتفي بأن تقنعي نفسك أنك بذلت جهدك ولكن الزواج أخفق. وفي المرة المقبلة سيكون الأمر أفضل". قال لها معززاً ثقتها، فضحكت.

"تقول المرة المقبلة؟ ما الذي يجعلك تظن أنه ستكون هناك مرة مقبلة؟ فأنا لست بتلك المغفلة الغبية... ولست بتلك الجريئة". إضافة إلى ذلك، ومع وجود جنين في بطنها، من سيرغب بها؟ كانت لا تزال عاجزة عن تحديد رؤية للمستقبل تكون فيه مع أحد سوى ستيفن. ولكن بيل استند إلى الخلف واستنكر ما قالته.

"أأنت جدية؟ أو تعتقدين الأمر يقف عند هذا الحد؟ أأنت في الحادية والثلاثين وتفكرين أن الأمر قد انتهى؟" لقد بدا مستغرباً أكثر منه متعاطفاً. "هذا أسخف ما سمعت في حياتي". وخاصةً بالنسبة إلى امرأة كانت تبدو وتفكر وتسلك على النحو الذي كانت هي عليه. فسوف يكون أي رجل في العالم محظوظاً لأن تشاركه حياته، وسيكون أكثر من سعيد لمجرد محاولة ذلك.

"حسناً. أنت لم تتزوج من جديد؟" ونظرت إليه تسبر أغوار نفسه، فابتسم.

"أنت على صواب. ولكنني لم أجد المرأة المناسبة". وكان دائماً حريصاً جداً حتى إنه لم يفعل ذلك.

"لم لا؟".

"كنت خائفاً". اعترف لها. "ومشغولاً، وكسولاً، ولم أكن في مزاج جيد. أسباب عديدة. ثم إنني كنت أكبر منك عندما تطلقت. وكان لدي أولاد. وكنت أعلم أنني لا أريد المزيد من الأطفال. وهذا أزال من نفسي الحافز لأن أبحث عن امرأة لأتزوجها".

"لم لا؟ أقصد لماذا لا تريد المزيد من الأطفال؟".

"لا أريد أن أرزق بأولاد وأخسرهم ثانيةً". قال ذلك بحزن. "فمرة واحدة

تكفي. ولن أستطيع أن أتحمل ذلك مرة أخرى. إن قلبي يتمزق كل مرة يعودان فيها إلى نيويورك. ولن أقوم بهذه المجازفة مرة ثانية الآن". فأومأت برأسها وقد فهمت ما يقول.

"لا بد أن الأمر كان قاسياً". قالت له بتعاطف.

"نعم. بل هو أقسى مما يمكنك أن تتخيلي". ثم ابتسم بحنو وهو ينظر إليها، ولوهلة شعرت برغبة بأن تخبره عن الجنين.

"الحياة أكثر تعقيداً مما تبدو في بعض الأحيان". قالت ذلك بطريقة مُلغزة.

"بالتأكيد". وتساءل عما كانت تعنيه بقولها هذا، ولكنه لم يرغب بالضغط عليها. لقد كان لديه إحساس أن أمراً ما قد حدث بينها وبين ستيفن لم تكن على استعداد لأن تخبره به. امرأة أخرى، أو رجل آخر، أو نوع ما من تصدع القلب أو خيبة الأمل.

تحدثا تلك الليلة مطولاً، وهما يجلسان على مقربة من بعضهما، ينظران إلى النيران في الموقد. لقد كانت ليلة باردة وكان قد أشعل الموقد باكراً وكانت النيران لا تزال متقدة. لم يتحرك الولدان البتة، وكانا متعبين، ولكن لم يكن أي منهما، على ما يبدو، ليرغب في أن يترك الآخر. لقد بدا وكأن هناك أشياء كثيرة لا تحصى كانا يودان أن يتحدثا عنها، وخبرات يتبادلانها، وآراء يتشاركان فيها، وإذ حلّ الليل، ودونما تفكير، بدا بيل يقترب أكثر منها. لقد كان هذا تعبيراً عما يشعر به تجاهها، ولم تُبدِ أية ممانعة من جانبها، وفجأة، وعند انتصاف الليل، نظر إليها ونسي ما كان يقوله. فقد طغت رغبته فيها على تفكيره، وبدون أي تفكير اقترب منها ولمس وجهها بكلتا يديه، ودمدم باسمها، وقبلها بلطف. لم تكن مستعدة لذلك، وذهلت كلياً، ومع ذلك فلم تدفعه بعيداً عنها ولم تتحرك. ووجدت نفسها تبادله القبلة وانحنت نحوه إذ قد ضمها إليه. وأخيراً، تراجعت ونظرت إليه في حزن.

"بيل... لا...".

"عفواً". قالها ولكنه لم يكن آسفاً. لم يكن يوماً سعيداً إلى هذا الحدّ، ولم يرغب أبداً بامرأة كما يرغب بها الآن، ولم يحب أية امرأة كما يحب أدريانا. لقد كان يحبها بملء مشاعره وبكل الفراغ والتوق الذي كان يعيشه خلال السنوات السبع الماضية، وبكل الحنان وكل الحكمة التي لديه وهو ابن الأربعين سنة. "آسف يا أدريانا... لم أُرِد أن أزعجك...".

نهضت بتمهل وسارت في الغرفة، وكأنها تريد أن تتكفئ عنه جسدياً لئلا ترتكب حماقة. "أنا لم أنزعج" واستدارت نحوه تنظر إليه آسفةً. "الأمر هو... لا أستطيع أن أشرح لك... لا أريد أن أسبب لك الألم".

"لي؟". سألها وقد بدا متذهلاً. "كيف يمكن أن أتألم منك؟" وخطا نحوها وأمسك يديها بيديه، ونظر بعمق إلى العينين الزرقاوين اللتين طالما عشقهما.

"صدق ما أقول لك. ليس لدي ما أعطيه لأي كان الآن. ما عدا الصداع".

فابتسم لها: "يبدو لي الأمر عذباً". وأراد أن يقبلها من جديد ولكنه كبح نفسه عن ذلك.

"أنا جادة فيما أقول". ونظرت إليه. لقد كانت جدية أكثر بكثير من المعتاد. لم تكن تريد أن تحمّل أي أحد وزر طفلها. فإن كان ستيفن لم يرد الطفل فلن يكون لها الحق في أن تجعل منه عبئاً على أي كان، وخاصةً على بيل، الذي كانت لديه حياته وانشغاله الكامل بولديه. لا سيما وأنه أخبرها لتوه بأنه لا يريد المزيد من الأطفال. فهذه كانت مشكلتها وليست مشكلة أحد سواها.

"أنا جدي أيضاً يا أدريانا. لم أرد أن أتعجّل في الأمور لأنني أعلم أن الطلاق كان صدمة قاسية بالنسبة لك". ونظر إليها وبدا كأن كل ما كان يشعر به نحوها ينسكب عبر كلماته. "أدريانا... أنا أحبك. أعرف أن هذا أشبه بالجنون وأنه حديث العهد، ولكنني فعلاً أحبك. سوف لن أثقل عليك، وإن لم يكن الوقت مناسباً، فسأنتظر... ولكن أريدك أن تعطي المجال لفرصة أخرى. أرجوك... أعطني فرصة". لقد كان يهمس، ولم يستطع أن يتمالك نفسه من جديد. فقبلها ثانيةً. حاولت في البداية أن تمتنع، ولكن لوهلة ثم ما لبثت أن

ذابت بين ذراعيه من جديد، وهي تدرك أنها أيضاً تحبه. ولكنها لم تستطع. لم يكن هذا منصفاً. فتوقفت مقطوعة الأنفاس وقلقة، فابتسم لها ولمس شفتيها بأصابعه. "أنا فتى كبير. أستطيع العناية بنفسي. لا تقلقي إزاء إزعاجي. أستطيع أن أنتظر إلى أن تسوي الأمور مع ستيفن".

"ولكن ليس هذا عدلاً بالنسبة لك".

"إنه لأقل عدلاً إن منعنا حدوث ذلك. لقد انجذب كل منا للآخر كالمغناطيس منذ أول لقاء لنا. سمّي ذلك قسمة، نصيباً، قدراً، سمّه ما شئت. ولكني أشعر وكأنه أمر رتبه القدر. ولا أريد أن أخسر ذلك. لا يمكنك أن تهربي منه. وسوف لن أستعجلك. سأنتظر. إلى الأبد، إذا لزم الأمر". لقد كان هذا نوعاً من العرض يقدمه لها وتأثرت به حتى أعماق روحها. لقد كانت تبادله نفس الشعور، ولكن الطفل كان ليغير كل شيء بالنسبة لها. كان عليها أن تعطي ستيفن فرصة للعودة، إذا ما غيّر رأيه. وكان عليها أن تكرس كل حبها وطاقاتها للطفل. وليس من الإنصاف أن تدخل حياة بيل وهي تحمل جنيناً من زوجها السابق. لقد بدا الأمر مشابهاً لنصوص السيناريوهات في مسلسله، وكانت تتمزق ألماً وهي تفكر محاولة شرح الأمر له. "أعدك، أنني لن أحاول أن أثقل عليك في شيء. سوف لن أقبلك حتى طالما نحن في رحلتنا هنا إذا كنتِ لا ترغبين بذلك. أريد فقط أن أكون معك، وأن أعرفك أكثر".

"آه يا بيل". قالت وهي تندفع إلى ذراعيه من جديد وقد ضمها إليه مطولاً، وكانت تود لو تبقى في حضنه إلى الأبد. لقد كان بيل كل ما تمنته دائماً، ما عدا أنه لم يكن زوجاً لها، أو والداً لطفلها. "لا أدري ما أقول".

"لا تقولي شيئاً. واصبري مع نفسك، ومعي. وأعطِ الأمر وقتاً. وسنرى. قد نكتشف أن ليس هذا الأمر بصائب وأنه لا يجب أن يكون. ولكن على الأقل دعينا نعطي فرصةً عادلة لذاتنا. اتفقنا؟". ونظر إليها وكله رجاء وأمل أن تفكر بالموضوع. "أرجوك...".

"ولكنك لا تعلم... هناك أشياء كثيرة لا تعرفها عني".

"ماذا يمكن أن يكون ذلك ويخيفك إلى هذا الحد؟ هل خنتِ زوجك؟ أي أسرار رهيبة تخفينها عني؟" كان يمازحها لكي يخفف من حدة اللحظة الحاضرة، فابتسمت. لم يكن ذاك بسرّ رهيب، بل مجرد سرّ كبير. إنه جنين. "لا أتصور أن في حياتك أمراً مريعاً مخيفاً، في ماضيك، أو في حاضرك، يمكن أن يغيّر ما أشعر به نحوك". كادت تضحك لسماعها ذلك، وهي تتذكر كم كان شعور ستيفن حاداً تجاه الطفل. ولكن لم يكن هذا ستيفن، بل بيل. وقد كانت تعتقد أنه فعلاً يحبها. ولكن أن يقبل بها وهي حامل كان في نظرها أمراً يصعب على أي كان، حتى بيل. لم تكن لترضى أن تفعل ذلك به. فقال لها: "لماذا لا نترك الأمور تهدأ لفترة، ونستريح ونستمتع بإجازتنا، وعندما نعود أدراجنا يمكننا أن نفكر بالأمور بجدية، وأن نتحدث عن كل الأشياء. اتفقنا؟ هلا نهوّن على أنفسنا قليلاً إلى أن يحين ذلك الوقت؟ وسوف أتأدب. أعدك بذلك". ورفع يده يهز يدها، وبهذا يتغلب، بصعوبة، على رغبة جامحة أخرى لأن يقبّلها. "اتفقنا؟".

هزت يده رغماً عنها وابتسمت وقالت: "إنك تعقد صفقة صعبة". ولكنها كانت مسرورة. ففي لحظة من اللحظات التي مرت بها كانت قد خطرت لها فكرة العودة إلى لوس أنجلوس لكي تتخلص من رغبتها فيه، ولكنها كانت سعيدة لأنها لم تفعل.

"ولا تنسي ذلك". قال وقد هزّ إصبعه نحوها: "أنا ألعب على النهائيات". قال هامساً وقد أطفأ الأنوار، وبعد دقائق معدودة، كان كل منهما قد أوى إلى فراشه والأفكار تعتمل داخل رأسه مختلطة مع ذكرى هذا الشعور المتبادل الذي أطلقا العنان له. وكانا يدركان أن هذه العاطفة موجودة وحتى لو تمالكاها، فعاجلاً أم آجلاً، يجب الوقوف عندها ومعالجتها. لقد كان رجلاً جدياً، وأدريانا كانت تدرك ذلك، إضافة إلى كونه قوة كبيرة عليها أن تكافحها.

الفصل 17

قاد بيل السيارة إلى سان فرانسيسكو في اليوم التالي، وتوقف عند كارمل في الطريق، استعرض الجميع السلع في المحلات الصغيرة وهم يتحدثون ويضحكون، واشترت أدريانا بعض الأغراض المتفرقة من أجل الولدين. ولكن بيل كان اليوم هادئاً نوعاً ما. لقد كان يفكر بليلة أمس، ويتساءل لماذا كانت قلقة للغاية، ولماذا كانت متأكدة بأنه سينبذها. وكان يدرك أن للأمر علاقة بزواجها، أو بطلاقها، وتساءل ما السبب الذي كان ليجعلها تأبى أن تخبره.

عندما وصلوا إلى سان فرانسيسكو، كان قد استراح من جديد، وكان يشعر بتحسن أفضل. ذهبوا إلى مرسى القوارب في فيشرمان وارف، وركبوا السيارات المعلقة، وزاروا ساحة غيرارديلي سكوير، وعرّجوا على كل المعالم السياحية الجذّابة الممكنة. لقد كانا يومين متعبين للغاية، وبدت أدريانا شاحبة عندما اتجهوا في النهاية إلى نابا فالي.

"أأنت على ما يرام؟" سألها بيل برفق في الصباح الذي غادروا فيه. لقد كان يقود السيارة، رغم أنها عرضت عليه أن تبادله القيادة على الطريق، ولكنه أرادها أن تستريح وأن تستمتع برحلة الطريق عبر سونوما. عبر حقول الأزهار البرية وكروم العنب، كانت الأبقار والأغنام والأحصنة ترعى في الحقول، وكانت الأشجار الباسقة الجميلة تظللهم مع انعطاف الطريق، واستطاعوا أن يروا التلال على بعد. "تبدين متعبة". لقد كان قلقاً عليها. لقد كانت تتعب بسهولة، وكانت تغدو شاحبة، رغم أنها كانت قلما تشكو من ذلك. ولكنها إجمالاً كانت تبدو في صحة جيدة، فقد كانت تأكل جيداً، وكانت روحها المعنوية عالية دائماً. بعد الحديث الجاد الذي دار بينهما في الليلة الثانية من

الرحلة، حمل نفسه على ألا يقترب منها كثيراً، أو يتطرق إلى أية مواضيع جدية. لقد كانت تعرف الآن بما يشعر به نحوها، وكان يحس أنها تبادله نفس الشعور تقريباً، ولكنه كان يعلم أيضاً أن ثمة عائق ما أمامهما، وكان يريدها أن تأخذ ما يكفي من الوقت والجهد كي تزيل هذا العائق. الأمر الوحيد الذي كان واثقاً منه هو أنه لا يريد أن يخسرها.

لقد كانت أيضاً رائعة مع الولدين، ولم يجدا مثل هذا السرور أبداً برفقة أي من صديقاته. لقد كانا يمازحانها دونما رحمة، وكان طومي يحب أن يقرصها وأن يلعب بشعرها وأن يطأ عليها فقط لكي يشعرها بحبه. لقد كانا مولعين بها، وبدا الجميع وكأنهم عائلة واحدة وهم يشقون الطريق عبر نابا فالي. مكثوا في فندق على النمط الفيكتوري يوحي بالحميمية، وزاروا عدة مصانع، وقادوا السيارة في تؤدة باتجاه الشمال، بعد يوم مشمس حار ليمارسوا هواية الطيران الشراعي في كاليستوغا. لم تذهب معهم للطيران، ولم يُرِد بيل أن يضغط عليها بهذا الشأن أو لكي تشاركهم ركوب منطاد الهواء الساخن الذي كان قد استأجره ليري الأولاد بقية نابا فالي عند شروق الشمس. لقد أصرت على أنها تكره المرتفعات ورفضت بشكل قاطع أن تقوم بهذا معهم، واعتراه شعور بأن في الأمر أكثر من ذلك، وما كانت تريد أن تقول ما الأمر، ولم يُرِد أن يسألها، خاب أمل الولدين لأنها ما كانت لتذهب معهم، وحاولت أن تهوّن الأمر عليهم، وبعد ذلك ودونما تفكير كثير بالأمر، اتجهوا نحو ليك تاهو. وشاركته قيادة السيارة شطراً، ولكنها كانت ترغب في التوقف كل ساعتين لتمدد ساقيها. وقالت أن أوصالها تتيبس إذا قادت مطولاً دون توقف. ولذلك فقد توقفوا في نت تري، وأيضاً في بلاسيرفيل، واستمتع الولدان بركوب القطار في نت تري.

وصلوا ليك تاهو بعد ظهر يوم الجمعة، وكان هواء الجبل بارداً وجميلاً تحت قبة السماء اللازوردية مع بعض السحب البيضاء التي كانت تتسابق عبر الجبال. لقد كان الجو رائعاً.

استطاعوا بسهولة إيجاد موقع التخييم الذي كانوا قد حجزوه، ونصب بيل الخيام لهم. كان هناك خيمة كبيرة له وللأولاد، وخيمة أصغر منها كان قد اشتراها خصيصاً لأدريانا. نصبهما جنباً إلى جنب، وأعلن طومي أنه يريد أن تنام معهم في الخيمة التي ستكون دافئة حميمية، وشعرت بالامتنان لرغبته تلك. لقد كانوا جميعاً رائعين معها، وشعرت نوعاً ما بأنها لا تستحق كل هذه المعاملة الجيدة. لقد كانت تتصرف بحذر شديد، فتزن كل شيء، وتفكر بما كانوا يعنون لها، ومع ذلك تشعر أحياناً بأنها تود أن تتراجع. ما كانت لتستطيع أن توطد علاقتها مع بيل إذا ما كانت ستنجب الطفل. مع ذلك، فلم تستطع أن تبقى بعيدة عنه. كل ما كانت تريده هو أن تتحدث إليه ليلاً نهاراً، وأن تنظر إليه، وأن تستمتع برفقته. وأن تشعر بدفئه وحنانه. لقد وجدت نفسها على الدوام راغبة في أن تكون بجانبه، فتشبك يديها بيديه، وترغب أن تحس بيديه على وجهها ثانية، وشفاهه على شفاهها. وكل ما كانت لتستطيع فعله هو أن تنظر إليه وأن تتمنى لو كانت الأمور مختلفة. لم تأسف على وجود الجنين في أحشائها، بل كانت تأسف على أن الطفل لم يكن منه، وتتمنى لو أن الحياة كانت تعاملهم برقة أكثر، وأنها لم تتزوج من ستيفن.

"بماذا كنتِ تفكرين هذه اللحظة؟" لقد كانت تقف ساكنة بلا حراك تحدق نحو الغابة، وكان يراقبها. وبدت حزينة جداً وهذا ما أثار قلقه، تماماً مثل الشحوب أو الامتقاع في اللون الذي كان يطرأ عليها من حين لآخر.

"لا شيء...." لم تكن تريد أن تخبره. "أحلم فقط".

"بلى. لقد كنتِ تفكرين في شيء ما. فقد بدوتِ حزينة جداً". ولمس يدها للحظة ثم سحب يده. لقد كان عليه أن يذكر نفسه دائماً بألا يلمسها، وكان هذا الأمر أصعب ما يكون. كان يود أن يقول لها ثانية إنه يحبها، ولكنه كان يعرف أن عليه أن ينتظر إلى أن تكون على استعداد لسماع ذلك.

استمر في نصب الخيم، وكان آدم يساعده بما يدل على خبرة. لقد أنجزا عملاً رائعاً، وبعدها ذهب آدم وأدريانا لشراء الأغراض التي يحتاجونها من

المتجر بينما كان بيل وطومي بشيدان المعسكر. لقد كانوا يمضون وقتاً رائعاً، وكانت أدريانا تستمتع بذلك. اشتريا شرائح لحم لكي يشويها بيل، ونقانق وحلوى والكثير من الأغراض من أجل الفطور. وبدأت أدريانا تشعر وكأنهم يمضون الليل والنهار في الأكل، وكانت قد بدأت تشعر باتساع محيط جسمها عند الخصر. فخلال الأسبوع الذي أمضوه في الرحلة ازدادت سمنة حتى ضاقت عليها كل الملابس التي كانت قد جلبتها معها. لم يكن وزنها قد ازداد كثيراً بل تغير شكل جسمها بشكل سريع وواضح، فكأنه تبدل بين ليلة وضحاها، وفي أول ليلة لهم هناك اضطرت لأن تستعير كنزة كبيرة ثقيلة من بيل. لم يمانع في إعطائها لها ولم يلاحظ السبب وراء ذلك، وكانت هي ممتنة له لأجل ذلك. لم تكن تريده أن يعرف، وكانت لا تزال تتساءل كيف ستسوى الأمور عندما يعودون. لم يكن من العدل أن تستمر في تعذيبه أو تعذيب نفسها. وما كانت لتستطيع أن تبدأ معه علاقة رومانسية وهي حامل، بل ربما فيما بعد، إذا ما بقيا صديقين. إذا ما عرف عن الطفل، فعندئذ ربما سيكون الأمر عادلاً له.... لقد كانت تفكر بهذا الموضوع على الدوام، وكان بمقدوره أن يرى مدى قلقها واضطرابها.

'ها أنت تفعلين ذلك من جديد'. قال لها هامساً وقد جلسا بجانب نار المخيم تلك الليلة، وبعد وليمة عشاء لذيذة. وكان الأولاد قد غنوا حتى ناموا، وكان كلاهما في خيمة بيل، ولكن طومي أقسم أن ينام مع أدريانا في الليلة التالية.

'أفعل ماذا؟' قالت تمازحه، وهي تجلس إلى جواره وتنظر إلى النار نظرة متأملة مفكرة. لقد كانت أمسية جميلة.

'تفكرين في أمر جدي جداً. وبين الفترة والأخرى أرى الحزن قد استولى على عينيك. أود لو تخبريني عما يزعجك'. لقد كان يؤلمه أنها كانت تنغلق على نفسها من دونه أحياناً، مع أنهما كانا معظم الوقت أقرب ما يكون إلى بعضهما.

'ما من شيء يزعجني'. ولكنها لم تكن مقتنعة، وهو لم يكن مقتنعاً.

'أتمنى لو أصدقك'.

'لم أكن أبداً أكثر سعادة مما أنا الآن'. ونظرت إليه بشكل مباشر فصدقها، ومع ذلك فقد كان يعرف أن شيئاً ما يشغل فكرها. لقد كانت قلقة بسبب الطفل. كيف ستعتني به. وكيف ستواجه الأمر لوحدها.... فتنجب الطفل وليس من أحد هناك ليؤازرها. كلما نما الطفل أكثر كلما صار واقعاً أكثر بالنسبة لها، وكلما زاد قلقها. وكانت تخشى أن تخسر بيل، ومع ذلك فقد كانت تشعر أنها ستضطر لذلك. لقد كان هذا أمراً محتوماً لا بد أن يحصل آجلاً عندما يعلم بأمر الجنين، إن لم يكن عاجلاً. وإذ فكرت بالموضوع اغرورقت عيناها بالدموع فجأة، ورآها بيل، ودون أن ينطق بأي كلمة، جذبها إليه وضمها بين ذراعيه.

'أنا هنا من أجلك يا أدريانا.... أنا هنا.... طالما أنك تحتاجين إلي'.

'لماذا أنت لطيف معي إلى هذا الحد؟' قالت وسط دموعها، 'أنا لا أستحق ذلك'.

'كفّي عن هذا الهراء'.

كانت تشعر بالذنب تجاهه. لم يكن من العدل أن تخدعه وألا تخبره عن الجنين، ومع ذلك فقد كانت عاجزة عن ذلك. ماذا كانت لتستطيع أن تقول له؟ أنها كانت هناك في رحلة تخييم معه ومع ولديه، وأنها كانت تحبه، ومع ذلك فهي حامل بجنين من ستيفن؟ كيف لها أن تقول ذلك؟ ثم فجأة ضحكت وسط الدموع من سخف الأمر برمته. لقد كان الوضع سخيفاً.

'أين كنتَ قبل بضعة سنوات؟' ضحكت وهي تسأله فابتسم وهو يجيب على سؤالها:

'لقد كنت أتحامق كالمعتاد. ولكن أن أصل متأخراً أفضل من ألا أصل البتة'. ولكن المشكلة هي أنه وصل متأخراً جداً.

أومأت برأسها، وجلسا على ذلك النحو لوقت طويل، وقد تعانقا، وهما

يحدقان إلى النار، ولكنه لم يقبلها هذه المرة. لقد كان يريد ذلك، ولكنه لم يشأ أن يغضبها.

وأخيراً اقترح عليها أن يأويا إلى الفراش، وساعدها للدخول إلى خيمتها، ثم دس نفسه داخل كيس نومه، وما هي إلا دقيقة حتى سمع ضجة، ورآها تقف إلى جواره، وقد بدت قلقة مضطربة.

"ما الخطب؟ أأنت على ما يرام؟".

"نعم. همست له وهي متوترة الأعصاب، "لقد سمعت ضجة هناك" وأشارت إلى الخواء خارج خيمته. "هل سمعت الضجة؟".

هزّ رأسه نفياً، وقد كان نصف نائم عندما أيقظته. "لا. ليس ثمة شيء هناك. قد تكون ذئاب القيوط".

"هل تعتقد أنه من الممكن أن يكون دباً؟".

ابتسم لها، وهو يرغب أن يقول لها إن هناك عشرة منهم وأنه من الأفضل لها أن تتسل معه داخل كيس نومه كي تكون في أمان، ولكنه لم يفعل. "لا أعتقد ذلك. ثم أن الدببة حولنا هنا أليفة ووديعة". فرغم بعض الكوارث العرضية التي كانت تحدث، كانت الدببة لا تهاجم الناس إلا عندما يضايقها أحدهم، فقد كانت قلما، إن لم يكن على الإطلاق، تهاجم من تلقاء نفسها، ولم تكن أدريانا لتثير أحداً إلا هو، وهي تقف هناك ببنطال الجينز وكنزته. "هل تريدين أن تنامي هنا في الداخل معنا؟ ستكون الخيمة ضيقة علينا قليلاً، ولكن الولدين سيحبان ذلك". فأومأت برأسها، وقد بدت كالأطفال، وابتسم لها وقد نامت في كيس نومها إلى جواره، وغفت، وهي تمسك يده بيدها وقد استلقت بجانبه، بينما كان يراقبها.

الفصل 18

استيقظ الجميع في اليوم التالي في نفس الوقت، واستغل طومي الموقف في الحال فانقض على والده يقرصه ويدغدغه دونما رحمة، وقلب آدم وبيل الطاولات على طومي. واضطرت أدريانا أن تأتي لنجدته عندئذ، فقرصها بيل، في حين هب آدم لمساعدتها وخلال دقائق اشتبكت الأذرع، والأرجل، والأقدام واختلطت الصرخات والأيادي التي كانت تقرص كل شيء وفي كل مكان وأي شخص إلى أن توسلت إليهم أدريانا أن يتوقفوا وهي تضحك بشدة حتى تمزق سحاب بنطالها. لحسن الحظ كان لديها بنطال آخر ولذلك لم تخف. ولكنها كانت تضحك بشدة حتى كانت بالكاد تستطيع أن تمشي وهكذا كان الآخرون أيضاً وقد تعثروا خارجين إلى حيث الشمس المشرقة لقد كان يوماً جميلاً يُحسن بالمرء أن يستيقظ فيه، وبالتأكيد كان أفضل بكثير من الاستيقاظ في صمت شقتها الفارغة الخالية من الأثاث.

"كيف حدث أنك نمت معنا هنا ليلة أمس؟" سألها آدم وهو يتمطّط تحت الشمس المشرقة.

"لقد كانت خائفة أن يأكلها دب"، أوضح بيل بشكل عملي.

"لا لم أكن كذلك". قالت وهي تحاول أن تغطي نفسها جيداً بينما ضحك الأولاد على قوله المستهزئ.

"لقد كنت كذلك. فمن الذي ظهر في خيمتنا بعد أن نمنا جميعاً وقال إنه سمع ضجيجاً؟".

"أظن أنك قلت أنها كانت ذئب القيوط".

"نعم قلت ذلك".

"حسناً، إذاً، لقد كنت خائفة من أن تأكلني ذئاب القيوط". فضحك عندها الجميع، وبينما كانت تعد الفطور بمساعدة آدم، أعلن بيل مخططاتهم بأن يأخذوا كل معدات الصيد بعد الفطور.

"ويمكننا أن نأكل كل ما نصطاده على العشاء الليلة".

"عظيم. ومن سيقوم بالتنظيف" سارع آدم للسؤال لقد كان يعرف هذه اللعبة من رحلات تخييم سابقة قاموا بها مع والدهم. فقد كان ينتهي به الأمر عادة بأن ينظف السمك حتى عندما كانت ترافقهم صديقات والده، ذلك لأنهن كنّ سريعات الغثيان.

"سأقترح ما يلي"، قال بيل في حين أشعلت أدريانا النار. "كل منّا ينظف السمكات التي يصطادها. هل هذا الاقتراح عادل؟".

"تماماً وافقت أدريانا على اقتراحه بابتسامة عريضة".

"ذلك لأنني لم أصطد أي سمكة في حياتي. ولذلك فسوف أتناول النقانق".

"ليس عدلاً" قال آدم متذمراً وهو يتنشق رائحة النقانق التي كانت تعدها.

"هل نستطيع أن نتناول خبز الذرة؟" سأل طومي، فقد كانت هذه إحدى الأشياء المفضلة لديه في المخيم. هذه إضافة إلى أن يشاطر والده كيس النوم. لقد كان الأمر يشبه النوم مع لعبة على شكل دب محشوة بالفراء حيث كان يعانقه طوال الليل ليتدفأ.

سوف أقوم بالطبخ ليلة ما "قال بيل واعداً إياهم وهو ينظر إلى السماء. لقد كان يوماً جميلاً وكانوا جميعاً في مصالحة مع العالم. نظر إلى أدريانا من فوق الولدين فابتسم لها، فشعرت أن قلبها قد استحال إلى فتات في داخلها.

لماذا لا نذهب للسباحة اليوم؟ اقترحت أدريانا وهي تقلي البيض. لقد كان الجو دافئاً في ذلك الوقت ويبدو أنه سيستمر هكذا. في حين كانت المياه باردة جداً في البحيرة، ولكن كان هناك نهر جار على بعد قليل خلف المكان الذي كانوا يخيمون فيه. لقد كانوا قد رأوه في اليوم السابق، ولقد كان هناك

شلال صغير من الماء يأتي من الجبال فيشكل تياراً كبيراً قوياً ليطوف فوقه المخيمون.

"لنذهب لصيد السمك أولاً". لقد كان هذا اقتراح بيل، بينما كانت تقدم له طعام الفطور ثم قدمت الطعام للولدين. ولكنهما وافقا أدريانا الرأي فقد كانا يريدان أن يذهبا للسباحة وأن يصطادا السمك فيما بعد.

"حسناً حسناً. سنذهب للسباحة، ثم سأشتري الطعم من أجل السمك. وبعد الغداء يمكننا أن نصطاد السمك. ومن لا يصطاد سمكة سوف يموت جوعاً". قال وقد زمجر في وجههم فضحكوا جميعاً بينما نظرت إليه أدريانا وهي تتكلف الجد. وقالت "لا تنسَ نقانقي".

"أوه، لا. أنت أيضاً. لا تقولي لي أنك تخافين من الماء". كان يمازحها لأنها لم تذهب معهم إلى الطيران الشراعي أو تصعد معهم إلى المنطاد في نابا فالي. ولكن ذلك كان بسبب الجنين، تماماً كما أنها تحاشت ركوب الخيل في سانتا بربارا. وكان هذا هو الأمر الوحيد الذي لم يكن يعرفه.

"أنا لا أخاف الماء". وبدت وكأنها قد أهينت من اقتراحه، وقد أنهت البيض. وبدأت بإفطار آخر يشبع الماموث. ولكن هواء الجبل جعلها شديدة الجوع. "لقد كنت رئيسة فريق السباحة في ستانفورد، وشكراً جزيلاً لك. وكنت عاملة إنقاذ لفصلي صيف".

"هل تستطيعين أن تغوصي تحت الماء بشكل جيد؟ سألها طومي وقد أعجب بإمكانياتها.

"نعم تماماً. وابتسمت له وعبثت بشعره بيد لطيفة.

هل ستعلمينني عندما نعود أدراجنا إلى منزل والدي؟".

"بالتأكيد".

"وأنا أيضاً" قال آدم بهدوء. فقد كان يحبها كثيراً وكان معجباً بها حتى لو لم تصعد إلى المنطاد ذي الهواء الساخن. وأردف بقول "لقد علمني بابا أن

أغوص العام الماضي ولكنني أظن أنني نسيت خلال فصل الشتاء'.

'سوف نعمل على ذلك حالما نعود إلى المنزل'. عندئذ شرعت تنظف بقايا الفطور، وكانوا يساعدونها. ثم طووا أكياس نومهم، وارتدوا ثياب السباحة الواحد تلو الآخر قبل أن يغلقوا سحابات الخيم ويذهبوا إلى النهر. كانت أدريانا ترتدي كنزة تي شيرت فوق بذلة السباحة الخاصة بها التي بدت جميلة حتى بالنسبة لبيل.

وجدوا موضعاً عميقاً ورائعاً للسباحة يحفل بالعائلات الأخرى وأطفالهم الذين يقفزون إلى الماء ويخرجون منه وهم يضحكون، ويمزحون ويرشرشون الماء على بعضهم البعض. وعلى مبعدة، وخلف بعض الصخور كانت هناك شلالات حيث كان الناس يركبون الطافيات.

لعبوا في موضع السباحة لحوالي الساعة، ثم خرج بيل من الماء وقال لهم إنه سيذهب إلى المتجر ليشتري طعماً وبعض الحاجيات وسيعود خلال فترة وجيزة، وآثرت أدريانا والولدين المكوث في الماء إلى أن يعود من جديد. لقد كانوا يستمتعون بوقتهم، وكان لديهم متسع من الوقت لاصطياد السمك فيما بعد. لقد كان يريد أيضاً أن يرى إمكانية استئجار قارب من أجلهم، وتوجب عليه أن يذهب إلى محل معدات الصيد من أجل ذلك.

'سوف ألتقي بكم من جديد في موقع المخيم" نادى أدريانا وهو يقول ذلك ثم لوح لها بيده واختفى عبر الأرض المقطوعة الشجر في الغابة، وعادت على أعقابها إلى حيث الأطفال. كان طومي يمضي وقتاً رائعاً، وكان آدم يحاول أن يغوص تحت الماء ليرى مدى عمقه، ولكنها أخبرته أن لا يفعل ذلك. فالماء لم يكن صافياً ولم يكن بإمكانها أن تدرك إذا ما كانت هناك صخور ولم تكن تريده أن يتأذى، كان آدم متعقلاً واستمع إلى ما قالت له. وكانت تشرح له أنها ليست فكرة جيدة أبداً أن تغطس حيث لا يمكنك أن تعرف مدى عمق الماء، واستدارت نحو طومي لتشرح له ذلك أيضاً، وإذا بها تدرك أنه ليس هناك، وبحثت حولها فلم تجده. بدأت تشعر بالذعر وهي تنظر حولها بحثاً عنه، ثم

رأته يجلس على الصخور يشاهد الناس الذين يركبون على الطافيات عند الشلالات في النهر خلفهم تماماً. نادته بصوت مرتفع وكانت تريد أن توبخه لأنه ترك موقع السباحة دون أن يخبرها، لكنه يبدو أنه لم يسمعها. فنادته ثانية، ثم قررت أن تخرج إليه وتأتي به. طلبت من آدم أن يخرج من الماء وأن ينتظرها، خرجت وتسلقت الصخور بجهد إلى أن وصلت حيث كان طومي.

نادته بالاسم فاستدار طومي نحوها وابتسم ابتسامة لعوب، فتسلقت بضع صخور أخرى في محاولة منها للوصول إليه. لقد كان يقف على ضفة النهر ويستند إلى الأمام ما أمكنه ذلك حيث كانت ثلاث طافيات تتسابق أمامه. لقد بدا الأمر مسلياً له، وكان ينوي أن يطلب من والده استئجار طافية وأن يمتطوها. فقد كان ذلك ممتعاً أكثر من استئجار زورق تجديف وصيد السمك في وسط بحيرة ليك تاهو.

'طومي عد إلى هنا" نادته بصوت عال. وتبعها آدم فوق الصخور ببطء، وقد انزعج من أخيه الذي اضطرهم للخروج من موضع السباحة. بينما هو ينظر إليه، اختفى الولد الصغير فجأة. لقد انزلق عن ضفة النهر إلى الماء الهائج. فصرخت أدريانا تناديه 'طومي'. لقد رأته أيضاً، لكنه لم يسمعها وقد بدأ يندفع بسرعة في اتجاه مجرى النهر نحو الصخور التي كانت أمامه عند النهر.

نظرت أدريانا بذعر بحثاً عن شيء لترميه له: مجداف، عمود، غصن شجرة كبير، ولم تجد شيئاً في البداية، ولم ير أحد ما حدث بعد. ركض آدم نحوها وبدأ يصرخ منادياً باسم الصغير أيضاً، ولكن أدريانا لم تكن تستطيع أن ترى إلا نظرة الرعب على وجه طومي وقد حمله التيار وفجأة أدرك رجلان ما حدث.

'امسكوا به...أمسكوا بالصبي...' صرخ أحدهم نحو الناس في الطافية، ولكن لم يكن بمقدورهم أن يسمعوا بسبب صوت الماء كما وأنهم لم يروا الولد الصغير الذي يرتدي بذلة السباحة الزرقاء اللون. ويقاوم تحت الماء. لقد كان

يضرب الماء بذراعيه، ولكنه كان لا يزال يغوص إلى الأسفل وأدركت أدريانا في الحال أن ثمة أمر مريع على وشك الحدوث. كان آدم يصرخ بطريقة هستيرية ويفقز من الخوف، ولكنها أمسكت به ودفعته جانباً، وصرخت وهي تدفعه بعيداً عن الماء.

"لا يا آدم لا تذهب إلى هناك" وإذ قالت هذه الكلمات هرعت مبتعدة عنه وركضت على ضفة النهر بأسرع ما أمكنها وهي تركض فوق الصخور وتقفز فوق العوائق، والأشجار، وتدفع الناس في طريقها. لم تركض أبداً بهذه السرعة في حياتها أبداً وكانت تعلم أن حياته تعتمد على ذلك، وكان الناس على طول ضفة النهر يصرخون لقد رأوه الآن. ولكن بدا الجميع عاجزين عن فعل أي شيء. دفع رجلان نحوه بمجداف من إحدى القوارب، ولكنه كان صغيراً جداً ومصعوقاً حتى عجز عن الإمساك به، وكان يغوص إلى تحت سطح الماء بفعل التيار ولختفى من جديد في حين كانت أدريانا لا تزال تركض مقطوعة الأنفاس. لقد كانت تعرف ما تفعل وإلى أين هي ذاهبة ما لم يفت الأوان عندما تكون قد وصلت إلى هناك. أمكنها أن تشعر بالأغصان تمزق ساقيها وارتطم شيء بوركها، وشعرت بالخدار في قدميها بسبب الصخور الحادة وكانت تلهث متسارعة الأنفاس، ولكنها كانت لا تزال قادرة على أن تراه، ثم غطست في الماء تماماً قبل الصخور حيث كانت المياه على أشدها. لقد غطست بانسياب قرب سطح الماء، وهي ترجو من الله أن لا ترتطم بشيء وأن تستطيع أن تلتقطه قبل أن يفوت الأوان فإن لم تفعل سيكون الأمر قد انتهى. ولكن مهما حدث فسوف لن تسمح لهذا بأن يحدث.

كاد مجداف يرتطم بها بينما هي تسبح بقوة ورشاقة وثقة تعاندها تيارات الماء، وعلى مبعدة أمكنها أن تسمع صوت الناس يصرخون وخرج من مكان ما صوت طنين صفارة إنذار. ومن ثم، وإذ راحت قوة الماء تدفعها إلى الأسفل شعرت بشيء قاس يرتطم بها، لقد ارتطم بوجهها فأمسكت به وإذ لمسته أدركت أنه كان هو. لقد كان طومي. فدفعته نحو السطح وهي تلهث متلهفة إلى

تنشق الهواء وسحبها التيار إلى الأسفل ولكنها ظلت تدفعه إلى الأعلى فوق رأسها محاولة أن تجعله فوق سطح الماء. لقد كان يبقبق ويلهث ويبتلع الماء كلما نزل إلى الأسفل قاومت التيار بكل قوتها وفي نفس الوقت حاولت ألا تفلت قبضتها عنه. وإذ استمرت التيارات تندفع نحوها بقوة، ظلت تدفع به إلى الأعلى، ثم فجأة أفلت من يدها. ما عادت تشعر بوزنه. لقد كان في مكان ما ولم تستطع أن تجده. لقد سحبت إلى الأسفل إلى هوة سوداء، وكانت تسقط إلى مكان عميق ولين وهادئ بينما هي آخذة في السقوط.

الفصل 19

عندما وصل بيل عائداً من محل معدات الصيد بدا وكأن صفارات الإنذار في كل مكان، وضع كيسه على الأرض خارج الخيمة، ومدّد ساقيه تحت أشعة الشمس بانتظارهم. وبينما كان جالساً هناك مرّت سيارة إسعاف من أمامه. انتابه شعور غريب لوهلة وهو يرى السيارة تختفي، ثم سار باتجاه المكان الذي كانوا يسبحون فيه بشكل غريزي حيث كان قد ترك أدريانا والأولاد. وعندما وصل إلى هناك وجد آدم يركض صعوداً ونزولاً على ضفة النهر، وهو يبكي بطريقة هستيرية ويلوح بذراعيه باتجاه النهر.

'يا إلهي....' شعر بيل بجسده كله يرتعش وهو يركض نحوه وكان هناك عدة راشدين يقفون هناك يحاولون تهدئته. كان آدم يصرخ باسم طومي وعندما رأى والده ركض نحوه. عانق بيل آدم وضمه إليه ثم انكفأ بسرعة وسأله: 'ماذا حدث؟ ماذا حدث؟' هزّه محاولاً أن يهدأه حتى يستطيع أن يفهم، ولكن آدم لم يستطع إلا أن يلوح بالاتجاه الذي سارت فيه سيارة الإسعاف وسيارتان من سيارت الأحراج وتوقفت الآن، فتركه بيل وركض مذعوراً باتجاه السيارت.

كان هناك حشد كبير من الناس قربهم الآن، وكان الناس على الطافيات يصرخون ويقولون شيئاً ما عندما وصل بيل إلى البقعة حيث وقفت جمهرة من الجوالين والعديد منهم كان في وسط الماء، ورآهم بيل يتلقفون كتلة صغيرة من اللحم عليها بقع زرقاء فاتحة، وأدرك مذعوراً أنه كان ابنه، مغمياً عليه وشاحب اللون، ووضعوه سريعاً على الأرض، وتحققوا من تنفسه وبدأ أحد الرجال يجري له عملية تنفس اصطناعية، شاهد بيل ما يحدث وهو ينشج باكياً. لقد كان ميتاً.... لا بد أنه كذلك.... كان الناس ينظرون بذعر في حين

شق بيل طريقه عبرهم إلى حيث الصبي وسقط على ركبتيه إلى جوار الجوالين.

'لو سمحتم... يا إلهي.... أرجوكم.... افعلوا شيئاً....' كان تفكيره محصوراً بالطفل، الطفل الذي كان يحبه كثيراً، عندما نظر بيل إليه كان هناك فجأة بقبقة ودمدمة وسعال يصدر منه وتدفق الماء من فمه. لقد كان لا يزال شاحباً ولكنه تحرك. وبعد دقيقة فتح عينيه ورفع نظره نحو والده، بدا يشعر بالدوار قليلاً في بداية الأمر، ثم شرع يبكي، في حين أحنى بيل رأسه وانكب عليه ينشج وقد ضمه إليه: 'يا بني... يا حبيبي... يا طومي... أنا أحبك...'.

'إنه... أنا....' وتقيأ من جديد، ولفظ من فمه كمية كبيرة من الماء، أما رجال الإسعاف فكانوا يراقبونه عن كثب وكان واضحاً أنه سيكون على ما يرام، لقد بدت رضوض، وكان هناك وحل في شعره وخدوش على كل جسمه ولكنه كان على قيد الحياة. ظل ينظر إلى بيل مذعوراً، وعندما توقف عن التقيؤ كلّمه وكاد قلب بيل يتوقف عندما سمع ما قاله، فقد سأله 'أين... أدريانا؟'.

'أدريانا. يا إلهي'. واستدار فجأة وقد أدرك أنه لم يرها في أي مكان وإذ التفت رأى الرجال يرفعون جسدها المنهك المضني من الماء.

'انتبه له'. قال بيل لأحد الرجال الواقفين قرب الصبي وبخطوتين واسعتين صار إلى جوارها، ولكنها بدت ميتة. بدت شاحبة شحوب الأموات، وكان هناك جرح بليغ على ذراعها وآخر على ساقها، وكان أكثر ما أخافه هو مظهر وجهها. لقد ذكره بحادث على الطريق الرئيسي كان قد رآه مرة حيث كانت امرأة ميتة في السيارة عندما وصل إلى هناك. 'يا إلهي... هل يمكنكم أن تفعلوا أي شيء؟' سألهم، ولكن لم يكن أحد يصغي إليه. كانوا يحاولون إنعاشها، لم يكن هناك أية استجابة منها.

'أهي زوجتك؟' سأله أحدهم بسرعة، بدأ يهز رأسه ولكنه سرعان ما أومأ برأسه علامة الإيجاب. فقد كان هذا أسهل من أن يشرح لهم الوضع. 'لقد

أنقذت الصبي'. أوضح الرجل.

'كان على مسافة دقيقة من الصخور. ولكنها أبقته عالياً قرب سطح الماء إلى أن التقطناه، ولكنني أعتقد أن رأسها قد أصيب... وكان هناك دماء تتدفق من الجرح في ذراعها. كان هناك دم في كل مكان، شاهد ما يجري وهو في غاية الخوف.

'هل تتنفس؟' سأل بيل وقد نظر إليها.

كان هناك أربعة رجال منحنين فوق جسدها، وسالت الدموع على وجنتيه وهو يشاهدها. لقد ماتت وهي تحاول أن تنقذ ابنه... لقد أنقذته.... وكانوا يحاولون إنعاشها ولكن لم يحدث شيء. وفجأة انطلقت من جديد صفارة الإنذار، وصاح اثنان من الرجال إلى السائق.

'شعرنا بوجود نبضة قلب' لقد أبدت لهاثاً خفيفاً عندئذ، ولكنها كانت لا تزال في حالة يرثى لها، واستمروا بإعطائها التنفس الاصطناعي ثم نظروا إلى بيل نظرة انتصار. 'إنها تتنفس من تلقاء نفسها الآن. سوف نأخذها إلى المستشفى هل تريد أن تذهب معنا؟'.

'نعم. هل ستكون على ما يرام؟' سألهم وقد نظر بخوف إلى الاتجاه حيث ترك آدم.

'لا نعرف بعد. لا نعرف نوع إصابة الرأس التي تعرضت لها ثم أنها فقدت الكثير من الدماء من الجرح في ذراعها. إنه قرب الشريان مباشرة. سنضمد الجرح'. نظر إلى بيل بصدق وهو يضع مرقأة لوقف النزيف من الجرح على ذراعها وكان يستمر بالضغط عليه. جاء آدم إليه وهو يركض ولا يزال يبكي وعانق والده في حين رفع رجال الإسعاف طومي إلى السيارة باستخدام النقالة. وثب بيل إلى داخل السيارة خلفه، وساعد أحدهم آدم على ركوبها وأعطاه دثاراً، في حين رفع اثنان من رجال الإسعاف أدريانا إلى داخل السيارة أيضاً. كانت لا تزال شاحبة كالأموات، وكانت هناك كمامة أكسجين على وجهها، فركع بيل بجانبها.

'أهي ميتة؟' سأل آدم بصوت مفعم بالحزن، ونظر طومي إليها. كانت لا تزال هناك أوراق في شعرها، وأحد الرجال كان لا ينفك يضغط على ذراعها في حين هز بيل رأسه إجابة على سؤال آدم. لم تكن ميتة. ولكنها بالكاد كانت تتنفس.

وصلوا إلى المستشفى خلال عشر دقائق وكان بيل يصلي ويسند وجهها ويراقبها. ورأى مرتين رجال الإسعاف يتحققون من حالتها عن كثب، وأمكنه أن يرى أنه لم يرق لهم ما رأوه، ولكن كان هناك فريق في انتظارهم عندما يصلون إلى مستشفى تراكي. بعد ذلك أخرجوا طومي من السيارة وقفز آدم نازلاً من سيارة الإسعاف. لقد بدوا جميعاً وكأنهم مصدومين. وتحدثت ممرضة كبيرة في السن بهدوء إلى بيل. 'سوف أبقى مع الصبيين لكي تتمكن من أن تكون مع زوجتك. سيكونان على خير ما يرام. سوف نجد بعض الثياب الدافئة لهما، وسوف ينتبهون إلى الصغير لفترة على كل حال. كل شيء سيكون على ما يرام'. فأومأ برأسه وأخبرهما أنه سيعود بعد هنيهة، وقفز فوق رصيف الشارع راكضاً إلى داخل المبنى حيث أخذوا أدريانا.

'أين هي؟' سألهم حالما دخل المبنى. وعرفوا مَنْ يقصد فقد كانت المريضة ذات الحالة الأكثر حرجاً التي لديهم الآن، وأشارت ممرضة إلى بابين يدوران على محور، في نفس الوقت الذي وصل إليهما تقريباً. وجد نفسه داخل غرفة طوارئ ذات تكنولوجيا متقدمة، وبدا له أن هناك آلاف من الأزرار الضوئية والصفائح المترجة، وفيض من أضواء ساطعة، ومجموعة من الناس يرتدون ثياباً خضراء يعملون على جسدها الساكن الذي لا حراك فيه. لقد بدوا وكأنهم يقومون بآلاف الأشياء بآن معاً، وكانوا يراقبون عدة شاشات ويتبادلون التقارير باستخدام رموز لم يفهم منها شيئاً. لقد بدا الأمر وكأنه يشاهد فيلماً من الخيال العلمي. وشعر بالخدر في جسده. كان لا يزال عاجزاً عن فهم ما حدث. كل ما عرفه هو أن شيئاً مريعاً قد حدث لطومي وأنها أنقذته منه دون أن تبالي بما يكلفها ذلك. وشعر أنه إذا ما عاشت فسوف

يكون مديناً لها للأبد. ولكن في تلك اللحظة بدا الأمر غير محتمل. فهذه المرأة التي كان بالكاد يعرفها، هذه الفتاة التي أغرم بها كانت ترقد هناك وكأنها شخص يراه في حلم مزعج أو فيلم بغيض.

"ما الذي يجري؟" سألهم بشكل متكرر، ولكنهم كانوا منشغلين جداً كي يجيبوا. رآهم يخيطون الجرح في ذراعها، ويبدأون بعملية نقل دم، وحقن وريدية، ويديرون جهاز التصوير البياني الكهربائي وكانت لا تزال شاحبة وفاقدة الوعي ولم يستطع أن يقترب منها. فقد كان هناك الكثير منهم، وكانت متأذية جداً، وكان عليهم أن يفعلوا أشياء كثيرة في محاولة لإنقاذها.

وأخيراً وإذ بدأ يشعر بالإرهاق لمراقبته ما يجري، أخذه أحد الأطباء جانباً وسأله أن يرافقه إلى الخارج لبضع دقائق.

"هلاّ جلست؟". لقد لاحظ كم كان بيل يبدو يائساً، وغرق بيل في كرسي وهو يشعر بالامتنان له، ويفكر بما كان يجري في تلك الغرفة، وبالصراع العنيد للإبقاء على حياتها التي بدا وكأنهم يخسرونه.

"ما الذي يجري؟" سأل من جديد، وهذه المرة حصل على الجواب.

"كما ترى واضحاً فإن زوجتك كادت تغرق. لقد دخلت كمية كبيرة من الماء إلى رئتيها، وخسرت الكثير من الدم من الجرح في ذراعها. لقد أصاب الجرح شرياناً، وهذا لوحده كان من الممكن أن يكون مميتاً. لا بد أن شيئاً حاداً كان تحت سطح الماء. إضافة إلى ذلك يبدو أنها تعرضت لضربة قوية على رأسها. كنّا نخشى في البداية من تهتك العظام، ولكن لا أعتقد أن الحالة هكذا. نعتقد أنها قد أصيبت بارتجاج مخّي وبالطبع تزداد الأمور تعقيداً بسبب وضعها".

"أيّ وضع؟" بدا مذعوراً ومشوشاً. لم يكن يعرف شيئاً عن تاريخ حالتها الصحية، وظن أن الأمر لا يتعدى السكري مثلاً.

"هل ستكون على ما يرام؟".

"لا نعرف بعد". وبدا أكثر جدية عندئذ وقد نظر إلى بيل. "إذا أخذنا بعين الاعتبار مدى إصاباتها، فقد كان من المحتمل أن تفقد الجنين". نظر إليه بيل في ذهول وهو يقول ذلك.

"الجنين؟" شعر بارتباك شديد وبدا كالأحمق.

"طبعاً". وتابع الطبيب كلامه مفترضاً أنه يشعر بالصدمة ويجد صعوبة في تذكر أي شيء بعدما كاد يفقد ابنه والخطر ما يزال قائماً من أن يخسر زوجته الحامل. "لا بد أنها... في الرابع، نعم إنها حامل في الشهر الرابع والنصف؟".

"أنا... طبعاً... أنا... مستاء وحسب، أنا...". كان الأمر لا يعقل، لماذا كان يدّعي أنها زوجته؟ ولماذا كان يشعر على ذلك النحو؟ لماذا كان يشعر فعلياً وكأنها كانت زوجته وكأن ذلك الجنين كان ابنه؟ ولماذا لم تخبره عن الجنين؟ لقد شعر وكأنه قد تعرض لصدمة جديدة عندما طلب منه الطبيب أن يبقى حيث كان فقد أخبره الطبيب أنه سيتحقق من حالة أدريانا من جديد وسيخبره عند حدوث أي تغيير على حالتها. جلس هناك لوحده طويلاً يحاول أن يستوعب ما حدث وما سمعه لتوه، ولكنه لم يستطع ذلك بسهولة. لم يكن من السهل عليه فهم ما حدث سوى كبعض أجزاء من أحجية بدت تتوضح له... شهيتها كبيرة للطعام.... حقيقة أنها بدت تزداد بدانة قليلاً عند خصرها منذ أن رآها لأول مرة... والأهم من ذلك بكثير هو ترك ستيفن لها. ولكن لماذا طالما أنها حامل وستنجب طفلاً؟ لا بد أنه كان نذلاً حقيراً، فكّر بيل هكذا في نفسه. هل كان هذا هو السبب الذي جعلها تفكر دائماً بأنه قد يعود إليها؟ وهل هو السبب في أنها لا تزال تضع في إصبعها خاتم الزواج... ولا بد أن هذا هو السبب الذي كان يجعلها رافضة لأن تقيم علاقة معه. لقد أدرك كل شيء فجأة سوى أنها قد تفقد الجنين الآن. فإنه لأمر خطير أن يكون في الشهر الرابع من عمره... وقد تموت هي أيضاً. وهنا الطامة الكبرى. شعر وكأن قلبه قد تمزق عندما جاء طبيب آخر في تؤدة نحوه. لقد بدا ينذر بالسوء إلا

نظر إليه بيل وهو يخشى مما سيقوله له.

"لقد فعلنا كل ما في وسعنا. إنها تتنفس بشكل طبيعي تلقائي، وقد أعطيناها وحدة دم. إن الصدمة التي تلقتها على رأسها شديدة ولكن ليس بالضرورة أن تنذر بالسوء. فليس هناك كسر بالجمجمة.... ولكن ينبغي علينا أن ننتظر فحسب. فهي لا تزال فاقدة الوعي". وكان بيل يعرف أنها قد تدخل في غيبوبة وتموت. فقد كانت هذه الأشياء تحدث أحياناً. "ليس من داعٍ لأن نتوقع حدوث ضرر دائم من جراء ذلك إذا ما نجت. لكن السؤال الأهم هو: هل ستنجو؟ ليس لدينا جواب بعد".

"وماذا عن الجنين؟ لقد شعر بمسؤولية نحو الطفل أيضاً. لقد أراد لهما أن يعيشا. لقد أرادهما معاً.... أو هي على الأقل.... أي شيء.... ولكن كان يرجو أن لا يموتا.... نظر إلى الطبيب منتظراً سماع جواب على سؤاله.

"إن الجنين لا يزال قابلاً للحياة والنمو. لدينا مرقاب يتتبع حالته. وحتى الآن يبدو كل شيء على ما يرام. ولا نزال نلاحظ وجود نبض قلبه".

"الحمد لله". وقف بيل ينتظر سماع المزيد. ولكن لم يكن ثمة من مزيد. بمرور الوقت فقط سيعرفون ما سيجري. "هل لي أن أراها؟".

"بالطبع". سوف نتركها حيث هي إلى أن نرى ما يحدث. ما تزال في وحدة الطوارئ سوف ننقلها إلى وحدة العناية المركزة، إذا ما تحسنت". لقد كان يصعب تصديق ذلك. فقبل قليل كانت تعدّ اللحم والبيض، والآن فجأة يجدها على شفير الموت بعد أن أنقذت طومي.

"هل ولدي بخير؟".

"لم أره بنفسي. ولكن آخر ما سمعته أنه مع أخيه يتناول طعام الغداء في جناح الأطفال". وابتسم لبيل. "يمكن القول إنه سيكون على ما يرام. إنه ولد محظوظ. وأدرك الآن أن تفكيرها السريع وحركتها البطولية هي فقط ما أنقذه. إنها امرأة هزيلة، فمن المذهل أنها استطاعت أن تبقي الطفل فوق سطح الماء

على ذلك النحو. لا بد أنها جرحت ذراعها بشكل ما خلال هذه العملية...". وارتطم رأسها بشيء ما... وكادت تغرق.... وكادت تفقد جنينها... ولم تتردد لوهلة رغم أنها تعرف أنها حامل. لقد كان يدين لها بكل شيء وكان يتمنى أن تعيش طويلاً كي يستطيع أن يرد لها المعروف.

دخل بعدئذ إلى وحدة الطوارئ الخاصة وجلس إلى جوارها. بدت هناك آلات موصولة بكل جزء من جسدها وكانت كمامة الأوكسجين تحجب جزءاً من وجهها. لكنه لمس يدها وقبّل أصابعها. لقد كانت مفاصل أصابعها مجروحة ومرضوضة. وكان لا يزال هناك تراب تحت أظافرها. لا بد أنها ناضلت بضراوة كي تنقذه.

"أدريانا....". همس في أذنها وهي لا تزال ساكنة. "أحبك يا حبيبتي. لقد أحببتك منذ أن التقيت بك لأول مرة". لقد فكّر أنه إن لم يستطع أن يحظى بفرصة ليقولها لها فعلى الأقل سيخبرها بذلك الآن، سواء سمعته أم لا، وربما ستسمعه وهذا سيشكل فرقاً كبيراً. "لقد أحببتك مباشرة في تلك الليلة في السوبر ماركت عندما كنت أوقعك أرضاً.... هل تذكرين ذلك؟" وابتسم وسط الدموع التي سالت على خديه وقبّل أناملها من جديد. "وقد أحببتك في المرة الثانية.... عندما رأيتك في المرآب عند المجمع السكني. هل تذكرين ذلك؟ لقد كان ذلك صباح يوم أحد.... وعند حوض السباحة قرب الشقة... أحبك... أحب كل ما فيك.... والأولاد يحبونك أيضاً... آدم وطومي. إنهما يريدانك أن تتحسني في القريب العاجل". وتابع حديثه معها بصوته القوي واللطيف وهو يمسك بيدها بحذر. "وأحب الجنين أيضاً... هذا صحيح... وإذا كنت تريدين ذلك الطفل فأنا أيضاً أريده... أنا أريدك أنت والطفل يا أدريانا.... وسيكون الجنين على ما يرام... هذا ما قاله الطبيب". راقب وجهها عندئذ، ولقد ظن أنه رآها ترف، ولكن عندما نظر إليها بإمعان أكثر اعتقد أنه إنما كان يتخيل ذلك. لقد بدت ساكنة لا تبدي أية حركة. واستمر في حديثه إليها طويلاً وهو يدندن باسمها ويخبرها كم كان يحبها هي وجنينها. ووضع يده عندئذ على بطنها ليتحسس

الطفل، ويتلمس النتوء الصغير الذي لم يكن قد لاحظه بعد، ذلك الذي لم تكن قد أخبرته به، وقال للجنين إنه يحبه، وأن من الأفضل له أن ينتظر وإلاّ سوف يجعل الكثير من الناس تعساء. "هذا صحيح... لا أظنك تعتقد أن أمك قد عانت من كل ذلك لكي تلوذ أنت بالفرار أليس كذلك؟ لذا فاهدأ وهوّن عليك... أليس هذا صحيحاً يا أدريانا؟ قولي للطفل أن يسترخي...". وعندئذ قبّلها بلطف على وجنتها وتحدث إليها أكثر في حين كانت إحدى الممرضات تنظر إليه من مدخل الغرفة. لم يسبق لها أن رأت شخصاً ذاهلاً إلى هذا الحدّ ولم تسمع أحداً يتحدث إلى امرأة هكذا. وإذ أصغت فكرت أن أدريانا سعيدة الحظ لأن لديها رجلاً مثله يحبها على ذلك النحو. وإذ راقبت رأت شيئاً على شاشات المراقبة استرعى انتباهها. فقطبت جبينها وسارت داخلة إلى الغرفة وبينما هي تقترب استدارت أدريانا نحو بيل وفتحت عينيها ثم أغمضتهما ولأول وهلة شعر بالرعب المطبق فقد ظن أنها ماتت فاطلق أنّة حزن مبهمة وقد وقف ينظر إليها متألماً. ولكن إذ فعل ذلك فتحت عينيها من جديد وتحققت الممرضة من علاماتها الحيوية وابتسمت لها وابتسم بيل لها وهو يبكي. لم تستطع أن تتحدث أكثر. لقد التقطت أنفاسها وتأثر هو كثيراً بذلك وحتى بدأ يرتجف.

"إنك محظوظة جداً". قالت لها الممرضة. وأردفت "إن ابنك الصغير بخير. لقد أعطيته آيس كريم للتو". ونظرت إلى بيل مشجعة إياه. "وكان زوجك هنا إلى جوارك يتحدث إليك منذ أتيت إلى هنا". وتذكرت عندئذ أمراً آخر إذ ألقت نظرة على المرقاب الجنيني وعلى أدريانا ثانية فقالت: "وجنينك بخير أيضاً. يبدو أن الجميع سيكونون على ما يرام. كيف تشعرين الآن سيدة ثيغن؟".

جاهدت أدريانا لتنزع كمامة الأوكسجين وساعدتها الممرضة في رفعها. "ليس على خير ما يرام". قالت أدريانا بصوت أجش. كانوا قد ضخوا الماء من معدتها وصار صوتها أجش وشعرت بأنها تكاد تصاب بالغثيان وبالإعياء الشديد. آخر ما كانت تتذكره هو أنها كانت تغوص إلى مكان دافئ لَيّن عندما اصطدم رأسها بصخرة وبدأت تغرق.

"أراهن على أنك لا تشعرين بأنك على ما يرام". قالت الممرضة وهي تبتسم لها وقد أسندت لها رأسها إلى الأمام قليلاً. واستأنفت: "لقد صارعت التيارات المائية واصطدام رأسك بصخرة. ولكنهم قالوا لي إنك ركضت كمن يركض في سباق وأنك أنقذت الطفل الصغير. نعم لقد فعلت". وابتسمت لها، والتقط بيل أنفاسه أخيراً ونظر إلى أدريانا بامتنان وسط دموعه وهو ما يزال يمسك بيدها بإحكام.

"لقد أنقذت طومي يا أدريانا". وبدأ يبكي بشكل أشد وقد انحنى فوقها وقبّل وجهها. "لقد أنقذته يا حبيبتي".

"أنا في غاية السرور... لقد كنتُ خائفة جداً... لم أستطع أن أبقى عليه فوق الماء أكثر...". كان بيل لا يزال يتذكر الجسد المنهك والوجه الشاحب عندما التقطوا الطفل منها تحت سطح الماء. "كان التيار قوياً جداً... وكنت أخشى ألاّ أركض بسرعة كافية". واغرورقت عيناها بالدموع. ولكنها كانت دموع الفرح والانتصار وهي تمسك بيد بيل بقوة، وانسلت الممرضة خارجة بهدوء وأخبرت الطبيب بالتحسن الذي طرأ على أدريانا وهنا انحنى بيل فوق وجهها وهمس لها يقول: "لماذا لم تخبريني عن الجنين؟".

ساد صمت طويل بينما نظرت إليه وهي تشعر بالامتنان لأنه كان هناك، وكانت عيناها مليئتين بالحب نحوه بعد أن مرّت بفترة صراع شديدة منذ أن التقت به. "لم أكن أرى أن الأمر عادلاً بالنسبة لك". وبدأت تبكي عندئذ، إذ قالت ذلك وقبّلها بلطف وهو يهزّ رأسه.

"ما كان ذلك ليغير في الأمر شيئاً". وابتسم عندئذ فجلس إلى جوارها دون أن يحيد بنظره عنها. "إنه أمر غير عادي نوعاً ما، أعترف لك، ولكن بالنسبة إلى شخص يكتب مسلسلات تلفزيونية كوسيلة أساسية للعيش، هل كنت تعتقدين أنه ما كان ليتفهم ذلك؟" فابتسمت ثم سعلت وقد عانقها ومن ثم أسند رأسها بلطف إلى الوسائد. "بصراحة يا أدريانا أشعر بالارتياح. لقد كنت أخشى أن تكون لديك في العادة شهية كبيرة للطعام". فضحكت من جديد ثم تنهدت وقد

بدت قلقة.

"هل الجنين حقاً على ما يرام؟".

'يقولون إنه بخير وأعتقد أن عليك أن تسترخي قليلاً لوهلة فالأولاد عادة يكونون أقوياء'. وتذكر عندما سقطت ليسلي سقوطاً مريعاً وهي حامل لأول مرة وكاد يصاب بنوبة قلب وهو يرى قدمها تزل وتسقط عن السلم، ولكن في نهاية الأمر لم يحدث شيء للجنين. وتذكر عندئذ شيئاً أراد أن يسأل أدريانا عنه، شيئاً كان يشك فيه، "أهذا هو السبب الذي جعل ستيفن يتركك؟" لقد كان يريد أن يعرف ذلك الآن. وإن كان ذلك صحيحاً فليس له مبرر فعندما كانت في الغيبوبة توقع أن يكون هذا سبب انفصالهما.

أومأت برأسها بهدوء وقالت "لم يكن يريد أطفالاً أبداً وقد خيَّرني بين أمرين: إما هو أو الجنين'. وبكت من جديد وهي تفكر في ذلك في حين تشبثت ببيل بقوة. 'لقد حاولت... ولكنني لم أستطع ذلك لقد ذهبت كي أسقط الجنين ولكنني لم أقدر ولذلك هجرني'. 'لا بد أنه رجل ظريف. لقد كان كارهاً لذلك بقوة'. حاولت أن تشرح الأمر ونظر بيل إليها بحزن.

"أظن أنني أفهم ما تقولين. فالشاب يطلّقك لأنك قد حملت. هل يدرك أنه ابنه، أم أنه شك في ذلك أيضاً؟".

"لا. بل يعلم أنه ابنه، وقد أرسل لي محاميه أوراقاً. فقد رفع دعوى يتبرأ فيها من أبوته للطفل، وهكذا لا نستطيع أنا أو الطفل أن نعتبره الأب. وفعلياً سيكون الطفل غير شرعي". قالت ذلك في حزن.

"هذا يثير الاشمئزاز".

ثم تنهدت ثانية 'ولكنه ربما يغير رأيه.... إذا رأى الطفل'. فأدرك عندئذ ما هي المشكلة. لقد كانت لا تزال تأمل أن يعود ستيفن من أجل الطفل إن لم يكن من أجل شيء آخر. وهنا سألها عن أمر آخر كان يريد أن يعرفه الآن.

"ألا زلت تحبينه يا أدريانا؟" ترددت طويلاً ثم هزت رأسها وهي تنظر إلى بيل.

كلا". قالت في هدوء. 'لم أعد أحبه. ولكن للطفل حقاً تجاه أبيه الطبيعي'.

'إذا أراد أن يعود إليك، فهل ستقبلين بذلك؟".

'ربما.... من أجل الطفل....'. وأغمضت عينيها. لقد كانت تشعر وكأنه سيغمى عليها من التعب والإرهاق، وكان بيل ينظر إليها وقد شعر بالحزن مما قالته وفي نفس الوقت كان ممتناً لها على صدقها. لقد كانت هذه إحدى الأشياء التي يحبها فيها. لم يكن يعتقد أن ستيفن سيعود طالما أنه رفع دعوى إنكار أبوته للطفل وطلاقه. يبدو أن الرجل كان مخبولاً حقاً. ولكن بدا واضحاً أيضاً أنها كانت تدين له وللطفل بشيء ما، بعلاقة كانا يستحقانها، حتى لو كان ذلك يعني أن تضحي بنفسها أو تنكر ذاتها. ولكن عادت تفكر بتلك الطريقة. ففي محاولتها لإنقاذ طومي كانت على استعداد للمجازفة بنفسها وبجنينها لقد كانت من نوع الأشخاص الذي يؤمن بأن يعطي إمّا كل شيء أو لا شيء. لقد كانت مستلقية هناك وقد أغمضت عينيها ولبرهة لم يتحدث أي منهما ثم نظرت إلى بيل من جديد وشعرت بالقلق مما يدور في ذهنه. 'هل تكرهني؟'.

'هل فقدت صوابك؟ أنّى لك أن تقولي هكذا؟ لقد أنقذت ابني لتوك'. وقد كاد يكلفها ذلك حياتها. اقترب منها عندئذ ولمس وجهها المليء بالرضوض بأنامل لطيفة: "أحبك أدريانا. ربما لا يكون هذا الزمان والمكان الملائمين لذلك". قال لها برفق، 'ولكنني أحبك. بل إنني متيم بك. وذلك منذ شهرين أو ربما ثلاثة'. قبّل يدها وأنامها عندئذ. لقد كان يخشى أن يجرح شعورها إذا ما قبّل شفتيها.

'ألست غاضباً بسبب الجنين؟' سألته والدموع تنهمر من عينيها.

'كيف أكون غاضباً بسبب الجنين؟ أظن أنك رائعة فيما تفعلين. إنك امرأة جميلة، وقوية، وطيبة، ولبقة، وأصيلة. وأرى أن إنجابك للطفل أمر مميز رائع'. لقد كانت هذه أول كلمة لطيفة يقولها أحد بخصوص الجنين ما عدا زيلدا. فقد تعرضت لسوء معاملة شديدة من قبل ستيفن. ولذلك فقد وجدت نفسها تبكي مقارنة موقفه بكلمات بيل اللطيفة. مسح الدموع عن عينيها وهي

تتشنج. وحاولت أن تشرح له الأمر برمته. لقد كانت تشعر بعواطفه جياشة وبانزعاج شديد، ثم فجأة انهار السدّ الذي يفصل بينها وبينه بعد ثلاثة أشهر من إحساسها بضرورة الاعتذار إلى زوجها ومحاولة تدبر موضوع حملها اعتماداً على نفسها.

"استريحي وهدئي من روعك". لقد كانت تشعر بالانزعاج وكان يخشى مما قد يسببه لها هذا الانزعاج. لقد تعرّض جسدها لصدمة شديدة لتوّها. "كل شيء سيكون على خير ما يرام. أليس كذلك؟" أبعد شعرها عن وجهها برفق وقرصها بلطف من وجنتها. لقد بدت كطفل تعرّضت للضرب. وكانت تحزق كمثل فتاة صغيرة تبكي. "سوف تنجبين الطفل وسيكون جميلاً" وانحنى فوق وجهها وقبّل شفتيها بحرص وكانت الدموع تنهمر من عينيه أيضاً. "أحبك أدريانا... أحبك كثيراً... أنت والجنين". والجميل في الأمر أنه كان يعني ما يقول حقاً.

"كيف يمكنك أن تقول ذلك؟" لقد كان ستيفن قد هجرها بسبب الطفل، والآن بيل الذي بالكاد يعرفها كان يخبرها بأنه يحبها. وتابعت تقول "إنه ليس ابنك حتى".

"أتمنى لو كان ذلك". قال لها بصدق وهو ينظر إليها. ثم تجرأ على أن يقول لها بالضبط عمّا يشعر به نحوها: "يوماً ما، ربّما، وإذا كنت سعيد الحظ قد يكون لي".

وهنا سالت الدموع على وجنتيها من جديد ولم تنبس ببنت شفه، بل اكتفت بالإمساك بيده بقوة، وأغلقت عينيها وهي تومئ برأسها. غلبها النعاس قليلاً في هذه الأثناء وهي ممسكة بيده نامت وهو يراقب الشاشات. دخلت الممرضة مرتين وأكدت له أن كل شيء طبيعي وعلى ما يرام. غادرها لبرهة في النهاية كي يطمئن على الولدين فوجد طومي نائماً أيضاً. لقد كان يأخذ قيلولة. لكنه بدا بخير. لقد زرقوا له حقنة غلوكوز وريدية وكانوا يتحققون من درجة حرارته بشكل منتظم ولكنهم قالوا إن بمقدوره أن يذهب للبيت بعد ظهر

ذلك اليوم. وكان آدم يتفرج على عرض ثانٍ لفيلم مورك ومندي.

"كيف حالك أيها الرياضي؟" وجلس بيل إلى جواره في غرفة التلفزيون عبر الممر بحيث يستطيع أن يرى طومي الذي كان نائماً.

"كيف حال أدريانا؟" سأله قلقاً، ولكن بيل بدا مرتاحاً جداً إذ كان يعرف أنها ستكون على ما يرام. وكانت ممرضة قد أخبرته قبل قليل أن "أمه" كانت في حال أفضل بكثير. لم يصحح لها ما قالته، لقد كان كبيراً بما يكفي ليفهم أن الأمور كانت أبسط على هذا النحو.

"إنها نائمة ولكنها في حال أفضل". لقد كان يفكر طوال فترة ما بعد الظهر بما يجب عليهم أن يفعلوا. لقد كان يدرك أنها كانت لا تستطيع أن تسافر مباشرة وخاصة إذا أخذ بعين الاعتبار مسألة حملها، ولكنه أيضاً كان يفكر بأنه ليس من المعقول أن تذهب إلى المخيم، فما كانوا يحتاجون إليه هو عطلة لمدة أسبوع في فندق فخم وبعض الشمس والكثير من خدمة الغرف.

"ما رأيك لو مكثنا في فندق بدلاً من أن نعود للتخييم؟" لم يكن يريد أن يخيب أمل الولدين ولكنه كان يشعر بمسؤولية تجاهها أيضاً وخاصة بعد كل ما فعلته لطومي. كان من الممكن أن ينتهي ذلك النهار بمأساة للجميع، كان بيل متأكداً أنه لولا سرعة رد فعلها والجهود الجبارة التي بذلتها لكي تنقذ طومي لما كان معهم الآن. لقد كان هذا ديناً لها بذمته مهما طال به العمر. ولكن كان عليه أن يفكر في آدم الآن أيضاً وقد بدا منهاراً قليلاً. "هل سيخيب أملك إذا ما كانت هذه الإجازة خالية من التعب في الخارج؟".

ولكن آدم سارع إلى هز رأسه بحماسة. "يسعدني أنهما بخير. ليتك رأيتها يا بابا. لقد اندفعت بسرعة البرق عندما بدأ التيار يجرفه بعيداً. أعتقد أنها كانت تحاول أن تصل إلى مجرى النهر قبل أن يصل هو حتى تستطيع أن توقفه، ولكنني لم أتوقع أن تنجح في إنقاذه. لكنها نجحت. إلا أن الأمر كان مخيفاً جداً". قال ذلك وهو يلفظ الكلمات بطريقة مؤثرة واستأنف قائلاً: "لقد ظلا ينزلان إلى الأسفل. وفي البداية لم يساعدهما أحد. لقد ظلت تدفعه إلى الأعلى

بينما كان التيار يهدر ويزمجر بقوة ثم دفعته إلى الأعلى من جديد ونزلت إلى الأسفل. لقد كان الأمر مريعاً...'. قال ذلك وقد دفن وجهه في صدر أبيه الذي ضمه إليه لوقت طويل.

'ما كان ينبغي لطومي أن يتركها في الأساس. ماذا كان يفعل بحق الجحيم؟'.

'أعتقد أنه كان يتفرج على الطافيات أو على شيء ما، وسقط في حين كان يتفرج'.

'سوف نتحدث عن ذلك عندما يستيقظ'. ثم نهض ليطمئن على الطفل النائم. ولكن نومه بدا طبيعياً وتنفسه ودرجة حرارته كانت طبيعية. لقد بدا بحال جيدة وبالكاد كان يوجد خدش عليه. لقد كان من الصعب أن يصدق المرء أن هذا هو نفس الطفل الذي كان شاحباً قبل عدة ساعات. وكان بيل يعرف أنه لن ينسى ذلك ما حيي.

أجرى بعض المكالمات الهاتفية بعد ذلك وحجز جناحاً كبيراً في فندق فخم وعاد ليطمئن على أدريانا ويتحدث إلى طبيبها. كانت لا تزال نائمة وكانوا يريدونها أن تبقى هكذا لبعض الوقت. كان لا بد من إجراء بعض الاختبارات، وكانوا يعتقدون أنها من الممكن أن تغادر المستشفى في الغد إذا لم تظهر هناك مشاكل أخرى. لقد كانوا يريدون أن يتأكدوا أنها لن تصاب بذات الرئة أو تطرأ مضاعفات على الجنين. ولكن حتى الآن كانت الأمور تبدو في حالة تحسن.

قال لهم إنه سيعود خلال فترة وجيزة وذهب ليخبر آدم بذلك ثم ركب السيارة عائداً إلى موقع التخييم ووقف يرتجف وهو ينظر حوله ويفكر أنه في الصباح فقط كانت الحياة تبدو سعيدة وبسيطة جداً. والآن اثنان من الذين يحبهم كادا يفارقان الحياة... بل ثلاثة إذا ما حسب الجنين. وتملكه إحساس بالمهابة والعرفان بالجميل، وشعر بارتياح عندما حزم كل شيء وقاد السيارة متجهاً إلى الفندق. حجز جناحاً منفرداً جميلاً فيه غرفتا نوم، وقرر لتوه أن ينام على الأريكة. لقد كان يريد أن يبقي عينه عليها طوال الليل وأن يتأكد من أنه

يسمعها إذا ما نادته. لقد كان يفضل لو أنه ينام بنفس الغرفة معها ولكنه كان يخشى أن يزعج الأولاد من ذلك.

وحالما وضع أغراضهم في الجناح عاد إلى المستشفى، وأُجفِلَ عندما اكتشف أن الساعة كانت قد بلغت السادسة وأن الأولاد كانوا يتناولون طعام العشاء.

'أين كنت؟' سأله آدم. لقد كانوا قد أزالوا الحقنة الوريدية (المصل)، وبدا على طبيعته كما كان، في حين طلب منه آدم أن يتوقف عن أكل البطاطا المهروسة بأصابعه. كان جناح الأطفال شبه فارغ. كانت هناك حالة رجل مكسورة، وذراع مكسورة، وحادث سيارة ثانوي اقتضى بعض القطب والمراقبة خوفاً من ارتجاج مخي، وحالة طومي الذي نجا من الغرق في النهر. وكان معظم الأولاد الآخرين أكبر سناً، وكانوا يتحادثون معاً أثناء العشاء.

'لقد ذهبت لكي أحجز جناحاً في فندق لنا جميعاً'. أوضح بيل قائلاً لهما: 'لقد كنت أطمئن عليك طوال فترة ما بعد الظهر لكنك كنت نائماً طوال الوقت'. وانحنى فوقه وقبله وإذ فعل ذلك أدرك أنه كان جائعاً فهو لم يأكل شيئاً منذ الفطور الذي كانت قد أعدته له أدريانا باكراً هذا الصباح.

'هل أدريانا بخير؟' سأل طومي وقد مرت سحابة من القلق على وجهه، فأومأ بيل برأسه سريعاً.

'سوف تكون على ما يرام، لقد كانت قلقة عليك، أثناء محاولة إنقاذك أصيبت وجسدها الآن تعرض للجلد. وهذا ما يذكرني أيها الشاب بأن أسألك عمّا كنت تفعله خارج مكان السباحة بعيداً عن الآخرين'. اتسعت عينا الصبي في وجهه واغرورقت بالدموع. لقد كان يعرف تماماً الدور الذي لعبه في ذلك، وقد كان كبيراً كفاية ليعرف أنه بسبب خطئه كاد هو وأدريانا يغرقان. وشعر بندم عميق.

'أنا آسف يا بابا... صدقاً...'.

'أعلم ذلك يا بني'.

'هل أستطيع أن أراها؟'.

'ربما غداً. فهي منهكة. ونأمل أن يسمحوا لها بالمغادرة وهكذا نأخذها معنا إلى الفندق'.

"هل أستطيع أن أذهب الليلة؟".

'سوف نرى'. لقد كان يود أن يمضي الليلة مع أدريانا، ولكنه لم يرد أن يترك الأولاد لوحدهم في الفندق وحتى في المستشفى، فقد كان طومي يتوقع أن ينام والده معهما. وقد قالوا له للتو إن آدم لا يمكنه أن يبقى في المستشفى هذه الليلة لأنه ليس مريضاً. ولذلك فلم يكن أمام بيل خيار إلا أن يأخذهما إلى الفندق وأن يعود إلى أدريانا في الصباح.

ولكن لم يبدُ عليها أنها تمانع عندما عاد ليطمئن عليها. لقد كانت متعبة جداً من المخاطر التي تعرضت لها خلال النهار وكانت قد استيقظت لتوها لتتحدث إليه قبل أن تغفو من جديد واقترحت الممرضة أن يتركها كي ترتاح.

"سوف لن تعرف حتى إنك قد ذهبت". وسوف أوضح لها الأمر عندما تستيقظ. كانت الممرضة تعده بذلك واستأنفت تقول، 'وحتى إذا أرادت فإنه بإمكانها أن تتصل بك بأي وقت'. ترك رقم الهاتف ورقم الجناح في المستشفى وعاد لكي يأخذ الأولاد، وما هي إلا ساعة حتى كانوا يقفزون على الأسرة ويتفرجون على التلفزيون. وأراد طومي أن يطلب مثلجات بالشوكولا. لقد بدا صعباً أن يصدق المرء أنه كاد يغرق صباح اليوم.

جعلهما بيل يستحمان وأواهما إلى السرير، ثم تمدد في الغرفة التي من المفترض أن تكون غرفتها وهو يشعر بالتعب الشديد. لم يتذكر أنه مرّ عليه مثل هذا اليوم في حياته، هكذا يوم مليء بالإحباط، والألم، والصدمات، وكل ما أمكنه أن يفكر فيه هو المنظر البشع المخيف لجسديهما اللذين كان الجوالون ورجال الإسعاف يصارعون لتلقفهما.... وصافرات الإنذار.... والأصوات.... والسيماء التي كانت تتبدى على محياهما. لقد كان يدرك أنه سيرى كوابيس كثيرة عن ذلك ولسنوات. وإذ فكّر بها وجد نفسه مشتاق لها ويرغب في أن يعانقها بقوة. لقد كان لديه الكثير ليقوله لها الآن، والكثير ليكتشفاه معاً،

وليعملاه معاً... ومن ثم كان هناك الجنين. لم يكن حتى يعرف كم من الوقت مضى عليها وهي حامل. كل ما كان يعرفه هو كل ما كان الطبيب قد خمنه، ولكن لم تكن لديه فكرة عن موعد ولادته. لقد كان من اللافت للانتباه كيف أن كل ذلك الكائن الجديد قد جاء إلى الحياة... وكان هذا جانباً جديداً من السعادة لمستقبلهما بأكمله. لقد أحبها قبل ذلك، ولكنه عرف الآن أنه كان يحبها حباً مضاعفاً. وإذ فكّر في ذلك، وهو مستلقٍ على سريرها، رنّ جرس الهاتف.

'مرحباً' كان صوته أجش بسبب استلقائه هناك وهو يفكر في المشاعر والعواطف التي انتابتهم ذلك النهار، ولكنه ابتسم حالما سمع صوتها. لقد كانت أدريانا تتصل به من المستشفى. لقد استيقظت وتساءلت أين يكون وكانت تشعر بالاشتياق إليه تماماً كما كان يفتقدها. لقد نشأ رابط جديد وقوي بينهما منذ صباح هذا اليوم.

"أين أنت؟".

"هنا في سريرك". ونظراً لعفة العلاقة بينهما فقد بدا أن ما يقوله سابق لأوانه، ولكنه كان يعتقد أنها لن تمانع بعد كل ما مرّا به. لقد شعر وكأنهما كانا متزوجين وكانت قد أخبرته لتوها أنها حامل وستنجب طفلاً.

"هل تسمع أصوات دببة؟" قالت ذلك ممازحة وكانت لا تزال خشنة الصوت ولكن في حال أفضل.

"لا يوجد هنا دببة أو ذئاب قيوط". فنظراً إلى السعر الذي كان قد دفعه لقاء الجناح في الفندق مع تلك الإطلالة التي كان ليستمتعان بها لمنظر البحيرة، لم يكن هناك إلا أصوات الطيور وأصوات سيارات الرولز رويس. ولكن المكان موحش بدونك". قال لها.

'وأنا هنا أيضاً أشعر بالعزلة". لقد كانت لا تطيق أن تكون في المستشفى كما وأنها كانت تفتقده حقاً.

"كيف حال الأولاد؟".

'نائمون على ما أعتقد. لقد وضعتهم في السرير قبل ساعة. وإن لم

يكونوا نائمين فإنني لا أريد أن أعرف ذلك".

لقد كان متعباً مثلها تقريباً وبعد ذلك وبابتسامة حنون سألها: "كيف الجنين؟".

"بخير على ما أعتقد". لقد كانت تشعر بالإحراج قليلاً عندما تتحدث عنه. لقد كان كل شيء جديداً بالنسبة لها. فطوال تلك الأشهر كانت تتجاهله بشدة وقد أصبح الآن فجأة محور الاهتمام. "إن الأمر غريب بجملته. ولم أعتد عليه بعد".

"سوف تعتادين على ذلك في نهاية الأمر. وبالمناسبة متى يفترض أن يولد؟".

"في بداية كانون الثاني. في العاشر منه".

"في نفس وقت ذكرى ميلادي الأربعين تماماً. إن ميلادي في الواقع هو في ليلة 31 كانون الأول".

"هذا طريف".

"والطفل أيضاً كذلك". قال لها برقة. "لقد مرّ عليّ وقت طويل لم أفكر فيه بالأولاد الصغار. هذا يجعلني أتذكر عندما كان آدم وطومي صغيرين. لقد كانا طريفين جميلين جداً. وهذا الجنين سيكون كذلك إذا ما كانا شبيها لك". لم تكن تستطيع أن تصدق ما تسمعه أذناها. فالرجل الذي كان أباً له قد تركها في نوبة غضب شديدة وهذا الرجل، شبه الغريب، الذي تعرفه منذ ثلاثة أشهر فحسب، كان يشعر بالإثارة نحو جنينها. لقد جعلها هذا تشعر فجأة بالحماية وبالسعادة البالغة، وخفف إحساسها بالعزلة.

"لماذا تعاملني بشكل حسن جداً هكذا؟".

ماذا كان يريد؟ ومتى سوف يسبب لها الألم؟ لا يبدو أنه من ذلك النوع من الناس. أم هل كان كذلك؟

"لأنك تستحقين ذلك". وعندها ضحكت فجأة: "إنك تستخدمني كوسيلة

بحث من أجل المسلسل وحسب". وضحكت أيضاً وهي تتذكر سخف التوازي بين الحمل غير الشرعي في المسلسل وحالة جنينها هي.

"إنكِ تبقين الأشياء مفعمة بالحياة دائماً يا سيدة تاونسيند. أم أنني يجب أن أناديك باسم مختلف؟" لم يكن متأكداً فيما إذا كانت ستغير الاسم.

"إن اسمي قبل الزواج هو أدريانا تومبسون". وفي نهاية الأمر سوف تعود إلى ذلك الاسم من جديد لأن الطفل لا يمكن أن يستخدم تاونسيند بأي شكل من الأشكال، فقد زال ذلك إلى الأبد. "لا أطيق صبراً حتى الغد. فالجو كئيب جداً هنا".

"انتظري حتى تري غرفة الفندق التي حجزناها".

"لا أطيق صبراً". لقد كانت تشعر وكأنها منطلقة إلى شهر عسل، ما عدا أن إبرة المصل لا تزال في ذراعها وكانوا لا يزالون يعطونها الأوكسجين من خلال أنبوبين صغيرين أسفل أنفها، وقد بدا وجهها ويداها وذراعاها وكأنها كانت في معركة مع القطط، وكانت لا تزال تتذكر أن بعض الخدوش قد سببها لها طومي. لقد كان يوماً غير معقول، أعجوبة قد أصابتهم جميعاً، وشعروا جميعاً بأكثر من مجرد الرهبة بالنتيجة السعيدة التي آل إليها ذلك النهار، نتج عن ذلك الخير لصالح الجميع. وبيل عرف بموضوع الجنين. ولم يتخل عنها... و... ابتسمت في قرارة نفسها... لقد أخبرها حتى بأنه يحبها.

"سأراك غداً. خذي قسطاً من الراحة". قال لها بهمسة لطيفة. لقد كان الوقت متأخراً وبدا وكأن العالم كله قد سكن. "سأشتاق إليك....".

"سأشتاق إليك أيضاً يا حبيبي. عمت مساءً". همست له من غرفة المستشفى في تراكي.

"ولا تنسي". ذكرها قائلاً بابتسامة، "..... كم أحبك".

الفصل 20

أقلّ بيل أدريانا من المستشفى في اليوم التالي وكان قد أحضر الأولاد معه. لقد أحضروا معهم وروداً وبالونات ولافتة كتب عليها (شكراً لك) كان طومي قد أصرّ على أن يحملها بنفسه، وإذ ساعدوها لركوب السيارة، بدا وكأنهم قد فازوا بالجائزة الكبرى. كانت لا تزال عرضة للإجهاض عندما غادرت المستشفى، ومضوا مباشرة إلى الفندق لكي تستريح. وساعدها بيل عن طريق الوسائد على أن تسترخي في العربة ذات العجلات على تراس جناحهم. لقد تأثرت بجمال المنطقة هناك الذي كان يفوق الوصف، واعترفت لبيل بثقة أن هذا كان أفضل بكثير من التخييم. فضحك وقال لها إن بعض الناس سيفعلون أي شيء ليتحاشوا النوم في خيمة وبالتأكيد كانت هي واحدة منهم. لقد حدث في يوم واحد أنها كانت تفقد حياتها وأنقذت طومي وأقرّت بحقيقة أنها كانت حامل.

طلبوا الغداء، وبعدها خرج بيل يصطاد السمك مع الأولاد واصطادوا ثلاث سمكات وأتوا بها معهم إلى مطبخ الفندق لكي يصار إلى تنظيفها وطهوها. لقد كان هذا ترتيباً مناسباً.

"أحب هذا النوع من التخييم" أعلنت أدريانا عندما جاءت الصواني تحمل السمك الذي يفترض أن يكونوا هم قد اصطادوه وقد غمر بصلصة الزبدة والليمون. كان بيل والأولاد مقتنعين بأنها فعلاً كانت سمكتهم رغم أن أدريانا كانت ترتاب في الأمر. بعد ذلك شاهدوا أفلاماً قديمة. وأووا إلى الفراش باكراً. وكانت أدريانا قد استيقظت طوال الليل وهي تظن أنها تسمع أصواتاً في غرفتها فترى بيل هناك دائماً يختلس النظر إليها لكي يتأكد أنها على ما يرام

ويسألها إذا كانت بحاجة لشيء ما. وشكرته على ذلك في صباح اليوم التالي أثناء الفطور. "لا ينبغي عليك أن تقلق علي. فأنا بخير".

"لقد أردت فقط أن أكون متأكداً. فقد خرجت من المستشفى لتوك البارحة" لقد كان كالدجاجة الأم ولكنها كانت ترى أنه كان رائعاً وقد أحبت ذلك.

"أشعر أنني على أحسن ما يرام. ولكنه لاحظ أنها عندما كانت تتجول في أرجاء الغرفة كانت تفتقد حيويتها ونشاطها المعتادين، ولم تكن تشعر بالرغبة في الخروج. لقد استغرق أمر عودتها إلى طبيعتها من جديد أربعة أيام حيث كانت العطلة قد قاربت على الانتهاء. ولكنهم أمضوا وقتاً جميلاً، في النزهات عند البحيرة. لقد مكثوا بعيدين عن النهر، وعن الشلالات، ولم يطلب الولدان مرة أخرى الذهاب لركوب الطافيات.

زاروا المنتزه الوطني في شوغار باين بوينت بدلاً من ذلك، وفتنوا به. وقادوا السيارة في رحلة إلى سكواو فالي وركبوا مصعداً سلكياً قادهم إلى القمة ثم عادوا به ثانية. لقد كان الأمر جميلاً، وإذ جاءت الليلة الأخيرة، كانت أدريانا والولدين قد أصبحوا أصدقاء بسرعة. لقد بدا وكأنهما يعرفانها منذ وقت طويل. وكانا قد اتصلا بوالدتهما منذ وقت طويل وأخبراها عمّا جرى لطومي في الحادثة وعن أعمال أدريانا البطولية. فأصرت الوالدة على أن تتحدث إلى أدريانا وأن تشكرها بنفسها. لقد بدت ظريفة على الهاتف وبكت بغزارة بمجرد تذكيرها بما كان سيحدث.

"إنها تبدو امرأة رائعة "قالت أدريانا لبيل فيما بعد." وتبدو وكأنها لا تزال تودك".

"أعتقد أنها لا تزال هكذا. أنا أيضاً أكن لها المودة حتى ولو كنا نثير غضب بعضنا البعض أحياناً عندما لا نتفق الرأي بخصوص الأولاد كما أن زوجها رجل بارد العواطف. إنه يعتقد أن كاليفورنيا غير متحضرة وخالية من الحضارة، له نفس الاعتقاد تقريباً نحوي بسبب المسلسل. ولكنني لا أعتقد أن ليسلي تسمح له بأن يتحدث عن هذا الموضوع كثيراً. على الأقل هذا ما يقوله

الأولاد. ومن الواضح أن الولدين الآخرين مهذبين للغاية. إنهما ابنتان وهما في الرابعة والخامسة من العمر وقد جعلهما يتعلمان العزف على البيانو والكمان. ولكنني أعتقد أنه كان بالإمكان تأجيل ذلك بضع سنوات". قال مبتسماً ابتسامة عريضة." ما رأيك؟".

"أوافقك الرأي" قالت وهي تبتسم. "ولكن لسلي تبدو ظريفة على كل حال".

أعتقد أنها كانت تبحث عن شخص مختلف تماماً عني... أو عما كنت عليه آنذاك... لقد كانت تريد شخصاً تمضي معه وقتاً طويلاً في المنزل، شخصاً يملك زمام نفسه، وليس مندفعاً وربما مليئاً بالحيوية والحماس مثلي. وأعتقد أنها حصلت عليه".

"هذا سيئ". قالت أدريانا دون تفكير ثم ضحكت. "أعني أن أسلوبك في الحياة أفضل".

"شكراً لك". وبهذا انحنى فوقها حيث كانت تجلس وقبلها. ومن زاوية عينه رأى طومي يقهقه ضاحكاً عبر الغرفة. ثم التفت نحو أدريانا من جديد. ففي الأيام الأخيرة الماضية كانت أسئلة كثيرة تدور في رأسه: "ماذا سيحدث عندما نعود أدراجنا يا أدريانا؟ أقصد ماذا سيحدث لنا؟".

"لا أدري" ونظرت إليه ولم تكن متأكدة بعد: "ماذا تريد أن يحدث؟" لقد كانت تظن أنها تعرف، ولكنها كانت في حاجة لأن تأخذ مفاتيح معلومات منه، وبعدها ستكون في حاجة لأن تفكر بما ستفعله بخصوص ستيفن إذا ما تراجع عن موقفه وعاد إليها من جديد. فلم يكن من العدل أن ترتبط بعلاقة مع شخص ما وهي تدرك أنه إذا ما عاد فسوف ترجع إليه. كانت تشعر بأن لديها التزام نحوه ونحو الطفل. ومن جهة أخرى ما كانت لتستطيع أن تجلس بانتظاره لبقية حياتها. فحتى الآن يبدو أنه ما كان ليتحدث إليها وكان يظهر كل العلائم التي تدل على أنه سيهجرها بشكل نهائي، وإذا كانت الحال كذلك فعليها الاستمرار

بالحياة.

"ما الذي أريده أن يحدث؟ فكر بيل بذلك لدقيقة. ثم ابتسم وقال: أريد نهاية سعيدة تسبقها بداية سعيدة. أعتقد أنها بداية حسنة أننا كلانا في إجازة، ألا ترين ذلك؟" فأومأت. واستأنف بقول "وأريد أن أمضي وقتاً معك، ونذهب إلى مختلف الأماكن معاً عندما لا نكون في العمل. وأريد أن أعرفك. أعتقد أنني أعرفك الآن ولكنني أريد أن أعرفك أكثر. أريدك أن تعرفيني. أريد أن نكون... على ما يرام" قال وهو يبحث عن الكلمات المناسبة وينظر إليها. "أريد أن يكون بيننا شيء خاص متميز جداً". وابتسم عندها. "وفي كانون الثاني أريد..." وكاد يغص وهو ينطق الكلمات، "...أن أشاركك الطفل المولود. إنها لأعجوبة يا أدريانا... وأود أن أشاركك بها، إذا ما حالفني الحظ كفاية، وكنت لا تزالين بحاجة إلي".

"لست من يحتاج إلى أن يحالفه الحظ" قالت والدموع تملء عينيها بل أنا. "فلماذا تريد أن تفعل كل هذا من أجلي؟" سألته وهي لا تزال تشعر ببعض الخوف والحيرة. فبعد كل ما كان بينهما هي وستيفن هجرها، وكان هذا قاسياً جداً عليها حتى إنها ما كانت تصدق أن تجد شخصاً يريد أن يقف جانبها.

"أريد أن أفعل كل هذا لأنني أحبك" قال ببساطة. "وأريدك أن تعرفي أن هذه نقطة تحول حقيقية بالنسبة لي. لم أرتبط بعلاقة جدية مع أحد منذ سنين. وعلى الأقل منذ زوال زواجي. لقد كنت قد أقسمت أنني لن أنجب المزيد من الأطفال... ولا أريد أن أحب ابنك... ثم أخسره، إذا ما تركتني. ولكنني مستعد لأن أقوم بتلك الخطوة إذا ما كنت صادقة معي. وإذا كانت نيتك الصادقة هي في أن تصوني نفسك توقعاً لإمكانية أن يعود ستيفن إليك عندما تنجبين الطفل فإنني قررت أنني مستعد لهذه الخطوة من الآن. فهذا الأمر واضح بالنسبة لي. فأقول لك أنني على استعداد لأن أجازف وأكون هناك من أجلك. ولكن لا تنسي أن تخبريني بما يجري، كما نسيت أن تذكري لي موضوع حملك".

"لم أنس" أوضحت تقول وقد ابتسم لها.

'بلى أعرف. انت لم تذكري ذلك فقط. سهواً. وكيف كنت ستشرحين لي ذلك بعد بضعة أشهر، بعد أن تكوني قد أكلتني؟' لقد كان يحب أن يمازحها، فرمته بمنديل وقالت: 'أنا لا آكل بهذا المقدار'.

'لا بل تأكلين، وفي الواقع عليك أن تكوني هكذا، فالجنين يحتاج إلى ذلك.' وهنا اتخذت موقفاً جدياً وسألته: أفلا تخاف من القيام بهذه المجازفة؟ ماذا إذا عاد؟ فأنا أدين لك بحياتي وحياة طفله، وأدين بذلك للطفل'.

'أنا لا أوافقك الرأي. لا أعتقد أنك تدينين له بشيء نظراً للطريقة التي عاملك بها. ولكن إذا كنت تشعرين بذلك فأنا أحترم مشاعرك. ولكنني لا أعتقد أنه سيعود. فمن يذهب إلى حد إنكار حقوق الطفل الأبوية في ولاية تستطيعين الاحتفاظ بهذه الحقوق حتى لو ارتكبت جريمة جماعية، هكذا شخص لا يمكن أن يعود ويكون أباً. ولكنني قد أكون مخطئاً، أقول لك. وعلى جميع الأحوال فأنا مستعد لهذه المخاطرة. لأنني أحبك.'. وفيما قال ذلك نهضت من مكانها وذهبت لتقبله، لقد كانت تشعر بتحسن في اليومين الماضيين، وكان هناك شعور متعاظم في القبلات التي كانا يسترقانها بين الفينة والأخرى، كانت تتساءل عما كان سينتظرها أيضاً عندما يعودون أدراجهم إلى لوس أنجلوس، ولكن طالما أن الأولاد كانوا هناك لم يستطيعا التفكير في ذلك.

أمضوا ليلتهم الأخيرة هناك بهدوء يدردشون على التراس وينظرون إلى النجوم في السماء وقد أمسكا بيد بعضهما البعض، وفجأة ضحك ونظر إليها وهو يشعر بأنه سعيد بشكل يدعو للسخرية. 'هل تدركين كم من الجنون في هذا؟' قال مبتسماً. 'فأنا متيم بامرأة حامل في الشهر الرابع. هل لديك أدنى فكرة كم سيكون الأمر مضحكاً عندما يزداد بطنك كبراً حتى تعجزي عن رؤية قدميك؟ أتحدث عن رومنسية حديثة'. بدأت تضحك أيضاً وجلسا هناك يضحكان ويمزحان بسبب سخف وغرابة وضعهما. 'أقصد أنك من الممكن أن تفعلي ذلك في الأفلام... شاب يلتقي بفتاة في سوبر ماركت، ويغرم بها جداً، ويستمران في اللقاءات. الفتاة متزوجة، ولكن زوجها يتخلى عنها عندما

يكتشف أنها حامل بابنه. يعود الشاب الذي التقيت به في السوبر ماركت للظهور ويقع كل منهما في هوى الآخر بجنون. تخرج الفتاة إلى الشوارع على غير هدى وبطنها منتفخ وترقص مع بطلنا رقصات من النوع الذي كان يؤديه فريد أستير – وغنغر روجرز. يتزوجان وتنجب طفلاً. ويعيشان سعيدين بقية حياتهما. أليست هذه قصة جميلة؟ ربما يجب أن أدخلها إلى المسلسل. ولكنها بسيطة جداً. فحتى أحولها إلى مسلسل تلفزيوني يعرض في النهار يجب أن أجعل ستيفن يقتل وأن يصبح الطفل ابن شخص آخر، وعندئذ سيتبين أنني كنت متزوجاً من أختك أو ربما يتبين أنني والدك. إنها لمسة فنية ظريفة. لا بد أن أقحم هذه القصة في مكان ما'. عندئذ ضحكت. فقد كان على صواب. لقد كان الوضع مثيراً للسخرية. ولكنه ذكّر نفسه بسؤال أكثر جدية فسألها: 'متى سيصبح طلاقكما نافذاً بالمناسبة قبل ولادة الطفل أم بعدها؟'.

'تقريباً في نفس الوقت على ما أعتقد. لست متأكدة من الوقت بالضبط'.

'ربما يكون ظريفاً إذا ما أعطينا هذا الطفل اسماً، مختلفاً عن ثومبسون'، اسمها قبل الزواج، فتأثرت بالطريقة التي تكلم بها. لقد كان يعرض عليها الزواج، على الأقل لكي يعطي شرعية للطفل، فاستندت إليه وقبلته لقاء ما قاله لها.

'يا بيل ليس عليك أن تفعل ذلك'.

أعرف أنني لست مضطراً لذلك. ولكن قد أريد ذلك حينذاك. وربما أنت أيضاً كذلك... هذا إذا ما لعبت أوراقي بشكل صحيح وكنت محظوظاً جداً. غمز لها بعينه، واتكأت إلى الخلف تنظر إلى النجوم من جديد. لقد كانت تتمنى لو كانت لديها كل الأجوبة. ولكنه كان قد ترك لها المجال لتتصرف كما تشاء وما كانت لتطلب أكثر من ذلك. في الواقع لقد كان ذلك أكثر مما كانت تتجرؤ على أن تطلب أو ترجو. لقد كانت تتصور نفسها وحيدة وفي حالة من العزلة اليائسة إلى أن يولد الطفل. ولم يخطر في بالها أبداً أن هذا كله سيحدث قبل أن تنجب الطفل.

غادروا في اليوم التالي إلى البحيرة وأخذوا وقتاً في قيادة السيارة نحو لوس أنجلوس. توقفوا في سان فرانسيسكو من جديد لليلة ثم أخذوا الطريق السريع رقم (5) ووصلوا إلى لوس أنجلوس تماماً في وقت العشاء. أعدت أدريانا سندويتشات جبنة مشوية في منزل بيل في الوقت الذي كان يهيئ الأولاد للنوم. فتناولا طعام العشاء وهما يرتديان البيجامات بينما كانت أدريانا تروي لهم قصصاً سخيفة عن قسم الأخبار، وعن المرّة التي حدث فيها أن حيواناً من الإعلان تجرأ على الفرار وركض مسعوراً في كل أرجاء محطة البث، وعن المرة التي حدث فيها شجار على الطعام في مخزن التموين الذي خرج عن السيطرة واستغرق الأمر بالنتيجة أسبوعين ليكشطوا كل الطعام عن السقف. أحب آدم بشكل خاص تلك القصة وابتسم بيل لها ابتسامة عريضة بينما كانت تقص قصتها عليهم. لقد كانوا جميعاً آسفين قليلاً لأنهم عادوا إلى المنزل. وهي كانت كذلك بشكل خاص لأنه ينبغي عليها أن تعود للعمل في صباح اليوم التالي. أما بيل فكان يخطط لأخذ أسبوعين آخرين إجازة وهكذا يستطيع أن يتنزه ويتسكع مع الولدين، ولكنها لم تكن لتستطيع ذلك.

"هل سنراك كل يوم؟" سألها طومي بعينين قلقتين.

"سأمر عليكم كل ليلة بعد العمل. أعدكم بذلك". وسألها آدم عندئذ: "هل نستطيع أن نزورك في مكان عملك؟".

"بالتأكيد ولكن ليس الأمر طريفاً جداً". وعادة تكون مشغولة جداً، وكان بيل يعرف ذلك. واقترح أن يذهبوا إلى ديزني لاند في عطلة نهاية الأسبوع وهذا يعطي أدريانا فرصة لتعوّه عن نفسها. لقد كانت تشعر بالإكتئاب لأنها لم تكن معهم في كل لحظة، لقد صارت فجأة تشعر بأنها وحيدة، وكانت حزينة فعلاً عندما ساعدتهم في الذهاب إلى فراشهم، وأنهت قراءة قصصهم المفضلة.

"إنني أكره حقاً أن أغادر" قالت بهدوء لبيل بعد أن نظفا المطبخ. لم تكن قد غادرت إلى بيتها حتى ذلك الوقت وكانت حقائبها لا تزال في الرواق.

"إذاً لا تفعلي ذلك. يمكنك أن تنامي في غرفة الضيوف لدينا".

"سيعتقد الأولاد أنني غريبة الطبع قليلاً فلدي شقة يجب أن أذهب إليها وهي ليست بعيدة".

"وإن يكن. يمكنك أن تدّعي أنك أضعتي مفاتيحك" لقد راقت له الفكرة ووافقت عليها وهي تقهقه ضاحكة، وبعد نصف ساعة كانا يجلسان على أريكة وقد ارتدت رداء نومها وبرنس الحمام خاصته.

"هذا طريف". وضحكت فقد أعد لتوه زبدية كبيرة من الفوشار. "إن الأمر أشبه ما يكون بطفلة مكثت في بيت صديقها لليلة".

ابتسم لها ببراءة وقال: "إنهم يسمونه شيئاً آخر عندما يكون هؤلاء الأولاد كبار السن مثلنا" فقد كان في الأربعين تقريباً من عمره.

"أحقاً؟" وسارت نحوه. "ماذا؟".

"أعتقد أنهم يسمونه زواجاً". فلاذت بالصمت عندئذ، وأكملت أكل الفوشار. وعندما جاء ليجلس من جديد ابتسم لها وقال: "من الممكن أن يكون هذا أمراً سعيداً كما تعلمين. وخاصة بين شخصين يعرفان ما يفعلان وهما متحابان جداً. ويمكننا أن نتأهب كلانا لهكذا أمر يوماً ما. بل حتى يمكننا أن ننجب طفلاً. طفلاً لنا. أقصد. ألن يكون هذا أمراً طريفاً؟" لقد أعجبته الفكرة فجأة رغم سنوات التحفظ العديدة التي عاشها. ولكن راقت له فكرة جنينها أيضاً وقد شعر بالإثارة إزاء ذلك منذ أن اكتشف حقيقة الجنين وظل يذكرها بما سيفعله من أجل الطفل.

"ولماذا تعتقد أن الطفلين سيقولان؟".

سوف يكونان مندهشين بالتأكيد" قال مبتسماً وقد ناولها مقداراً من الفوشار." لا يفكر الأولاد بالأشياء مثلنا. ويمكنك أن تنتظري حتى تصبحين حامل في الشهر السابع قبل أن تخبريهما، ومع ذلك ستظل مفاجأة بالنسبة لهما. سوف يفترضون أنك كنت سمنين حتى تخبريهما بشيء مختلف".

"هذا معقول. فهذا ما كنت أفكر فيه أيضاً... إلى أن أجريت الفحص".

'وهل كنت مندهشة؟' لقد كان يشعر بالفضول إزاء ذلك.

'نوعاً ما. ولكن ليس كثيراً. ولكن عندما عرفت الحقيقة صعقت. ولكن ربما لم أكن كذلك. لقد كنت خائفة وحسب مما سيكون عليه رد فعل ستيفن'.

'متى أخبرته؟'.

'عندما عاد من رحلة، ولم يكن مسروراً تماماً'. وكان حديثها مفهوماً ضمناً.

نامت في غرفة ضيوفه في تلك الليلة، وفي الصباح دخل الولدان وانقضوا عليها مسرورين، لقد كانا سعيدين لأنها مكثت ولم يصدمهما الأمر. وقد أراداها أن تبقى معهما كل ليلة ولكنها قالت أن عليها أن تعود إلى شقتها. في الواقع كان عليها أن تعود إلى هناك هذا الصباح كي ترتدي ملابسها وتذهب إلى عملها وذهب آدم وطومي معها. لقد اندهشا لرؤية الشقة فارغة من الأثاث، نظر طومي حوله باستنكار واضح.

'لماذا تعيشين هكذا؟' سألها.' ليس لديك حتى أريكة. بالنسبة له كان هذا الحد الأدنى، وكان آدم منزعجاً من أجلها. لقد فكر أنها كانت فقيرة جداً لا تستطيع أن تشتري أثاثاً للمنزل، ورأى أنه كان على والده أن يعطيها واحدة على الأقل، ولكنها سرعان ما طمأنتهم.

'لقد أخذ زوجي كل الأغراض عندما تركني' قالت مفسرة لهما.

'لقد كانت هذه خسة منه' قال طومي، ولم تكن هي لتخالفه الرأي في ذلك.

'لماذا لم تشتري أثاثاً جديداً؟' سألها آدم.

'لم يتسنى لي الوقت بعد لذلك. فهو لم يغادر منذ زمن طويل'.

'منذ متى؟' سألها طومي من جديد.

'منذ حوالي الشهرين... حسناً لا... بل منذ ثلاثة أشهر على ما أعتقد'.

'أعتقد أنه يجدر بك أن تحصلي على بعض الأثاث' نصحها طومي ثيغين

وقد قطّب حاجبيه.

'سأبذل قصارى جهدي، وربما قبل أن تعودوا ثانية سأجعل هذا المكان يبدو لائقاً'، وصعدت السلم لترتدي ثيابها لتذهب إلى المكتب. وعندما نزلت السلم من جديد صفّر آدم. لقد كانت ترتدي فستاناً بسيطاً من الكتان أسود اللون ولكنه كان جميل التفصيل وكان يكشف عن ساقيها. لقد بدا وكأنهما الشيء الوحيد الذي حافظ على وضعه الطبيعي.

'هل تعلمين، ينبغي عليك أن تتبعي نظام حمية' قال آدم. واستأنف: لقد فعلت أمي ذلك وهي تبدو رشيقة القوام.يمكنك أن تكوني رائعة الجمال إذا خسرت بعض الوزن... أقصد أنك جميلة الآن... لو أنك... كما تعلمين ستكونين أجمل إذا ما بدوت نحيفة عند الخصر'. بدأت تضحك لما قالاه، ثم لاحت الجدية عندما دخل بيل لكي يأخذها.

'حسناً لقد وجدنا حلاً لكل مشاكلنا' أوضحت تقول، 'أنا بحاجة إلى أريكة ويجب أن أتبع نظام حمية. بالكاد كانت تستطيع أن تحافظ على وجهها صارماً ونظرت إلى صديقيها الصغيرين عابسة.' فسأل بيل طومي: 'هل قلت أنت ذلك إلى أدريانا؟'.

'كلا' قالت تدافع عنهما بسرعة، 'لقد وصلنا إلى هذا الاستنتاج معاً، وظهر بالصدفة أنهما يوافقاني الرأي في ذلك'. في الواقع لم تقل لهما فعلياً أنها كانت ستضع الشقة برسم البيع خلال شهرين وأنها سوف تنجب طفلاً.

غادرت إلى عملها عندئذ وبدا النهار طويلاً جداً بدونهما. وكانت تتشوق للعودة إلى المنزل تلك الليلة ولكنها نامت في شقتها لأنها كانت تعتقد أن بيل يحتاج لقضاء بعض الوقت معهما لوحده، خاصة وأنها قد أمضت معهما كل ما أمكنها من وقت. وكانوا قد استمتعوا بنزهتهم إلى دزني لاند، وسرعان ما جاء يومهم الأخير معاً. أخذهم بيل جميعاً إلى مطعم سباغو من جديد كدعوة خاصة ولكنه كان عشاء محزناً كئيباً. لقد كان بيل وأدريانا حزينين جداً لرؤيتهما الولدين يذهبان، وكان الولدان منكسري الفؤاد لمغادرتهما، بكى كلا الولدين

عندما ذهبا إلى السرير تلك الليلة. وذهبت أدريانا مع بيل إلى المطار في اليوم التالي كي لا يبقى وحيداً منعزلاً. وبعد أن انصرف الولدان شعرت وكأن شخصاً ما توفي، ولقد بدا بيل على هذا الشكل أيضاً. لقد بدا وجها الطفلين حزينين بينما كانا يلوحان بيديهما حتى آخر لحظة عندما صعدا إلى الطائرة. وكانا قد وعداه بأن يتصلا به حالما يصلان إلى المنزل وأيضاً بين الفينة والأخرى وهمس طومي في أذن أدريانا يشكرها من جديد على إنقاذها له وهو يغادرها. تبادلوا قبلات الوداع وبكوا كثيراً في لحظة الفراق.

"لم أعتد على ذلك أبداً" قال بيل وقد سارا عائدين إلى السيارة. لقد قاد سيارته العزيزة إلى المطار. "أكاد أموت عندما أودعهما. ولا أزال كذلك" وعندما ركبا السيارة، التفت إليها وأحاطها بذراعيه طالباً الراحة والتعزية. ولكن لم تكن تستطيع أن تقول شيئاً لتزيل الغمّ عنه، فما من شيء كان بإمكانها فعله لتعيدهما له قبل عطلة الشكر. "هذا هو السبب في أنني لم أكن أريد أطفالاً أبداً. لم أرد أن أحضرهم على الإطلاق ومع ذلك... كان ما يزال مستعداً أن يشارك أدريانا في الاهتمام بجنينها... وأن يعيده إلى ستيفن إذا ما رجع إليها. لقد كان بيل شيفين مذهلاً رائعاً حقاً.

الفصل 21

كان الصمت في شقة بيل يصم الآذان عندما عادا إليها بعد ذهاب الولدين. وبدا بيل وكأنه فقد أعز أصدقائه، حاولت أدريانا التخفيف عنه وصرف انتباهه عن الموضوع قدر الإمكان، كما أنها بادرت بإعداد العشاء له.

"لماذا لا تشاهد التلفزيون بينما أعد لك شيئاً ما" اقترحت عليه ذلك ونظر إليها دون أن يبدي اعتراضاً مفكراً بالأولاد في الوقت الذي كانت تقرقع فيه بالمطبخ. لقد كان يصغي إليها بإحدى أذنيه ثم فجأة أدرك أنها كانت تسقط كل شيء فأولاً أوقعت زبديات الخلط المعدنية، ثم كانت قعقعة المقلاة، ثم صوت الخزائن تصفق، ابتسم في قرارة نفسه. لقد كانت أدريانا قادرة على التصرف بشكل جيد في كل مكان إلاّ في المطبخ.

"هل تريدين مساعدة هناك؟" سألها وسط الضجيج والجلبة وجاءه صوتها متحيراً قليلاً.

"لا. أنا بخير. أين تحتفظ بالفانيليا؟".

"ماذا تعدين؟".

"لازانيا" أجابت قائلة وأسقطت ثلاث زبديات أخرى وصفقت باب الفرن من جديد، ثم ظهر أمامها عند مدخل المطبخ وهو يبتسم ابتسامة عريضة.

"يؤسفني أن أقول لك يا أدريانا. ولكن لا تستعمل الفانيليا في تحضير اللازانيا. على الأقل أنا لا أحضرها بهذه الطريقة. لا بد أنك تصنعين شيئاً مختلفاً" وبدا مبتسماً لمّا هي فبدت مرتبكة كلياً. لقد كانت تستعمل كل زبدية وكل وعاء وكل مقلاة للشوي وكل وعاء للقلي وضع على منضدة المطبخ. ولكنه امتنع عن التعليق.

"صه" قالت له وهي تنظر إلى تقاسيم وجهه وتدفع جانباً شعرها عن عينيها بساعدها. "أعرف أنه لا يوجد فانيليا في اللازانيا، أنا أعد كيك بالشوكولا من أجل التحلية" أوضحت تقول، "وسلطة سيزار".

"هذا جميل. هل تريدين بعض المساعدة؟".

"لا في الواقع أنا أحب أن أطبخ". وابتسمت له بوداعة فقال: "ما رأيك بتناول السندويش؟" وضحك وسار داخلاً إلى المطبخ وأحاطها بذراعيه. لم تتح لهما فرصة أن يكونا معاً بمفردهما عملياً منذ أن وصل الولدان، وقال لها إنه يحبها. لقد كان الولدان معه مدة شهر، وحدثت أشياء كثيرة إبان ذلك الوقت أثناء وجودهما.

"هل تحبين أن نخرج؟" سألها وهو يستمتع برائحة شعرها الداكن اللامع وهو يحتضنها. "يمكننا أن نذهب إلى سباغو" لقد كان بيل أحد القلائل الذين كان في وسعهم أن يذهبوا إلى ذلك المطعم في أي وقت يشاؤون. فقد كان واحداً من صفوة هوليوود، وكان معظم الناس يموتون رغبة في الدخول إلى سباغو" أو يمكنني أن أطبخ من أجلك. "ما رأيك في ذلك؟" لقد راقت له فكرة المكوث في المنزل معها وكان يتوق لقضاء أمسية هادئة معها لقد كانت ليلة يوم سبت، وكل المطاعم ستكون مزدحمة ولا ريب. "لا" قالت بعناد وهي تنظر إلى الفوضى التي أحدثتها. "قلت إنني سأطبخ لك العشاء وسأفعل ذلك".

"وماذا لو ساعدتك في ذلك؟ فسأكون مساعد طباخ".

"حسناً وابتسمت له بعبث. "قل لي إذاً كيف تعد اللازانيا؟" فقهقه ضاحكاً عندئذ، وبدأ يعد لوازم الطبق. وأعدا السلطة سوية، وقام بشي بعض شرائح اللحم، كانا يدردشان أثناء العمل، والحديث كان يدور عن الولدين، والمسلسل، والموسم الجديد. لقد كان أقل تأثراً بالمواسم منه بمسلسلات المساء لأن مسلسله لم يكن يدخل في قائمة البرامج التي يعاد عرضها في الصيف بل كان مباشراً طوال السنة بشكل متواصل. ولكن كان عليه أن يجعله مفعماً بالحيوية لكي يبقيه شيقاً وكان في ذلك الوقت يعمل على تركيب حبكات ثانوية جديدة،

وأمضيا وقتاً يتحدثان عن المسلسل لقد كان يحب أفكارها وأعطته بعض الملاحظات التي كانت قد أعدتها وأعجبته هذه الملاحظات. ناقشا الملاحظات ثانية عندما جلسا إلى العشاء.

"أوافقك الرأي يا أدريانا". لقد أبدت اقتراحاً جيداً لتوّها. "ولكن أولاً علينا أن تجعل ابن هيلن يولد" أوضح يقول لها، مخالفاً بذلك وجهة نظرها. "ولكن بعد ذلك خطرت في ذهنه فكرة عملية خطف. فيختفي المولود الجديد.... يتبين أن الخاطف هو شخص يكره جون وليس له علاقة بها، أو...." أغمض عينيه نصف إطباقة وهو يفكر ويخطط للموضوع في ذهنه، "أوه... إنه في الواقع والد الطفل الحقيقي الذي يأخذه.... وتكون هناك مطاردة كبيرة عنيفة عبر عدة ولايات تتخللها مشاكل عديدة... وعندما نجد الخاطف والطفل نعرف عندئذ هوية والد الطفل". بدا مسروراً للفكرة ونظرت إليه بافتتان. لقد كانت تتساءل كيف يستطيع أن يوجد كل أولئك الناس في ذهنه، وكانت الآن قد بدأت تفهم ذلك.

"بالمناسبة من هو والد الطفل؟".

"لم أكتشف بعد".

ضحكت أدريانا لجوابه وقالت "إنها حامل لتوّها ولا تعرف من هو والد الطفل؟ إنه لأمر مريع".

"ماذا أستطيع أن أقول لك؟ إنها رومنسية معاصرة".

"للغاية".

"في الواقع لقد أعجبني الاقتراح الذي قدمته البارحة لأنني إذا جعلت شخصية الأب جديرة بالتصديق وظريفة سيحبه الجمهور وبذلك نستطيع أن نطيل المسلسل".

"وماذا عن هاري؟" سألت أدريانا.

"هاري؟" بدا بيل مندهلاً فقد كان هو الشخص الذي لم يفكر فيه أبداً قبلاً.

لقد كان واضحاً، ومع ذلك غير واضح على الإطلاق. لقد كان أرمل صديقة هيلن المقربة، ولكن هذا الاقتراح كان مثالياً. فبوجود جون في السجن بقية حياته عقاباً له على جريمتين ارتكبهما، بدا معقولاً ومنطقياً أن ترتبط هيلن بشخص يمكن أن تتزوج به في نهاية الأمر. "إنها فكرة رائعة". ثم إن الممثل الذي كان يلعب دوره سوف يكون مسروراً للغاية. فقد كان دوره يتضاءل منذ أشهر وذلك منذ وفاة شريكته، وكان في الواقع ممثلاً بارعاً جداً. "أنت عبقرية يا أدريانا".

"نعم". وابتسمت بعذوبة، و"طباخة خرافية أيضاً، ألا تعتقد ذلك؟".

"من دون شك". وانحنى فوقها وقبّلها بابتسامة عريضة. لقد كان من الممتع والطريف أن يكون معها. فقد كان يرتاح إليها ويسره أنها ما كانت تستاء من المسلسل بل إنها كانت تعطي الانطباع بأنها تحبه. "هل تظنين أنه من الممكن أنك تعملين على مسلسل مثل هذا؟" لقد كان يفكر في الأمر في الآونة الأخيرة عندما بدأت تبدي هكذا اقتراحات مفيدة رائعة.

"لم أفكر في الأمر مطلقاً. فأنا مشغولة جداً في قضايا الاغتصاب، وجرائم القتل، والكوارث الطبيعية في الحياة ولكن المسلسل يكون أكثر إمتاعاً وتسلية، لماذا تسأل؟ هل تنوي تطويع أناساً جدداً؟".

"ربما إذا اقتضت الحاجة. هل يهمك الأمر؟".

"أنت جاد؟" ونظرت إليه بذهول وقد أومأ برأسه وقال: "أتمنى ذلك".

"وأنا أيضاً". لقد كانت تروق له فكرة أن يعمل بالقرب منها. ولكن كان لدى كليهما أشياء أخرى كثيرة ليفكرا بها أولاً، وكانت هي، قبل كل شيء، تعلم ذلك. لقد كانت تعمل على موضوع الطلاق مع المحامي الذي كان قد وكله من أجلها. وفي كانون الثاني سوف تنجب الطفل. لقد قررت لتوها أن تأخذ إجازة أمومة، ولكنها لم تخبر قسم الأخبار بعد. وربما تعود إلى العمل لصالح بيل بعد إنجابها الطفل بدلاً من أن تعود للعمل في قسم الأخبار. لقد كانت هذه فكرة مثيرة بكل تأكيد. وإذ فكرت بها وهي ترتشف الكابوتشينو الذي كان بيل

قد أعده، أدركت أنها في الواقع كانت تحب ذلك. كان من المخيف قليلاً أن يدمجا مهنتهما بعلاقتهما، ولكن ربما نجح الأمر. لقد كان الأمر جديراً بالتفكير على كل حال. "هل من شيء تستطيع أن تفعله؟" سألته بإعجاب وقد جلست على الكرسي الذي لا ظهر له تنظر إليه وتفكر كم سيكون ممتعاً أن يعملا معاً.

"نعم" قال لها بابتسامة لطيفة وقد انحنى ليقبّلها بلطف على شفتيها، إنجاب الأطفال، "وبما أننا نتحدث عن الأولاد فأخبريني كيف تشعرين الآن؟" لقد كانت تشعر بالحرج كلما سألها عن صحتها. لم تكن مستعدة كلياً بعد للحديث معه عن موضوع حملها، ومع ذلك فقد كان لبقاً جداً منذ أن علم بالأمر. ولكن الحديث عن هذا الأمر ما يزال غريباً عليها. لقد كان هذا أكثر أسرارها عمقاً أو حلكة.

"أنا بخير" أكدت له من جديد. لقد كان أمراً لافتاً للانتباه أنه لم يكن لديها تأثيرات مرضية طويلة الأمد من جراء المغامرة الحافلة بالمخاطر والإصابات التي مرت بها في ليك تاهو. لقد رأت الطبيب حالما عادت من الرحلة، وزالت آثار القطب في ذراعها واختفت الخدوش والرضوض، وشفيت من الارتجاج وكان الجنين في أمان. لقد كانت متذهلة حقاً. وكاد الطبيب لا يصدق ذلك. لقد أخبرها أنها كانت تحمل طفلاً من الواضح أنه متشبث بالحياة بشكل مذهل، وقد سرّ بيل لسماع ذلك. لقد كان يتصرف وكأن الجنين ابنه، وكلما ذكر الموضوع كانت تتأثر به.

"هل يخيفك الأمر يا أدريانا؟ أقصد موضوع الحمل. لقد كنت أفكر على الدوام بأن هذا الأمر مخيف جداً. فالرجل يمارس الحب مع امرأة، وهذه البذرة الصغيرة تنمو فتصير شخصاً ضئيلاً وكأن المرأة قد ابتلعته أو شيء من هذا القبيل. وينمو الجنين في داخل المرأة إلى أن تبدو وكأنها ستفرقع، ثم تأتي اللحظة الحاسمة. ويتوجب على المرأة أن تخرجه من داخلها فلا بد أن الأمر مخيف نوعاً ما. أقصد من الناحية النفسية. فمن الناحية الجسدية يحدث الأمر بشكل أو بآخر. وما يثير انتباهي دائماً كرجل إذا فكرت أن أكون مكانها هو

أنني لن أفعل ذلك مرة أخرى. بينما أجد المرأة بعد ساعتين من إنجابها لطفل تقول لك أن الأمر لم يكن سيئاً لتلك الدرجة وأنها مستعدة لتفعل ذلك خلال دقيقة. إنه أمر ملفت للانتباه حقاً. ألا تعتقدين ذلك؟

"نعم. يبدو الأمر غريباً عليّ قليلاً. خاصة في مثل حالتي حيث ليس لدي من أشاركه به، ولذلك فإنه معظم الأحيان يبدو كما لو لم يكن موجوداً. الآن فقط بدأت أدرك أنني لا أستطيع أن أتجاهله كثيراً بعد الآن سأضطر لمواجهة الأمر". ناولها فنجان كابوتشينو آخر، حركته ثم ارتشفت رغوة الحليب المتبخر ممزوجاً بالشوكولا المطحونة. لقد كان من دون ريب ماهراً في الطهو أكثر منها بكثير.

"هل تستطيعين أن تشعري بحركته؟" فهزت رأسها. "إنه أمر رائع عندما يحدث. الحياة..." جلس ينظر إليها بحب. وتابع كلامه قائلاً "إن الحياة عجيبة للغاية، أليس كذلك؟ إنني أنظر للولدين ولا أزال أفكر بأية أعجوبة قد أتيا حتى ولو أصبحا الآن كباراً بشعر أشعث. وبنطلونات مشقوقة عند الركب وأحذية متسخة. بالنسبة لي أراهما جميلين". لقد كان هذا أحد الأسباب التي جعلتها تحبه. لقد كان واقعياً، وطيباً جداً، ولطيفاً جداً، وجدياً جداً بخصوص الأشياء التي كانت حقاً مهمة مثل الصداقة، والحب، والعائلة، والصدق. لقد كانت تحب قيمه وما كان يمثله خلافاً لستيفن الذي تركها تواجه الصعاب المتأتية عن جنينها، لم يكن يريد أن يعطي أي شيء لأي كان، كان بذلك على طرف نقيض من كل ما كان يجسده بيل. لقد كانت لا تزال عاجزة عن أن تصدق كم كانت محظوظة حين التقت به. كان يضع الأكواب في حوض المجلى عندما استدار نحوها بابتسامة خجل والتقت عيناهما وشعرت بانجذاب إليه لقد كان فيه جاذبية تشدها إليه دائماً.

"ماذا؟" لقد أدركت أنه كان على وشك أن يسألها شيئاً ما، وضحك من حدة إدراكها.

"كنت سأسألك سؤالاً ولكنني متردد".

"بخصوص ماذا؟ إذا كان لديك اتصال جنسي مع أحد؟ "اعلم إذاً أنه ليس هناك شيء من هذا القبيل".

"الحمد لله" قال ذلك وقد أطلق تنهيدة تعبر عن ارتياحه.

"إنني أكره النساء اللواتي يعاشرن الكثير من الرجال".

"وأنا أيضاً كذلك".

فابتسم وقال: "في هذه الحالة... هل تريدين أن تمضي الليلة هنا؟ يمكنك أن تنامي في غرفة الضيوف إذا أحببت".

لقد كان الأمر سخيفاً فقد كان لها بيتها الخاص على مقربة فهو على الطرف الآخر من المجمع السكني، ولكنها كانت تشعر بالرغبة في المكوث معه على أي حال. لقد كان منزلها كئيباً موحشاً حيث يوجد مصباح واحد يضيء غرفتها. لم يكن هناك داعٍ، قالت في نفسها، لأن تأتي بالأثاث طالما أنها ستبيع الكوندو. وكما أن غرفة ضيوف بيل كانت ملاذاً دافئاً حميمياً تماماً مثله، مكان تستطيع أن تختبئ فيه من ضغوطات العالم، وتستمتع بدفء حضور بيل. "يبدو الأمر منافياً للعقل قليلاً أليس كذلك؟" سألته بوداعة. "إذ يجب على الأرجح أن أذهب إلى البيت".

"لقد فكرت للتو...". بدا حزيناً لوهلة وتابع كلامه. "لا بد سيكون الأمر موحشاً بدون "الأولاد هذه الليلة". لقد كانت تعلم ذلك وكانت تريد أن تكون هناك من أجله. "يمكننا أن نعد الفوشار وأن نتفرج على الأفلام القديمة".

اتفقنا ليس لدي مانع. وابتسمت له بخجل. لقد كانت تحب أن تكون معه، ولكنه ادعى أو تظاهر بالجدية وهو يسألها سؤالاً آخر.

"من وجهة نظر تسويقية، هل لديك مانع في أن تخبريني ما الذي جعلك تغيرين رأيك؟ هل كان الفوشار أم الأفلام القديمة؟ لربما يجب أن أعرف كي أستفيد من ذلك في فرصة أخرى عندما أريد أن أقنعك أن تأتي للمنزل يوماً ما".

ضحكت بهدوء وقالت: "إنه الفوشار وفطور مجاني في صباح الغد".

"من ذكر الفطور؟" قال لها ممازحاً بنظرة مشدوهة.

"كن ظريفاً وإلاّ فإنني سأعدّ لك اللازانيا بالفانيليا".

"هذا ما كنت أخشاه. (عذراء الفانيليا)، ها لدينا الآن عنوان كبير لمسلسل جديد... أو ربما حلقة واحدة.... ما رأيك؟" التفت ووقف على مقربة منها وهما يسيران نحو غرفة الجلوس وكان صوتها رقيقاً وهي تجيب قائلة: "أعتقد أنك رائع".

أحاطها بذراعيه من جديد وقبلها بلطف على عنقها: "يسعدني أن أسمع ذلك... أعتقد أنني أحبك....". ولكنها كانت تعلم أنها تحبه. لقد كانت تعرف ذلك منذ أسابيع، من اللحظة التي استيقظت فيها في المستشفى في تراكي، وأخبرها أنه يحبها هي والجنين. وقد كان من الغريب أن تتحدث معه عن ذلك الآن. لقد بدا وكأنه يعرف عن الحمل والأولاد أكثر منها بكثير. وكان هذا يريحها، إذ كانت تستطيع أن تعول عليه وراقت لها فكرة وجوده قربها. "ما رأيك لو نشاهد التلفزيون في غرفتي الليلة؟" لقد كان لديه جهاز تلفزيون كبير الحجم في غرفته ولقد اعتاد مع ولديه أن يتكوموا على سريره ليلاً ويتفرجون عليه. وكانت قد انضمت إليهم عدة مرات في الليالي التي كانت تمكث فيها في غرفة الضيوف. ولكن الأمر مختلف الآن وقد ذهبا، وبدا غريباً قليلاً في البداية أن تجلس معه على سريره وأن تكون هناك لوحدها معه، ولكنها أقرت بأن الفكرة تعجبها.

اتكأت إلى الوسائد على السرير، وشغل جهاز التلفزيون مستخدماً جهاز التحكم عن بعد ثم غادر الغرفة لكي يعد الفوشار ولم تتبعه. بل جلست هناك تفكر فيه، وبما كان يعني لها، وكم كانت منجذبة إليه. لقد كان من المستغرب أن تشعر برغبة جنسية نحو رجل لم يكن زوجها وهي حامل في الشهر الخامس تقريباً. ولكنها كانت كذلك. لقد كانت منجذبة إليه ولم تكن تدري بشكل أكيد كيف تظهر له ذلك.

"فوشار" أعلن قائلاً وهو يدخل الغرفة بعد دقائق حاملاً زبدية معدنية كبيرة أتى بها من المطبخ. كان الفوشار لا يزال ساخناً ومدهوناً بالزبدة ومملحاً بشكل جيد.

قالت له مبتسمة "هذا رائع" والتصقت به في حين استعمل جهاز التحكم عن بعد للانتقال إلى محطة تعرض أفلاماً قديمة فقط كان هناك فيلم قديم للممثل كاري غرانت وأصرت أدريانا عليه أن يبقي على الفيلم. "أنا أحب هذا"، وابتسمت بسرور وهي تقضم الفوشار، فاقترب منها وقبّلها بلطف.

"وأنا أيضاً". قال لها وهو يعني ذلك حقاً. لقد كانت صديقته المقربة وأكثر من ذلك أيضاً. وجد أنه لا يستطيع التوقف عن تقبيلها إذ نظر إليها وهي تقضم الفوشار وتتظاهر بأنها تشاهد الفيلم. كانت تستلقي مستندة بالوسائد في سريره، ولم تعد تستطيع أن ترى التلفزيون بشكل واضح، ووجدت أنها ما كانت لتهتم، إذ بادلته القبلات ونشأ في داخلها شعور لم يسبق أن عرفته من قبل وهو يهمس في أذنها قائلاً: "أأنت في حالة إخصاب؟" ثم شرعت تضحك وتقبله من جديد.

"لا تخشى شيئاً" همست له بالمقابل. كان هناك مزاح، وحب، وضحك بينهما، ولكنهما أصبحا جديين من جديد وقد تصاعد شعورهما والرغبة القوية بينهما ونسيا المشاعر الرومانسية في فيلم كاري غرانت الذي كانا يشاهدانه. ألقى زبدية الفوشار جانباً والتفت نحوها من جديد. لقد كانت جميلة جداً، ومثيرة جداً، ولطيفة جداً. كانت لا تزال ترتدي الفستان القرنفلي اللون المتهدل الذي كانت قد ارتدته لتأخذ الأولاد إلى المطار، ففك الأزرار بتمهل، تلامست شفاههما وتباعدت ثم تعانقت من جديد، وبدا وكأنه سيلتهمها بقبلاته، وأخيراً استلقيا كلٌ في ذراع الآخر ونسيا أنفسهما وكل الحرص وقد تلاصقا وتطارحا الغرام وجسدها يهيم تحت يديه، وصار الاثنان جسداً واحداً وبديا مستلقيين معاً لساعات يقدم كل منهما للآخر النشوة والمتعة.

لم يدرك أي منهما الوقت عندما استلقيا جنباً إلى جنب وهما لا يزالان

غارقين بالقبلات والهمسات في الظلام.

"إنك جميلة جداً" قال لها ثم لمس وجهها بيديه من جديد وترك أصابعه تأخذ طريقها في تؤدة إلى الأسفل. لقد كانت تتمتع بجسد بديع وحتى الآن كان يستطيع أن يرى كم كانت هزيلة رشيقة القوام قبل أن تحمل. "أنت على ما يرام؟" شعر فجأة بالخوف لئلا يكون قد آذى الجنين. فلوهلة نسي كل شيء عنه، ولكنها ابتسمت وقبلت عنقه وشفتيه وداعبت صدره القوي بيديها. لقد جعلها تشعر بالسعادة والأمان والحماية.

"إنك رائع".. أشرقت عيناها بالحب نحوه وإذ نظر إليها مفتوناً بها استشعرت بداء الانحناء على بطنها؛ وعندها قطبت حاجبيها فجأة ونظرت إليه باستغراب وسألته: "هل فعلت ذلك؟".

"ماذا؟".

"لا أعلم.... شيء ما... لست متأكدة مما كان ذلك...". لقد شعرت برعشة وفكرت لأول وهلة بأنها بداء، ولكنهما لم يتحركا ثم أدركا فجأة في نفس اللحظة ما حصل. لقد شعرت بالجنين يتحرك في بطنها لأول مرة. لقد بدا وكأن الطفل قد عاد إلى الحياة من جديد بتأثير الحب المتبادل بينهما. لقد كان الجنين ابنه الآن، وابنهما أيضاً لأنه كان يريده، ولأنه كان يحبها.

"دعيني أشعر به". ووضع يديه على بطنها من جديد ولكنه لم يستطع أن يشعر بشيء ومن ثم ولوهلة ظن أنه فعل، ولكن كانت الحركة لا تزال ضئيلة جداً وخفيفة لأن الجنين كان صغير الحجم ولذلك كان من الصعب أن يشعر بحركته. وبدلاً من ذلك شدها إليه وهو يشعر بانتفاخ في بطنها. لقد كان يحب كل ما فيها. وكان من الغريب أن يتعرف عليها على هذا النحو حيث كانت في حالة تحول. لقد كان هذا هو الشكل الوحيد الذي عرفها عليه، وشعر بارتباط بالجنين نوعاً ما، وكأنه ابنه هو أيضاً. لقد شعر بقوة أن ذلك الجنين كان جزءاً منه وأراد أن يشاركها به.

غطاها بعناية بالملاءة والدثار واستلقيا هناك متضامين التماساً للدفء يتهامسان، ويتحادثان، ويحلمان، ويتحدثان عن الجنين.

"إنه ظريف جداً" اعترف قائلاً وهو يسمع بإبهام صوت الممثل كاري غرانت من مكان ما عن بعد لقد نسيا كل شيء عن الفوشار والفيلم. "أشعر وكأن الطفل جزء مني الآن. لست أدري.... إن هذا يستدعي إلى نفسي كل المشاعر، والذكريات، وكل الإثارة التي شعرت بها عندما ولد آدم وطومي.... أجد نفسي أفكر بأن أشتري مهداً للصغير وأن أساعدك في ترتيب وتوضيب الغرفة، وأن أكون هناك عندما يولد، ومن ثم أجد لزاماً عليّ أن أذكر نفسي بأن أتريث.... فذلك الجنين ليس ابني....". قال آسفاً. ولكنه أراد له أن يكون كذلك. ورغم أنه قد طارحها الغرام لتوه لأول مرة فقد كان يريد ذلك بتوق شديد.

"لقد كنت ضائعة جداً قبل أن أتعرف عليك. لقد كنت في حالة من العزلة والوحدة الشديدة". نظرت إليه بجدية وهي قلقة من شعوره. "أليس لديك مانع حقاً تجاه الطفل؟ فأنا أشعر أنني بدينة وقبيحة أحياناً".

"ضحك في خفوت في السرير الذي جعلاه لهما" هذا يا حبيبتي سيكون في البداية سيئاً جداً ثم يصبح أفضل. "سوف تنتفخين مثل البالون، وسوف أحب ذلك. سوف تكونين ضخمة وجميلة وسنمضي وقتاً رائعاً مع الطفل.

"هذا سخيف". قالت وقد أجفلت من فكرة أن تصبح كبيرة الحجم. لقد كان هذا الأمر بعيداً عن تفكيرها حقاً وكان يخيفها. لقد بدأت تشعر بفخذيها وقد تضاعف حجمهما عمّا كانا عليه قبل شهرين وأن صدرها بدا كبيراً مقارنة بما كانت عليه في العادة. فقد كان عادة صغيرة الحجم وهزيلة وفجأة أصبحت ممتلئة الجسم. كل هذه التغييرات بدت غريبة وغير مألوفة لها. ولكن بنفس الوقت كانت تشعر بالإثارة بالنسبة للجنين. وكانت تكاد لا تصدق بأن بيل أيضاً كان هكذا. إن إيجادها له كان أعجوبة أبعد من أن تصدق.

"يبدو أنها نوع من العدالة الخيالية بشكل ما" قال لها وهو يبتسم وقد

استلقى في السرير ونظر إليها. "أقصد إقامتي لعلاقة مع امرأة حامل في الشهر الرابع والنصف. لقد سبق لي أن كنت على علاقة مع عارضات أزياء وممثلات نحيلات، رشيقات الجسم، أكثر مما يفعل أي شخص طوال حياته، وفجأة أجدني هنا مع امرأة أحبها في غاية الجمال والنشاط وتكاد في أي لحظة تعجز عن رؤية حذائها".

"إنك تخيفني. هل هناك طريقة أتحاشى بها أن أتحول إلى منطاد؟" سألته بعينين قلقتين، فانحنى نحوها وقبلها من جديد.

"بالتأكيد لا. إنها نعمة كبيرة فاستمتعي بها".

"ولكن هل ستبقى تحبني عندما أصبح ضخمة الجثة؟". لقد كانت هذه شكوى مألوفة يعبر عنها كل رجل تحمل زوجته.

"بالطبع. أفلن تحبينني إذا ما كنت أنا من أحمل الجنين في داخلي؟".

ضحكت للفكرة وجعل الأمر يبدو طبيعياً حتى إن خوفها تلاشى فجأة. لقد كان يفعل ذلك تجاه كل الأشياء. فمع بيل كل شيء يصبح طبيعياً، عادياً، سهلاً، وبسيطاً. "نعم كنت سأحبك" قالت وهي تبتسم له وتشعر بالدفء في سريره.

"إذاً فهذا يجيب عن السؤال أليس كذلك؟ إنك حامل جميلة. ربما عليك أن تقلقي فيما إذا كنت ستجذبينني أم لا عندما تكوني هزيلة الجسم. نعلم الآن أنك تفعلين ذلك بينما أنت تبدين على هذا النحو". ابتسم لها بمكر فضحكت. لقد كانت تشعر بالارتياح معه وتشعر بالحب تجاهه كما لم تفعل في حياتها وأجمل ما في الأمر أنها أحبته أكثر مما أحبت أي إنسان في حياتها.... حتى ستيفن. فلم يكن ستيفن بهذه الطيبة معها، وبهذا اللطف، وتلك الحكمة، أو هذا الإحساس بحاجاتها، ومخاوفها وطباعها. لم تشك ولو للحظة أنها امرأة محظوظة وأن بيل ثيغبن كان شخصاً نادراً. "إنك تثيرين في نفسي رغبة شديدة يا أدريانا" قال ممازحاً وهو يزمجر نحوها وكأنه يدعي أنه سيمازحها من جديد ولكن بلطف.

"لا بأس في ذلك. أين الفوشار الذي لي؟" قالت ضاحكة.

"ليس لديك قلب" قال وقد انحنى فوقها وناولها زبدية الفوشار. "بل معدة فقط وقبّلها بصوت عالٍ على بطنها. وذهب ليأتيها بزجاجة المياه الغازية. وهو يعرف قبل أن تطلب ذلك أنها ولا بد عطشة. "إنك تقرأ أفكاري هل تعلم ذلك؟".

"إنها تأتي مع الطرد". لقد كان يتحرق شوقاً ليطارحها الغرام من جديد، ولكنه كان يخشى أن يفرطا في ذلك ويتأذى الجنين. لقد كان مستعداً ليكون صبوراً ويحبها ويكون بحذر خلال الأشهر الأربعة والنصف القادمة. لقد بدا هذا سعراً بخساً يدفعه لقاء أعجوبة الطفل ونعمة مشاركتها فيه. لقد أعد لنفسه بعض الفوشار ورفع صوت التلفزيون، ونظر إليها. لقد شعر وكأن كل منهما يخص الآخر الآن، وكأنهما كانا واحداً، وأنهما كانا متزوجين دائماً. لقد كان من المستحيل أن يصدق المرء أنها كانت متزوجة من شخص آخر وأنها تحمل جنيناً من رجلٍ آخر. رجل لم يكن يريد أياً من أدريانا أو الجنين.

رنّ جرس الهاتف بينما كانت أدريانا على وشك أن تغفو، وقد أوت إلى جانبه بينما كان يشاهد التلفزيون وينظر إليها بين الفينة والأخرى بابتسامة دافئة، وقد وضع يده على كتفيها. لقد كان المتصل طومي وآدم اللذان وصلا بسلام إلى نيويورك ويتصلان ليطمئناه.

"كيف كانت الرحلة؟".

"عظيمة" قال طومي. لقد أعطته المضيفة ثلاث سندويشات من النقانق. فقد كان بيل قد طلب وجبات خاصة لهما في لوس أنجلوس. لقد كان يفعل ذلك دائماً. وقد كانت هذه إحدى الأشياء الكثيرة التي كان يفكر فيها. كيف حال أدريانا؟ هل هي هناك؟" سأل وهو يأمل أن تكون هناك فنظر بيل إليها وأومأ.

نعم إننا نشاهد التلفزيون ونأكل الفوشار. إننا نفتقدكما حقاً يا شباب. لقد كان الجو حزيناً هنا بعد أن غادرتما. لقد كان دائماً صادقاً معهما حول ما

يشعر به "تكاد لا نطيق صبراً حتى تراكما في عطلة الشكر" لقد بدأ يستعمل كلمة نحن ليصف نفسه وأدريانا. لم يكن هناك شك في أنهما سيكونان معاً في تلك الأثناء. وعندئذ سوف يتوجب عليهما أن يشرحا موضوع الجنين للأولاد سوف يترك لأدريانا أن تحدد ما تريد أن تقول لهما. وإذ فكر بالأمر وضع يده على بطنها من جديد ليرى إن كان يستطيع أن يستشعر الجنين. لقد كان يشعر بالإطمئنان عليه الآن وهي قربه أكثر وقد شعر بجسدها ملاصقاً له. لم يكن يشعر بأنه في علاقة قوية حميمية مع امرأة مثلها من قبل أبداً. عندئذ أخذ آدم السماعة وأخبره عن الفيلم الذي شاهداه في الطائرة. لقد كان يتعلق بالحرب في فيتنام وقد بدا مزعجاً له، ولكن آدم أحب الفيلم على ما يبدو. فطلب أن يتحدث إلى أدريانا عندئذ ومسّها بيل برفق ليسترعي انتباهها وقد وضع يده على السماعة.

"إنه آدم يا حبيبتي. يريد أن يتحدث إليك".

"حسناً". ومدّت يدها إلى الهاتف بابتسامة ناعسة ولكن عندما تحدثت إليه بذلت جهدها لتبدو طبيعية. "مرحباً آدم. كيف كانت الرحلة؟ ألم تجد فيها فتيات جميلات؟".

فهقه ضاحكاً من سؤالها. لقد كانت أول من أدرك أنه بدأ يهتم بالفتيات، ويمضي وقتاً طويلاً في الحمام يمشط شعره بمختلف الوسائل مجمّلاً إياه بمختلف الوسائل والمنتجات. "ليس تماماً. واحدة فقط كانت تجلس في المقعد خلفنا".

"هل حصلت على رقم هاتفها؟" سألته أدريانا ممازحة، لكنه كان جدياً عندما أجاب.

"بلى. إنها تعيش في كوناكتيكوت. فوالدها طيار".

"يا للأسف فإنك لم تستمتع برفقتها كثيراً...." وضحكا. وبعد دقيقة كانت تتحدث إلى طومي وتخبره كم هي ووالده مشتاقين لهما: "نحن نجلس هنا وحيدين الليلة وحتى الفوشار تغيّر مذاقه بدونكما". "شكراً جزيلاً... ادّعى بيل

أنه مستاء وأصغى إلى الحوار الحار بين الثلاثة بسرور. لقد كانت رائعة مع أولاده ولم ينسَ أبداً أنها أنقذت حياة طومي، وكادت من جرّاء ذلك تخسر حياتها وحياة جنينها. لم يشعر يوماً بالخوف كما حدث عندما رأى ذلك الجسد الضئيل الحجم الفاقد الحياة ثم عندما رأى جسدها... لقد كان يرتعد خوفاً كلما فكر بذلك.

ناولته سماعة الهاتف عندئذ ثرثر مع ولديه بضع دقائق ثم تركهما يذهبان ليمضيا بعض الوقت مع والدتهما. فلم تكن قد رأتهم منذ شهر وكان بيل يعرف أنها قد اشتاقت لهما.

"يبدوان قريبين جداً ولكنهما بعيدين". قالت أدريانا بحزن. فثلاثة أشهر بدت مدة طويلة يصعب عليهما الانتظار خلالها إلى أن يروهما من جديد، وتساءلت كيف أمكنه أن يتحمل ذلك، خصوصاً وأنه ليس لديه عائلة في كاليفورنيا. لم يكن الأمر كذلك لو كان قد تزوج من جديد وأنجب أطفالاً آخرين. ولربما هذا أيضاً ما كان ليشكل فرقاً. فآدم وطومي كانا متميزين ولا مثيل لهما، وتعرف الآن كم كان مشتاقاً لهما. "إن الفترة حتى عطلة الشكر تبدو طويلة جداً".

"ها إنك تعرفين الآن ما يكون عليه الأمر، ولو قليلاً على كل حال" قال لها بجدية وقد تمدد على السرير إلى جانبها وأطفأ التلفزيون. "هذا هو السبب الذي جعلني لا أريد أطفالاً آخرين. فما كنت أريد لأحد أن يفعل بي هذا من جديد. أقصد أن يأخذهم مني ويحرمني منهم. ومهما كانت ليسلي لطيفة معهم، إلاّ أنهما لا يزالان يعيشان معها ويمضيان معي ستة أسابيع فقط في السنة وربما سبعة إذا ما كنت محظوظاً. إنه أمر مزعج وغير مقبول".

"لقد فهمت". قالت بلطف. وكانت فعلاً تفهم مشاعره. وكانت تعرفه بما يكفي الآن لتدرك كم كان الأمر يؤلمه. وعندئذ، وبشكل عفوي، قالت له بصوت مرتفع في العتمة: "سوف لن أفعل ذلك بك يا بيل".

"أنّى لك أن تعرفي ذلك؟ ما من أحد يستطيع أبداً أن يكون متأكداً من ذلك. ثم انظري إلى نفسك... لا تزالين تشعرين بالتزام نحو ستيفن. فإذا ما عاد بعد ولادة الطفل، ماذا يحدث لنا؟ إنك لا تعرفين الجواب على هذا السؤال."
بدا غاضباً وحزيناً للحظة، ولكن ذلك فقط لأنه يحبها، ولأنه كان يشتاق إلى ولديه.

"لا. أنا لا أعرف جواباً على ذلك. ولكنني لن أسبب لك الألم أبداً..." ما كانت لتعرف ماذا ستفعل إذا عاد ستيفن، وقد كان بيل على صواب، فقد كانت تشعر بالتزام نحو زوجها. ولكنها الآن كانت تشعر بشيء أقوى أيضاً. رابطة نحو بيل، صلة قد تأسست بينهما، تلك الليلة ربما عندما كانا يتطارحان الغرام، أو ربما حدث ببطء أكثر خلال الأشهر القليلة الماضية عندما أصبحا صديقين. ولكن شيئاً حدث جمعهما معاً وكانت تدرك أنها سوف لن تتركه... أو تأخذ منه شيئاً أو شخصاً أحبه. لقد كانت متأكدة من ذلك... أو على الأقل كانت ترجو ألا تفعل ذلك. "أنا أحبك يا بيل" قالت في رقة، وهي تفكر به وبالولدين وبالجنين.

"أنا أيضاً أحبك" تحمس قائلاً لها وهو يفكر فيها فقط، همس لها وشعر برغبة عارمة فيها من جديد، وتملكته هذه الرغبة ومرّر يده على جسدها فاشتعلت فيها الرغبة أيضاً ومارسا الحب من جديد. لقد كانت ليلة طويلة وهانئة وكانا لا يزالان متشابكين وهما نائمين على نفس السرير عندما استيقظا في الصباح.

فتحت إحدى عينيها مسرورة عندما رأته. للحظة ظنّت أنها تحلم. ولكنها لم تكن كذلك، فقد كان لا يزال نائماً وهو يشخر وبصوت خفيض. وبعد دقائق استيقظ عندما تمططت وأزاحت ثقل ساقه عنها قليلاً.

"أهذه أنت؟ دمدم وهو في نعاس، أم أنني متُّ وصعدت روحي؟" وابتسم بسعادة وقد أغلق عينيه بسبب أشعة الشمس الساطعة في الصباح.

"إنها أنا. نعم ولكن هل هذا أنت؟" همست له مسرورة. لقد كانت هذه

أجمل ليلة تعيشها في حياتها، شهر عسل مثالي، رغم أنها كانت حامل.

"نعم، أنا.... ألا زلت لا تعاشرين الرجال؟" مازحها قائلاً وقد ابتسمت.

"لا أعتقد ذلك".

"حسناً لنأمل إذاً أن لا تحملي".

"لا تقلق. فلست في فترة الإخصاب" كانا يقهقهان ويتضاحكان، وهما مستلقيان بجوار بعضهما على السرير المتغضن الذي كانا ينامان عليه.

"يسرني سماع ذلك... هل ستعدين لنا لزانيا من أجل الفطور؟" تمطى وابتسم وأما هي فأومأت برأسها وقالت: "بالفانيليا".

"تمام كما أحبها" وعندها انقلب على بطنه ورفع رأسه ليقبلها من شفتيها "لدي فكرة أفضل. أنت تستريحين وأنا أعد الفطور لك. ماذا تحبين أن تأكلي؟ وافلز أم فطائر محلاة؟".

"أفلا يجب أن أكون في نظام حمية نوعاً ما؟" لقد كانت تشعر بالذنب. فما كانا يفعلان شيئاً سوى الأكل طوال الوقت، ولكنها لم تكن تزداد بدانة حقاً، ما عدا عند بطنها. لقد بدا وكأن الطفل كان يمتص كل الطعام نوعاً ما.

"يمكنك أن تقلقي بخصوص ذلك فيما بعد. فبماذا تستمتعين؟".

"بك". وأظهرت له ذلك بوضوح وبغزارة قبل الفطور. بعد ساعتين كانا يناقشان موضوع الفطور من جديد وهذه المرة أعد بيضاً مخفوقاً ولحماً وقهوة مركّزة على البخار. وجلسا يأكلان طعام الفطور في المطبخ وهما مرتديان برديتين حريريتين متماثلتين كانتا كلتاهما له، ويقرآن جريدة الأحد.

"هذه هي الطريقة المثالية لقضاء صباح يوم الأحد؟ قالت له. فابتسم لها وهو يقرأ القسم التالي.

"أوافقك الرأي تماماً لقد كانت فعلاً هي الطريقة المثالية.

استحما وارتديا ثيابهما بعد ذلك ثم خرجا في رحلة في السيارة وقاد بيل سيارتها الأم جي التي كان يحبها. وتوقفا في ماليبو ليتنزها طويلاً على

الشاطئ، وعند غروب الشمس قاد السيارة في تؤدة عائداً إلى المنزل. لقد بدوا سعيدين ومرتاحين فتيين، وبدا العالم وكأنه لهما. توقفا عند السوبر ماركت حيث التقيا لأول مرة ثم عادا إلى منزله وأعدا العشاء. صبَّ العصير قبل أن يتناولا الطعام محتفلاً باتحادهما.

"نخب زواج قلبين... مع قلب ثالث قادم" وابتسم وهو يشرب نخبها ثم قبلها وقال لها "أحبك يا حبيبتي" وتبادلا القبلات من جديد. وأمضيا أمسية هادئة في المنزل يشاهدان التلفاز من جديد وذكرت له أنها ترغب في الذهاب إلى منزلها فما كانت تريد أن تثقل عليه. وخاصة أن لديها شقة ولكنه ما كان ليرغب بمغادرتها. لقد كان يريد أن تنقل بعض أغراضها إلى منزله هذا الأسبوع. فلم يكن يجد مبرراً لمكوثها في منزلها الريفي القديم المليء بالكآبة الموحشة، اضطرت لأن توافقه الرأي. فلم يكن هناك داعٍ لذلك خاصة الآن طالما أنها تستطيع أن تبقى معه وهذا كل ما كانت تتمناه.

قاد بها السيارة إلى العمل في اليوم التالي وأخبرها بأنه سيأخذها إلى المنزل بعد أخبار الساعة السادسة ويعيدها إلى العمل من أجل نشرة الأخبار المتأخرة. وعندما رأتها زيلدا تبتسم في مكتبها أدركت أن شيئاً ما قد حدث لها ولكنها لم تتطفل. اكتفت بالتخمين وهرعت إلى الردهة وهي تشعر بالسعادة من أجلها. وعندما عرّج عليها بعد الظهر عرفت زيلدا بالضبط ما الأمر وما حدث تماماً.

"لقد نجحت" قال بيل وقد أشرق وجهه بابتسامة.

"ما هو؟ كان دب قد هاجم طفلاً في حديقة الحيوان، وكاد الطفل يموت، وكان على أدريانا أن تختار المقطع من شريط التسجيل لتقديمه أثناء النشرة، ولكنها كانت سعيدة برؤيته على كل حال وقد نظر إليها مبتسماً ابتسامة عريضة وسألته "ما الذي نجح؟" وكانت لطيفة معه. لقد كان صباحها مزدحماً ولكن بدا أن كل شيء قد اغتسل في نسيم السعادة والسرور.

"فكرتك". بخصوص هاري على أن يكون والد الطفل. لقد نجحت الفكرة

تماماً. والجميع في المسلسل مسرورين ولاسيما المخرج. لقد كان جورج أوربن من الأشخاص الذين يستمتع المرء بالعمل معهم، وقد سُرَّ الجميع من حصوله على دور أكبر. "إنك لعبقرية؟".

"على الرحب والسعة سيد فيغين. أهلاً وسهلاً". ابتسمت وهي تقول ذلك. كانت لا تزال ترجو أن ينجح اقتراحه بأن تعمل معه، فتستطيع أن تعمل معه في المسلسل بدلاً من نشرة الأخبار.

"هلاً نخرج للغداء؟" بدا متفائلاً ولكنها هزت رأسها. فقد كانت مشغولة جداً. فالدب في حديقة الحيوان، ورجل الشرطة قُتِلَ بقسوة قبل ساعة، والحكومة سقطت في فنزويلا.

"لا أعتقد أنني سأخرج من هنا قبل أخبار الساعة السادسة، فأومأ برأسه وقبّلها وانصرف، ثم عاد بعد نصف ساعة وقد جلب همبرغر كبيرة وكوباً من الحساء وسلطة الفواكه.

"إنه جيد من أجلك كلُيه".

"نعم سيدي". ثم همست "أحبك"، ولمحت بزاوية عينها نظرة الاستنكار على وجه سكرتيرتها وأدركت ما فعلت. فسكرتيرتها لم تكن تعرف أنها انفصلت عن ستيفن، وتجدها الآن تقبّل رجلاً آخر. كان العديد من الموظفين يحدق باهتمام، وكانت تدرك أنهم سيكونون مهتمين أكثر عندما يكتشفون أنها كانت حاملاً.

"مَنْ كان ذاك؟" سألها أحد المحررين بفظاظة بعد أن غادر بيل.

"اسمه هاري" قالت بطريقة غامضة. "زوجته ماتت قبل عدة أشهر". لقد كانت تعد سبك حبكتها الجديدة للمسلسل، وبالطبع لم يعرف أحد بها "... لقد كانت صديقة هيلن المقربة...". رفع المحرر حاجبه وهز رأسه وعاد إلى عمله وعادت أدريانا إلى عملها أيضاً، وعندما التفت إلى الخلف لينظر إليها بعد أن غادر رآها تبتسم.

الفصل 22

انقضى شهر أيلول سريعاً بالعمل الجاد المضني، والليالي السعيدة، وعطلات نهاية الأسبوع الهانئة. وعندما قارب الشهر على نهايته، بدأ الناس يرتابون في أنها حامل. لقد كانت في الشهر السادس تقريباً، ورغم الثياب الفضفاضة التي كانت ترتديها، إلا أنه لم يكن من الصعب أن ينتبه الناس إلى ما تحت الثياب. لم تكن قد طلبت إجازة الأمومة بعد، وقررت أن تستمر في العمل حتى النهاية، وأن تأخذ الإجازة بعد ولادة الطفل، فهذا يبدو أبسط وأسهل.

"إذا ما أخذت إجازة قبل ذلك فسأموت من الملل". قالت لبيل، ولم يعارضها الرأي. وبما أن الطبيب قال إنها بصحة جيدة فبإمكانها فعل كل ما تشاء. وكان قد اقترح عليها من جديد أن تفكر في العمل في مسلسله بعد إنجاب الطفل وأن تكتفي بإبداء ملاحظاتها في قسم الأخبار في كانون الأول (ديسمبر).

أصبحا يخرجان كثيراً إلى مطاعم هادئة حيث كان بإمكانهما أن يستريحا ويستمتعا بالوقت مثل مطعم أيف، وشيانتي، وبسترو غاردن، وبين الفينة والأخرى إلى مطاعم صاخبة ومليئة بالحياة أكثر مثل مورتن وشاسن، وسباغو. وكانا يتحدثان مع الولدين مرتين في الأسبوع على الأقل، وكانا في حالة جيدة وارتفعت أسهم مسلسل بيل كثيراً، وكان كل شيء يسير على ما يرام، وظل بيل يذكرها دائماً بأنه سيرافقها إلى زيارة الطبيب في المرة القادمة لقد كان يشعر أن الجنين ابنه أيضاً الآن مهما كانت المورثات الجينية التي ساهمت في تكوينه، ولكنهما كانا قد تجامعا، ونمت علاقتهما بما يكفي حتى

يشعر بأنه يجب أن يكون الأب ولم تنزعج أدريانا من ذلك.

لم تسمع شيئاً عن ستيفن منذ حزيران أو عن محاميه منذ تموز، ولم تقلق بسبب ذلك. لقد افترضت أن عملية الطلاق لا تزال قيد التنفيذ، ولكنها لم تكن تفكر بها، فقد كانت مشغولة دائماً في عملها، وسعيدة جداً مع بيل، ولم تنم في البيت الريفي منذ آب، تلك الليلة التي غادر فيها الأولاد.

ولكن اتصالاً هاتفياً تلقته من محاميها في أول شهر تشرين فاجأها. لقد كان يتصل ليخبرها بأن ستيفن يريد وضع الكوندو برسم البيع. لقد كانت تتوقع ذلك ولكنها أجفلت. فقد كان من الجميل أن تشعر بأن لها مكاناً تأوي إليه، مكاناً ملكها، حتى لو لم تعش فيه.

"إنهم يريدون أن يتأكدوا أنك لن تكوني هناك عندما يعرضونه للبيع" قال المحامي.

"هذا رائع" قالت ببرودة.

"ويريدونك أن تتركي المفتاح عند سماسرة العقارات، وأن تحافظي على الشقة مرتبة جداً".

"ليس هذا بالأمر الصعب. هل أخبروك أنه أخذ كل قطع الأثاث معه؟ وأن كل ما لدي هو سرير وثيابي في الخزائن وسجادة واحدة، ومقعد وكرسي بلا ظهر في المطبخ. سأبذل قصارى جهدي لأحافظ على البيت مرتباً". لقد كانت تشعر أن المنزل ظريف عموماً رغم أنه كئيب موحش.

"أولم تشتري أثاثاً جديداً؟ "بدا محاميها مندهشاً لما سمعه منها للتو. لقد نسيت أن تخبره من قبل ومحامي ستيفن لم يخبره بذلك، ولكنها كانت تشك بأن هناك أشياء كثيرة لم يخبره عنها محامي ستيفن مثلاً عن السبب الذي جعله ينبذ ابنه، وينهي زواجه من امرأة كانت عقلانية، ومتحفظة ولائقة.

"لا، لم أفعل. والشقة فارغة".

"قد لا تظهر بمظهر حسن وهي على هذا الشكل. على الأرجح أنهم

يعتقدون أنك أعددت وضع أثاث فيها".

"كان على ستيفن أن يفكر في ذلك قبل أن يأخذ الأغراض منها. فسوف لن أفرشها فقط لكي يتمكن من بيعها وأخذها مني".

"هل يهمك شراؤها يا سيدة تاونسيند؟".

"لا يهمني، وحتى لو كان كذلك لا أستطيع أن أدفع ثمنها". لقد كان المحامي قد أخبرهم بالثمن الذي يريده فيها وكانت ترى أنه ثمن باهظ جداً. ولكن إذا ما باعها فسوف تحصل على نصف ثمنها، ولذلك لم تكن تهتم بأن تجادله. "كيف تسير أمور الطلاق؟" سألته بحذر. لقد كان هذا لا يزال موضوعاً حساساً بالنسبة لها.

"كل شيء يسير في مجراه الطبيعي". وشعر بالتردد ثم سألها ما كان ينوي أن يسألها إياه حتى ولو لم يكن زوجها يريد أن يعرف: "كيف هي أحوال حملك؟".

"جيدة". ثم قالت "هل سألك محامي ستيفن عن ذلك؟".

"لا لم يفعل" قال متأسفاً وأومأت برأسها.

"هل من شيء آخر؟".

"لا. الشقة فقط. سنتابع الموضوع مع السمسار العقاري، وننصحك بمن يجدر به أن يهتم بأمر الشقة. ما هو أقرب موعد تستطيعين فيه بدء عرضها؟".

فكرت في الأمر لوهلة ثم هزت كتفيها بلا مبالاة: "غداً، على ما أعتقد". لم يكن بيدها حيلة. فكل ما في خزانتها كان مرتب نوعاً ما وخاصة وأنها أحضرت نصف أغراضها إلى الخزانة في غرفة ضيوف بيل.

"سوف تبقى على اتصال" شكرته وأغلقت السماعة وكانت لا تزال مستغرقة في تفكير حزين عندما عرّج عليها بيل ليقلها إلى المنزل بعد أخبار الساعة السادسة. لقد كان كثيراً ما يفعل ذلك هذه الفترة وبدأ الناس يتحدثون ويثرثرون. لقد كانوا يعلمون من يكون. ولكن كان لديهم فضول ليعرفوا نتائج

هذه العلاقة، واستمرت في رفض إبداء تعليقاتها أياً كانت حول موضوع حملها. وعندما سألتها امرأة لم تكن تحبها عن الموضوع نظرت إليها بشكل مباشر وقالت لها أنها لم تكن حاملاً.

"هل حدث شيء ما اليوم؟" سألها بيل وقد أحس بمزاجها السيئ وهو يقود السيارة باتجاه البيت. لقد كان قد جلب سرطان طازج للعشاء.

"ليس شيئاً ذي أهمية" قالت وهي تكذب. لقد كانت لا تزال مشوشة ومنزعجة بسبب الاتصال الذي تلقته من محاميها.

"إنك تبدين هادئة".

"يا لذكائك" واستندت إليه وقبلته. "لقد اتصل بي محاميّ اليوم".

"ما الخطب؟" وبدا قلقاً للحظة.

"ستيفن سيضع البيت برسم البيع".

"وهل تمانعين في ذلك؟" قال ذلك وقد عبس في وجهها وهو ينظر إليها بينما كان يقود السيارة نحو المنزل. لم يكن ليستمتع بالتحدث عن ستيفن. وهي أيضاً ما كانت تحب أن تسمع التذكريات عن ليسلي.

"نوعاً ما. فمن الجيد أن أشعر أن لي مكاناً خاصاً بي حتى لو لم أكن أستخدمه".

"لماذا؟ ما الفرق الذي سيحدثه ذلك؟".

"ماذا لو أنك مللت مني، أو تشاجرنا معاً... لست أدري.... ماذا يمكن أن نفعل إذا جاء الأولاد في عطلة الشكر؟" قالت ذلك وهي تعلم أنه قد لا يكون قد بيع في ذلك الوقت.

"سنقول لهما إننا نحب بعضنا وأنك ستنجبين طفلاً، وأننا نعيش معاً، هذا ما نخبرهما به، ليس الأمر بمشكلة".

ابتسمت له بحزن: "أنت تكتب مسلسلات تلفزيونية منذ زمن طويل وهذا قد يبدو طبيعياً بالنسبة لك، ولكنه لن يكون كذلك بالنسبة لمعظم الناس. ولن

يكون كذلك بالنسبة لآدم وطوني وربما إذا ما عشت هنا طوال الوقت سيشعران بالمكان مزدحماً وينزعجون مني'. لقد كانت تفكر في ذلك طوال النهار وكانت قلقة إزاء ذلك.

'ما الذي تريدين أن تقوليه لي؟ أنك لا تريدين أن تخسري المكان الخاص بك؟' قال ذلك وقد بدا حزيناً بشكل واضح.

'لا فهذا يبدو حماقة. أردت فقط أن أقول لك إنني لست سعيدة لأنه سيبيعه. وأنه من الجيد أن أحتفظ به'.

'كم يريد ثمناً له؟' أخبرته وصفّر وقال 'هذا كثير جداً، ولكن على الأقل ستحصلين على نصف هذا الثمن، أقصد إذا ما باعه. وفي هذه الحال ربما يكون من الأفضل أن تضعي المال في المصرف بدلاً من أن تضعيه في شقة لا تستخدمينها'.

تنهدت وأومأت برأسها مشيدة بحكمته فيما قال: 'على الأرجح أنك مصيب فيما تقول وليس الأمر بذي أهمية. إنها مسألة تأقلم، هذا كل ما هنالك'. وكان هناك الكثير من النقاط التي يختلفون عليها منذ شهر حزيران. وأيضاً تغييرات كثيرة رائعة جداً.

'هل يريد أن يتحدث إليك؟' سألها بيل بهدوء وقد خرجا إلى ساحة ركن السيارت. وانطلقا في سيارته. ولكنها هزت رأسها إذ أنه لم يكن يريد ذلك. ولكنها اتصلت بستيفن في مكتبه في صباح اليوم التالي، وعرفت صوت السكرتيرة، وطلبت منها بلطف أن تتحدث إلى زوجها.

'أنا آسفة. فالسيد تاونسيند لا يمكنه أن يتحدث إليك الآن إنه في اجتماع'.

'هلاّ أخبرته أنني أنا المتحدثة لو سمحت' قالت لها بنوع من العداء.

'لست متأكدة أنني أستطيع أن أزعجه'.

'حاولي لو سمحت' قالت تحثها وقد غدت منزعجة بشكل متزايد. لقد كان واضحاً أنه قال لسكرتيرته أن لا تحول له الخط إذا اتصلت زوجته. ولم تكن

أدريانا تستحق هذا.

اختفت السكرتيرة ثم عادت إلى الهاتف بعد دقيقتين. لم يكن الوقت كافياً لتخبر أحداً، لقد كانت تتظاهر بذلك فحسب... 'آسفة فالسيد تاونسيند سوف يكون مشغولاً طوال النهار، ولكن يسرني أن أنقل رسالة منك'. أخبريه أن يذهب إلى الجحيم، كانت تريد أن تقول ذلك على الهاتف. ولكنها لم تفعل. وكان هناك احتمالات أخرى. ولكن كانت ترفض كل تلك الاحتمالات.

'أخبريه فقط أنني اتصلت بخصوص الشقة' قالت ذلك ثم قررت أن تترك له كذبة كبيرة. فاستأنفت تقول و'الجنين'. ساد الصمت وكأنها أسقطت قنبلة. 'شكراً جزيلاً'.

'سأخبره في أقرب وقت'. قالت السكرتيرة على عجلة، وكأنه لم يكن قد علم لتوه. ولكن أدريانا كانت تعلم أن ستيفن سوف يمتعض من هذه الرسالة. فإن علمت سكرتيرته سيبدأ الناس بالثرثرة عن الموضوع عاجلاً أم آجلاً.

ولكنه لم يتصل. بل محاميه هو الذي اتصل بعد نصف ساعة. فستيفن أخبره خلال سبع دقائق. وقد حاول المحامي أن يتصل بمحاميها ولكنه لم يستطع الوصول إليه، ولذلك اتصل بأدريانا بنفسه لكي يعرف منها الموضوع ثم يعود بالاتصال بموكله ستيفن بالحال ليهدئ روعه.

'هل من مشكلة سيدة تاونسيند؟ لقد فهمت أنك اتصلت بـ .... بالسيد تاونسيند هذا الصباح'.

'هذا صحيح لقد أردت أن أتحدث إليه'. كان ذلك في لحظة جنون، فقد كانت تريد أن تسأله عن السبب الذي يجعله يفعل هذا بها فقد كان يأخذ بعيداً كل ما كان يخصهما، ونبذ ابنه. وبما أن الجنين يتحرك، فهذا يعني أنه كان على قيد الحياة، إذ أمكنها أن تشعر به وأن ترى الانتفاخ الذي أحدثه في جسدها، فكانت تستغرب من أنه قد نبذهما كليهما. كان الأمر لا يزال غامضاً بالنسبة لها، وأرادت أن تتحدث إليه عنه. لم يكن لهذا علاقة بمدى حبها لبيل

فقد كانت تحبه. ولكن ستيفن لا يزال والد الطفل.

"هل يمكنك أن تخبرني عن السبب الذي حدا بك للاتصال به؟" حاول أن يبدو لطيفاً. فقد كان ستيفن عنيداً متصلباً في تعليماته.

"نعم لا يمكنني أن أخبرك بذلك، فالأمر شخصي بيننا".

"أنا آسف". وتوقف عن الكلام وفهمت أدريانا الأمر من جديد. فقالت "يبدو أنه لن يتحدث إلي أليس كذلك؟".

لم يكن يريد أن يجيبها بشكل مباشر، ولكن غياب الجواب كان يدل على ذلك بوضوح. "إنه يشعر هكذا.... فالأمر سيكون صعباً على كليكما، وخاصة إذا أخذ الظروف بعين الاعتبار". لقد كان يخشى أن تتغلب عليها عواطفها وأن تحاول فرض الطفل عليه. لم تكن لديه أدنى فكرة أنها تعيش مع رجل يحبها بصدق حقاً ويريد جنينها. وما كان ليستطيع أن يفهم ذلك.

"هل هناك أية مشكلة في مسألة الحمل؟ شيء له علاقة بالسيد تاونسيند رغم موقفه القانوني إزاء الطفل؟" كانت تود أن تطلب منه أن يكف عن هذا الهراء، وأن يلقي جانباً بالأمور القانونية وأن يتعامل معها كإنسان. ولكن المحزن هو أن هذا ما كان يحاوله فعلاً.

"لا، لا بأس. قل له فقط أن ينسى أمر الطفل". لقد كان هذا فعلاً ما يريده. فقد أخبر المحامي أنه يريد أن ينسى كل شيء يتعلق بها، ولكن ما كان المحامي ليقول لها ذلك أبداً.

وضعت سماعة الهاتف، وكانت بعد ظهر ذلك اليوم أكثر اكتئاباً، وشعر بيل بذلك، ولكنه اعتقد أن السبب هو الشقة، رغم إحساسه بأن الأمر سخيف برمته. ولكن لم تكن لديه فكرة أنها قد حاولت الاتصال بستيفن لتتحدث معه وتسأله عن السبب، ولكن هذا ما كان ليعني أنها تريد أن تغير رأيها فيما بعد، بل فقط أرادت أن تعرف السبب الذي من أجله لم يحبها ورفض أن يتقبل طفلهما. لا بد أن هناك سبب، مبرر أكثر من مجرد الخوف من طفولة صعبة. ولكنها لم ترد أن تخبر بيل فقد كانت تشعر أن ذلك قد يجرح مشاعره. بدلاً من

ذلك جلست بهدوء في غرفة الجلوس واقترحت أن يتصلا بالأولاد بعد العشاء. فالحديث معهم كان دائماً يسعدها. وفي اليوم التالي، اتصل بها محاميها من جديد وأعطاها اسم سمسار العقارات الذي سيهتم بموضوع الشقة.

في عطلة نهاية الأسبوع تلك خرجت وبيل، وشعرت بتحسن يوم الاثنين. لم تعد الشقة مهمة بالنسبة لها، وأدركت أنها ليست بحاجة لمنزل خاص. لقد كانت سعيدة تماماً بالعيش مع بيل. والشقة التي كانت تشاطر ستيفن بها لم تكن تستحق أن تحاول التشبث بها.

ذهبا للمكوث عند أصدقاء بيل في بالم بيتش. لقد كان صاحب الضيافة ممثلاً عمل مع بيل في عرضه أيام الشباب، ثم اعتكف ليقوم برسم اللوحات الجميلة. لقد كان شخصاً ممتعاً، وله عائلة لطيفة وزوجة شعرت أدريانا بالمحبة نحوها. لقد كانت عطلة نهاية أسبوع مثالية، مازحا بيل حول الجنين. لقد افترضا أنه كان منه، ولم يستغربا أنهما لم يكونا متزوجين. ولكن كانت تروق لهما الفكرة كثيراً، وبالنسبة لجانيت زوجة الممثل، لقد كانت تجد معجزة في حملها. ومرّت لحظات كانت أدريانا تتساءل إذا ما كانت ستنجو هي والطفل أثناء الولادة، وكانت في أوقات أخرى تكاد تنسى أنها حامل. بدا ذلك يعتمد على اليوم والمزاج الذي تكون فيه وما يحدث لها. ولكن الشيء الذي عليها أن تضعه في حسبانها، كما قالت جانيت، هو أنها في نهاية الأمر ستحصل على مكافأة وهي ليست فخذين سمينين بل كما قالت جانيت الأمر المعجز وراء كل ذلك ألا وهو الطفل. رجعا إلى المنزل في عطلة نهاية الأسبوع تلك وهما يشعران بالانتعاش والإثارة بخصوص الجنين. التقط بيل بعض الكتب التي كان قد اشتراها لها ولم تقرأها، وقرأ عن كل الأشياء التي كانت تخيفها إن لم تكن في مزاج طيب. وفي النهاية تجامعا وكان ذلك جيداً.

وفي صباح اليوم التالي اتصل بها محاميها في عملها، وذهلت عندما أخبرها أنه هناك عرض قُدّم لقاء الشقة وأن ستيفن وافق عليه. لقد كان الثمن أقل بمبلغ عشرة آلاف دولار مما طلب، ولم تستطع أدريانا أن تصدق ذلك.

"هل حدث ذلك فعلاً؟".

نحن مندهشون جداً، يريد الشاري تسوية الموضوع خلال ثلاثين يوماً إذا كان هذا يناسبك. أعلم أن الأمر قد أتى سريعاً". ولكن المفاجئ أنها لم تهتم، فذلك سيكون في تشرين الثاني (نوفمبر)، وسيكون الأولاد قد جاؤوا إلى المنزل من أجل عطلة الشكر، وأصر بيل على أنه يريدها أن تبقى معه، وقد اقترح عليها لتوه أن يحولا غرفة الضيوف إلى غرفة للطفل خلال الأسابيع القادمة وهذا كان مفاجأة لها.

"ما رأيك بتسوية الموضوع خلال ثلاثين يوماً" سألها السمسار بشكل مباشر.

"رائع". واندهش لسماعه ذلك.

"وما رأيك في السعر؟" جلست في هدوء لوهلة وهي تشعر بأنها تودع الشقة وستيفن.

"هذا مناسب جداً".

"أتقبلين بذلك؟".

نعم. يا الله. ضغط. ضغط. ضغط.

"سوف أبعث الأوراق لك بعد الظهر، يمكنك توقيعها لقد أرسلها سمسار زوجك".

"رائع".

"سوف نرسلها لك في الحال". وعندما فعل ذلك بدا غريباً لها أن ترى توقيع ستيفن على الأوراق، فهي لم تر منه أي شيء خلال وقت طويل وبدا أن رؤيتها لخط يده كان نوعاً من العودة للماضي. ولكن لم يكن ثمة شيء آخر، أو ملاحظة، أو رسالة. ما من شيء مدوّن لها على الأوراق. لقد نأى بنفسه تماماً عن حياتها وكان يريد أن يحافظ على الأمر على ذلك النحو مهما كان الثمن. لقد بدا وكأنه يخافها. ولكنها لم تفهم السبب لقد بدا الأمر غير معقول، ولكنها ما عادت لتهتم.

جعلت بيل يرى الأوراق تلك الليلة وقال إنها تبدو جيدة، ولكنه أبدى لها اقتراحين بخصوص عهد التنفيذ وموضوع عربون التأمين، واقترح عليها أن تتحدث إلى محامي الطلاق بخصوص ذلك وحذرها إلى ضرورة أن تأخذ نصيبها العادل من عائدات الشقة. ثم سألها سؤالاً كان يدور في باله منذ برهة ولكنه لم يصرّح به لأنه لم يكن يريد أن يزعجها.

"ماذا بخصوص النفقة الزوجية؟ هل قدم أي شيء؟ أو أية نفقة للطفل؟".

"لم أطلب منه شيئاً". قالت له بهدوء "لديّ راتبي. كما أنه أخبرني لتوه أنه سوف لن يقدم أية إعانة للطفل. إنه يرفع كل حقوق له عليه حتى قبل ولادته كما أخبرتك". وبدت مستاءة وهي تتحدث عن هذا الموضوع: "لا أريد شيئاً منه" فإن لم يكن يريدها والطفل، فإنها لا تريد ماله. ولكن بيل فكر أن مشاعرها كانت نبيلة وحمقة في آنٍ معاً.

"ولكن ماذا إذا مرضت؟ أو حدث شيء لك؟" سألها بلطف.

"لديّ التأمين الصحي" قالت له بلا مبالاة. ثم التفت إليها بنظرة سخط.

"لماذا تسهلين الأمور على ذلك الشاب يا أدريانا؟ ألا زلت تحبينه؟ لقد هجرك. وإنه يدين بشيء ما لكِ وللطفل". وشعر عندها بقلبه يغوص في داخله وهي تهز رأسها وتأتي نحوه لتلمسه.

"كما تعلم أنا لا أحبه الآن. ولكنني كنت زوجته، وكان زوجي... ولا يزال كذلك تقنياً..." غصّت تقريباً وهي تنطق بالكلمة بعد كل ما فعله بيل بها. ولكن كانت ما تزال هذه هي الحقيقة: "إنه والد الطفل" لم تكن تريد أن تجرح مشاعره ولكن كانت هذه هي الحقيقة وكانت تعني شيئاً لها وكان يعلم ذلك.

"هذا يعني الكثير لك أليس كذلك؟".

نظرت إلى يديها ثم رفعت نظرها نحوه من جديد وأومأت برأسها وتحدثت إليه بلطف بالغ. نعم هو كذلك. ولكن ليس كثيراً بل قليلاً. إنه والده يا

بيل. ماذا لو عاد لرشده يوماً ما؟ إنه له حقاً بشيء... فجزء منه يعود إليه... لا أريد أن أغلق كل الأبواب في وجهه، لربما رغب به في يوم من الأيام".

"لا أعتقد أنه سيفعل ذلك؟". قال بيل في هدوء، فهو لم يكن يريد أن يتشاجر معها، ولكنه عندما كان يصغي إليها تساءل إذا كان ما سيضطر لمقارعة ستيفن. فلم يكن بيل يريدها أن تتأذى. ولا يريد أن يخسرها أو يخسر الجنين. "أعتقد أنك تحلمين إذا ظننت أنه سيعود وأعتقد أنه اتخذ موقفاً واضحاً".

"قد يغير رأيه".

"هل تريدينه أن يفعل ذلك يا أدريانا؟ هل تريدينه أن يعود؟".

نظر إليها بشكل مباشر فهزت رأسها وصدّقها. ودون أن ينطق بكلمة أخرى ضمها بين ذراعيه. "سأموت إذا خسرتك" لقد كانت تدرك ذلك وكانت ستموت هي أيضاً إذا ما خسرته. ومع ذلك... لا يزال شبح ستيفن قائماً....

"وأنا أيضاً لا أريد أن أخسرك".

"سوف لن تخسرينني" ثم ابتسم لها وضمها إليه وشعر بالجنين يركل برجليه.

"أشكرك لأنك كنت طيباً معي جداً".

"لا تتساخفي". وقبّلها وقد جلسا معاً لوقت طويل، ولكن حديثهما أقلقه فيما بعد. لقد كان يعرف مدى ولائها وإخلاصها، رغم حبها له، كانت ترى أن ستيفن لا يزال والد الطفل في الحقيقة وكان بيل يعرف أنه ليس هناك ما يفعله لكي يحمي نفسه. لقد كان عليه أن يحبها وأن يجازف.

الفصل 23

"بيعت الشقة بسرعة وبساطة، وفي الأسبوع الأول من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) وقع العقد. وقامت وبيل بنقل كل أغراضها إلى بيته في المجمع السكني. لقد كان الأمر بسيطاً بالنسبة لها وأقل عاطفية مما كانت تخشى. لم يتبق لها ما تتمسك به أو تقف عنده أو تشعر بالعواطف تجاهه. لقد أخذ ستيفن معه كل شيء قبل خمسة أشهر، حتى ألبوم صور زفافهما. وتساءلت ماذا فعل به؟ وتوقعت أنه قد مزقه على الأرجح. لقد كان أمراً عجيباً. لقد مضى كل شيء، اختفى كل شيء، وكأنه لم يكن. حاولت أن تشرح ذلك لبيل وقد وضعت بقية أغراضها في غرفة الضيوف في منزله.

"أشعر وكأننا لم نتزوج، أشعر وكأنني لم أعرفه أبداً". ومع ذلك وفي نفس الوقت كان يدرك بأن إخلاصها نحو ستيفن كان هائلاً.

"لربما لم تعرفيه حقاً. فهذا يحدث لبعض الناس أحياناً" ولكنه كان سعيداً لأنها لم تكن كئيبة. لقد كانت تتعب قليلاً هذه الأيام، ولكنها كانت لا تزال تشعر أنها على ما يرام. لقد كانت في الشهر السابع مع الحمل، وكان كلاهما يشعر بالإثارة والشوق لرؤية الولدين في عطلة الشكر. فقد كان من المفترض أن يأتيا خلال أسبوعين. وكان يجب عليها أن تذهب إلى الطبيب هذا الأسبوع، وفي هذه المرة جاء بيل معها. لقد كان بيل يريد أن يأتي معها منذ أشهر، ولكنها بدت وكأنها كانت تأخذ مواعيدها مع الطبيب في أوج عمله في المسلسل أو عندما يكون لديه اجتماعات هامة. ولكنه أخبر سكرتيرته هذه المرة أنه سوف يغادر لمدة ساعتين مهما جرى، وقاد السيارة بأدريانا لرؤية الطبيب.

قبل لقائها ببيل بقليل كانت قد غيرت طبيبها فاختارت طبيبة نصحها بها عدة أصدقاء، وبدا أن أدريانا قد أحبتها فعلاً وعندما رآها بيل أدرك السبب. فقد كانت جين بيرغمان ذكية وصريحة وكانت تعالج الموضوع برمته وكأنه أمر عادي وطبيعي وأكدت لهما من جديد أن كل الأسباب تجعلها تعتقد أن الولادة ستكون طبيعية وسهلة. لقد بدت مرتاحة للغاية لحقيقة أنهما يعيشان معاً وليسا متزوجين. وكان أحد الأسباب التي جعلت أدريانا تغير الطبيب معرفة الطبيب السابق بموقف ستيفن الذي كان سيجعله يطرح الأسئلة. لم تكن لدى تلك الطبيبة فكرة بأن الطفل لم يكن ابن بيل، بل ابن شخص آخر، وجعلت بيل يصغي إلى صوت نبضة الجنين فأشرقت أسارير وجهه لذلك.

'إنه يبدو كالهامستر' قال بيل بجدية وهو يصغي إلى نبضة قلب الطفل.

'هذا قول ظريف' قالت أدريانا وهي تضحك. ولكن بيل كان متأثراً كثيراً بما سمعه وبليونتها، وهشاشتها، وقابليتها للانعطاب وقد استلقت هناك ببطنها المنتفخ. قالت الدكتورة برغمان أن الجنين كان بحجم طبيعي، ونصحتهم بأن يأخذوا دروساً عن التوليد الطبيعي لقد كان يعلم ما هو ذاك، ولكن أدريانا لم تكن متأكدة مما يتطلبه ذلك، وكان قد مضى على بيل أكثر من ثماني سنوات منذ أن قام بذلك مع ليسلي.

'هذا قد يجعل الأمور مختلفة' قالت لهما ببساطة. لقد كانت امرأة في مثل عمر بيل تقريباً وبدت له كفي مقتدرة وكان مسروراً من حضوره. لقد أعجبته الدكتورة. تحدث وأدريانا عن هذا الموضوع في السيارة وهما عائدان إلى المكتب.

'أتمنى لو أستطيع أن أنجب الطفل في المنزل' قالت أدريانا وهي تنظر من النافذة.

'يا إلهي'. قال بيل مذعوراً. 'لا تقولي ذلك'.

'لماذا؟' قالت وقد بدت حزينة وتشبه الأطفال في سلوكها. وكان هذا يثير

أعصابه كثيراً. 'سيكون هذا أظرف بكثير'.

'وخطيراً جداً أيضاً. اعقلي وأصغي إلى ما تقوله الدكتورة برغمان. سوف نقوم بأخذ دروس التوليد الطبيعي بعد أن يأتي الأولاد'. هذا سيعطيهما المجال لفترة شهر قبل وصول الطفل. ولكنه بدأ يلاحظ مؤخراً أن أدريانا بدأت تصاب بالتوتر كثيراً. لقد كانت تتحاشى موضوع الجنين لسبعة أشهر وتدعي أنها لم تكن حاملاً، ولكن فجأة صار الإنجاب قاب قوسين أو أدنى، وكان لزاماً عليها أن تواجه ذلك. لقد سألت بيل الكثير من الأسئلة عن الأولاد عندما يولدون، وكانت قد بدأت تقرأ الكتب، ولكنه كان يرتاب في أنها كانت تخاف من ألم المخاض ومن المضاعفات الممكنة وقد بدأ الطفل يبدو له مسؤولية كبيرة.

'أحبك' ذكرها وقد تركها في الرواق خارج قسم الأخبار.

'مرحباً هاري' قال له أحد المحررين وقد مرّ بجانبه مسرعاً، فنظر بيل إلى أدريانا باستغراب.

'من هو هاري؟' ضحكت أدريانا إذ تذكرت القصة التي كانت قد أخبرتهم بها قبل أشهر عندما بدؤوا يضغطون عليها.

'إنه أنت. لقد أخبرتهم أنك هاري... وأنك كنت أرمل.... وإن زوجتك كانت صديقة هلين المقربة' لاعت الجدية وهي توجز له المسلسل، فزمجر ضاحكاً.

'أنت غير معقولة عودي إلى عملك وكفي عن القلق على الجنين'.

'من القلق؟' لقد تظاهرت بأنها طبيعية ولكنه كان يعرف أنها قلقة رغم ما قالته له. ولم يكن ليلومها. لقد كانت تعاني من الجهد الإضافي الناتج عن طلاقها بينما هي حامل.

'أراك فيما بعد، يا حبيبتي'. قال لها وقبلها من جديد وهرع عائداً إلى عمله بعد أن وعدها بأن يقلّها بعد نشرة أخبار المساء وأن يخرج معها للعشاء.

ذهبا إلى ليشاردوناي، وتناولا وجبة لذيذة وأمضيا أمسية مفرحة، كان قد فاز مرة أخرى بجائزة على المسلسل، كانت الصحف قد تحدثت كثيراً عن ذلك وكان مسروراً للغاية. وكانت فخورة به أيضاً، أمّا هو فأصر على أن ينسب الفضل لها.

"إنك تساهمين في ازدياد الإقبال على المسلسل بأفكارك المجنونة". لقد كانت توحي له بحبكات رائعة للمسلسل وكان لا يزال يأمل أن تعمل معهم بعد أن تنجب الطفل. وكانا يضحكان ويدردشان معاً عن الموضوع حيث جلس زوجان إلى الطاولة المجاورة لهما لم يدري بيل ما حدث ولكن وجه أدريانا انتقع فجأة وهي تنظر إليهما. لقد كانت تنظر إلى الرجل وكأنها ترى شبحا وبدى مذعوراً عندما رآها. ثم تنحى بوجهه وتابع الحديث إلى المرأة التي كانت معه. لقد كانت امرأة شابة، وأنيقة، وجذابة. وبدت رشيقة القوام. ولكنها لم تكن تقارب أدريانا بالجمال رغم أنها كانت تبدو أصغر منها بعدة سنوات. ولكن بيل لم يكن ينظر إلى الفتاة الأخرى بل كان ينظر إلى أدريانا. ثم التفت وقد أدرك من يكون الرجل. لقد كان ستيفن.

كانت لا تزال تحدق إليه، ومن دون أن تقول كلمة لبيل انحنت للأمام لتتحدث إلى زوجها.

"ستيفن..." اقتربت من طاولته لكي تسترعي انتباهه، ولكن الفتاة فقط هي من نظر إليها وهي تتساءل عما كانت تريد، أما ستيفن فقد أشاح بوجهه وأدار ظهره لها وادعى أنه ينادي النادل. "ستيفن...." كررت اسمه بوضوح أكثر، ونظرت إليها الفتاة وهي لا تعرف ما تفعله أتبتسم لها أم تصرف النظر عنها. فالتعبير على وجه أدريانا كان غريباً إذ كانت منزعجة وبدت حامل بشكل واضح.

وعندئذ، وكما لو أنه أدرك عجزه عن تجنبها أكثر، تحدث إلى الفتاة بصوت أجش وقد هب واقفاً "لنذهب" فالخدمة في هذا المكان سيئة للغاية". كان قد وقف على قدميه وكاد يصل للباب قبل أن تستطيع الفتاة أن تقول أية كلمة

فنظرت إلى أدريانا بارتباك وفزع وكأنها تعتذر لها وكل ما أمكنها أن تقول لها: "لا أعتقد أنه سمعك".

"بلى. لقد سمع" قالت لها أدريانا وقد شحب وجهها كالجليد وتندت يداها. "لقد سمعني تماماً". ولم يكن هناك من سوء في الخدمة على الإطلاق.

"أنا آسفة". قالت الفتاة ثم اندفعت وراءه، ورأته أدريانا يتحدث إليها ولكنه جاوبها بعنف خارج الباب وهما ذاهبان بينما عادت أدريانا إلى مجلسها وهي ترتجف، كان بيل يدفع فاتورة الحساب وقد بدا هو أيضاً شاحب اللون. لم يقل شيئاً عن الموضوع. وسارا خارجين إلى الهواء البارد، في حين التقطت أدريانا أنفاسها. لقد كانت تشعر بالإعياء الشديد بعد ذلك العشاء الرائع الذي تناولاه معاً. وعندما وصلا إلى الشارع أمكنها رؤية ستيفن يقود سيارته البورش مبتعداً بالفتاة.

"لماذا تكلمت معه؟" سألها بيل عندما ركبا السيارة. "ولماذا انزعجت؟" لقد بدا مستاء فالتفتت نحوه والغضب في عينيها. لم تكن لتطيق أن تجادل أحداً الآن. لقد أوضح ستيفن موقفه تماماً بعكسها هي.

"لم أره منذ خمسة أشهر، وكنت متزوجة منه لأكثر من سنتين ونصف. فهل من الغريب أن أقول له شيئاً؟".

"نظراً للطريقة التي عاملك بها، نعم، إنه كذلك، ألا تعتقدين هذا؟ أم أنك كنت ستشكرينه على كل تلك الأشياء الظريفة التي فعلها بك مؤخراً؟" الحقيقة أن بيل كان يشعر بالغيرة، وقد كان يكره نفسه لأنه أحدث جلبة. ولكنه كان يكره تلك النظرة في عينيها، والمعاناة التي بدت على وجهها وهي تحاول أن تدنو منه وتناديه. وشعر بأنه يكره ستيفن لإيذائه لها لقد كان يريده أن يكون خارج حياتها وللأبد.

"لا تظلمني". وبدأت بالبكاء وقد بدت شاحبة كالأشباح وهي تجلس في السيارة وتفرك بطنها. فحتى الطفل كان مستاءً. لقد كان يرفس بعنف، وكان كل ما تريده هو أن تذهب إلى البيت وتستلقي وتنسى الأمر برمته، ولكنها

كانت تعرف أنها لن تستطيع ذلك "إنه حتى لم ينظر إلي".

'أدريانا' قال بيل وقد أطبق أسنانه 'إن الشاب نذل حقير. متى ستتقبلين ذلك؟ بعد سنة؟ خمسة؟ عشرة؟ يبدو أنك ستنتظرينه أن يعود إليك وأن يقدم الورد لك وللطفل. ولكنني أقول لك إنه لن يفعل ذلك، وهل فهمت رسالة اليوم؟ إنه سوف لن يتحدث إليك، فلقد هب واقفاً وخرج. فهذا يدل على أنه رجل لا يهمه أمرك أنت أو الطفل في شيء". وكان بيل يتوقع أنه لن يهتم لها أبداً، ولكنه لم يقل ذلك.

كيف يمكنه أن يفعل ذلك؟ كيف يستطيع أن لا يشعر بأي شيء تجاه طفله؟ إنه يكبت ذلك ولكنه عاجلاً أم آجلاً سيضطر لمواجهة الأمر.

'إن الشخص الوحيد الذي عليه أن يواجه شيئاً هو أنت لقد رحل يا حبيبتي. فانسيه'. لم تجب عليه، بينما قاد السيارة بقية الطريق إلى المنزل في صمت، ولكن عندما وصلا إلى المنزل استمرا في الجدال حول الموضوع ومضت أدريانا إلى سريرها في غرفة الضيوف وهي تبكي، وفي صباح اليوم التالي كانت رابطة الجأش عندما التقيا على الفطور في المطبخ، لم يقل كلمة لها. تركها تعد لنفسها الفطور ثم نظر إليها من فوق صفحة الرياضة في الجريدة.

'ماذا تتوقعين منه بالضبط؟ لماذا لا توضحين الأمر لي، وذلك كي أفهم على الأقل ولو لمرة واحدة وأخيرة ما تريدينه منه". لقد كان يريد أن يعرف لكي يتخذ موقفاً ما من هذه المناقشة.

'أتقصد من ستيفن؟' فأومأ برأسه. وقالت 'أتوقع منه أن يتقبل فكرة إنجاب الطفل. إنه لا يعرف حتى ما الذي ينبذه. أنا أستطيع أن أتقبل حقيقة طلاقه مني لأنه يعتقد أنني خدعته، ولكنني لا أقبل حقيقة أن يتخلى عن ابنه. فيوماً ما سيندم على ذلك'.

'بالتأكيد سيفعل ذلك ولكن هذا هو ثمن الذي سيجب عليه أن يدفعه.

ولربما لن يعود إلى رشده. وكيف يمكنك القول إنك قد خدعته؟ هل استغفلته؟ هل حملت عن قصد؟'.

'بالطبع لا'. بدت وكأنها أهينت. وكان هذا سؤالاً لم يطرحه عليها ولكنه كان علامة استفهام بالنسبة له. لقد كان يتساءل إذا ما كان هذا هو السبب في شعورها بالذنب. لقد كانت أعرف شعوره المتصلب حيال ذلك وكانت حذرة دائماً.'هذا ما أعتقده أيضاً'. وابتسم فقد كان يحبها كثيراً وكان يكره أن يدخل معها في جدال ولكن على الأقل لم يكن هناك الكثير من ذلك بينهما. وكانت كلها تنصب على موضوع واحد ألا وهو ستيفن. 'ولكن لا ضير من السؤال. أكملي حديثك. ماذا تريدين منه؟' لقد كان يريد أن يعرف حقاً من أجله شخصياً. ومن أجلها لقد كانا في حاجة إلى أن يواجها الأمر.

'أريد فقط أن يعترف بالطفل. وأن يقر بأنه ابنه، وأن يتقبل هذه الحقيقة. أعتقد أنه هرب من هذا الأمر منذ البداية، أريده أن يرى الطفل وأن يقول لي حسناً، أنا أفهم أنه ابني ولكنني لا أريده... أو يقول نعم إنه ابني وأنا كنت مخطئاً وأنا أحب ابني ولكنني لا أريده أن يهرب مني إلى الأبد لأنني أظل أفكر بأنه سيعود إلي يوماً ما. وسيكون آسفاً ويريدنا أن نعود ثم يقلب حياتي وحياة الطفل وحياتك وحياته ومهما فعلت فإنني سأشعر بالذنب دائماً أريد أن أتحرر منه كلياً قبل أن أتابع حياتي حقاً، ولكي أشعر بذلك أريده أن يناقش المسألة معي وجهاً لوجه وأن يشرح لي سبب موقفه. إنه لا يتحلى حتى باللباقة لأن يتحدث إلي منذ أن ترك الشقة". لقد كانت هذه أول مرة توضح له الأمر الذي بدا معقولاً في النهاية. لم تكن لتصدق أن في رحيله خير. وكانت تريد تأكيداً مباشراً صريحاً منه بأنه يدرك ما يفعل ويتخلى عن كل شيء باقتناع. بدا الأمر معقولاً لبيل ولكنه كان يعتقد أنه لن يفعل ذلك. فلم يكن ستيفن من ذلك النوع من الأشخاص، وقد أظهر لها ذلك قبل خمسة أشهر وأيضاً ليلة أمس. لقد كان يريد أن يلوذ بالفرار، وأن يطلقها من خلال المحامين وأن يتخلى عن الطفل دون أن يراه. هذا كانت حاله، وكان عليها أن تواجه الأمر.

"لا أعتقد أنك ستلاقين منه أي تغيير في موقفه. فهو لا يستطيع أن يعالج الموضوع بشكل مباشر".

"أنّى لك أن تعرف ذلك؟".

"انظري إليه كيف كان ليلة أمس. هل يتمتع ذلك الشاب بالشجاعة ليواجهك؟ لقد هرب عميئاً من الباب وهو يتقدم صديقته بعشرة أقدام".

"أكانت صديقته حقاً؟" بدت فضولية، فانزعج بيل "كيف لي أن أعرف بحق الجحيم؟".

"لقد بدت فتية جداً" قالت وهي ممعنة في التفكير، وأما هو فتأوّه.

"وأنت أيضاً كذلك لأنك هكذا فعلاً. كفي عن ذلك، إذ ما الفرق الذي يشكله ذلك؟ ما يجب عليك فعله هو أن تتصرفي عنه يا أدريانا. هذه هي المشكلة الحقيقية".

"ولكن ماذا لو عاد فيما بعد؟" لقد كان الأمر يقلقها للغاية. لقد كانت متأكدة أنه سيعود لحياتها بعد أن تنجب الطفل.

"يمكنك أن تعالج الأمر عندئذ عندما يحدث".

"ولكن للطفل حق...".

"أعلم أعلم". قال وقد صفق بقبضته طاولة المطبخ وقفزت هي: "الولد له حق على والده الطبيعي أليس كذلك؟ لقد سمعت ذلك من قبل. ولكن ماذا إذا كان أبوه الطبيعي نذلاً حقيراً؟ ماذا يكون عندئذ؟ أفليس من الأسهل أن تتناسي الموضوع الآن؟".

"ماذا لو أخبرتك ليسلي أنها تريد أن تتركك وهي ثملة؟ ألا تشعر بواجب الانتظار إلى أن تعود إلى رشدها وتكون متمالكة لقواها العقلية؟".

"ربما لماذا؟".

"لأنني أعتقد أن ستيفن كان ثملاً بدافع الخوف الذي تملكه منذ أن أخبرته بأنني حامل. وحالما يهدئ، ويكف عن الخوف، ويهدئ من روعه، فإنه سيشعر

بطريقة مختلفة".

"ربما لا، وربما كان فعلاً يكره الأولاد. وربما يجب عليك أن تصغي إليه فعلى الأرجح أنه يعي ما يقول.

"أريد أن أعلم منه بأنه يدرك ما يفعل".

"ربما لا يعرف. هل تريدين أن تبقي حياتك هكذا إلى الأبد؟" كان يقصد بذلك إذا ما كانت ستبقي حياتهما معاً على هذا الشكل إلى الأبد. ولكنه كان أيضاً يدرك أنه ليس من السهل عليها أن تنسى رجلاً تحمل جنيناً منه في بطنها وقد عاشت معه سنتين ونصف قبل أن تحمل.

"هل تظن أنني حمقاء بمكان حتى أتجاهل الموضوع؟".

"لا". وتنهد وجلس في كرسيه بجوار طاولة المطبخ "أعتقد أنك تضيعين وقتك فقط. انسيه فحسب".

"إنني أشعر كمن يسرق منه شيئاً" قالت موضحة له، فلفتت انتباهه: فأنا آخذ ابنه منه، وأعطيه لك لأنك تريده. ولكن ماذا إذا عاد ليقول "إيه، إنه ابني، أعده لي.... فماذا يكون الأمر عندئذ؟" لقد كانت وجهة نظر معقولة ولكن بيل لا يزال يعتقد أن ستيفن لن يغير موقفه تجاه الطفل. لقد كان أكثر حماقة من أن يفعل ذلك. وكان بيل متأكداً بأنه لن يبالي بالطفل.

"انتظري وستريَن. نحن لن نذهب إلى أي مكان. ولن تنتقل إلى أفريقية مع الطفل". صحيح ولكنكما ستتعلقان ببعضكما أكثر فأكثر، وكان يعرف ذلك. لقد شعر لتوه وكان الطفل ابنه، وأدرك بشكل ما أن أدريانا كانت تحاول أن تحميه من أن يتأذى وتحاول أن تمنع ستيفن من أن يرتكب خطيئة سيندم عليها للأبد "لا يمكنك أن تكون مسؤولاً عن الجميع. فليأخذ كل منا قراراته بنفسه، وحتى إذا كانت هذه القرارات غير لائقة فإنها ليست مشكلتك". وهنا أومأ لها وقد وضع الجريدة جانباً وقال: "أحبك... وأريد الجنين... وإذا عاد وغيّر رأيه سنضطر لمواجهة الأمر. ما هو أسوأ احتمال سيكون لدينا عندئذ؟ أن يعطى

الحق لزيارة الطفل؟. وهذا ليس بالأمر الرهيب. يمكننا أن نتعايش مع ذلك" وإذ نظر إليها عندئذ شعر بلمسة من الرعب فقال: "لم أنك تريدين أن تعودي إليه بنفسك؟" التقط أنفاسه وهو ينتظر جوابها، فهزت رأسها ولكن كان هناك بعض التردد في موقفها. لا أعتقد ذلك".

"شعر وكأنه يكاد يغمى عليه وهي تقول ذلك ماذا تقصدين بأنك لا تعتقدين ذلك؟".

أقصد لا. ولكن هذا سيعتمد على الظروف... وعلى أشياء كثيرة... يا بيل، أنا لم اعد أحبه إذا كان هذا ما تريد أن تسألني عنه بل أحبك. ولكن الأمر لا يتعلق بنا نحن الاثنين فقط فهناك طفل أيضاً.

"هل ستعودين إلى رجل لا تحبينه فقط من أجل طفله".

"أشك في ذلك". ولكنها لم تكن لتستطيع أن تقسم بأنها لن تفعل.

فنهض وغادر الطاولة عندئذ، ومرت عليهما عدة أيام عصيبة إلى أن هدأ من جديد. وأخيراً عقدا هدنة وأمضيا عطلة نهاية الأسبوع يتحدثان بحب ويحاولان أن يشرحا وجهتي نظرهما، لقد كانت تريد أن تتأكد بأن ستيفن سوف لن يغير رأيه ويريد الطفل. لقد كانت تعتقد أن عليه أن يراه عندما يولد. لم ترق الفكرة لبيل، ولكنه كان على استعداد لأن يتقبلها. فبعد الموقف الذي رآه من ستيفن تلك الليلة. فكر أنه من غير المحتمل أن يعود لرؤيته.

"وماذا بعد ذلك هل ستتزوجين بي؟ سألها بشكل جدي، فأشرق وجهها بابتسامة لسؤاله".

"نعم سأفعل. إذا كنت ما تزال تريدني". ولكنها لم تكن تريده أن يخبر الولدين أنهما سيتزوجان إلى أن تتوضح الأمور لهما وتتم تسوية الأوراق النهائية، والطلاق، وأن يتأكدا من موقف ستيفن. ولكن بيل كان يعتقد أن هذه كياسة نحو زوجها السابق لم يكن ليستحقها، ولكنه كان مستعداً لأن يتساهل معها في ذلك. وكان يشعر بالإثارة لفكرة أنهما سيتزوجان في نهاية المطاف.

"هل تعتقد أن الولدين سيعارضان؟" سألته بقلق لقد كانت قلقة بخصوص كل شيء في الآونة الأخيرة، لكن الطبيبة كانت قد أوضحت لها أن القلق في هذه المرحلة كان أمراً متوقعاً. كانت قلقة بخصوص إنجاب الطفل، والمخاض، والألم، وصحة الجنين، وكل الأشياء الطبيعية التي تقلق عليها النساء عادة. وكان بيل يعرف أن الطلاق كان مصدر إجهاد، لها وكذلك بيعها الشقة. تماسكت أدريانا وحافظت على رباطة جأشها بشكل جيد ولكنها الآن بدأت تقلق بخصوص أشياء تافهة. وقد صار يعتقد أن هوسها بأن تكون عادلة مع ستيفن كان جزء من نفس هذه العملية.

لقد كانت لا تزال أشد إجهاداً وتوتراً من المعتاد عندما جاء آدم وطومي. لقد كانت تخشى أن يستاءا من الجنين وكانت قد قررت أن تكون صادقة معهما. لم يستطيعا إخفاء دهشتهما عند رؤيتهما لبطنها عندما ذهبت هي وبيل لنقلهما من المطار.

"واو" قال طومي وقد بدا منذهلاً. "ماذا حدث؟".

"لا تسأل هكذا أسئلة" وبخه آدم.

"أنا حامل وسأنجب طفلاً" أوضحت أدريانا دون أن يكون هناك داع لذلك، فقد كان هذا واضحاً جداً حتى لطومي.

"أهو من أبي؟" سألها فركله آدم.

"لا ليس كذلك" أوضحت لهما عندما كانا في المنزل يشربان الشوكولا الساخنة في المطبخ المريح. "إنه من زوجي ولكن إجراءات الطلاق لا تزال مستمرة...". كانت تريد أن تكون صريحة معهما، وكان بيل قد أكد لها بأنهما سيؤيداها "... وهذا هو السبب الذي جعله يتركني. ذلك أنه ما كان يريد أطفالاً. ولهذا فإننا سنتطلق كما وأنه سيتخلى عن كل واجباته تجاه الطفل". قالت ذلك ببساطة متناهية وبات الولدان مصدومين وخاصة آدم.

"إنه أمر مريع".

"لا ليس كذلك. قال طومي معبراً عن رأيه. "فإن لم يتطلقا لما كانت مع بابا ولما كانت هناك لإنقاذي في بحيرة ليك تاهو في الصيف الماضي".

"هذا صحيح" قالت أدريانا ضاحكة. لقد كانت هذه طريقة تجعلهم ينظرون إلى الموضوع ببساطة أكثر.

"متى سيولد الطفل؟" أراد آدم أن يعرف.

"في كانون الثاني. بعد حوالى سبعة أسابيع".

"بهذه السرعة". بدا آدم آسفاً جداً من أجلها.

"أين ستعيشين؟ في شقتك؟" ولكن والدهما هو الذي تدخل بالحديث هذه المرّة وقال: "لا بل هنا، معنا.... معي". وابتسم واستأنف يقول سوف نضع الطفل في غرفة الضيوف.

"هل ستتزوجان؟" بدا طومي متفائلاً وهو يسأل ولم يبدُ على آدم أنه يعترض على ذلك أيضاً.

أجاب بيل: "في نهاية الأمر ولكن ليس الآن. فنحن بحاجة لأن نسوي الأمور أولاً".

"واه" كان طومي مسروراً بشكل واضح وانحنى آدم فوقها وعانقها. لقد ارتعد من قصة هجر زوجها لها، وأخبر والده فيما بعد بأنه يرى أن عليه أن يتزوج منها قبل أن تنجب الطفل.

"سأضع هذه الفكرة في ذهني يا بني" ثم أجابه بشكل جدي: "إنني أود ذلك فعلاً. ولكن علينا أن ننتظر حتى يتم الطلاق".

"متى سيكون ذلك؟".

"في القريب العاجل. سوف نخبركما بهذا عندما يحدث". لقد بدا وكأن الأمر سيستغرق منهما وقتاً ليستوعبا ما يحدث، ولكن في صباح اليوم التالي عاد كل شيء إلى طبيعته فكان التلفزيون مشغلاً، والغسيل في كل مكان، وكان الولدان يقفزان في كل أرجاء المكان وكان بيل يعد الفطور في المطبخ. لقد بدا

وكأنهم عائلة واحدة سعيدة وأخبرها طومي بأنه يتمنى لو يكون المولود صبياً لأن البنات كن مغفلات، وأما آدم فاكتفى بأن يبتسم وأخبرها بأنه سيحب المولود مهما كان جنسه. لقد تأثرت بلطفه ودماثة خلقه فبكت ومن ثم رتبت الشقة عندما خرجا مع والدهما لنزهة. وعندما عادا إلى المنزل جلبوا معهم باقة أزهار كبيرة لها.

قامت وبيل بإعداد عشاء الشكر لهم وكانت عطلة جميلة للجميع. لم يشب ذلك اليوم شائبة سوى أن بيل سمعها صدفة تتحدث إلى والدتها.

"لا إنه بخير" قالت لها تلفون، "اضطر للذهاب إلى لندن بدافع العمل وعندئذ رأت وجه بيل، وبعد أن أغلقت السماعة، دنا منها وقد وقفت في زاوية المطبخ كان عشاء الشكر قد انتهى عندئذ، وكان الولدان قد ناما لتوهما في غرفة نومهما.

عمّا تتحدثين؟ ولكنه كان يعرف الموضوع دون أن تخبره به. لقد كانت تكذب على أمها بخصوص ستيفن.

"ليس من داعٍ لأن أزعجها. لم يحدث لأحد في عائلتي أن تطلّق، ثم أننا في فترة الأعياد".

"لقد تركك منذ ستة أشهر يا أدريانا وكان لديك متسع من الوقت لتخبريها". وعندئذ خطر له شيء آخر: "هل أخبرتها عن الجنين؟" فهزت رأسها وجلس في كرسيه ينظر إليها: "أي نوع من الألعاب تمارسينه هنا؟ لماذا تحميه؟".

"لست كذلك". واغرورقت عيناها بالدموع ثانية، كل ما هنالك أنني لا أريد أن أناقش الأمر معها. فلم أخبرها أولاً لأني اعتقدت أنه سيعود، أما الآن فالأمر سيكون في غاية الإحراج ولست بحاجة لمزيد من الضغط فهم دائماً يسببون لي أوقاتاً عصيبة سوف أخبرها عن الأمر لاحقاً". كانت الدموع تملأ عينيها وكان يصعب عليها أن تجعله يفهم إلى أي درجة كانت الأمور محرجة مع عائلتها.

"متى ستخبريهم؟ بعد أن يولد طفلنا الثالث؟ أم بعد أن يتخرج الولد من الجامعة؟ أعتقد أن عليك أن تضعيها في الصورة قبل ذلك". وماذا تتوقع مني أن أقول؟ فأنا لم أكن أبداً قريبة منها ولا أريد أن أتحدث إليها عن الموضوع".

"يمكنك مثلاً أن تقولي لها أنك حامل".

"لماذا؟". ولكن حتى هي نفسها كانت تدرك أنه سؤال غبي.

"ماذا تنتظرين؟" سألها وقد ثبت نظره في عينيها مباشرة، ولوهلة مس الخوف قلبها. لقد بدا مجروحاً وغاضباً.

"هل تنتظرينه ليعود؟ وهكذا تستطيعين تسوية الأمور معهم؟" لقد أصاب الهدف وكان يعرف ذلك.

"في البداية كنت كذلك... ولكن الأمر الآن معقد جداً. فكيف أستطيع أن أبدأ بشرح الموضوع لهم؟".

"سوف تضطرين لذلك في نهاية الأمر... ما لم يعد ستيفن... ولكنه سوف لن يغير رأيه في الموضوع عندئذ. "انظري، إنها حياتك، وهما والداك. كل ما هنالك أنني لا افهم ما تصنعين".

"ولا أنا أحياناً". اعترفت له: "أنا آسفة يا بيل. كل شيء تغير وتبدل منذ أن رحل وأنا لم أخبر أحداً شيء، وكنت أشعر بالحرج جداً في بداية الأمر، ومن ثم فات الأوان، والآن غدا الأمر سخيفاً. إن نصف الناس في العمل لا زالوا يعتقدون أنني أخون زوجي". قالت ذلك وابتسمت له فشدها له.

"إنك تقنعينني صوابي أحياناً، وربما كان هذا هو السبب الذي يجعلني أحبك".

"وهذا هو السبب ربما في أن هاري كان يحب هلين التي كانت صديقته المفضلة..." شرعت تضحك فضربها على مؤخرتها بمنشفة المطبخ وهو يضع آخر صحن جانباً.

"أنا آسفة يا بيل.... أحياناً أضع الأمور في حالة فوضى".

"سوف نقوم بتسوية الأمور عاجلاً أو آجلاً". لقد كان يعتقد أنهما سيفعلان ذلك، ولكنه كان قد بدأ يرجو أن يكون هذا في أقرب وقت وليس آجلاً.

الفصل 24

مضت عطلة الشكر الطويلة بسرعة كبيرة. ولم يكن هناك الكثير ليتحدثوا حوله، لقد عرف الأولاد الآن أن أدريانا قد انتقلت إلى شقتهم وأنها كانت حامل. لقد كان آدم مفتوناً بالأمر، وكان يود أن يلمس بطنها لكي يستطيع أن يتحسس حركة الجنين، وقد كان يشعر بالإثارة عندما كان الجنين يرفس بشكل متكرر. فالتفت إليها بعينين واسعتين وابتسم بيل لهم.

"إنه ظريف أليس كذلك؟" لقد كان هذا يملأ بيل بالعجب أيضاً كلما شعر به.

استمتعوا جداً عندما ذهبوا في نزهة على الأقدام إلى المنتزه، وقبل ذهابهم حاولت أدريانا بكل جهدها أن تربط حذاءها.

"أشعر وكأنني أستند إلى كرة ماء".

"وأنا أيضاً" همس قائلاً لها وقد انحنى ليساعدها في ربط حذائها. لقد كانا يمارسان الجماع كلما تسنّى لهما الوقت والطاقة، ولنفس السبب الذي جعلها تعجز عن ربط حذائها غدا من الصعب عليهما أيضاً أن يستمرا في ذلك. "كما تعلمين إنه لأمر غريب أن يحدث لي ذلك" قال وهو يضحك بعد أن عقد رباط حذائها وجلس على الأرض وقد رفع نظره نحوها. كانت تنظر إليه من فوق بطنها المنتفخ.

"سألته ماذا؟".

"أن أغرم بامرأة حامل في الشهر الثامن".

"ضحكت بينها وبين نفسها وقد رأت الطرافة في الأمر. لقد كانت هذه

أغرب مغازلة على الإطلاق". ربما يمكنك أن تستخدم هذا كفكرة للمسلسل. ربما هجر هنري هلين وأمكنها أن تحب شخصاً آخر". اقترحت ذلك عليه وهي مبتهجة وقد ارتدت إحدى كنزاته.

"لن يصدق أحد ذلك" قال مبتسماً، وخرجا ليلعبا الكرة في منتزه بنمن مع آدم وطومي.

في اليوم التالي، طار الولدان إلى منزلهما، وبدا المنزل هادئ جداً من جديد من دونهما، ولكن كان هناك أشياء كثيرة يعملانها الآن قبل عطلة الأعياد. كانت غرفة الأخبار مسعورة، وطاقم التمثيل بدأ يعمل بجهد قبل 25 كانون الأول. فضغوطات حياتهما الخاصة، والمآسي الخيالية في المسلسل بدت وكأنها امتزجت معاً وجعلتهما متنازعين عاطفياً نوعاً ما. وكانت أدريانا تحاول أن تعد حجرة نوم الطفل أيضاً. وفي كل ليلة بين العرضين كانت تجلس لساعات وهي تصنع حواشٍ للمهد أو تحاول أن تفكر بالطريقة الأنسب لتعلق بها الستائر.

"دعيني أفعل ذلك" كان بيل دائماً وراءها وهي تصعد السلم أو تجاهد في تركيب المهد. وبعد ذلك كانا يتبادلان النظرات وهما يضحكان. لقد كان ذلك يملؤها إثارة. وكان الولدان مسرورين للغاية. فلم يبد عليهما استياء بسبب الطفل. لقد كانا متأسفين لأجل أدريانا لأن زوجها هجرها، وكانا مسرورين جداً من فكرة مشاركتها في أعجوبة الطفل. وصارا كلما اتصلا يسألانها أولاً عمّا إذا كانت أنجبت الطفل أم لا. ولكن بيل وعدهما بأن يتصل حالما تتم الولادة، وسيكون الولدان أول من يعلم بالأمر. كانا يأملان بأن يكون المولود صبياً ولكن بيل كان يتمنى خفية أن تكون فتاة، ولكن لم يكن ذلك بالأمر الهام.

حضرا أول درس في الولادة الطبيعية بعد عطلة الشكر. تسجلت أدريانا في أحد المستشفيات التي كانت تقدم هذه الدروس بعد نشرة أخبار المساء. وظهرا هناك مع عدة أزواج كانوا جميعاً ينجبون أولاداً للمرّة الأولى ما عدا زوجاً واحداً. شعرت بالاستغراب وهي هناك وبالحرج من أداء التمارين

وحضور دروس التوليد الطبيعي في غرفة مليئة بالغرباء ولكن بيل وطبيبتها أصرا على أن هذا سيساعدها كثيراً.

"سيساعدني في ماذا؟" قالت تجادل بيل في الطريق إلى المستشفى وهي تأكل ساندويش ديك رومي فهي قد بقيت بدون غداء. إذ يجب عليها أن تعود إلى العمل مباشرة بعد الدرس من أجل نشرة الأخبار الأخيرة. "إن الطفل سيأتي على جميع الأحوال سواء تدربت على الشهيق والزفير أم لا". لقد كانت تشعر أن دروس التوليد الطبيعي كلها متمركزة على موضوع التنفس.

"ستساعدك حتى تكوني مرتاحة" قال لها بهدوء.

وبعد ذلك وبدافع الغيرة نظرت إليه وهي تأكل المخلل وسألته "هل كنت ترافق ليسلي في هذه الدروس؟" لقد كانت قد بدأت تنزعج من أنه قد فعل كل ذلك من قبل وأنه بدا يعرف أكثر منها بكثير عن أسرار حملها.

ولكنه كان مبهماً بشكل ملحوظ. لم يكن يحب أن يقارن بينها وبين زوجته السابقة، فأدريانا كانت مختلفة ولن يشارك أحداً في شيء كما معها، فلم يكن لها مثيل. "بلى... نوعاً ما..." كان هذا كل ما قاله، ولكنه ظل يصر على أن دروس الولادة الطبيعية كانت تستحق الاعتبار.

"لا زلت أفضل أن أنجب الطفل في البيت". لقد كانت هذه اللازمة تدور في رأسه دائماً ولم يكن ليريدها أن تأخذها بعين الاعتبار.

ركن السيارة في مرآب المستشفى وسارا نحو المستشفى وقد تبعا عدداً من النساء الحوامل إلى الطابق الثالث حيث تجمعوا جميعاً أمام المحاضرة التي أشارت إليهم على أنهم (الآخرون الميمون). طلبت منهم أن يجلس على الأرض بشكل مريح حيث جلسن واشتبكت أرجلهن فوق حصير التدريب وتعارفن على بعض وعلى أزواج بعض، كان هناك معلمتان وممرضة وفتاتين عاطلتين عن العمل: هما، سكرتيرة وموظفة بريد، ومدربة سباحة بدت رشيقة القوام وكوافيرة وموسيقية، وامرأة تعزف على البيانو. وهذه التشكيلة المتنوعة من الزميلات كن على هيئات مختلفة وبشكل ما كانت أدريانا وبيل الشخصين

الأكثر ثقافة وعلماً ونجاحاً، وقد اكتفيا بالقول إنهما يعملان في التلفزيون في قسم الإنتاج ولم يكن هذا ليثير اهتمام أحد الأمر الوحيد المشترك بينهن جميعاً هو الحمل. فحتى أعمارهم كانت متباينة جداً. فالمرأتان اللتان كانتا عاطلتين عن العمل كانت إحداهما في التاسعة عشر ولا تزال في الجامعة وزوجها في العشرين، والمرأة التي تعمل في البريد كانت في الثانية والأربعين وزوجها في الخامسة والخمسين وكان هذا أول طفل لهما. وتراوحت أعمار الحضور بين العشرينات والثلاثينات واختلفت أحجامهن وأشكالهن واهتماماتهن. كانت أدريانا قليلة الاهتمام بهن وكانت تمضي معظم الوقت تنظر حولها أكثر من ممارستها للتمارين إلى أن يدعونهن للتوقف من أجل (استراحة القهوة) كانت النساء تشربن الكولا والماء بينما الرجال يشربون الشاي والقهوة وبدا الجميع متوترين بعض الشيء.

خاطبتهن المدرسة جميعاً وأكدت لهن أنهن إذا تدربن جيداً فإن تقنيات التنفس ستساعدهن كثيراً ولتوضح وجهة نظرها في نجاح هذه العملية جعلتهن يشاهدن فيلماً عن ولادة طبيعية استخدمت فيه المرأة وسائل التوليد الطبيعي من البداية إلى النهاية. شاهدت أدريانا المرأة على الشاشة وهي تتلوى من الألم فتشبثت بيد بيل بقوة خائفة. لقد كان هذا الابن الثاني للمرأة، على حد قول المرأة. فالأول كان قد ولد (عن طريق الأدوية) قالت بازدراء. وكان يفترض أن يكون هذا الحمل أحسن بكثير. أمكنهم سماع كل دفع، وكل أنة، بينما كانت المرأة تبذل كل جهدها على الشاشة، ولم تجد أدريانا في الوصف المفصل لما كان يجري أي نوع من الراحة أو العزاء. لقد بدت المرأة وكأنها على وشك أن تموت وأخيراً وعندما استخدمت تقنية أخذ النفس بسرعة والدفع بدا وجهها أحمر غامقاً وخرج صوت عويل حاد طويل وسلسلة مخيفة من الزعيق ثم ما لبث وجه أحمر صغير أن ظهر من بين ساقيها وبدأت تبكي وهي تبتسم، وهتف جميع من كان في غرفة الولادة لولادة هذا الطفل الذي كان فتاة، واستلقت المرأة إلى الوراء بانتصار في حين أشرق وجه زوجها وساعد في

قطع الحبل السري. وأخيراً عندما انتهى الفيلم أشعلت الأنوار. بدت أدريانا خائفة مما رأت ولم يقولا أي كلمة أخرى إلى أن غادرا عائدين إلى محطة التلفزيون في سيارة بيل.

'حسناً' قال بهدوء، 'ما رأيك؟' لقد لاحظ أنها كانت منزعجة، ولكن لم تكن لديها أدنى فكرة، وذلك حتى نظرت إليه بعينين واسعتين مليئتين بالرعب.

'أريد أن أجري عملية إجهاض'. كاد يضحك وهو يسمعها تقول ذلك فقد بدت حلوة عذبة فانحنى فوقها وقبلها وهو يشعر بالأسف لأجلها. لقد فكر بأن الفيلم كان فيه بعض المبالغة والتطرف. كان يرى أن هناك طرق أخرى بمكنهم اتباعها ليجعلوا العملية تبدو أقل ألماً ورعباً. ولم يكن متأكداً بأن عرض فيلم عن توليد طبيعي كان بفكرة جيدة في غرفة مليئة بأمهات ستنجبن للمرة الأولى على حد قول المدربة التي كانت تعطي دروس التوليد الطبيعي.

'سوف لن يكون الأمر سيئاً جداً'. أعنك بذلك. لقد كان يحبها أكثر من ذي قبل. وكان يريد أن يسير كل شيء على نحو طبيعي فتحصل على ولادة سهلة، وطفل مفعم بالصحة. لقد كان لا يزال يتذكر كم كان عصبياً ذلك الوقت الذي مرت به ليسلي وكم كان هو نفسه خائفاً عندما ولد آدم. ولكن ولادة طومي كانت أفضل بكثير. كان بيل يأمل بأن يستفيد من المعرفة القليلة التي لا تزال في ذاكرته كي يساعد أدريانا هذه المرة. الأمر الوحيد الذي كان يزعجه هو مظهرها وهي تتعذب.

'أنّى لك أن تعرف أن الأمر لن يكون بهذا السوء؟' سألته بغضب واستأنفت: هل سبق لك أن أنجبت طفلاً؟ ألم ترى وجه تلك المرأة على الشاشة؟ لقد ظننت أنها على وشك الموت بينما هي تدفع بالجنين'.

'لقد كان الفيلم غير مناسب فانسيه'.

'لن نعود إلى هذه المستشفى'.

لن يحل شيئاً 'دعينا على الأقل نتحكم بالتنفس حتى أستطيع أن أساعدك'.

أريد أن آخذ مخدراً عاماً. قالت مسلّمة، ولكن عندما ناقشت الموضوع

مع طبيبتها في المرة التالية عندما ذهبت إليها ابتسمت تلك متعاطفة معها وحسب.

'إننا نفعل ذلك فقط في حالات نادرة جداً، مثلاً في الحالات الخطيرة عندما لا يكون هناك وقت لنجري عملية قيصرية. وليس هناك سبب يجعلك تفكرين بأنك ستواجهين مشكلة على الإطلاق. اذهبي إلى الصف فحسب يا أدريانا وسوف تندهشين عندما ترين كيف ستسير الأمور بيسر وسهولة معك عند المخاض.

'لا أريد أن أنجب الطفل' كرّرت أدريانا على مسامع بيل عند مغادرة عيادة الطبيبة. لقد كانت خائفة ومذعورة جداً.

'لقد فات الأوان على ذلك يا حبيبتي' قال لها بهدوء. كانت ترتدي فستاناً وردي اللون وتسرّح شعرها على هيئة ذيل الفرس وهما يسيران عائدين إلى سيارته. لقد كانت خائفة حتى الموت من إنجاب الأطفال الآن، وكان هذا قبل بدأ منذ بداية دروس التوليد الطبيعي الذي صارت الآن تعطى للاثنين معاً.

'هذا التنفس الأخرق سوف لن يفيد، إنني حتى لا أتذكر كيف أفعل ذلك؟'.

"لا تهتمي. ستتمرن عليه"، وفي تلك الليلة، جعلها تستلقي على الأرض وتتظاهر بأنها تمر بمرحلة المخاض. وتظاهر بأنه يوقّت ألمها وحاولت أن تستخدم تقنيات التنفس وفي منتصف الأمر توقفت عن ذلك. ودست يدها في بنطاله. فقال لها: 'كفي عن ذلك. هلا كنت جدية'. وحاول أن يخرج يدها من سرواله، وهي تدغدغه وهو يضحك.

'دعنا نفعل شيئاً آخر'. قالت له وفي عينيها ومضة ماكرة وهجمت عليه.

'أدريانا... كوني جدية كفي عن ذلك'.

'أنا جدية' ولكن ليس بخصوص التنفس.

'هذا ما أوقعك في هذه الورطة بالدرجة الأولى'.

'ربما يكون معك حقاً". وحاولت أن تنقلب على بطنها ولكنها لم تستطع ذلك. فالتورّم، كما كانت تسميه أحياناً بدا وكأنه أكبر حجماً في ذلك الوقت. وكان الجنين مفعماً بالنشاط والحيوية وأمكنها أن تستشعر برفساته بشكل دائم تقريباً، خاصة في الليل، وبدا وكأنه كان يستريح أو يهدأ فقط في الصباح الباكر. 'ربما عليّ أن أبقى حامل دائماً. فإخراج هذا الشيء من داخلي أمر صعب جداً" لقد كان بالنسبة لها كأنها تبني باخرة عابرة للمحيطات في قبو المنزل.

'وسوف لن أمانع في رؤيتك هزيلة الجسم من جديد" قال لها بحزن، 'لقد كنت جميلة القوام عندما التقيت بك'.

'شكراً لك' قالت له وهي تعود للاستلقاء على ظهرها وكأنها حوت سحب إلى الشاطئ. وإذ استلقت هكذا بدت ضخمة الجثة: "أنت لا تحب شكلي الآن؟" كانت نصف جادة في كلامها وكان يعلم أن عليه أن يكون حذراً. استلقى بجنبها على بطنه وقد استند إلى مرفقيه وهو يقبلها.

"أرى أنك أجمل امرأة عرفتها سواء كنت حامل أم لا'.

'شكراً. قالت مبتسمة وانهمرت الدموع من عينيها، ثم وضعت ذراعيها حول عنقه كطفلة، وسالت الدموع من عينيها. أنا خائفة، اعترفت له وقد مسّت قلبه إذ قالت ذلك.

"أعلم ذلك يا حبيبتي ولكن الأمر سيكون على ما يرام أعدك بذلك".

'ولكن ماذا إن لم يكن الأمر هكذا؟ ماذا لو حدث شيء... لي... أو للطفل؟' لقد بدت حماقة منها ولكنها كانت خائفة أن تموت وظلت تفكر في تلك المرأة في الفيلم التي كانت تعاني ألماً شديداً وتصرخ. لم يسبق لأحد أن أخبرها بأن هذا كان سيحدث لها. لقد كانت تظن حتى الساعة بأن الطفل يخرج منها بشكل ما وهذا كل ما في الأمر. لم يعترف لها أحد بأن الأمر قد يكون مؤلماً.

'لن يحدث شيء لك أو للجنين. سوف لن أسمح بذلك. سأكون هناك في

كل ثانية، ممسكاً بيدك، وأساعدك، وسوف ينتهي الأمر حتى قبل أن تعرفي ذلك'.

"أهو حقاً بهذه الصعوبة؟" ونظرت في عينيه بجدية، وأما هو فلم يرد أن يخبرها كم كان الأمر صعباً ومؤلماً على ليسلي. فقد كان يفقد صوابه عندما رأى ذلك.

"ليس بالضرورة" أعتقد أن الأمر سهل عند بعض الناس.

'طبعاً، إذا كان لها وركين كفتاة باناما' قالت بحزن لأنها لم تكن هكذا.

'ستكونين على ما يرام'. قال لها وقبلها بلطف من شفتيها، فدست يدها في داخل قميصه ولامست كتفيه. ثم أنزلت يداها إلى ظهره وشعر برعشة من الإثارة. كانا يتبادلان القبلات، وكانت هي تلمس جسده، وعندها جعل يداه تجول على جسدها، ثم ابتسم وسط الشغف الذي كانا يشعران به. 'يجب أن أعدم لتحرشي بامرأة في مثل وضعك'. دهش لغرابة ما يفعلانه للحظة ثم نسي الأمر.

"لا سوف لن تُعدم'. قالت ممازحة، وكان يشعر بالعجب من أنها ما تزال قادرة على جذبه وإثارته. وانقلب على ظهره وأضجعها فوقه بعد أن خلعا ملابسهما. وبعد نصف ساعة، استلقيا منهكين، ونظر إليها وهو يشعر بالذنب. لقد كان يخشى أن يكون قد سرّع عملية المخاض عندها، ولكن لم تكن الدكتورة قد نبّهته عن ذلك.

"أنت على ما يرام؟ سألها وهو متوتر، وينظر إليها كما لو كانت تكاد تنفجر في أية لحظة.

'في أحسن حال'. ونظرت إليه كما لو كانت ثملة وقهقهت ضاحكة.

'هل أنا مثير للاشمئزاز' سألها وهو ينظر إليها. 'ما كان يجب أن أفعل ذلك'.

'بل على العكس. فمن الأسهل لي أن أطارحك الغرام من أن أنجب

الطفل وعلى الأقل سوف لن أحمل".

قطب حاجبيه عندئذ وهو ينظر إليها". أعتقد أنك قلت لي أنك عذراء.

"نعم". قالت مبتهجة. لقد كان مما يثير دهشتها في علاقتهما أنها كانت لا تزال علاقة عاطفية قوية رغم أنها كانت قد تجاوزت الشهر الثامن في حملها.

"أتريدين أن تجري تدريبات التنفس من جديد؟" قال وقد يتطوع لمساعدتها وهما مستلقيان في السرير. شعر أنه يجب عليه أن يفعل شيئاً لكي يخفف عن نفسه الإحساس بالذنب لإطلاقه العنان لمشاعره.

"أعتقد أننا قد انتهينا منها للتو". قالت بعذوبة. وعندما نظرت إلى الساعة في فزع فقد كانت الساعة العاشرة آنذاك وكان عليها أن تنهض وتعود لعملها لقد كانت لا تزال تعمل دواماً كاملاً حتى الحادية عشر. كانت زيلدا قد تطوعت بأن تغطي مكانها في أي وقت تريد أدريانا ذلك. ولكن حتى الآن لم تضطر أدريانا لطلب ذلك منها. لقد كانت تنوي أن تطلب إجازة الأمومة في نفس اليوم الذي يتوقع فيه أن تلد الطفل. وكان بيل قد قال لها للتو بأنه يعتقد أنها ترهق نفسها جداً.

"لماذا لا تسترخين على الأقل لبضعة أسابيع قبل ذلك؟".

"سوف يكون لدي الكثير من الوقت لأسترخي بعد أن أنجب الطفل".

"أهذا ما ترين؟". قال لها مبتسماً. وتذكر تلك الليالي التي ما كان ينام فيها، والنوم المتقطع من جراء العناية بطفل يريد أن يأكل كل ساعتين أو ثلاثة. لقد كان يحاول أن يقول لها ذلك، لكنها كانت ترغب في أن تعمل إلى النهاية. لقد كانت تشعر أنها على ما يرام وكانت تصر على أنها بحاجة للتسلية. ولكن كل مرة كانت تذهب للعمل كانت زيلدا تتأوه مستغربة عندما تراها.

"كيف تسيرين وأنت على هذا الشكل؟" سألتها وهي تشير إلى بطن أدريانا. "ألا تتألمين؟".

"لا" قالت أدريانا مبتسمة. "إنك تعتادين عليه".

"أرجو ألاّ يكون ذلك". قالت زيلدا متعاطفة معها. لقد كان هذا أمراً غريباً عليها وكان عليها أن ترجو أن تجعل منه أمراً مألوفاً فهي لم تكن ترغب بالأطفال. أو بأن يكون لها زوج. لقد كانت تشعر بالمودة نحو بيل ولكنها كانت تقول لأدريانا دائماً أن وجودها مع الأزواج كان يجعلها متوترة الأعصاب فما كانت لترغب بالزواج. ولكنها كانت سعيدة من أجل أدريانا. فما من امرأة كانت تستحق رجلاً طيباً مثلها، ولم تشك للحظة بأن بيل كان شخصاً جيداً. فهو لم يكن مثل ذلك النذل الحقير ستيفن. كانت قد التقت به صدفة عدة مرات. فقد كان يرتاد نفس النادي الذي تذهب إليه ولكن لم يبدُ عليه أنه رآها. لقد رأته هناك عدة مرات مع فتيات مختلفات وكن جميعهن جميلات وفتيات وكانت دائماً مستعدة لأن تراهن بأن ما من واحدة من هؤلاء كانت تعلم بأنه تخلى عن زوجته لأنها كانت حامل.

كانت قد سألت أدريانا مرة أو مرتين فيما إذا كانت سمعت عنه ولكن أدريانا كانت دائماً تهز برأسها والموضوع كان حساساً على ما يبدو ولذلك ما عادت تسألها.

قاد بيل السيارة بأدريانا إلى العمل تلك الليلة وكان يفعل ذلك كل ليلة في الآونة الأخيرة، ويمضي ساعة في مكتبه بينما هي تعمل وبعدها تأتي إليه ليأخذها إلى المنزل وأحياناً يجلسان ويدردشان لبعض الوقت في مكتبه المريح. لم تنفد منهما الأشياء التي يمكنهما أن يتحدثا عنها أو الأفكار التي كان يمكن أن يتشاركا بها أو حبكات جديدة للمسلسل. لقد كانا زوجاً مثالياً متسماً بالتناسق والانسجام، وكانا يمضيان وقتاً طيباً داخل السرير وخارجه. وكانا يضحكان عندما اتجها نحو المصعد فتوقفت وقد ارتسمت نظرة غريبة على وجهها.

"ما الخطب؟" قال وقد نظر إليها بقلق.

"لا أدري...". استندت إليه وهي تستغرب ما كانت تشعر به. فبطنها كله

كان قد صار صلباً كالصخرة، وشعرت كأنها شدت بملزمة. لقد كانت تعلم ماهية الأمر استناداً إلى الوصف في دروس التوليد الطبيعي. "أعتقد أن لدي تقلصاً في الرحم". وبدت خائفة فأحاطها بذراعه، ومن ثم شعرت بتحسن فقد كان هذا التقلص يأتي ويذهب؛ ولكنها نظرت إليه وتعابير الذعر بادية على محياها.

"لقد كنت تعملين بجهد كبير عليك أن تتمهلي وإلا فإن الطفل سيأتي مبكراً".

"لا أستطيع أن أفعل ذلك لست مستعدة لذلك" كانت حجرة نوم الطفل على وشك أن تنتهي، لكن فكرها لم يكن على استعداد بعد لتقبل ما ستعانيه. "أريد أن أستمتع بالعيد قبل أن أنجب الطفل".

"إذاً توقفي عن إجهاد نفسك" قال لها موبخاً. "قولي لهم أنك ما عدت تستطيعين العمل على نشرة الأخبار المتأخرة. وسوف يتفهمون الأمر. يا للجحيم إنك حامل في الشهر الثامن". وفي الواقع لم تكن متأكدة بأنها ستعود إلى الأخبار. سوف تستغل فرصة إجازة الأمومة لتقرر إذا ما كانت ستعود للعمل مع بيل. كانت لا تزال تخاف قليلاً من أن تصبح اتكالية عليه.

قاد السيارة ذاهباً إلى البيت وفي الطريق تعرضت لتقلصين، ولكن عندما وصلا إلى البيت أعطاها كأساً صغيراً من عصير العنب وألح عليها أن تشربه فتوقفت التقلصات بشكل عجيب؛ وبدت مبتهجة لقد كانت خائفة حتى الموت لأنها كانت ستنجب الطفل. "لقد نجح ذلك فعلاً".

"بالطبع" وقد بدا مسروراً من نفسه وهو يقبلها. وبعد ذلك شعر لوهلة بالذنب. "أعتقد أنه لا يجب أن نجامع بعد الآن" فقد كان يتساءل إذا ما كانت مجامعتهما الباكرة قد أحدثت ذلك.

لم تقل الطبيبة شيئاً. وأعتقد أن هذه التقلصات إنما هي تمهيدية للاستعداد للولادة".

"كلما زادت هذه التقلصات الآن كلما سهلت عملية الولادة".

"عظيم. إذاً دعنا نجامع من جديد" قالت ذلك وقد أتت على ما تبقى من عصير العنب وابتسمت له وقد بدت كشخص خبيث ذي بطن كبيرة وهي تقول ذلك.

"أعتقد أنه ممنوع عليه ذلك" والأمر المريع أنه كان يريد فعلاً أن يجامعها. لقد كان يرغب في ذلك طوال الوقت. كيف أمكنه أن يشعر بتلك الرغبة نحو امرأة حامل في الشهر الثامن؟ ولكنه وجد أنه كان يحبها أكثر فأكثر يوماً بعد يوم وبدت له جميلة رغم الهيئة التي كانت عليها. لقد كانت حساسة جداً، وجميلة جداً، وتغري بالعناق. انحنى نحوها وقبلها عندئذ ولكنه تدبر أمره ليتحاشاها عندما حاولت أن تثيره. "إذا لم تكفي عن ذلك يا أدريانا فإنك ستنجبين ثلاثة توائم".

"إنها لفكرة". ولكنها نشجت بالبكاء وهي تفكر بالولادة "أراهن بأنها ستكون عملية مؤلمة".

"هل ترين؟ إذاً كوني ممتنة لأنك ستنجبين واحداً فقط" ساد صمت طويل في عتمة الغرفة ثم همست له ثانية.

"ماذا لو كان هناك توأم في داخلي والطبيبة لم تعرف بذلك؟" صدقيني في هذه الأيام يعرف الأطباء كل شيء. لقد كانت تصاب بالقلق حول كل شيء وكانت تذهب عشرات المرات إلى حجرة نوم الطفل كل ليلة، فتتحقق من الأغراض، وتنفض الثياب الداخلية، وتنظر إلى القلنسوات الصغيرة وثياب النوم. ولقد تأثر برؤيتها هكذا وأكثر من مرة جعله الأمر يفكر بكم كان ستيفن أحمق لتخليه عن كل ذلك. لقد كان هذا يعني الكثير لبيل بعكس ستيفن تماماً.

كان بيل قد وضع ورق جدران في الغرفة من أجل الجنين، بلون أبيض يتخلله بعض اللون الوردي والنجوم الزرقاء وإطار زخرفي أزرق ووردي، كان قد أخذ السرير ذي القوائم الأربعة بعيداً ووضعه في مخزن القبو وكانا قد اشتريا أثاثاً للطفل معاً في بداية شهر كانون الأول (ديسمبر). كان كل شيء قد

صار جاهزاً أخيراً قبل أسبوع من العيد.

"كنت أود لو رأى الولدان هذا" قال بفخر.

لقد بدت الشقة جميلة وبهيجة. كان الأولاد قد ذهبوا للتزلج على الثلج في فيرمونت، وكانت أدريانا وبيل قد تحدثا إليهما عدة مرات قبل أن يغادرا، ولكنه لم يكن مسروراً لقضاء العيد بدونهما. كانا سيأتيان في شباط من أجل عطلة الربيع، وكانت هذه الفكرة رائعة. فإذا ولد الطفل قبل ذلك فهذا يعني أنه سيكون في الأسبوع الثالث من عمره آنذاك وستكون أدريانا قد تماثلت للشفاء نوعاً ما. اللهم ما عدا الليالي التي لن تنام فيها. لقد قررت أن تشرف على العناية بالطفل وسوف يضعان الطفل في سلة إلى جوار سريرهما حتى تستطيع أن تستيقظ كلما كان الولد جائعاً.

أخذت يوم إجازة لكي تنهي التسوق من أجل العيد وبالنسبة لهما سيكون هذا العيد مضاعفاً ففي الأول من كانون الثاني سيبلغ بيل الأربعين من عمره وكانت قد اشترت له ساعة ذهبية جميلة من محل كارتييه في رodeo درايف. لقد كانت باهظة الثمن ولكنها تستحق ثمنها. أرادت أدريانا أن تبقى معه هذه الهدية بقية حياته وقد كانت مصممة على نمط كان قد أعد بالأساس لسلطان بعيد عام 1920 وقد كانت تدعى باسم يناسبها وهو "الباشا". وكانت تعلم أنه سيحبها. أما من أجل العيد فقد اشترت له جهاز تلفون صغير وضع في علبة بحجم آلة الحلاقة، لقد كانت هذه الآلة مثالية تناسبه تماماً لأنه كان يود أن يبقى الاتصال به ممكناً من قبل العاملين معه في المسلسل طوال الوقت فقد كانوا دائماً يحاولون بجهد بالغ الوصول إليه حيث يكون. اشترت له أشياء أخرى كنزة جديدة، بعض العطور، كتباً كانا يحبانه عن الأفلام القديمة وجهاز تلفزيون صغير الحجم. كان يمكنه أن يتفرج عليه في الحمام أو حتى عندما يقود سيارته إذا ما كان يريد أن يتابع المسلسل في جميع الأوقات. لقد أمضت وقتاً محترماً في التسوق لأجله. واشترى كلاهما زحافات جديدة وحذاء للأولاد وقاموا بشحنها إليهم شرقاً قبل العيد. ستكون هذه أول مرة يصبح لطومي

أدواته الخاصة ولكن كانا كلاهما متزلجين بارزين ماهرين. وكانت قد أرسلت لكل منهما هدية منها ألا وهي سترة تزلج جميلة ذات قلنسوة ولعبة إلكترونية لكل منهما وكان بمقدورهما أن يلعبا بهذه الألعاب في السيارة في الصيف المقبل عندما يذهبون جميعاً لإجازتهم الكبيرة. ولكنهما قرروا من أجل هذه المرة أن يذهبوا إلى هاواي لمدة شهر وأن يستأجروا كوندو هناك فقد كانوا جميعاً يشعرون بحماس أقل للقيام برحلة تخييم أخرى في ليك تاهو.

كان ذلك قبل ثلاثة أيام من العيد كانت تلف كل الأشياء. لقد كانت تريد أن تنتهي من ذلك قبل وصول بيل إلى المنزل وكانا يعتزمان الذهاب إلى حفلة العيد السنوية التي يقيمونها للمشتركين في المسلسل، وكانت تريد أن تخبئ كل الهدايا. فوضعت معظمها في مهد الطفل ووضعت اللحاف فوق وكانت تبتسم بينها وبين نفسها وهي تلف الهاتف الصغير. لقد كانت تعلم أنه سيحبه فهو لم يكن يريد أن يكون مبذراً ويشتريه لنفسه. لذلك فقد طاب لها أن تدلّله وعندما انتهت من ذلك ذهبت لتحضر البريد ودهشت عندما رأت مغلفاً مرسلاً من البلدية. ففتحته دون تفكير ولبثت عندما رأت الأوراق التي فيه. ففي الحادي والعشرين من شهر كانون الأول أصبح طلاقها منجزاً وما عادت متزوجة من ستيفن، ورغم أنه لم يستطع أن يزيله من داخلها فقد فضّل أن لا يجعلها تستخدم اسمه من جديد. وكان المغلف يحوي أيضاً على أوراق تخليه عن واجباته الأبوية تجاه الطفل الذي لم يولد بعد. فقانونياً لم يعد الطفل ابنه. لقد كان ابن أدريانا نقطة وانتهى الأمر. ليس للطفل إذاً أب شرعي. ولن يكون اسمه على شهادة ميلاده كما أوضح لها المحامي في الصيف الماضي. جلست تحدق إلى الأوراق لوقت طويل والدموع تنهمر من عينيها وتسيل على خديها. لقد كان من السخف أن تستاء في هذا الوقت المتأخر، هذا ما فكرت به في نفسها. لم يكن الأمر مفاجئاً. فقد كانت تتوقع ذلك ومع ذلك فقد كان الأمر مؤلماً على أي حال. لقد كان هذا الرفض النهائي القاطع. فالزواج الذي بدأ بالأمل والحب آل إلى رفض كامل. فقد رفض كل ما يتعلق بها حتى ابنها.

وضعت الأوراق جانباً في درج في مكتب بيل بهدوء. لقد كان قد شاركها في كل شيء يملكه: قلبه، بيته، شقته، حياته، سريره، وكان حتى على استعداد لأن يتحمل مسؤولية طفلها. لقد كان الفارق بين الرجلين مدهشاً. فقد كانا على طرفي نقيض من كل النواحي ومع ذلك لا تزال حزينة بسبب ستيفن وكانت لا تزال ترغب لو حمّل نفسه على العناية بالطفل. وصل بيل إلى المنزل بينما كانت ترتدي ثيابها وشعر كالمعتاد أن أمراً ما قد حدث لقد ظن أنها كانت خائفة على الطفل من جديد فقد كانت في الأونة الأخيرة في حالة من القلق المستمر على الطفل وتخشى أن لا يكون الطفل طبيعياً. كانوا قد أخبروها في دروس التوليد الطبيعي أن كل هذه المخاوف كانت طبيعية سوية وأنه لم يكن ثمة حاجة أن تشعر بأن هذه العوارض قد تكون دلالة على أمر مريع خطير.

'هل تشعرين بالتقلصات من جديد؟' سألها وقد شعر بأنها مستاءة من شيء ما.

'لا أنا على ما يرام'. ثم قررت أن تدخل بالموضوع مباشرة دون مواربة أو مقدمات، وكانت هكذا دائماً. وقد كان يعرفها حق المعرفة. 'لقد وصلت أوراق الطلاق اليوم. وورقة تبرئه من الالتزامات الأبوية أيضاً وهي كلها رسمية'.

'كنت أود لو أقول مبروك ولكنني لن أفعل' ونظر إليها بحذر. أنا أعرف بما تشعرين به. حتى وإن كنت تتوقعين ذلك، إلاّ أنها صدمة'. ووضع ذراعاً لطيفة حولها وقبلها والدموع ملأت عينيها من جديد.'أنا آسف يا حبيبتي. فهذا ليس بالخبر الظريف لك في هكذا وقت. ولكن يوماً ما سوف يغدوا كل ذلك مجرد ذكرى وسوف لن تهتمي للموضوع برمته فيما بعد'.

'آمل ذلك. لقد شعرت بأنني متدنية المستوى وقليلة الشأن عندما حصلت على الأوراق. لا أدري... لقد كان الأمر كمثل تلقيك لقرار فصل أو طرد من المدرسة'.

'أنت لم تتسقي زواجك. بل هو مثل ذلك' ذكرها ولكنها جلست على السرير وبكت وتنهدت.

'لا أزال أشعر بأنني قد ارتكبت خطأ... أقصد ارتكبت خطأ جعل الطفل'.

'مما أخبرتني به أستنتج أنه مهما فعلت فما كان ذلك ليشكل فرقاً لو كانت لديه إنسانية لكان قد عاد إلى رشده الآن' ولم يكن بحاجة لأن يذكرها أن ستيفن لم يكن كذلك. لم يكن حتى مستعداً بأن يتعرف عليها عندما التقى بها في المطعم في تشرين الأول (أكتوبر). فأي نوع من الرجال يفعل هذا؟ فقط الإنسان الحقير، والنذل، والأناني. كان هذا جواب بيل الذي لم ينطق به قال لها "عليك أن تتجاوزي ذلك'. فأومأت برأسها وقد علمت أنه كان على صواب ومع ذلك كان الأمر صعباً عليها نوعاً ما. كانت أدريانا هادئة في حفل عيد في مكتبه. كان الجميع في تلك الليلة مسرورين، وفجأة شعرت بذاتها بدينة، وغير مرتاحة، ومكتئبة، وقبيحة. لقد كانت تمر بوقت مزعج عصيب أخبرهم بيل باكراً ليأخذها إلى المنزل فقد لاحظ أنها لاتستطيع أن تتسلى معهم، وأنهم لن ينزعج الآخرون إذا ما تركهم. إذ أنهم سيتفهمون الأمر. وحتى لو لم يتفهموا ذلك فإن أدريانا كانت تأتي بالدرجة الأولى في اهتماماته. كانت تعاني من التقلصات من جديد عندما ذهبا إلى السرير ولأول مرة لم تشعر بالرغبة بالجماع.

"أعلم الآن أنك مكتئبة حقاً" قال مازحاً.'قد تكون هذه التقلصات حقيقية' هل تريدين أن أتصل بالدكتورة؟ 'كان بيل متظاهراً بالاهتمام والقلق ولكنها لا تزال تبدو حزينة عندما استلقيا في سريره. كانت سلة الطفل مغطاة بالتخريمات البيضاء مركونة في الزاوية تحت تصرفهما. وكان موعد المرتقب المتوقع بعد أسبوعين ونصف من الآن وكانت لا تزال تشعر بالتوتر إزاء ذلك. فحتى الآن لم تساعد دروس التوليد الطبيعي في طمأنتها مع أن المعلومات كانت وافرة ومفيدة. ولكن وقائع ولادة الأطفال كانت لا تزال

ترعبها؛ ولكنها ما كانت تفكر بذلك تلك الليلة بل كانت تفكر بستيفن وطلاقها منه وبحقيقة أن الطفل ليس له والد.

"لدي فكرة" قال وهو يبتسم. "إنها غير مألوفة قليلاً ولكنها ليست خرقاء تماماً". دعينا نتزوج في العيد. فهذا يعطينا مهلة ثلاثة أيام للقيام بفحوصات الدم ونحصل على رخصة الزواج. أعتقد أن هذا ما يستغرقه الأمر، هذا إضافة إلى عشرة دولارات وربما أستطيع أن أوفر هذا المبلغ". كان ينظر إليها بحنو ورغم أنه كان يمزح إلا أنه كان جاداً باقتراحه.

"هذا ليس صحيحاً" قالت في حزن. "أتقصدين العشرة دولارات؟" كان لا يزال يحاول أن يخفف عنها. "حسناً إذا كان أكثر من ذلك فسأبذل جهدي لأوفر كل المبلغ".

"لا يا بيل أنا جدية. ليس جديراً بك أن تتزوج بي بدافع الشفقة. إنك تستحق أكثر من ذلك وكذلك الأمر آدم وطومي".

"آه بحق الله" واستلقى إلى الوراء في سريره وهو يتأوه: "أرجو أن تعملي بي معروفاً" لا تتقذيني من نفسي. فأنا ولد كبير وأعرف ما أفعله كما وأنني أحبك.

"وأنا أيضاً أحبك" قالت له بحزن، "ولكن الأمر ليس عادلاً".

"لمن؟".

"لك أو لستيفن أو للطفل".

"هل من مانع يحول دون شرحك لي الطريقة الملتوية، المنحرفة، العصبية التي أوصلتك إلى هذا الاستنتاج؟" كانت أحياناً تغضب منه وخاصة في الآونة الأخيرة فقد كانت تقلق إزاء أشياء كثيرة وكانت تشعر بأنها ملزمة بأن تكون منصفة للجميع... له... وللطفل... وحتى لستيفن البغيض.

"سوف لن أدعك تتزوج بي بالإكراه ولن تشعر بأنك مدين لي بشيء أو بأنك ملزم بأن تساعدني أو بأن الولد ينبغي أن يكون له أب. عندما نتزوج،

فإن ذلك يجب أن يكون لأنك تريد ذلك وليس لأنه ينبغي عليك ذلك أو تظن بأنك تدين بذلك لأحد ما.

"هل أخبرك أحد بأنك مخبولة؟ مثيرة... جميلة... فاتنة الساقين... ولكن مخبولة من دون ريب. فأنا لا أطلب أن أتزوج منك لشعوري بأنني ملزم بذلك، بل السبب هو أنني أحبك بجنون وذلك منذ ستة أشهر أم أنك لم تلاحظي ذلك؟ تذكريني فأنا الشاب الذي يعيش معك منذ الصيف الماضي، الشاب الذي أنقذت ابنه والذي يظن أولاده جميعاً بأنك تجترحين المعجزات. بدت مسرورة بما قاله ولكنها كانت لا تزال تهز رأسها. "لا يزال الأمر غير صحيح".

"لم لا؟" ليس الأمر عادلاً للطفل.

نظر إليها بجفاء تقريباً عندئذ. لقد سمع وجهة نظرها من قبل ولم يحب ذلك فقال لها "أم أنك تقولين أنه ليس عادلاً بالنسبة لستيفن؟".

ترددت لوهلة ثم أومأت برأسها لقد شعرت بأنها ملزمة بأن تنقذه من نفسه أيضاً." إنه لا يعرف قيمة ما يتخلى عنه. يجب أن يحصل على فرصة ليتفهم قراره ويمعن النظر فيه بعد أن يولد الطفل وقبل أن أستمر في الحياة وقد أغلقت باب حياتي دونه إلى الأبد".

"لا يبدو أن القانون يوافقك في ذلك. لقد ثبتوا صحة وشرعية ما جاء في الأوراق يا أدريانا ليس له بعد أن يدعي أي حق للطفل".

من الناحية القانونية أنت على صواب. ولكن أخلاقياً، هل تستطيع أن تقول ذلك حقاً؟".

"يا الله ما عدت أعرف ما أقول لك أيضاً". نهض عن السرير ومشى في الغرفة ونظر إليها وكاد يتعثر بالسلة البيضاء الصغيرة. "ثمة أمر واحد أعرفه لقد رهنت عنقي لك... وقلبي... وكل كياني... وكل شيء آخر تريدينه. وقد فعلت ذلك لأنني أحبك أنت والطفل لست مضطراً للانتظار حتى يراه أو يتحقق منه أو يقرر إذا ما كان جميلاً أو لا أو يأخذ درجة حرارتي العاطفية يوم

ولادته فأنا وأنت واحد وأن نكون معاً هو كل ما كنت أريده دائماً. إنني أود الزواج بك والبقاء إلى جانبك في السراء والضراء في المرض والصحة وإلى الأبد. هذا كل ما أريده. فخلال السنوات السبع الأخيرة كنت خائفاً جداً أن أقترح ذلك على أي كان. لقد كنت أخاف حتى من أن أدع نفسي أفكر في ذلك، وذلك لأنني وكما أخبرتك من قبل، لم أرد أبداً أن أعنى بطفل إلى ذلك الحد، أو أن أحظى بامرأة تتركني وتأخذ مني أطفالي ثانية.

هذا الطفل ليس ابني بل إنه ابنه كما تقولين لي على الدوام، ولكنني أحبه كما لو كان ابني أنا ولا أريد أن أخسره. أنا لا أريد أن ألعب معك. ولا أريد أن أقيم هنا وأنتظر حتى يأتي ويأخذ كل شيء أحببته. أنا لا أتوقع أن يفعل ذلك وقد أخبرتك قبلاً بهذا. ولكنني لن أجلس بلا حراك هنا وأترك بابي مفتوحاً إلى الأبد منتظراً إياه ليعود إلى رشده أو يمل من الحماقات في حياته ويرجع إليك وإلى الطفل. فأنا أعتقد يا أدريانا أنه لا يستحقك وإن كان يريدك وأنتِ تريدينه فمن الأفضل لكما أن تتخذا قراركما سريعاً. فأنا أريد أن نستأنف حياتنا معاً وأريد أن أتزوج بكِ وأن أتبنى هذا الطفل الذي تحملينه في أحشائك منذ تسعة أشهر والذي أستشعر برفسته. سوف لن أجلس هنا مفتوح القلب والكيان على المصراعين إلى الأبد فإذا كنت تريدين أن تحدثني عن العدل فليكن. ما هو العدل؟ وكم سيستمر هذا العدل؟ وكم يجب عليّ أن أبقى (عادلاً) نحو ستيفن؟

"لا أدري..." لقد تأثرت بكل ما قاله. شعرت بأنها تحبه أكثر من أي وقت مضى. كانت تود أن تنطلق إليه الآن، ولكنها كانت لا تزال تشعر بأن عليها أن تنتظر. ولكنه كان على صواب أيضاً. فمن غير الإنصاف أن تتوقع منه أن ينتظر إلى الأبد.

"ما الذي يبدو عادلاً بالنسبة لك؟ أسبوع؟ شهر؟ سنة؟ أتريدين أن تعطيه شهراً منذ ولادة الطفل، وأن تتأكدي عن طريق المحامين أنه لا يزال يرفض أي اتصال مع الطفل؟ هل يبدو هذا معقولاً؟" لقد كان يحاول أن يكون عادلاً.

أيضاً، ولكنها كانت تقوده إلى الجنون.

"سوف لن أتراجع إلى الوراء من أجله" أوضحت تقول. لم يعد هناك أي شك في ذهنها. ولكن بيل كان أحياناً غير متأكد إلى تلك الدرجة. ما زال الأمر يقلقه عندما كانت تتحدث عن الإنصاف نحوه. وللنساء أحياناً مواقف غامضة غريبة نحو الرجال الذين يكونون آباء لأولادهم، إذ أنهن يبدين لهم تفهماً وصبراً أكثر. ولم تكن الحال هكذا مع الرجال الذين قلما كانوا يستطيعون أن يتأكدوا من أن أولادهم هم منهم. أما النساء فكن يعرفن، وكان يتساءل إذا ما كانت ستشعر نوعاً ما بالارتباط نحو ستيفن إلى الأبد من خلال ابنهما. وكان يرجو ألا يحدث هذا، ولكنها ما كانت تستطيع أن تجيب على ذلك أيضاً. "إن الولد هو كل الموضوع يا بيل... الأمر هو فقط أن..."

"أعلم... اعلم... أنا أفهم... ولكنكِ تخيفينني أحياناً". جلس بجوارها على السرير والدموع في عينيه أيضاً وقال لها: أحبك.

"وأنا أيضاً أحبك" قالت له برقة وهو يقبلها.

"إذاً هل سنعطي المسألة شهراً؟ شهر بعد ولادة الطفل. سوف نتصل بالنذل الحقير بعد أن يأتي الطفل ونعطيه مهلة شهر ليغير رأيه وبعد ذلك ننسى أمره إلى الأبد؟ اتفقنا؟".

هزت رأسها باكتئاب. لقد بدا الأمر معقولاً بالنسبة لها، وقد كان ذلك أكثر مما يستحقه ستيفن. لقد وقع أوراق الطلاق في نهاية الأمر... تفريق... فصل... لقد بدا الأمر وكأنه ارتكاب جريمة وبشكل ما كان كذلك. فمن بعض النواحي يمكن اعتبار ما فعله لها كأنه قتلها. ولكن من جهة أخرى بيل هو من أنقذها. ومن أجل ذلك عليها أن تكون ممتنة له إلى الأبد. في الواقع لقد كانت تدين لبيل بأكثر من ذلك بكثير ولكن مع ذلك... كان ستيفن زوجها. لقد كان الأمر مشوشاً جداً، فلمن إذاً يجب أن تقدم الولاء الأكبر؟ لمن يجب أن تكون معنية أكثر؟ بالطبع لبيل لأنه كان دائماً إلى جانبها... ومع ذلك... لقد كانت تكره نفسها لأنها تشعر بأنها متنازعة. فبقلبها كان هناك واحد فقط أما في

عقلها فكان هناك اثنان على الدوام وتلك كانت المشكلة. ولكنهما اتفقا على مدة شهر بعد ولادة الطفل. وهذا بدا إنصافاً لها أيضاً وبعدها سيكون موصداً لما ستيفن وإلى الأبد. وذلك بالنسبة لها وللطفل.وهو لن يعرف ذلك، ولكنها تقدم له هدية من الوقت والخيار الذي لم يكن حتى ليريده.

"هل ستتزوجين بعدها؟" سألها بيل بإلحاح فأومأت بابتسامة خجولة. "هل أنت متأكدة؟" أومأت برأسها من جديد ونظرت إلى الأسفل برزانة وتحدثت بما يشبه الهمس.

"لديّ اعتراف أود أن أقر به أولاً".

"اللعنة. ماذا الآن؟" لقد كان على الرمق الأخير، لقد كانت ليلة طويلة وكان متعباً.

"لقد كذبت عليك" وبدأ يشعر بالغثيان وهي تتابع كلامها وبالكاد تستطيع أن تنظر إليه.

"بخصوص ماذا؟".

بالكاد كان يستطيع أن يسمع كلماتها وهي تعترف. "أنا لست عذراء في الواقع". ساد صمت طويل وعبس في وجهها بنظرة تدل على ارتياح شديد وقد أطلقت قهقهة. "امرأة فاسقة" قال لها متجهماً ومن ثم ورغم الندم الذي كان سيشعر به فيما بعد، طارحها الغرام من جديد، وبعد ذلك رقدا بهدوء وسلام أحدهما بين ذراعي الآخر حتى الصباح.

الفصل 25

كان العيد يوم عطلة عند أدريانا، فمكثا في السرير لوقت طويل بتكاسل، يضمان بعضهما البعض التماساً للدفء، ثم رن جرس الهاتف في الساعة التاسعة والربع، لقد كان آدم وطومي على الخط من ستاو، حيث كانا يتزلجان مع أمهما. كانا في حالة من الإثارة والحيوية، وبعد أن أغلقا السماعة ابتسمت أدريانا وتمنت لبيل عيداً سعيداً. وثبا من السرير، وذهب كل منهما إلى مخبئه الخاص حيث كان قد وضع الهدايا وعاد بالهدايا الجميلة الملفوفة بعناية. كانت هداياه ملفوفة في المحلات التجارية أما هداياها فكانت ملفوفة بنفس الطريقة التي كانت تطبخ بها ولكنه أحب كل ما قدمته له. لقد كان مسروراً جداً من التلفزيون، وقد ارتدى الكنزة تحت سترة بيسبول جلدية حمراء اللون كانت قد اشترتها له قبل يومين عندما كانت تتمشى عند ميل روز.

وهي أيضاً أحبت هداياه. كان قد اشترى لها فستاناً سويدياً أخضر اللون جميلاً من محل جورجيو كي ترتديه بعد ولادة الطفل، وحقيبة من محلات هيرمس، وقفازات من جلد القاطور الأسود كانت تعجبها كلما مارا قرب ذلك المتجر. بالإضافة إلى ذلك قدم لها كتباً وحذاء وردي اللون عليه بطيخ أحمر إضافة إلى ثلاثة أردية نوم جميلة وثوب تلبسه بعد الإنجاب. واشترى لها كل أنواع الحلي الصغيرة الحجم السخيفة، وسلسلة مفاتيح ذهبية، وقلم عتيق، وساعة ميكي ماوس كانت تحبها، وكتاباً من الشعر. لقد كانت تبكي في الوقت الذي أنهت فيه فض كل ما قدمه لها وبدا مسروراً جداً عندما رأى ردة فعلها. ثم اختفى من جديد وعاد يحمل صندوقاً صغيراً ملفوفاً بورق فيروزي ورباط ساتان أبيض.

"آه لا، يكفي هذا". وغطت وجهها بالقفازات السوداء الجلدية الذي كان قد أتى بها من محل غوشي. كان عليها أنشوطة حمراء وكانت تحبها". "بل يكفي ذلك.

"قال لها مبتسماً لا، لا يكفي. افتحي هذه". ولكنها نظرت إليه خائفة. لقد دلتها غريزتها إلى أن هذه الهدية هي الأكبر و"الأهم".

"هيا هيا، لا تخافي..." وبأصابع مرتجفة فتحت الصندوق فوجدت أولاً صندوقاً من الكرتون بنفس اللون الأزرق والورق الموشى بالنسيج المزخرف. ثم رأت صندوقاً سويدياً أزرق ثقيلاً داخله. ورويداً رويداً فتحته ومدت يدها إلى داخله. لقد كان خاتم ألماس مصنوع من جواهر مستطيلة ضيقة الشكل، فجلست تحدق إليه في عجب واندهاش. "هيا يا حمقاء" أخذه منها بلطف وقال لها "البسي ذلك... إذا كان يناسبك..." كان يعلم أن يديها منتفختين قليلاً ولكنه كان قد خمن حجم خاتمها. ولكن عندما أدخلته في إصبعها كان مناسباً جداً.

يا إلهي... آه يا بيل... وجلست تنظر إليه وهي تكاد لا تصدق وسالت الدموع على وجنتيها. "إنه جميل جداً ولكن... لقد كانت قد أخبرته لتوها في اليوم السابق بأنها لم تكن مستعدة للزواج، وكان خاتم زفاف جميل من ذلك النوع الذي قلما تحصل عليه النساء المحظوظات وبعد عشرين سنة من الزواج. ولكن مسلسله هذا كان قد ربح جائزة أخرى، وكانت تعلم رغم تكتمه عن الموضوع، فالمسلسل كان يدرّ عليه ثروة ولذلك كان يستطيع أن يشتري مثل هذا أغراض.

"لقد فكرت أنه يجدر بك أن تظهري بمظهر لائق عندما تذهبين إلى المستشفى ولذلك فإنه خاتم خطبة ولكنني وجدته أجمل من ماسة كبيرة وهو على هذا النحو. قال لها خجلاً وقد نظر إليها واستأنف كلامه "يبدو الأمر وكأنه نوع من الزواج. سوف أشتري لك خاتماً ذهبياً خالصاً إذا أحببت عندما نتزوج" لقد كان جميلاً وأحبته، وأحبت بيل أكثر بكثير من قبل. لقد كان رجلاً غير معقول. وإذ نظرت إلى الخاتم في يدها اليسرى كانت منبهرة، كانت قد

خلعت خاتم زفافها في نهاية الأمر قبل شهرين لأنه غدا ضيقاً على يدها المنتفخة، وإضافة إلى ذلك فما عاد يبدو مناسباً أن ترتديه.

"يا إلهي يا بيل ما أجمل هذا الخاتم !".

"هل أعجبك حقاً؟" قال وقد بدا سعيداً جداً، أما هي فقد تأثرت بكل ما فعله لأجلها.

"هل تمزح؟ يعجبني بل أحبه". قالت له مبتسمة ثم عادا إلى سريرهما من جديد وهي تنظر إلى الخاتم بابتسامة عريضة وتلاحظ أنه كان يتلألأ بشدة. سوف تنبهر الممرضات كثيراً من منظر الخاتم عندما يولد الطفل.

"رائع". قال وهو ينظر إليها بنصف إغماضة. "لا يبدو عليك أنك مخطوبة وربّت على بطنها عندئذ وشعر بالطفل يركله". "لا بد أنها فتاة" قال بسرور.

"لماذا؟" وكانت لا تزال تنظر إلى الخاتم غير مصدقة لما تراه.

"إنها تضرب بقدمها طوال الوقت" قال لها.

"ربما تريد خاتماً مثل أمها". ابتسمت ومالت لتقبله وهي سعيدة دون ريب. لأنها اشترت له الساعة الجميلة من محل كارتييه هذه الساعة التي ستعطيه إياها ليلة رأس السنة الميلادية في ذكرى ميلاده. لقد استنفد هذا الأمر قسطاً كبيراً من عائدات بيع الكوندو، ولكنها كانت تظن أن الأمر يستحق ذلك. وكانت تدخر بقية النقود من أجل الجنين. كان بيل قد قال لها إنه يريد أن يدفع لها فاتورة المستشفى ولكنها ما كانت لتسمح له بذلك.

"أنت متأكدة بأنك لا تريدين إعادة النظر في موضوع زواجنا الآن؟" سألها متفائلاً، وهو لا يزال يحاول أن يقنعها. فعلى الأقل هذا سيجعله يضع اسمه على شهادة ميلاد الطفل، وهذا كان سيبدو أفضل بكثير من أن يكتبوا (مجهول الأب) الذي كان خياره الوحيد الآن، أو أن يتركوا الخانة فارغة، كما اقترح عليها المحامي، إذا تزوجت هي وبيل فيمكنهما في أي وقت تسوية الأمر وإضافة اسمه لاحقاً.

ولكنها بدت حزينة وهي تنظر إلى بيل، غير راغبة في أن تجرح مشاعره. "لا زلت أعتقد أن علينا الانتظار". لقد كنا قد اتفقنا على أن يكون الحد الأقصى هو شهر شباط، إذا ما سارت الأمور بشكل حسن، ولم يرد ستيفن أن يختلق مشكلة لتغيير ذلك وتعديل رأيه بخصوص الطفل. لقد كانت فترة من النعيم كان بيل لا يزال يشعر بشدة أنه لا يستحقها، ولكنها كانت لا تزال تعتقد بأنه سيأتي إليها على جناح السرعة إلى غرفة الولادة فيقتحم الباب في اللحظة التي تلد فيها. وشعر بيل نوعاً ما بأنها هي من ستعود إلى رشدها وتصبح واقعية أكثر بعد أن تنجب الطفل، أما الآن فهي لا تزال في حاجة على ما يبدو إلى أن تتخيل بأن ستيفن يوماً ما سيتندم إزاء الطفل. لربما كانت هذه طريقتها في حماية نفسها من الواقع المحزن في أن ستيفن ما كان ليبالي بها أو بالطفل.

أمضيا فترة بعد ظهر هادئة، وقام بإعداد العشاء في تلك الليلة، وكان عبارة عن ديك رومي ظل يطهوه طوال فترة بعد الظهر، بينما كانت مسترخية على الأريكة، وقد أخذت قيلولة ولا تزال تضع في يدها الخاتم الجميل الذي كان قد أعطاها إياه صباحاً.

وعلقت زيلدا على الخاتم عندما ذهبت للعمل في اليوم التالي، إذ كان من المستحيل أن لا يلاحظه أحد، وفتحت ذات الشعر الأحمر عيناها باندهاش عندما رأت الخاتم.

" وا هل تزوجتما خلال العطلة؟".

"لا" ابتسمت لها أدريانا بطريقة غامضة. وقالت 'خطبة فقط' وضحكت بينها وبين نفسها. لقد بدت حامل بشكل يفوق توقعات المرء بأنها كانت مجرد مخطوبة وحسب.

'إنه خاتم جميل' قالت زيلدا بإعجاب.

'إنه فتى جميل' أضافت أدريانا، ثم عادت لرؤية أحد المحررين في نشرة الأخبار.

أمضت بقية الأسبوع وهي تحاول أن تربط الأمور، وتنسقها، وتشرح كل مشاريعها لزيلدا. فسوف تغادر قسم الأخبار خلال أسبوعين وبدا وكأنها مهمة صعبة أن تشرح، وتوضح، وترتب كل شيء قبل أن تغادر. وفي منتصف الأسبوع تقريباً اتصل أحد العاملين في مسلسل بيل بأدريانا وأخبرها أنهم يخططون لإقامة حفلة كمفاجأة لذكرى ميلاده الأربعين. وكانوا يريدون تعاونها معهم في جعله يذهب إلى الاستديو، وكانت سعيدة ومتأثرة لأجله. كانت ذكرى ميلاده الحقيقية هي ليلة 31 كانون الأول، وكانوا ينوون إقامة الحفلة بعد ظهر ذلك اليوم على مسرح التصوير، بوجود فرقة موسيقية، وبوجود الممثلين القدامى والجدد وعدد وافر من أصدقائه الذين يمكنهم أن يتصلوا بهم. بدت الفكرة رائعة لأدريانا. وبالكاد كانت تستطيع أن تتمالك نفسها في ليلة الحفلة لتحافظ على السر.

تناولا طعام العشاء مع أصدقائهم ليلة 30 كانون الأول، وهذه كانت حفلة صغيرة دعاهم إليها كاتب كان يعرفه وكانت الحفلة في مطعم تشاسن. وبعد ذلك وإذ كانا يقودان السيارة ذاهبين إلى البيت كانت أدريانا ناعسة جداً.

'سنة جديدة سعيدة' همست قائلة له فابتسم. وذكرى ميلاد سعيدة أيضاً. قالت له ذلك وهي تفكر بالحفلة التي يزمعون إقامتها في اليوم التالي، ولكنه كان قد نام لتوه قبل أن تنهي هذه الكلمات، وإذ نظرت إليه انحنت فوقه وقبلته. لقد كان رجلاً رائعاً وكان طيباً جيداً معها وكانت تحبه كثيراً. تمددت إلى جواره، وهي مستيقظة لفترة ومتعبة ولكنها لم تكن تشعر بالنعاس كما كانت قبل ساعة، ثم فجأة وإذ كانت مستلقية هناك شعرت بركلة حادة في بطنها ثم شعرت بضيق في كل جسمها من الصدر إلى الفخذين، وكان هذا شديداً جداً حتى كانت بالكاد تتنفس ولكنها لم تكن تتألم. كانت هذه جملة تحضيرية أخرى في رأيها. لقد كانت قد اعتادت تقريباً على تقلصات التحمية هذه. فقد كانت تصيبها على الأرجح في الأيام المزدحمة بالعمل، أو عندما تكون متعبة جداً ولم تكن لتنزعج كثيراً منها، وإذ كانت مستلقية هناك وتفكر بسلام شعرت

بضيق آخر يصيبها تلاه ثالث. فقررت أن تحاول إحدى خدعه السحرية دون أن تزعجه. فذهبت وأعدت لنفسها نصف كأس من عصير العنب وأخذت رشفة ولكن هذه المرة لم يوقف ذلك التقلصات، وعند الساعة الثالثة صارت التقلصات منتظمة، ولكنها كانت لا تزال تستبعد أن تكون تقلصات المخاض، ولذلك فقد أطفأت الأنوار وحاولت أن تنام. ولكن كلما شعرت بتقلص شديد كانت تستيقظ. وأخيراً وبعد أن تململت في سريرها وتقلبت من جانب إلى آخر تحرك بيل وسألها عن الأمر.

"لا شيء" دمدمت تقول "إنها تلك التقلصات الخرقاء".

فتح إحدى عينيه في الظلمة ونظر إليها وهي مستلقية في جواره وسألها: "هل تبدو حقيقية؟".

قالت "لا". ولكنها كانت تجعلها غير مرتاحة، وكانت تظن أن سببها هو أنها متعبة وكانت متأكدة بأنها لم تكن في حالة مخاض. ثم ما كانت تتوقع للطفل أن يولد قبل أسبوعين آخرين، فلم يكن هناك داعٍ لمجيئه قبل أوانه. في الواقع كانت قد رأت الطبيبة في اليوم السابق وأخبرتها تلك أن كل شيء هو حسب توقعاتهم، ولكنها قالت أيضاً إن الطفل من الناحية التقنية قد بلغ الأوان الطبيعي (المخاض) وأنه من المحتمل أن يأتي في أي وقت من الآن فصاعداً وحتى أسبوعين بعد الموعد المرتقب.

"منذ متى تشعرين بهذه التقلصات؟" دمدم بيل وقد استدار لينام على جنبه من جديد.

"لا أدري... منذ ثلاث أو أربع ساعات". كانت الساعة حوالي الثالثة والنصف تقريباً.

"خذي حماماً ساخناً". كانت تلك إحدى الوصفات السحرية الأخرى لديه وقد كانت هذه تنجح أيضاً. فقد حاولت ذلك عدة مرات عندما كانت تصيبها تقلصات وكان الحمام دائماً يوقف هذه التقلصات وكانت الدكتورة قد أخبرتهما أن التقلصات عندما تكون حقيقية فلا شيء يمكن أن يوقفها لا العصير ولا

الحمام الساخن أو الوقوف على رأسها. فعندما يريد الطفل أن يأتي فإنه سيأتي لا محالة. وكانت أدريانا في تلك اللحظة تكره أن تنهض من السرير وأن تذهب لأخذ حمام الآن وقد توقفت التقلصات الآن فمسها بيل برفق وقال لها: "هيا.. حاولي ذلك كي تستطيعي النوم".

دخلت بصوت خفيض إلى الحمام بعد برهة، وابتسم وهو يراها تتهادى في مشيتها، ثم نام نوماً خفيفاً وهو يصغي إليها وقد فتحت حنفية الماء في حوض الاستحمام، وغدا له وكأن ساعات عديدة قد مضت عندما سمعها في المرة الثانية إلى جواره ولكنه فجأة شعر بها متصلبة، متيبسة، وتصدر ضجة غريبة. فاستيقظ في الحال ونظر إليها ليرى وجهها مشدوداً وقد تصلب جسدها كلياً عندما تشبثت به.

"أنت بخير يا حبيبتي؟" وبدا قلقاً وهو ينظر إلى وجهها ويرى قطرات العرق تتصبب من جبينها عندما أنار الضوء. لم يوقف الحمام التقلصات لديها على ما يبدو. فابتسم عندما استرخى جسدها، وكان هناك خوف في عينيها. فأخذ يدها بيده وقبّل أناملها "أعتقد أن صديقنا الصغير يريد أن يحتفل معنا بالعيد" ما رأيك يا حبيبتي هل نتصل بالدكتورة؟" فقد كان يرى بوضوح أنها في المخاض.

"لا..." وشدت على يده من جديد "أنا بخير... فعلياً...آه، لا" وصرخت فجأة:"لا. أنا لست بخير... آه بيل". وقبضت على يده وشدّت عليها بقوة، وقد نسيت كل ما كان قد علموها إياه عن التنفس. ولكنه ذكّرها فلهثت وهي تتنفس. ولكن كان يدرك بدون ريب أنه ليس لديهم وقت يضيعونه. لقد كانت فجأة في نوبة من الألم، وأن الأوان ليذهبوا إلى المستشفى. فساعدها على الجلوس إلى أن التقطت أنفاسها ومضت إلى حجرة الملابس يبدو الدوار عليها. لقد كانت متعبة وخائفة، وكانت قد بدأت ترتجف. وما هي إلا دقيقة حتى خرجت من حجرة الملابس من جديد وقد بدا الرعب عليها. فهرع إليها في الحال وأجلسها على الكرسي ولكنها كانت لا تقوى على الكلام الآن وقد انتابتها تقلصات. وإذ

جلست هناك تلهث متلهفة إلى الهواء تذكرت الصراع والألم التي كانت تعانيه تلك المرأة في الفيلم. وقد بدا ذلك أكثر شدة من حالتها لم تكن تستطيع أن تلتقط أنفاسها، وفجأة صارت نوبات الألم تصيبها الواحدة تلو الأخرى.

"لا تتحركي... ابقي هادئة... استمري... تابعي التنفس..." كان يتحدث إلى نفسه بقدر ما يتحدث إليها في حين هرع فجلب لها ثوباً فضفاضاً كبيراً من خزانة ملابسها، وساعدها على أن تخلع ثوب نومها وألبسها الفستان ووجد حذاء قديماً جعلها تنتعله سريعاً.

"لا أستطيع أن أذهب وأنا على هذه الحال" قالت له بين نوبات الألم. فقد كان قد أعطاها أسوأ فستان لتلبسه.

"هوّني عليك إنك تبدين جميلة، ولبس بنطال الجينز وكنزة وانتعل حذاء كان تحت سريره، وقد أبقى نظره عليها وهو يتصل بالدكتورة. ووعدته تلك أن تلاقيهما في المستشفى بعد نصف ساعة، وساعد أدريانا في تؤدة لتنهض عن الكرسي. ولكنها وقبل أن تعبر الغرفة شعرت بتقلص شديد للغاية. وكان قد بدأ يتساءل إذا ما كان عليه أن يتصل بالإسعاف أو أنهما تأخرا، ولكنه كان مصمماً على ألا يترك لها المجال لتنجب الطفل في المنزل، وحاول أن يشجعها كي تمشي معه عندما زال التقلص. وأخذ معه حقيبة المستشفى الخاصة بها وكادا يصلان إلى الباب الأمامي قبل أن تعود التقلصات من جديد. كانا يحرزان تقدماً بطيئاً وكانت تبكي عندما بدأ هذا التقلص من جديد فقال لها: "حسناً يا حبيبتي... كل شيء سيكون على ما يرام. سوف نأخذك إلى المستشفى خلال دقائق وسوف تكونين أفضل".

"لا لن يحدث هذا". قالت باكية وقد تشبثت به بدافع الخوف على حياتها.

"آه يا بيل... هذا مريع...".

"أعلم يا حبيبتي، أعلم، ولكن سينتهي كل شيء في الحال وسيكون لدينا طفل جميل". فابتسمت له وسط الدموع وحاولت أن تتنفس رغم الألم، ولكن ذلك لم يكن أمراً سهلاً. لقد كان على صواب. لقد نجحت تمارين التنفس إلى

حدٍّ ما. ولكنها تصل بسرعة إلى المرحلة التي تعجز فيها عن الاستمرار في التنفس على ذلك النحو.

بدا وكأن الأمر استغرق منهم ساعات ليصلا إلى حيث يركن السيارة، ولكنه أخيراً وضعها في السيارة ورمى بحقيبتها على المقعد الخلفي ثم قاد السيارة بأسرع ما أمكنه إلى المستشفى وهو يرجو أن تتبعه سيارات شرطة الطريق. فهذه المرة ما كان ليمانع أن توقفه الشرطة. فهو كان يأمل أن ترافقه الشرطة في حالة أنزلها الطفل في السيارة. ولكنها لم تفعل، ولم يأتِ أحد، فقاد سيارته إلى مدخل الطوارئ وصرخ منادياً على أمل أن يسمعه أحدهم ويأتي لمساعدتهما. فظهر مرافق بعد وهلة، أمسكت أدريانا ببيل بقوة وهي عاجزة عن التنفس خلال التقلص فساعدها على الجلوس على كرسي متحرك وهي تئن ودفعها الموظف بالكرسي بأقصى سرعة وركض بيل إلى جوارها.

"بيل... آه... لا أستطيع" كانت بالكاد تستطيع الكلام، ورآها ترتجف بشدة، فألقى بسترته عليها وهو يحاول أن يصرف انتباهها عن الألم الذي تشعر به.

"لا إنك تستطيعين... هيا... إنك تفلحين... جيد... عظيم... ها إنك على وشك أن تنتهي". كانت تلك مجرد كلمات، ولكنها كانت في حاجة إليها لكي تتشبث بها. لقد كان يعلم أنهما عندما يصلان إلى غرفة المخاض فإنها ستوصل إلى مرقاب ويستطيعون أن يروا من خلاله مدى شدة التقلصات ومدتها ومتى تصل إلى الذروة ومتى تخبو. وهكذا يستطيع أن يخبرها كلما أوشكت التقلصات على الانتهاء. ولكن الآن ليس لديهم شيء من هذا، وكل ما كان لديها الآن هو الألم والإحساس بالخوف من أن تزداد حالتها سوءاً وأن تفقد السيطرة. كانت قد بدأت بالتفكير بأنها ستموت وأطبقت بيدها على يد بيل عندما حاول أن يساعدها للخروج من الكرسي المتحرك.

كانت الطبيبة قد وصلت لتوها إلى هناك، وكانت بانتظارهما، وساعدت أدريانا للانتقال إلى السرير بمساعدة ممرضة شابة لطيفة، ولكن أدريانا شعرت

بالنفور منها. فهي لم تكن أبداً في أفضل أحوالها، وبدأت تغدو هستيرية عندما رفعوا عنها الفستان وحاولوا أن يوصلوا الحزام الضيق للمرقاب إلى جسدها في حين كان تقلص جديد يمزق أحشاءها.

"تماسكي يا أدريانا... سيستغرق الأمر دقيقة فقط" قالت الدكتورة وهي تساعد الممرضة بأيد خبيرة ماهرة في حين كان بيل يحاول أن يبقي أدريانا تتنفس. لقد كانت تمر بوقت عصيب ونظرت إليه فجأة وقد أجفلت.

"إنه يخرج" قالت ذلك وقد بدت مذعورة وهي تنقل نظرها من بيل إلى الطبيبة." إنه قادم... إن الطفل قادم...".

"لا. ليس كذلك" قالت الطبيبة وهي تحاول أن تجعلها تهدأ وطلبت منها أن تتنفس في حين حاول بيل أن يذكرها كيف تفعل ذلك، ولكنها كانت تصرخ وتصر على القول إن الطفل كان قادماً. "لا تدفعي" كانت الدكتورة تصرخ عليها تقريباً الآن، وفجأة ظهرت ممرضتان في الغرفة، وعبست الدكتورة وهي تنظر إلى المرقاب ثم تحدثت إلى بيل بينما كانت تغسل يديها عند حوض المغسلة في الغرفة.

"إنها تعاني تقلصات شديدة... وطويلة... قد يدوم الأمر أطول مما تتوقع" قالت له بهدوء فيما كانت أدريانا تصرخ.

"إنه قادم... إنه آت..." كانت تبكي وتصرخ بشكل مشوش غير مترابط وكان بيل يريد أن يبكي أيضاً. لم يستطع أن يتحمل رؤيتها وهي تتألم، وزاد الأمر سوءاً عندما فحصتها الدكتورة. لقد شعرت وكأن هناك ألماً مبرحاً يشق طريقه عبرها، وأومأت الدكتورة برأسها دلالة الرضى.

"لقد آن الأوان تقريباً لأن تدفعي يا أدريانا... فقط بضعة تقلصات أخرى".

"لا". صاحت ثم بعدها جاهدت لكي تستقيم وهي تتصارع مع المرقاب إلى أن أزاحته عن وسطها المنتفخ. "لن أستطيع. لا يمكنني أن أفعل ذلك".

"بل تستطيعين" قالت لها الدكتورة ثانية، بينما كان بيل يحاول دون جدوى أن يهدئها. وهذا ما جعله يشعر بالإعياء إذ رآها تتألم وكانت تتلوّى في السرير بينما كانت الدكتورة تتشاور مع الممرضات. لقد كان هذا أسوأ بكثير من الفيلم الذي شاهدوه في دروس التدريب وكان بيل يريد أن يسألهم لماذا لا يعطونها شيئاً لتهدئة الألم، ولكن الدكتورة قاطعته عندما حاول السؤال وقالت: "ألا تحبين أن تنجبي طفلك الآن يا أدريانا؟ ها إنك ستلدين ولداً الآن وها أنا أرى رأسه. هذا هو... هيا يمكنك أن تبدئي بالدفع". أطلقت أدريانا صرخة فظيعة ونظرت إلى بيل وكأنها تستنجد به لينقذها. أوصلت إحدى الممرضات المقابض إلى السرير وثبتت أخرى ركبتيها من الطرف الآخر وفجأة لكتسي كل شيء بالورق الأزرق وناولوا بيل قلنسوة حمام وبزدية خضراء وتغير شكل الغرفة كلياً، في حين أمسك بيل بكتفي أدريانا "ها هو ذي... هيا... ادفعي الجنين خارجاً" قالت الطبيبة تحثها، واستمرت أدريانا تصر على أنها لا تستطيع. لقد بدا وكأن كيانها كله قد تملكه الألم وكان بيل يريد أن يتوسل إليهم ليعطوها شيئاً لتهدئتها وراحت تصرخ في كل مرة كانت تدفع بينما كان هو يمسكها ويبكي. ولكن لم يلاحظ أحد دموعه. أدريانا كانت تبكي أيضاً. كانا يبكيان وفجأة وإذ استندت إلى الخلف ثم استقامت في مجلسها ودفعت من جديد أطلقت صوت صريخ حاد طويل ونظر بيل في ذهول. نظر إلى أدريانا التي كانت تبتسم عبر دموعها ثم تصرخ من جديد وهي تدفع الجنين خارج أحشائها، وتستند إلى الخلف ثانية إلى الوسائد وهي منهكة. "إنه صبي" قالت الدكتورة وكانت أدريانا وبيل يبكيان ويضحكان معاً، ونظر إلى المخلوق الصغير الذي كان ينظر إليهم بعينين واسعتين مذهلتين وأنف صغير يشبه أنف والدته. كانت تجهد نفسها لكي تراه أيضاً ثم أطلقت صوت أنين مروع عندما أسلمت الدكتورة مشيمة الجنين.

"إنه جميل جداً". قال بيل بصوت أجش."وأنت أيضاً كذلك". وانحنى إلى الأمام وقبلها واستدارت نحوه بنظرة لن يمكنهما أبداً أن يتشاركا بها بعد. نظرة

وشعور كانا قد ولدا للتو في تلك اللحظة، ولكنهما سيتذكران هذه اللحظة ما حييا.

"هل هو على ما يرام؟" سألت وهي واهنة.

"إنه رائع" أعلنت الدكتورة وهي تخيط أسفل جسد أدريانا. لقد كانوا قد أعطوها للتو مخدراً موضعياً ولكنها لم تلاحظ ذلك. ووصل طبيب الأطفال المقيم إلى الغرفة لتوه ليفحص الطفل. ولكن الطفل كان يبدو جيداً لقد كان يزن ثمانية باوندات وأربع عشرة أونصة، وحجمه طبيعي، وظل بيل يقول إن الطفل كان يشبه أمه تماماً ولكنها كانت تعتقد أنه كان يشبه بيل وهذا كان لا يعقل. ولكن بيل لم يرد أن يقول لها ذلك.

ساعدهم بيل في نقل الطفل إلى غرفة العناية بالأطفال في حين نظفوا كل شيء وعاد بعد نصف ساعة من جديد. كانت الساعة الخامسة والربع آنذاك. ونظراً لأنه أول طفل فقد جاء بسرعة ملحوظة. فهو في المستشفى منذ الساعة الرابعة والنصف ولكن بالنسبة لأدريانا بدت هذه اللحظات القليلة الأخيرة وكأنها دهراً.

"يؤسفني أن الأمر كان صعباً عليك" قال لها هامساً وانحنى إلى الأمام نحوها متعجباً من شكلها الذي اختلف عما كان عليه منذ بضع دقائق، فقد كانوا قد سرحوا لها شعرها وغسلوا لها جسدها بل إنها كانت قد وضعت أحمر الشفاه. لقد كانت مختلفة تماماً عن المرأة التي شاهدوها في حالة هستيرية، تصرخ من الألم في الفيلم.

"لم يكن الأمر بتلك الصعوبة". قالت في هدوء، وقد بدا غريباً عندما نظر إليها ورآها تبدو فجأة أكثر نضجاً الآن. فقد تغيرت خلال دقيقة. وكأنها كانت فتاة والآن أصبحت امرأة. نوعاً ما كانت محقة عندما قالت إنها كانت عذراء. "لم يكن الأمر حقاً بذلك السوء". وقالت في سرور. "سأفعل ذلك ثانية..." ابتسمت وبدأت تضحك. لقد كانت تقول نفس الكلمات تماماً التي توقع بها. "أهو على ما يرام؟".

"إنه في أفضل حال. إنهم ينظفونه جيداً ثم سيعيدونه إلى هنا". وبعد دقائق عادت ممرضة تحمل الطفل وقد بدا نظيفاً وجميل الرائحة، وقد لف بالأقمطة بشكل جيد ووضعت بطانية عليه. فتح عينيه عندما ناولتها إياه الممرضة، ونظر بيل وأدريانا إلى الأسفل نحوه متعجبين. لقد كان كاملاً في كل شيء، وكانت أدريانا تشعر بأن في الأمر أعجوبة كبيرة لم تكن تتخيلها. لقد ذكّر هذا الطفل بيل بآدم وطومي بشكل من الأشكال، ولكن هذا الولد كان مختلفاً أيضاً. مختلفاً وله امتياز خاص. لقد شعر فجأة بأنه أقرب إليها كثيراً، حتى أقرب مما كان من قبل، وكأنهما كانا يتشاركان روحاً واحدة، وفكراً واحداً، وقلباً واحداً... وطفلاً واحداً. وكأن الثلاثة كانوا يتشاركون في نبضة قلب واحدة. وفتح الطفل عينيه ونظر إليهما وكأنه يحاول أن يتذكر إذا ما كان يعرفهما.

بدأت أدريانا تبكي من جديد، ولكنها كانت دموع الفرح. وكان كل ما يخص هذا الكائن الصغير يستحق العناء. كان يستحق كل ذلك الألم، والتشوش، والقلق الذي مرت عبره. لقد كان يستحق حتى خسارة زواجها من ستيفن، وقد غدت الآن سعيدة بشكل مضاعف لأنها لم تترك لستيفن المجال لكي يجبرها على أن تسقط الجنين. لقد كانت فكرة جهنمية. ساعدها بيل على فض الأقمطة عنه قليلاً ووضعه إلى صدرها. فأخذه في الحال، في حين شعر بيل بالدموع تملأ عينيه وهو يراقبها. لقد كان الأمر بسيطاً جداً، وسهلاً جداً، وتماماً كما كانت مشيئة الحياة. فها هنا شخصان يحبان بعضهما البعض ويحبان الأطفال الذين دخلوا حياتهم كبركات صغيرة.

"ماذا ستسميه؟" همست تسأل بيل.

"أنا أفكر بأن ثيغين سيكون اسماً ظريفاً. فهذا اسم رائع جداً".

"يعجبني هذا الاسم". قالت بحنو. سوف لن تنسى ما فعل من أجلها، وكيف كان هناك دائماً لمساعدتها من البداية وإلى النهاية، وكانت تدرك أنها ما كانت لتمر عبر كل ذلك بسلام لولاه. لقد كان الفريق الطبي أقل أهمية بكثير

"سوف أنجب الطفل التالي في المنزل". قالت له فدمدم بيل.

"أرجوك... هل سمحت لي بأن ألتقط أنفاسي؟ فالساعة لم تتجاوز السادسة صباحاً بعد". ولكنه كان مسروراً لسماعها تتحدث عن (الطفل التالي). وإذا ابتسمت نحوه تذكرت أنه يوم رأس السنة وأنه كان ذكرى ميلاده.

"ذكرى ميلاد سعيد، وانحنت إلى الأمام وقبلته بينما كان الطفل يراقبهما. فأطلق بعض الأصوات، بين الفينة والأخرى، ولكنه بدا مرتاحاً تماماً بينهما.

"إنه هدية رائعة جداً" لقد كانت ذكرى رائعة مرتبطة ببلوغه سن الأربعين، تذكيراً له بكم أن الحياة ثمينة وكم هي نادرة وبسيطة. إنه طفل هدية من المرأة التي أحبها. لقد كانت هدية مثالية. "ما رأيك باسم تيدي بالمناسبة؟".

"فكرت بالاسم لدقيقة ثم قالت له بل ما رأيك باسم سام؟".

أومأ برأسه وقد نظر إليه إلى الأسفل. لقد كان طفلاً جميلاً ويبدو الاسم مناسباً له "أحب هذا الاسم. سام ثيغبن". ونظر إليها عندئذ وهو لا يرغب في أن يوجه إليها أي سؤال. فهل سيكون سام ثيغبن أم تاونسيند أو اسمها قبل الزواج سام طومبسن؟ ولكن كان هذا السؤال سابقاً لأوانه بكثير.

مكث بيل معها حتى الثامنة صباحاً ثم ذهب للمنزل كي يستحم. ويتناول الفطور. ووعدها بأن يعود في أسرع وقت وقال لها أن تأخذ قسطاً من النوم أيضاً. وعندما غادر وهو يمشي على رؤوس أصابعه خارجاً من الغرفة التفت إلى الخلف وألقى نظرة عليهما. ليرى الطفل ينام بين ذراعي أمه وكان كلاهما يشعران بالسلام والحب. ولأول مرة منذ وقت طويل كان يشعر بالرضى، والسلام، والسعادة الكاملة.

الفصل 26

استيقظت أدريانا من جديد بعد حوالى ساعة من رحيل بيل. كان الطفل لا يزال نائماً، ولكن الممرضات أتوا ليتفحصوا أمورها. كانت على ما يرام وكان لا يزال لديها بعض التقلصات الخفيفة، لكن كل شيء بدا على ما يرام، استلقت بهدوء وتوقفت طويل تفكر بعد أن تركوها. ورأت أن عليها إجراء مكالمتين وارتأت أن هذا الوقت مناسب جداً لإجرائهما. لقد كانت تشعر وكأنها مشحونة بالكهرباء، وهي تنظر إلى ابنها النائم. لقد كان هذا أجمل يوم بحياتها وأسعد لحظة، وأرادت أن تشارك الآخرين ذلك بشكل أو بآخر.

اتصلت أولاً بكونكتيكوت، وكانت المكالمة صعبة ولكن الخبر السار جعلها في حال أفضل.

"لماذا لم تخبريني؟" سألتها أمها، وقد فاجأها نبأ كونها أصبحت جدة لحفيد جديد وهي لم تعرف حتى بأن أدريانا كانت حامل. "أليس الولد طبيعياً؟" لقد كان هذا هو السبب الوحيد في نظرها الذي كان ليمنع أدريانا أن تخبرها بالأمر. ولكنه كان أمراً عادياً بالنسبة لطبيعة علاقة أدريانا مع والديها في السنوات الأخيرة. فمنذ زواجها بستيفن تأقلمت مع حقيقة أن والديها لم يحباه، ويبدو أنهما كانا على صواب، ولكن ذلك أثّر على علاقتهما بابنتهما.

"أنا آسفة ماما. لقد كانت الأمور في حالة فوضى هنا. فقد رحل ستيفن في حزيران... وكنت أظن أنه سيعود ولذلك لم أرد أن أخبرك عن الطفل إلى أن جاء... أعتقد أن ستيفن كان مغفلاً حقاً".

"وأنا أيضاً أرى ذلك" ساد صمت طويل بينهما. "هل يدفع لك نفقة زوجية؟" لقد استغربت بأن كل تفكيرهم كان منحصراً بهذه المسألة.

"لا فأنا لم أرد أي شيء منه".

"هل سيختلف معك في موضوع حضانة الطفل؟".

"لا". لقد أرادت أن توفر عليها التفاصيل وأيضاً أرادت ألاّ تخبرها عن بيل، وإلاّ فإن أمها سوف تعتقد أن سبب خلافها مع ستيفن هو إقامتها لعلاقة غرامية مع هذا الرجل. سيكون لديها متّسع من الوقت لتعطيها التفاصيل فيما بعد.

"كم من الوقت ستبقين في المستشفى؟" لقد كانت أمها مزعجة حقاً، وكان يصعب عليها أن تشعر بالحميمية تجاهها، رغم أن أدريانا قد صارت أماً الآن.

"ربما سأبقى هنا حتى الغد". لم تكن متأكدة من ذلك. "أو ليومين لا أعرف بالضبط بعد".

"سأتصل بك عندما أصل إلى المنزل، أما زلت تحتفظين بنفس الرقم؟" لقد كانت كالعادة تكرر على مسامعها بأن عليها أن تتصل ولكنها كانت قلما تفعل ذلك. فأدريانا هي من كانت تتصل في العادة.

"نعم". لقد كانت قد نقلت هاتفها إلى منزل بيل عندما تركت الكوندو. لقد كان من الأسهل عليها أن تفعل ذلك في ذلك الوقت من أن تقدم التفسيرات والتبريرات. "سأتصل بك أمي".

"حسناً... مبروك...". بدت أمها وكأنها لا تعرف ما تقول بينما كان والدها خارجاً. لقد أحزنها أن تتصل بهما، ولكن كان عليها أن تقوم بواجبها.

الاتصال الثاني أكثر صعوبة بكثير. فقد استحصل محاميها على رقم هاتف ستيفن بطريقة ملتوية، ولكنه اقترح على أدريانا أن لا تحاول أن تتصل به. فتحت دفتر هواتفها من حقيبتها، وهي تحمل ابنها بيدها اليسرى طلبت الرقم. وإذ فعلت نظرت إلى سام. لقد كان جميلاً جداً وطيباً جداً، ومسالماً جداً. لقد كان كل ما كانت تريده. لقد كان عمره أربع ساعات وشعرت لتوها وكأنها تعرفه منذ زمن بعيد.

"ألو". لقد كان الصوت مألوفاً على الهاتف، ولكنها لم تكن قد سمعته منذ أشهر، وشعرت بالارتباك فجأة عندما سمعته.

"ألو... ستيفن... أنا... أدريانا. آسفة لأنني اتصل بك" ساد صمت طويل إذ قالت هذا. لم يستطع أن يتخيل ما السبب الذي يجعلها تتصل به وكيف حصلت على رقمه الذي لم يكن مدرجاً في دليل الهاتف.

"لماذا تتصلين بي؟" لقد تصرف وكأن ليس لها حق أن تتحدث معه، وشعرت بيدها ترتجف وهي تصغي إليه.

"لقد فكرت بأن لك الحق في أن تعرف... لقد وُلِدَ الطفل هذا الصباح، إنه صبي صغير، ويزن ثمانية باوندات وأربع عشرة أونصة". وشعرت فجأة بأنها كانت حماقة كبيرة منها أن تتصل به وذلك عندما لاحظت الصمت المطبق على الطرف الآخر. "أنا آسفة. أعتقد أنه ما كان يجب أن أتصل... لقد فكرت...".

وعندها وفجأة سمعت صوته يقول: "أهو طبيعي؟" لقد كان نفس السؤال الذي سألته أمها، فبدا هذا السؤال كريهاً بغيضاً في نظرها.

"نعم إنه بخير". قالت بهدوء. واستأنفت "إنه جميل حقاً".

وهنا سمعته يسألها بتردد: "أأنت على ما يرام؟ هل كان الأمر مريعاً؟" لقد بدا تقريباً يشبه الرجل الذي كانت تعرفه يوماً بينما طرح عليها السؤال.

"أنا بخير وكانت الأمور على ما يرام" لم يكن هناك داعٍ لأن تشرح له تفاصيل ما مرّت به. لقد كان الأمر أصعب بكثير مما كانت تتوقع، ولكن حتى الآن لم تشعر بأنه على تلك الدرجة من السوء. الآن وقد صار سام على ذراعيها وقضي الأمر.

"لقد كان الأمر يستحق العناء". ثم قالت له مترددة: "لقد أردت أن أتصل... لأنني فقط فكرت... أنا أعلم أنك وقّعت تلك الأوراق. ولكنني أردت أن أعطيك فرصة كي تراه إذا أردت". لقد كانت أكثر لطفاً في ذلك من أي

امرأة أخرى، ولكن أدريانا كانت دائماً على هذا النحو. "لا أتوقع أن تأتي بالطبع، ولكن اعتقدت أن عليّ فقط أن أخبرك عسى ولعل..." وتلاشى صوتها وقد قاطعها بقوله:

"أود ذلك". فبدت مذهلة وهي تسمعه. لقد كانت دائماً تعتزم أن تعطيه هذه الفرصة وهي تتوقع للغاية بأنه لن يستفيد منها.

"أين أنت؟".

"في مستشفى سيدرز – سيناي".

"سأمر عليك في وقت ما هذا الصباح". ثم قال لها بصوت غريب رقيق: "الديه اسم؟".

أومأت برأسها، وقد سالت الدموع على خديها. لم تكن لتتوقع هذا، ولكنها استاءت الآن من الأمر. فبعد كل ذلك الوقت يريد أن يأتي ليرى الطفل. "إن اسمه سام". قالت له في شبه همس.

"قبليه عني. سأراك فيما بعد". لقد كانت مندهشة أكثر مما سمعته الآن. فقد بدا فجأة مختلفاً جداً ورقيقاً جداً. وشعرت الآن بالخوف مما قد يحدث عندما يأتي ليراها. فكرت بهذا الأمر طوال الصباح وهي تمسك بالطفل إلى صدرها، دون أن يبدي أي حركة وهو نائم. وكان قد قارب موعد طعام الغداء عندما سمعت صوت الباب يُفتح رأت ستيفن يقف هناك ينظر إليها وقد ارتدى بنطالاً فضفاضاً رمادياً وقميصاً أزرق وسترة فضفاضة. لقد كان شعره أطول من المعتاد، وكانت لديه سمرة، وكان أكثر وسامة من ذي قبل.

"مرحباً أدريانا هل أستطيع الدخول؟" وقف ينظر عند المدخل وهو متردد. فأومأت له وهي تحاول أن لا تبكي عندما تراه، ولكن جهودها باءت بالفشل. فانهمرت الدموع من عينيها وقد دخل وسار نحوها. وفجأة تذكرت كم كانت تحبه يوماً، وكم من آمال كانت تعلق عليه، وكم كانت ثقتها كبيرة بأن زواجهما سيدوم إلى الأبد، وكم كانت محطمة الفؤاد ويائسة ومتوحدة عندما

تركها.

نظر إليها أولاً، وهو يتقدم نحوها ببطء حاملاً باقة من الورود الصفراء، ثم وقف إلى جانبها ونظر إلى الطفل فجأة وقد قُمّط وغطي ببطانيته الزرقاء الصغيرة. وكان وجهه الصغير الوردي اللون يشبهها كثيراً كما لو أنه كان برعماً منها.

"يا إلهي..." حدّق إلى الطفل وسألها: "أهذا هو؟" أومأت برأسها مبتسمة وسط دموعها على هذا السؤال السخيف. "أليس جميلاً؟".

في هذه المرة ستيفن هو من أومئ برأسه وقد اغرورقت عيناه بالدموع فنظر أولاً إلى الطفل الذي كان ابنه ثم إلى المرأة التي أنجبته. "كم كنت مغفلاً..." لقد كانت هذه نفس الكلمات التي كانت تتخيل أنه سيقولها ولكنها ما كانت تتوقعها.

أومأت برأسها وهي تبكي علانية، فما كانت تستطيع أن تخالفه الرأي، ولكن في ذلك الوقت ما كان أحد ليثنيه عن رأيه، وحتى المحامي الذي أوكله حاول ذلك دون أن يصل إلى نتيجة.

"أعتقد أنك كنت خائفاً جداً جداً وحسب".

"أعلم أنني كنت كذلك. فما كنت لأتصور نفسي وأنا أنجب أطفالاً، وأن أقدم لأولادي التضحيات التي يجب أن أقدمها لهم، ولا أزال أعجز عن تصور ذلك". قال صادقاً. ولكن رؤية ابنه كانت قد غمرته. فقد كان ابنه، من صلبه.

"إنه جميل أليس كذلك؟" قال بهدوء وهو ينظر إليه بينما هي تراقبه. وأخيراً رفع ستيفن نظره إليها ولكن عيناه كانتا خاليتين من أي تعبير أو مشاعر. "لا بد أن الأمر كان صعباً عليك خلال الأشهر الماضية". أومأت برأسها دون أن ترغب بأن تخبره عن بيل. فلم يكن ذلك من شأنه. "أين تعيشين؟" لقد كان غريباً أن يسألها سؤالاً كهذا الآن، بعد كل هذا الوقت. فأجابت بطريقة ملغزة. فهو لم يهتم أين كانت أو كيف كانت. لكنه الآن يهتم،

هل كان يهتم حقاً؟.

"في نفس العنوان في المجمع السكني". لقد افترض أنها قد اشترت شقة أصغر بالنقود التي حصلت عليها من المنزل.

"هذا ظريف". ثم نظر إلى ابنه من جديد، ولمس أنامله الصغيرة بلطف. "إنه صغير جداً... وقد كان رائعاً جداً".

"إنه يزن حوالي تسعة باوندات" قالت مدافعة عن سام، ولكن ستيفن لم يكن يستطيع أن ينظر إليه في عجب، فسام لم يرَ أحداً مألوفاً لديه هناك، سوى أدريانا، ولكنه بدا وكأنه شخص مستقل بذاته ولم يكن ستيفن يعارض في ذلك. ثم نظرت إليه أدريانا بتردد، فقد كانت يداه لا تزالان ترتعشان من صدمة رؤية ابنه. "هل تريد أن تحمله؟".

بدا ستيفن فجأة مذعوراً، ثم فاجأها بأنه أومئ برأسه موافقاً ومدّ يديه نحو الطفل فناولته أدريانا الطفل برفق. فقد كان الطفل ابنه رغم كل شيء، وكان هذا هو السبب الذي حدا بها للاتصال به. فقد كانت تريد أن تعرف إذا ما كان يهتم، وأن تعطيه فرصة وحيدة أخيرة لكي يتصل بالطفل الذي كان قد نبذه. وصفق الطفل بين ذراعيه وشعرت بغصة في حلقها وهي تراقبه ينظر إلى الطفل النائم في تعجُّب صامت. جلس في الكرسي إلى جوار السرير، وهو يخاف أن يتحرك، وبدا مذعوراً، وكانت ذراعاه متجمدتان دون حراك وكأنه كان يخشى أن يثب الطفل إلى أعلى وأن يعضه. ولكنه جلس هناك يحدّق إليه. وإذ كانت تراقبه فُتِحَ الباب ودخل بيل وهو يحمل باقة كبيرة من الورود، ودزينتين من البالونات المليئة بغاز الهيليوم، ودباً أزرق كبيراً وضعه بارتباك عند مدخل الغرفة. دخل الغرفة بينما كان ستيفن منحنياً فوقها يعطيها الطفل ولكن ما رآه بيل في تلك اللحظة من حيث يقف كان مشهداً حميمياً لم شمل الثلاثة. نظرت أدريانا إلى بيل بعينين مذهلتين وكان ستيفن يقف إلى جوارها وبدا وكأنه لم يكن قد تركها. ولأول مرة بدأ الطفل بالبكاء، وكأنه شعر وكان شيئاً مريعاً قد حدث للتو.

"أوه... عفواً... أرى أن الوقت غير مناسب". قال بيل في فضاء الغرفة. وقد خشي أن ينظر إلى عيني أدريانا. "لا بأس" قالت أدريانا بارتباك "هذا ستيفن تاونسيند إنه..." وهنا كادت تغصّ بالكلمات في حلقها فقد كانت على وشك أن تقول "إنه زوجي". ورأت وجه بيل يمتقع وكانت تريد أن تطلب منه ألاّ ينزعج وألاّ يتصرف بهستيرية بل أن يدخل. فستيفن كان على وشك المغادرة، ولكنها وجدت أنها غير قادرة على أن تقول شيئاً. إذ إن ستيفن كان ينظر إليه بطريقة غير مُرحِّبة. فتراجع بيل إلى الوراء وخرج من الغرفة دون أن ينتظر تفسيراً منها.

"سوف أعود لاحقاً".

"لا... بيل...". ولكنه كان قد غادر للتو وأسرع الخطى عبر الرواق. وقد شعر بغصة في حلقه كانت نفس الغصة التي انتابته عندما أخبرته ليسلي أنها لن تنتقل معه إلى كاليفورنيا. فالأمر يتكرر معه ثانية، والخسارة، الألم، الحزن، والوحدة...

وفي غرفتها في المستشفى كانت أدريانا تنظر بحزن إلى ستيفن الذي كان يراقبها. "من كان هذا؟" سألها ستيفن بانفعال. لقد كان واضحاً أنه انزعج من المقاطعة.

"صديق". قالت بنعومة. لقد رأت أن ستيفن شعر بالغضب فجأة، ولكن كلاهما كان يعرف أن ليس له الحق بذلك، ونظر إليها الآن وقد بدا جدياً. لقد كان يفكر في أشياء كثيرة منذ أن اتصلت به وبعد رؤيته للطفل.

"إني أدين له باعتذار" قال لها برصانة، بينما كانت أدريانا منزعجة في داخلها مما قد يظنه بيل أو يشعر به. فهي لم تكن تتوقع أن يأتي ستيفن بهذه السرعة. وعندما عرض أن يأتي وجدت أنه من الأفضل أن يفعل ذلك لكي تستطيع أن تستأنف حياتها مع بيل. لقد كانت عاهدت نفسها بأن تتصل به ولكنها لم تكن تتوقع هذا أو أن يدخل بيل هكذا عليهم. فجأة انقلب كل شيء رأساً على عقب، وما كانت تعرف ما تفعل للطفل الباكي. فرنّت الجرس

تستدعي الممرضة التي بادرت إلى أخذه إلى حضانة الأطفال لبرهة. في حين نظرت أدريانا إلى ستيفن بنظرة مليئة بالمرارة والألم. "يؤسفني أنني سببت لك الألم يا أدريانا". وإذ قال ذلك تذكرت ليلة تجاهله لها في مطعم لاشاردوني عندما كانت حامل بالشهر السادس. "لا بد أن هذه الأشهر الستة الماضية كانت قاسية عليك" قال لها، ولكن ذلك ما كان ليعبّر عن الحد الأدنى مما عانته فعلاً. ولولا وجود بيل إلى جوارها ليعتني بها لما كانت ستعرف كيف تجتاز كل تلك المرحلة. "ولكنها كانت صعبة عليّ أنا أيضاً". كانت أدريانا لا تصدق ما تسمع. فلم تكن هي من طلّقه. وإذ أصغت إليه الآن أدركت أنها لا تزال غاضبة منه على ما فعل. غاضبة ومتألمة وما كانت متأكدة أنها ستستطيع أن تصفح عنه. "لقد تحديتني بطريقة مستني حتى الصميم إلى حد ما. لقد خذلتني بشكل كامل". تابع يقول بينما نظرت أدريانا إليه لقد كان أنانياً كعادته دائماً. "ولكن... ومن أجل ابني... ابننا... أعتقد أنني بمرور الوقت قد أستطيع أن أسامحك".

نظرت إليه بعينين مندهشتين، وهي لا تكاد تصدق ما تسمعه. لقد كان من الممكن أن يسامحها. " إن هذا تلطف بالغ منك" قالت بهدوء، "وأنا أقدّر لك هذا جداً" وكانت تعضّ على الكلمات التي تخرج من فمها. "ولكن يا ستيفن لست أنت الشخص الوحيد الذي تألم. ويؤسفني أنك تشعر بأنك خُذلت. ولكنك هجرتني عندما كنت حاملاً. وقطعت علاقتك بي كلياً، وأخذت أثاث منزلنا، وألقيت بي خارجاً وطلّقتني، وأنكرت حقوق الأبوة نحو ابنك. بل إنك حتى أبيت أن تتحدث إليّ عندما اتصلت بك". لقد كانت قائمة طويلة، لكنه بدا غير متأثر بما قالت فتابع كلامه قائلاً.

"مهما يكن من أمر فإنني أرى ومن أجل الطفل أن علينا أن نعود معاً من جديد".

"هل أنت جاد؟" ونظرت إليه برعب. لم يكن هذا ما تخطط له رغم أنها كانت تريد أن تكون منصفة معه. وقد كان قد تحمّس لهذا الموضوع كثيراً كما

لكل شيء آخر في حياته. إلاّ أنها كانت تدرك أن الطفل بالنسبة له كان رحلة أنوية نحو الذات، وبما أنه قد رآه الآن على ما يرام وأنه ابنه فقد بدا فجأة على استعداد لأن يفكر بأن يأخذ مسؤولياته بعد أن هجرهما كلياً. وكانت هذه هي الفرصة التي تريد أن تمنحه إياها ولكنها كانت تتوقع أن تجد لديه شعوراً حقيقياً تجاه الطفل على الأقل. لم تكن تتوقع منه شيئاً نحوها. أو شعوراً ما، بل كانت تتوقع ولو نوعاً من الحنان واللطف. بعض الأسف، وبعض الندم. ولو ذرّة صغيرة من اللباقة والاهتمام. ولكن بيل هو من كان كذلك، وإذ فكرت في الأمر أدركت ذلك فجأة فهذا رجل، ستيفن لم يكن لديه أي شيء من ذلك في داخله.

"لا أعتقد أنك تفهم" تابعت تقول: "ستيفن لقد تخلّيت عن كل شيء لأنك لم تكن تريد أياً منا. لقد هجرتنا. والسبب الوحيد الذي جعلني أتصل بك هو أن أعطيك فرصة كي تأسف على ذلك. أردت أن أعطيك فرصة لترى الطفل. لكنك لا تهتم لأحد. ليس لديك إحساس بالندم على ما فعلته. الشخص الوحيد الذي تهتم لأجله هو نفسك، ولا ينبغي عليك أن تشعر بأنك قد خُذلت. لا أعتقد حتى إنك يمكن أن تهتم بأي شيء على الإطلاق. إنك متقوقع على نفسك جداً حتى إنك لا تبالي بي أو به. وأعتقد أنك قد تأثرت من مجيء طفلك وهذا هو كل ما في الأمر. فمن يكون بالنسبة لك؟ ماذا يعني لك؟ ما الذي تجد نفسك مستعداً لإعطائه له؟". كان سؤالاً هاماً وبدا ستيفن منزعجاً أكثر من قبل لاستجوابها له.

"مأوى، طعام، علم، ألعاب..." لم يكن يستطع أن يفكر بأي شيء آخر فهزّت رأسها. لم ينل علامة النجاح. ولن يفعل ذلك والآن أدركت ذلك. لقد كان هذا ما تريد أن تراه والآن غدت مسرورة لأنها اتصلت به.

"لقد نسيت شيئاً بالغ الأهمية".

فكّر ستيفن بالأمر لكن لم يخطر شيء في باله. وبدا وسيماً الآن ولكن فارغاً أجوف أيضاً.

لقد نسيت الحب. وهذا يعني أكثر من مجرد مأوى، وطعام، وتعليم، أو أي شيء. إنه يعني أكثر من أجهزة كمبيوتر، ومضارب تنس، أثاث، وأجهزة ستيريو، شقق، ووظائف. إنه حب. وهذا هو الشيء الوحيد الذي أعتقد أنك نسيته كلياً في حياتنا الزوجية، فلو أنك أحببتني لما تخليت عني وعن الطفل".

"لقد أحببتك... ولكنك لم تحبيني. لقد خالفت وعداً بأنك لن تنجبي أطفالاً" وكان يعني ما يقول.

"لم أستطع تجنب ذلك". ولم تكن تشعر بالندم "ولست بآسفة الآن".

"يجب أن تكوني كذلك". قال لها باستياء، "بسبب الحزن الذي سببته لي".

"الحزن الذي سببته لك؟" نظرت إليه أدريانا مذهولة في حين نهض واقفاً يتمشى في أرجاء الغرفة وينظر إلى الدب الكبير الذي تركه بيل عندما دخل الغرفة.

"الحقيقة أنك خذلتني". قال مكرراً كلامه، "وإذا كنت مستعداً لأسامحك الآن، ومن أجل الطفل فعليك أن تكوني ممتنة جداً". لم تصدق أذنيها وهي تنظر إليه.

"لست ممتنة" نظرت إليه وقد قالت ذلك ببلادة وبرودة. ثم سألته السؤال المخيف أكثر "ستيفن هل تحب الطفل؟ أعني هل تحبه حقاً؟ هل تريده أكثر من أي شيء آخر. وتريد أن تمضي حياتك لتجعل حياته أفضل؟".

نظر إليها بصمت لوقت طويل. "أنا متأكد أنني أستطيع أن أتعلم ذلك بمرور الوقت" ولكنها رأت وهي تنظر إليه أن شيئاً داخله قد مات منذ زمن بعيد وأنها لم تعرفه أبداً.

"وماذا إذا شعرت بأننا نشكل لك تهديداً من جديد؟ فماذا تفعل؟ هل تتركنا؟ أو تبيع الشقة؟ أم أنك ترفع دعوى طلاق؟". لقد كان قاسياً في معاملته لها ولطفله بشكل غير مباشر، وكان كلاهما يعرف ذلك، رغم ما يقوله عن الخذلان.

"لا أستطيع أن أقطع وعداً على نفسي بخصوص المستقبل. أستطيع فقط أن أقول إنني سأحاول. ولكن أعتقد أنك تدينين لي بالعودة وبأن أحاول" كانت تدين له بذلك. يا له من محب! يا له من حنون!

"على أي أساس؟ هل ستطلب مني أن أتزوجك ثانية؟" أرادته أن يوضح كل شيء ولآخر مرة. لقد كانت هذه هي المجابهة التي كانت تتوق إليها.

"أنا لا... أنا أعتقد أنه يجب أن نحاول. أعتقد أن عليك العودة وأن نجرب ذلك لمدة ستة أشهر، أو سنة، وعندها أرى".

"إذا كنت ستحب أن تكون أباً أليس كذلك؟ وماذا إن لم يكن كذلك؟".

"عندئذ لن يكون هناك ضير. فالأوراق جاهزة في مكانها، ونتصافح ويتمنى كل منا الخير للآخر". لقد بدا الأمر وكأنه اتفاق تجاري.

"وماذا عن سام؟" لقد أصبح واقعاً حقيقياً بالنسبة لها. شخصاً ثميناً مميزاً.

"في هذه الحالة إنه لك".

"يا للروعة. وكيف أشرح له الأمر فيما بعد؟ هل أقول له أنك حاولت ولم تحبه؟ لا إنك لا تستطيع أن تستعير الأبوية يا ستيفن وأن تجربها. إنك إما أن تفعلها أو لا. تماماً كالزواج، والحب، والحياة الحقيقية؛ فهذه ليست إحدى ألعاب كرة المضرب التي تمارسها بحيث تستطيع أن تختار شريكاً يناسبك وتلعب ضد الشخص الضعيف وهكذا تظهر أنويتك أمامه". بدا حانقاً مما قالته له للتو، ولكن كان كل ذلك حقيقياً وكان يعرف ذلك.

"إذاً لماذا اتصلت بي بالضبط؟ أليس هذا ما كنت تريدينه مني؟ أم أنك تحاولين أن تبحثي عن العرض الأفضل؟" لم يمر الخاتم ذي اللؤلؤة الجديد دون أن يلاحظه، ولم يكن غافلاً عن الهدايا الكثيرة التي أتى بها بيل وتركها في مدخل الغرفة.

"ما عدت بحاجة إلى عرضك الأفضل. لكنني أردت أن أكون متأكدة بأنني منحتك آخر فرصة نحو ابنك قبل أن تتخلى عنه إلى الأبد. لقد كنت

أعتقد أنك تستحق ذلك. لقد فكرت دائماً بأن هناك فرصة محتملة لديك بأن تأسف على ما فعلت وتندم عليه بشدة يوماً ما، وأنك قد تحبه بعد أن يولد ولكنك لم تفعل. وكل ما تريده أن تحاول ذلك كما لو أنك تجرب سيارة في معرض سيارات، وتريد أن تعيدني لكي أحفظه لك، لأنك على استعداد أن تسامحني على خذلاني لك كما تسميه. ولكن لست أنا من خذلك بل أنت خذلتني والطفل الآن". بدا مرتبكاً لكن ليس حزيناً جداً على ما قالته الآن. وتساءلت إذا ما كان سيشعر بالارتياح أبداً. ولكن مهما كان فإنه لن يتغير لقد أدركت ذلك الآن بشكل مؤكد. 'يمكنك أن تقولي له بأنني عرضت أن أعيدك وأنك رفضت لأنك كنت مهتمة بما ستقولينه له لاحقاً'.

'إنك تريد ذلك على أساس التجريب يا ستيفن. وهذا لا معنى له' أدركت فجأة أنها كانت تصيح ولكنها ما كانت تهتم. لقد استطاعت أخيراً أن تصرخ في وجهه وقالت: "أريد أن أحبه دون شروط، سواء كان بديناً أو هزيلاً، وسيماً أو قبيحاً، حسن الطبع أو سيئ المزاج، في المرض وفي الصحة، بكل ذرّة حب أملكها لأقدمها له. هذا ما أريد أن أعطيه لابني" قالت ذلك وانهمرت الدموع في عينيها وأدركت أن هذا هو ما كانت تريد أن تعطيه لبيل أيضاً وإلى الأبد.

'ليس هناك ما يسمى حب غير مشروط، ما عدا عند الحمقى' قال ذلك بفلسفة متشائمة.

"إذا هذا ما أنا عليه'. لقد كان هذا ما قدمته له لفترة من الزمان، وهذا ما تخلى عنه وأدار ظهره له.

'حظاً طيباً إذاً". وقف ينظر إليها مطولاً وبدا وكأنه لم يكن بينهما أية مشاعر على الإطلاق. ثم قال يؤسفني يا أدريانا أن الأمور لم تنجح '. ولكنه لم يكن آسفاً لأنه تخلى عن ابنه. فلدقيقة كان مشدوداً لابنه مفتوناً به عندما كان بين يديه ولكن ما أن أخذته الممرضة حتى نسي ستيفن الموضوع برمته.

' وأنا أيضاً آسفة '. ورفعت نظرها نحوه وهي تتساءل مَنْ كان ذلك الرجل حقاً بينما كانت هي تظن أنها تعرفه.' أنا آسفة من أجلك' قالت له

بهدوء.

"لا تكوني كذلك". فشعرت أخيراً بالانعتاق، وهي تنظر إليه وهي في سعادة مضاعفة لأنها اتصلت به. لقد كان صادقاً معها ولم تكن تشعر بأي شيء نحوه حتى تخسره الآن." لم أكن مستعداً لذلك يا أدريانا ولا أعتقد أنني سأكون كذلك" لقد كانت الكلمات الأكثر صدقاً التي قالها على الإطلاق فقد كان هذا شعوره وموقفه رغم الاهتمام الذي يثيره في نفسه رؤيته لابنه الجميل الحديث الولادة ولكنه لم يكن بيل، وأدركت لتوها أنها ما عادت تحب ستيفن. وليس الآن فقط بل منذ شهور. وبالأحرى منذ أن التقت ببيل... أو ربما منذ أن أدركت أنها حامل.

"أعلم". أومأت برأسها في تؤدة ثم أسندت رأسها إلى الوسائد فقد كان صباحاً طويلاً عليها " شكراً لقدومك". فلمس يدها بيده ثم استدار وخرج من الغرفة دون أن يقول كلمة، وكانت تعرف أنه هذه المرّة سيذهب دون رجعة، ولم تكن أبداً آسفة. وكانت تعلم أيضاً أنها لن تفتقده. استلقت في سريرها تفكر ببيل عندئذ وهي تشعر بالقلق الشديد عمّا يكون بيل قد فكر به عندما رآها مع ستيفن. كان كل ما تريده منه هو أن يعود وسوف تستطيع أن تشرح له الأمر. ولكن إذ فكرت ببيل سار ستيفن ونزل إلى الرواق خارجاً بخطوات طويلة وتوقف لبرهة عند حجرة حضانة الأطفال ورأى ابنه. كان صرّة صغيرة زرقاء في مهد من الأكليريك، وقد أسند إلى الأعلى حتى تستطيع الممرضات رؤيته بشكل أفضل، وقرأ على البطاقة الصغيرة الزرقاء على السلة ما يلي:' سميثن، ذكر، 8 بوندات و14 أونصة – الساعة 5:15 صباحاً'. لقد حمل اسم والدته قبل الزواج بناءً على طلب ستيفن منهما عن طريق المحاكم. وإذ نظر إليه كان ستيفن يتوقع أن ينتابه شعور ما لم يسبق له أن أحس به من قبل، ولكن لم يحدث شيء من هذا القبيل. لقد كان الطفل جميلاً وضئيل الحجم، ورقيقاً هشاً للغاية. لقد كان يدفعك لأن تذهب إليه وتلمسه. وسوف لن ينسى الشعور الذي انتابه عندما كان يحمله، ولم يكن قد انزعج عندما أعاده إلى

أدريانا. وكان كذلك الآن أيضاً إذ كان يشعر أن الطفل ابن أدريانا وليس ابنه. وكان ظريفاً أن يعرف أنه كان ابن أحد آخر. لقد فكر ستيفن أن يجرب الأبوة لفترة وأن يعيده إليها. ولكنه في نهاية الأمر يشعر بارتياح الآن لإدراكه بأنه ليس مضطراً لذلك حتى إنه أدرك أن علاقتهم انتهت فقد كانت تريد أشياء كثيرة لا يستطيع تقديمها.

" أهو ابنك؟" قال له رجل عجوز يضع سيجاراً وكان أصلع الرأس. سأله ذلك بابتسامة عريضة، فنظر ستيفن إلى الطفل بفضول وهز رأسه. لا. لم يكن ابنه. إنه ابن شخص آخر. وعندها غادر المستشفى بخطواته المتئدة وقد شعر بالسلام من جديد. بالنسبة لستيفن انتهت المعاناة.

الفصل 27

انتظرت أدريانا عودة بيل طوال النهار ولكنه لم يعد أبداً، اتصلت به في الشقة عدداً لا يحصى من المرات ولكنه لم يجب. وفي الساعة الرابعة غدت يائسة من أن تجده. لقد شعرت بالألم لأنها كانت تدرك ما كان بيل ليفكر به، وكانت تريد أن توضح له الأمور وأن تخبره بنتيجة زيارة ستيفن لها. ولكنها لم تستطع أن تجده. لقد كانت قلقة بشأن الحفلة المفاجئة، أيضاً، إذ كانت تعلم أن الجميع يعتمد عليها في جعله يأتي إلى المكتب حيث ينتظره كل الممثلون وطاقم العمل ليفاجئوه. فاتصلت إلى المكتب مباشرة متوقعة أن يكون الآخرون هناك في ذلك الوقت، وأخيراً وعند الساعة السادسة رد أحدهم على الهاتف واستطاعت أن تسمع كل الضجة بجانبه لقد حاولت أن تصيح بشكلٍ كافٍ ليستطيع أن يسمعها رغم الضجيج، وأخيراً أدرك المدير المساعد من تكون المتصلة.

"أدريانا أوه تهانينا على الطفل". لقد أخبر بيل الجميع عن سام، ولكن أولئك الذين يعرفونه جيداً لاحظوا أنه كان هادئاً بشكل غريب. وتوقعوا أن السبب كونه متعب بعد تلك الليلة الطويلة التي أمضاها مع أدريانا وهي في مرحلة المخاض. فقد تبين أنه كان في الحفلة بالصدفة تماماً، فبعد أن غادر أدريانا ذهب إلى المنزل وإذ شعر بالحاجة ليستعيد صفاء ذهنه ذهب للمكتب فوصل إلى هناك بعد الموعد المفترض بقليل. لقد بدا وكأن قدره أن يذهب إلى هناك سواء بمساعدتها أو بدون ذلك.

"هل بيل هناك؟" لقد وجدته أخيراً.

"لقد غادر لتوه. لقد قال أن عليه فعل بعض الأشياء، ولكنها حفلة جميلة".

بدا المدير المساعد وكأنه ثمل قليلاً، وكانوا يمضون وقتاً ممتعاً حتى إنهم بالكاد افتقدوا ضيف الشرف. لقد انسل خارجاً، وقد تأثر بما فعلوا لأجله ولكنه كان يتوق لأن يكون لوحده. فقد كانت هذه ذكرى ميلاد هادئة تماماً له.

حاولت أدريانا أن تتصل به بالمنزل من جديد، ولكنه كان قد وضع آلة الإجابة من جديد لم تكن تصدق بأنه انسل من بين أصابعها على هذا النحو أو أنه لن يمنحها فرصة لتفسر له. لقد كان يعلم دائماً بأنها كانت ستتصل يستيقن بعد قدوم الطفل. لكنه لم يتوقع أن يراه يجلس إلى جوارها في المستشفى. وهو يحمل ابنه، وبالتأكيد فقد تكون لديه تصور مؤلم جداً. وإذ ظلت أدريانا مستلقية في سريرها في المستشفى في انتظاره بدأت تخاف من الأسوأ عندما لم يعد لرؤيتها. لا بد أنه كان غاضباً جداً منها حتى إنه لم يرغب برؤيتها من جديد. ولم تكن تستطيع أن تفعل أي شيء آخر لرؤيته. لم تكن تستطيع أن تغادر غرفتها والمستشفى فوجدت نفسها محتجزة.

حملت الطفل فترة بعد الظهر، ووضعته في مهد صغير إلى جوارها طيلة المساء. وعندما طلبوا لها صينية العشاء ردتها إليهم كما هي، ووضعت الدب الكبير الأزرق على الكرسي وجلست تنظر بحزن إليه وإلى الورود، وكل ما كانت تريده هو رؤية بيل لتخبره كم كانت تحبه.

"هل ترغبين بحبة منوّم؟" سألتها الممرضة في الساعة الثامنة، ولكنها اكتفت بأن هزت رأسها ودونت الممرضة ملاحظة على إضبارتها الصحية حول احتمال وجود اكتئاب ما بعد الولادة. كانوا قد دونوا ملاحظة بأنها لم تأكل شيئاً على الغداء، أو العشاء، بل كانت لا تشعر بالحماس نحو ابنها لقد كانت هادئة وغير راغبة في التواصل مع أحد، وحالما غادرت الممرضة الغرفة اتصلت بالشقة من جديد وكانت آلة الإجابة لا تزال تعمل فتركت له رسالة تطلب منه فيها أن يتصل بها.

التقطت الطفل من جديد، وضمته إليها لوقت طويل وهي تنظر إلى أنفه الصغير، وعيناه الناعستان، وفمه الجميل، وأصابعه الصغيرة الملتفة برفق. لقد

كان جميلاً وصغيراً ورائعاً وكانت مستغرقة في التحديق به حتى إنها لم تسمع الباب ينفتح محدثاً صوتاً قوياً عند التاسعة ولم تره يقف هناك منذ دقيقة وهو يراقبها ويسعى جهده لألا تتغلب عليه أية مشاعر نحوها أو نحو الطفل في حين أدارت وجهها فجأة نحوه، وانقطعت أنفاسها، ومن دون أن تفكر مدت يدها نحوه وحاولت أن تنهض من السرير لم يكن هذا الأمر سهلاً بالنسبة لها.

"ابق هناك" قال لها بلطف "لا تنهضي. لقد جئت كي أودعك فقط" لقد بدا بارداً وهادئاً وسار مقترباً إلى السرير ولكنه حافظ على ذلك البعد عنها. لقد بدا حسن الهندام بشكل واضح، وشعرت نوعاً ما بأنه لم يكن قد جاء لتوه من الحفلة. فالحفلة كانت مفاجئة وكان يلبس كنزة وبنطال جينز آنذاك ولكنه الآن بدا وكأنه ارتدى ثيابه لأمر هام فقد كان يرتدي بذلة من نسيج التويد الإنكليزي وقميصاً عاجي اللون، ويضع ربطة عنق ماركة هيرمس وينتعل حذاء رسمياً بني اللون، وكان هناك معطف شتوي على ذراعه وأدركت فجأة أنه كان راحلاً.

"إلى أين أنت ذاهب؟" سألته وهي قلقة وقد شعرت لتوها أن كل شيء قد تغير بينهما. خلال بضع ساعات منذ ذلك الصباح ولم يمض اثنتا عشر ساعة على الوقت الذي كانا فيه قلباً واحداً وروحاً واحدة. والآن قد انتزع نفسه بعيداً عنها وها هو يغادرها، ولكنها كانت تعرف السبب. وكانت تتساءل إذا كانت تستطيع أن تشفي الجرح الذي كانت قد سببته له.

"لقد فكرت بأن أذهب إلى نيويورك كي أرى الأولاد بضعة أيام"، قال وقد نظر إلى ساعته" يجب أن أغادر خلال بضع دقائق كي ألحق الطائرة" شعرت بقلبها يغوص في أعماقها وهي تنظر إليه وتملكها الخوف واليأس لإحساسها بأنها ستفقده. لقد كاد هذا الإحساس يخمد أنفاسها وهي تنظر إليه وقد بدا يجول بنظره في أرجاء الغرفة بلا ارتياح ثم ينظر إليها من جديد. ولكنه كان توّاقاً لأن يتحاشى النظر إلى الطفل.

"هل يعرف الأولاد أنك آتٍ إليهم؟".

"لا، قال بحزن لقد فكرت بأن أفاجئهما".

"كم ستبقى هناك؟" لم تدرِ ما تقول له سوى أنها كانت آسفة، وأنها كانت حمقاء، وأنه ما كان يجب عليها أن تهتم لما يفكر به ستيفن، وإنه كان نذلاً، وأنها هي أيضاً كانت كذلك، وأنها كانت تحب بيل أكثر من الحياة نفسها. وأن سام كان سينمو ويكبر ليصبح ابنهما... إذا بقي بيل وسامحها.

"لا أدري كم سأبقى" أجابها وهو يمسك بمعطفه على ذراعه وينظر إليها بتوق "أسبوع... أسبوعين... لقد فكرت بأن آخذهما في إجازة صغيرة بعد أن يكونا قد عادا من فيرمونت، هذا إذا سمحت ليسلي لي بذلك...". لقد كان دائماً تحت رحمة آخرين لكي يصل إلى الناس الذين يحبهم... ليسلي، أدريانا... ستيفن ولكنه لم يكن يسمح لنفسه بأن يفكر بذلك الآن. فقد كان كل ما يفكر به الآن هو أن يرى ولديه ثانية وأن يخرج من كاليفورنيا. لقد عانا بما فيه الكفاية وكان بحاجة لاستراحة، كانت هدية ذكرى ميلاده لنفسه هو أن يخرج من المدينة ويدع أحد ما يهتم بمشاكله. كانت هناك نصوص كثيرة يتبغي على أحد أن يعمل عليها أثناء غيابه وإذا لم يعرفوا ما يفعلون سيتوجب عليهم أن يبتكروا الأفكار.

"بالمناسبة لقد استخدمت ممرضة من أجلك. وسوف تمر عليك خلال النهار، أو تبقى معك طوال الليل إذا احتجت إليها عندما تغادرين المستشفى أنا لم ألتقي بها بنفسي ولكن في الوكالة قالوا إنها رائعة وماهرة". لقد فكر في كل شيء فاغرورقت عينا أدريانا بالدموع وهو يقول ذلك.

"ما كنت مضطراً لذلك. إذ يمكنني الاعتناء بنفسي".

"لقد فكرت أنك قد تحتاجين للعون من أجل الصبي" ما لم.... لم يفكر في ذلك ولكنه نظر إليها بفضول وهو يشعر أكثر بأنه أحمق "... هل ستذهبين إلى منزلي أو إلى منزل ستيفن فأدركت من سؤاله ما يدور في رأسه وتصدع قلبها من أجله، لقد كان ذلك خطؤها وهذا ما جعلها تستاء من نفسها جداً للألم الذي سببته له.

"لن أعود إلى ستيفن، أبداً. سوف لن أذهب معه إلى أي مكان" قالت ذلك بلهجة تأكيد فنظر إليها باستغراب.

"لقد أخذت انطباعاً هذا الصباح بأن.... لقد فكرت.... لقد كنت أعلم أنكِ كنت ستتصلين به". قال موضحاً لها. "ولكنني لم أعرف أنك كنت ستفعلين ذلك في القريب العاجل. كان يجب أن أكون مستعداً لذلك" قال في هدوء "ولكنني لم أكن كذلك فأُخذت على حين غرة عندما دخلت وأنتم الثلاثة هنا.... لقد كنت مسروراً جداً في ولادة سام وكل شيء و...." بدا حزيناً جداً وهو ينظر إليها حتى إن الدموع سالت على خديها وهي تنظر إليه ثم تنظر نحو الطفل.

"لقد كنت أريد أن أسوي الموضوع بسرعة... ربما كان هذا خطأً مني، ولكنني أردته أن يرى الطفل.... وأن أعتقه روحياً، أو أعطيه بركة، أو شيئاً من هذا القبيل. لا أعرف بما فكرت.... لا أدري أية أوهام مجنونة راودتني في ذلك الوقت فيما يتعلق بإحساسي بأنني مدينة لستيفن بسبب الطفل. ربما أحسست بالذنب لأخذ شيء على هذه الدرجة من الروعة منه وأن أدير ظهري له، بل حتى أن أشاركك في الاهتمام به ولكن الحقيقة هي أنه لم يدرك معنى أن يكون لديه طفل. إنه لا يريد أن يعرف معنى الحب، ليس الطفل إلا مشقة. إنه أحمق وميؤوس منه، وقد كنت أكثر منه حماقة عندما تزوجته بالدرجة الأولى". ونظرت ببؤس نحو بيل وبكت وقد حملت الطفل، وفجأة بدأ الطفل ينوح باكياً فوضع بيل معطفه جانباً واتجه ليساعدها.

"إيه. إيه دعيني أفعل ذلك..." كان هادئاً ورفيقاً وكانت يداه بارعتان فيما يفعله بينما كانت تراقبه. سألها هل هو جائع؟".

"لا أعلم. لقد أرضعته قبل قليل، ولا أظن أنه في حاجة إلى ذلك الآن".

"ربما مبلّل". فتحقق منه كالخبير، ثم لفّه من جديد برشاقة بالبطانية بينما كانت تنظر إليه متعجبة من براعته في كل شيء يلمسه ابتداء في التلفزيون، إلى مهارته في إعداد أطباق البيض المخفوق، إلى عنايته بالأطفال. "الأمر فقط هو أنه يريد أن يكون مشدوداً على ما أعتقد. يُفضّل أن لا تتركيه مفكوكاً.

فالأولاد يحبون أن يكونوا محزومين مثلهم في ذلك مثل الشرنقة. هه سأريك". فشرح لها كيف تتصرف معه ثم أعاد لها الطفل بيدين واثقتين بينما تمخطت وشكرته.

"لا أدري بما كنت أفكر عندما اتصلت بستيفن. ولكن حالما وصل هنا أدركت أن الأمر كان خطأ، وبعدها دخلت أنت وقبل أن أقول شيئاً، خرجت ثانية". وعادت إلى البكاء من جديد؛ ودخلت الممرضة وهزت رأسها من جديد؛ وهي تعتقد أن أدريانا كانت تظهر أول علائم لكتئاب ما بعد الولادة أو أن زوجها يجعلها تمرّ بأوقات عصيبة؛ ولكن كان هناك شيء يجري الآن. "حاولت أن أتصل بك طوال النهار" استأنفت أدريانا تقول. "ولم أستطع أن أجدك في أي مكان" قالت له عاتبة "واليوم كان ذكرى ميلادك".

"أعلم أنه كان كذلك". وابتسم لقد بدت مثيرة للشفقة ومستاءة وكالأطفال وقد وضعت قوساً أزرق في شعرها. لقد بدت كفتاة مراهقة تحمل ابن شخص آخر، "ولكن الأمر كان محرجاً جداً لي عندما دخلت الغرفة وكان هنا فأنا لم أتوقع وجوده. وبدا الأمر لي حميمياً بينكم".

"حسناً لقد كان الأمر مؤثراً جداً في البداية". شرحت له وهي ترغب أن يجلس، ولكنها لم ترد أن تقترح عليه ذلك مخافة أن يتذكر أن عليه أن يدرك الطائرة. "لقد نظر إلى الطفل وكأنه لم يرى أبداً طفلاً، لقد كان مغفلاً، وعنيداً، وبليداً، ومتعجرفاً، ولا أعتقد أنه أحب يوماً أي شخص أو أي شيء في حياته ما عدا مضرب التنس خاصته أو سيارته البورش. لقد كان على استعداد لمسامحتي وإعادتي والطفل إليه على أساس التجريب". هل تتخيل ذلك؟" وكانت لا تزال غاضبة عندما قالت ذلك.

"وماذا لو أنه أعادك دون قيد أو شرط، أو قال لك بأنه يحبك؟".

"لقد أدركت أن الأوان قد فات، وأن كل شيء قد ذهب دون رجعة، وكأنه لم يكن أبداً. وكأننا لم نعرف بعضنا أبداً. لقد كان ما بيننا شيء سطحي ضئيل جداً. لم أعرف معنى الحب إلى أن التقيت بك". قالت ذلك بعذوبة فوضع

معطفه إلى جانب الدب الأزرق واقترب من سريرها حيث كانت لا تزال جالسة تحمل الطفل.

"لم أستطع أن أتحمل فكرة خسارتك أدريانا... لم أستطع. لقد مررت بذلك من قبل، وأعرف ما يكون عليه الأمر". ونظر إلى الطفل النائم عندئذ "لا أريد أن أفقدك أيضاً. أنا أريدكما وطومي وآدم متى استطعت... وإلى الأبد. ليس لي الحق أن أقف في طريقك لقد كنت متزوجة من ستيفن، ولك الحق أن تعودي إليه إذا أردت. فإذا عقدت عزمك وأخذت قرارك وأنت متأكدة من ذلك الآن فإنني أود أن أعرف..." ونظر إليها بعينين مليئتين بالألم. لقد بلغ من العمر الأربعين.

"لم أحب أحداً أبداً أكثر منك" مدت يدها نحوه فعانقها بذراعيه وسالت الدموع على وجنتيها. لقد شعرت بأنها كانت تبكي طوال النهار وهو أيضاً لقد مرّت عليه ذكرى ميلاد كريهة. "لم أكن لأستطيع أن أعيش بدونك" كانت لا تزال ترتجف وهي تفكر بذلك، فبحماقتها وغبائها كانت تفقده.

ابتسم بيل لها طويلاً، ولم يقل أي شيء بل ساعدها على وضع الطفل في المهد ثم نظر إليها من جديد: "إنني أحبك. أريدك فقط أن تعلمي كم أنني أحبك". ثم نظر إلى ساعته وابتسم وقد جلس إلى جوارها على طرف السرير. "يبدو أن الطائرة قد فاتتني للتو". ولكنه كان يريد أن يفاجئ الأولاد على كل حال فسوف لن يخيب أملهم إذا لم يذهب "هل تمانعين إذا أمضيت الليلة؟" وابتسم لها فضحكت وتمخطت ثانية. لقد كان يوماً مشبوباً بالعواطف وكذلك الليلة التي سبقته.

"لا أدري بالضبط ما ستقوله الممرضات". ولكن بدا أنهما لا يباليان بالأمر. فتعانقا في سريرها وقد ارتدت أدريانا ثوب النوم الوردي اللون الذي كان قد قدمه هدية لها في العيد. أما هو فكان يرتدي بذلة التويد التي من لندن. بعد ذلك دخلت الممرضة لكي تطمئن عليها فرأتهما يتبادلان القبلات، فأغلقت الباب بهدوء وخرجت وهي تدرك أن السيدة تومبسن كانت تشعر بتحسن كبير.

جداً.

'سوف يظنون أننا نسيء التصرف' همست أدريانا له عندما أغلقت الممرضة الباب خلفها.

'جيد'. همس لها بابتسامة.

"لديّ هدية عيد لك" تذكرت أدريانا الساعة فجأة واستمرا في القبلات والحديث بالهمسات.

"الآن؟" قال وهو يضحك، "أليس الوقت باكراً على ذلك؟".

إنك تعرف. ولكنه قبلها طويلاً وبقوة، وإذ ضمها إليه شعرا بالمصالحة مع العالم بأسره.

'لديّ مفاجأة لكِ' قال لها وهو مستغرق في التفكير، بينما استدار خلفاً إلى الوسائد جنباً إلى جنب.

'ما هي؟" كانا لا يزالان يتحدثان بهدوء خشية أن يوقظا الطفل، ولأن حياتهما فجأة قد بدت بسيطة وهادئة حافلة بالسلام.

"أن نتزوج خلال الأسابيع القادمة القليلة".

"لا أعتقد أن الوقت مناسب" وتظاهرت أنها تعبس في وجهه في حين كانت تحرك يدها حتى التمع في يدها الخاتم الذي كان قد أعطاها إياه في العيد.

'أريد أن أضع اسمي في شهادة ميلاد سام" قال لها بيل بنوع من الحزم.

"ما رأيك باسم صموئيل وليم ثيغبن؟" اقترحت عليه الاسم بابتسامة خجلى. فمال نحوها وقبلها.

'يعجبني...' قال مبتسماً وقد شدّها إليه بقوة، وهو يشعر بأن قلبها قد التصق بقلبه، وصار للقلبين نبضة واحدة.